شؤون فلسطينية

حزيران (يونيو) ١٩٧٣

٢٢

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٢٢ — حزيران (يونيو) ١٩٧٣

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

هيئة التحرير : المقدم الهيثم الايوبي ، بلال الحسن ،
د. سعيد حمود ، احمد خليفة ، الحكم دروزة ، محمود درويش ،
د. يوسف شبل ، د. نبيل شعث ، منير شفيق ، د. صادق العظم ،
ناجي علوش ، حبيب قهوجي ، د. محمد المجذوب ،
عبد الحفيظ محارب ، د. حنا ميخائيل .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني
(متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ـ لبنان ،
ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،
برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

الغلاف : العلم الفلسطيني

المحتويـــات

صفحة ٤ شؤون فلسطينية ، الدكتور انيس صايغ .

٥ بدلا من الرصاص حوار بالكلمات ، شفيق الحوت .

١١ ذاهب الى الجملة العربية في الخامس عشر من ايار ، محمود درويش .

١٨ مشكلة اسرائيل بين امثولة التاريخ وبرامج البقاء ، انطوان بطرس .

٣١ اغلاق مضائق تيران ــ السبب والذريعة ، المقدم الهيثم الايوبي .

٤٣ خبرات معارك « رفح ــ غزة » في حرب ١٩٦٧ ، محمود عزمي

٦٠ كيف فهمت اسرائيل المقاومة الفلسطينية قبل ٥ حزيران ، وليد نويهض .

٧٤ تجربة في الصحافة السرية ، عبد القادر ياسين .

٨٢ تقرير عن معركة غزة في حزيران ١٩٦٧ .

٨٤ تقرير حول مشاريع التسويات السلمية للنزاع العربي ــ الاسرائيلي ١٩٤٨ ــ ١٩٧٢ ، ليلى سليم القاضي .

١٢٤ النفط العربي سلاح في خدمة قضايانا القومية (٢)، الدكتور عاطف سليمان.

١٤٩ المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون ، الدكتور اسعد رزوق .

١٧٨ رسالة خاصة من الارض المحتلة : مأساة قرى اللطرون الثلاث في ذكراها السادسة ، « الجبرتي الصغير » .

١٨٣ **مراجعات** : اسرائيل والعرب والشرق الاوسط ، محمد الكبة . الحرب العربية ــ الاسرائيلية الثالثة ، وسقوط القدس ، ف المنصور . خاطرت بحياتي ، ايسر هارئل رأس المخابرات الاسرائيلية ، محمد شعيرات . جاسوس الشمبانيا ، خالد القشطيني . نظرات جديدة على الصهيونية ، أ. ن. سعد . لعبة النصر ــ مقتبسة عن حرب الايام الستة ، ف. م. . فلسطين عبر ستين عاما ، مصطفى كركوتي .

٢٠٠ **تقـــارير** : التعاون التقني الاميركي ــ الاسرائيلي لانتاج « السوبر ميراج »، هشام عبدالله . هل ستبني اسرائيل مصنعا للاسلحة في بلجيكا ؟ ، نعيم خضر . لماذا كل هذا الضجيج حول « ازمة الطاقة » ؟ ، كين مايركورد . اسرائيل والبحر الاحمر ، معين أحمد محمود . انبوب نفط ايلات ــ عسقلان وتطور استخدامه ، د. سعيد حمود .

٢٢١ **شـــهريات** : (١) القضية الفلسطينية دوليا ، داود تلحمي . (٢) المناطق المحتلة ، عبد الحفيظ محارب . (٣) اسرائيليات ، عماد شقور . (٤) القضية الفلسطينية عسكريا ، هـ. أ. جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٤/١٤ ــ ١٩٧٣/٥/١٣ ، غازي خورشيد . ملـــحق شهريات : الغارة الاسرائيلية على بيروت وردود الفعل في الضفة الغربية وقطاع غزة ، عيسى الشعيبي .

٢٤٩ **احداث ايار في لبنان** : (١) صورة اولية ، عصام الصالح . (٢) تقرير عسكري ، هـ. أ.

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

المعذرة من القراء الذين اعتاد معظمهم أن يجدوا العدد الجديد من شؤون فلسطينية في بريدهم (ان كانوا من المشتركين بها) ، أو معروضا أمامهم في كشك بائع الصحف ، في صباح اليوم الاول من كل شهر ، ان كانوا يقيمون في الوطن العربي ، او في صباح اليوم الثاني أو الثالث من الشهر ان كانوا يقيمون في خارج الوطن العربي — حتى ولو كانوا في بلاد نائية كأستراليا أو كندا أو ايسلندا . المعذرة من قرائنا لانهم لم يجدوا العدد السابق من شؤون فلسطينية ، عدد مايو ، لا معروضا في أكشاك الصحف ولا ضمن بريدهم اليومي ، لا في الاول ولا في الثاني ولا في الثالث من مايو — بل ان بعضهم لم يستلم العدد الا في منتصف الشهر .

والواقع ان العدد الماضي صدر في موعده ، كالعادة ، وذلك بالرغم من التجربة القاسية التي مر بها العاملون في الحقل الفلسطيني في لبنان اثر الغارة الاسرائيلية الوحشية على منازل بعض قادة الثورة الفلسطينية وعلى مكاتب بعض فصائل الثورة . وعلى العكس مما توقع العدو ، صمد العاملون في مواقعهم ، وواصلوا العمل والانتاج بمزيد من الايمان والحماس والثقة بالنصر .

لكن أن يصدر العدد من شؤون فلسطينية ، او أية مجلة ، شيء ، وان تقوم دوائر البريد وشركات الشحن بتوزيع العدد شيء آخر — خاصة اذا كانت المجلة تطبع اثني عشر الف عدد ، وتوزع في حوالي ستين بلداً في العالم . اذ أن أحداث مايو في لبنان عرقلت توزيع العدد الذي لم تعرقل أحداث ابريل صدوره أبدا . ومع هذا ، وبفضل جهود استثنائية ، نرجو أن يكون العدد الماضي قد وزع توزيعا كاملا قبل صدور عدد يونيو الجديد هذا .

وقد اتخذت شؤون فلسطينية اجراءات كثيرة كي لا يتعرض هذا العدد لتأخير في التوزيع. ونرجو أن تصل النسخ الاثنا عشر الفا الى أيدي القراء في المواعيد التي اعتادوا عليها منذ أن صدرت المجلة في مارس ١٩٧١ . وقد تضافرت الطباعة مع التصحيح مع التحرير في انتاج هذا العدد ، بمادته المعهودة وبشكله المعهود وبحجمه المعهود (ونأمل أن يكون بمستواه المعهود ايضا) بالرغم من كل الظروف القاسية والمعرقلة التي تعرض لها العمل الفلسطيني في لبنان في النصف الاول من مايو .

وتأمل شؤون فلسطينية أن يقبل الاخوة المقاتلون ، الصامدون في مواقعهم ، الثائرون حتى النصر ، أن يقبلوا هذا العدد تحية خاصة من اخوان لهم في الثورة ، من حملة الاقلام ، ممن يجمع بينهم جميعا (حملة السلاح وحملة الاقلام) ايمان عميق واحد بالثورة وبالنصر .

بدلا من الرصاص حوار بالكلمات

شفيق الحوت

عندما تقرر قيادة المقاومة الفلسطينية في تعريفها للمقاومة بأنها طليعة نضالية للجماهير العربية الرافضة بالكلمة والمتصدية بالسلاح للغزوة الامبريالية الصهيونية على فلسطين والوطن العربي كله ، فان هذا القرار المبدئي ، يفرض عليها من جملة ما يفرض من مواقف نظرية وممارسات عملية ، أن تظل باستمرار ، وهي تحلل ازماتها وصراعاتها السياسية في المنطقة العربية ، من نافذة قومية قادرة على استيعاب الصورة الشاملة لحركة الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، وذلك لكي لا تنزلق ، مهما كانت حدة الظروف التي تتعرض اليها ، الى مهاوي الشوفينية الفلسطينية ومطبات المعارك القطرية .

فان ما جرى في الاردن من صراع دموي ، وما نقف اليوم على شفير الوقوع فيه من صراع مماثل في لبنان ، لم يكن في حقيقته الا صراعا سياسيا حول الموقف من الغزوة الامبريالية الصهيونية واسلوب التصدي لها . وهو صراع لا قيمة فيه للهوية القطرية بمعناها الجغرافي على الاطلاق ، ومن الممكن ان تشهده أي ساحة عربية اخرى يصل الحكم فيها الى قناعة تامة بأنه أصبح ، وفق تقديراته للموقف وتطلعاته للخروج من أزماته على تناقض مع تقديرات المقاومة الفلسطينية وتطلعاتها .

وانها لمغالاة خادعة أن يتلمس أي نظام عربي اعذاره لضرب المقاومة في البحث عن مخالفاتها او اخطائها أو سرد تصرفها ـ أن توفرت مثل هذه الاعذار ـ في الدولة « المضيفة » لها ولجماهيرها .

ان المخالفات والاخطاء وسوء التصرف لا تعالج بالقمع والارهاب ولا بالقوات المسلحة وفي كل ميادين الرماية برا وجوا وبحرا .

مثل هذه القضايا والمشاكل ، تحل كما تحل القضايا والمشاكل المحلية التي يرتكبها المواطنون في أي قطر ، ضمن اطارات الشرطة واجهزة القضاء .

ولا أظن ان ثمة داع للتركيز على هذه النقطة بالذات،فلنا مما جرى في الاردن عام ١٩٧٠ ما يغنينا عن أية مرافعة . فلقد بدأ النظام الاردني حملته الارهابية ضد المقاومة بحجة الحفاظ على « أنظمة السير في الطرقات » لينتهي باتباع « وجهة سير سياسية » مغايرة ومناقضة لوجهة سير الثورة الفلسطينية . وهنا كان سر الخلاف وسبب الصراع وما ترتب عن ذلك من مجزرة بشرية تبعتها مجزرة سياسية أوصلت النظام في الاردن الى ما وصل اليه من استسلام لارادة العدو دون أي مقابل على الاطلاق سوى العزلة عن المحيط العربي والقلق ضمن اطار الاسرة الواحدة .

ولن نقع ، وموضوعنا يتناول أزمة المقاومة في لبنان ، في أوهام الظن بأن لبنان هو الاردن او العكس ، وان عام ١٩٧٠ يعيد نفسه عام ١٩٧٣ .

فرغم كل مظاهر التشابه ، ومنها ما هو قائم فعلا ، بين أزمة المقاومة في الاردن وازمتها في لبنان ، فان هناك مظاهر تباين واختلاف . كذلك ان المناخ السياسي لعام ١٩٧٠ وما

كان يعكسه هذا المناخ من اثار سياسية على القوى السياسية العربية ، من رسمية وشعبية ، هو غير المناخ السياسي لعام ١٩٧٣ .

ففي الاردن ، وعلى الرغم من كل ما صدر عن قيادات العمل الفدائي الرئيسية من بيانات تؤكد حرصها على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلاد ، كان النظام هناك يدرك ، وربما اكثر من المقاومة ، ان مثل هذه البيانات لا يمكن ان تشكل اي ضمانات حتى ولو كانت صادرة عن ايمان ونوايا صادقة .

فالاردن ، بتكوينه الديموغرافي ، وبجغرافيته وتاريخه السياسيين يشكل جزءا لا يتجزأ من فلسطين . وحتى لو كان الاسم الرسمي للبلاد هو « المملكة الاردنية » فان هذا لا يغير من واقع الامر شيئا بل يثبت هذه الحقيقة ويعززها .

فالمقاومة في الاردن ليست « ضيفة » على قطر عربي مساند او مؤيد او مجابه . المقاومة في الاردن تقف فوق ترابها الوطني وبين جموع شعبها التي تشكل طليعة الثورة القومية .

وبالتالي ادرك النظام ، وكان بذلك ابعد نظرا ، أن اي تناقض بينه وبين المقاومة الفلسطينية لا يمكن حصره في ميدان معزول عن التركيب الداخلي للنظام بكل مؤسساته المدنية والعسكرية .

علما بأن هذه النظرة الاحترازية التي نظر بها النظام الاردني للمقاومة لم تكن متبادلة ، لاسباب لا مجال لذكرها هنا ، بدليل ان شعار « اسقاط النظام الاردني » لم يستطع المرور بمجالس المقاومة الوطنية رغم المذبحة الايلولية ، واكتفي بشعار النضال من أجل اقامة حكم وطني ديمقراطي في عمان .

وكم يجدر بأخوتنا في لبنان من المسؤولين في الحكم وخارجه ان يدرسوا تجربة المقاومة في الاردن قبل أن تملأهم مخاوف لا مبرر لها ولا داع ، اللهم الا اذا اصبح « التخوف » هو المبرر الوحيد لضرب المقاومة وتصفيتها .

ومن أجل تبيان هذه الحقيقة أشرنا الى الفارق بين الاردن ولبنان . ومن أجل ذلك نطرح الان — ومن موقع المقاومة الفلسطينية — هذا السؤال :

— ماذا يريد الفلسطينيون من لبنان ؟

ان الذين يطرحون هذا السؤال من بعض ساسة لبنان بقصد التشكيك بنوايا المقاومة الفلسطينية يعرفون قبل غيرهم واكثر من غيرهم ان قيادة المقاومة لم تتقدم منذ أن وجدت في الساحة اللبنانية بأي مطلب سياسي يتجاوز مطلبها المبدئي والستراتيجي بأن تمارس حقها القومي في نضالها المشروع — دوليا — من أجل تحقيق أهدافها . ذلك المطلب الذي تجسد بعد حوارات طويلة ، ساخنة وباردة ، بما يسمى باتفاقية القاهرة المهورة بتواقيع القادة المسؤولين عن الطرفين بكل حرية وارادة .

وقد يكون من الضروري ان نشير الى ان هذه الاتفاقية ، التي يحاول البعض تصويرها وكأنها « وثيقة احتلال » ، لا تتعدى مجموعة من النقاط التنظيمية ذات الاهمية البالغة في تنسيق العلاقات بين المقاومة والسلطات اللبنانية .

وقد يكون أكثر ضرورة ان نعلن ، ونحن في موقع مسؤول ويعرف ، ان قيادة المقاومة الفلسطينية ، بمحض ارادتها ، ومن منطلق ثوري وقومي حريص على كل شبر ارض عربية ، قد تنازلت عن الكثير من «حقوقها» في الاتفاقية المذكورة ، نتيجة لتقدير المقاومة للواقع العربي والظروف السياسية والعسكرية التي تهيمن على المنطقة .

غير أن هذا الموقف الفلسطيني الثوري اسيء فهمه على الصعيد الرسمي لبنانيا واستثمر اسرائيليا . ولا شك ان المراقبين المنصفين لاحظوا ان اسرائيل قد صعدت عملياتها

الحربية ضد لبنان والمقاومة الى اعلى درجات التصعيد في الوقت الذي التزم فيه الفدائيون بموقفهم الجديد — منذ ايلول الماضي — على الحدود الجنوبية ، فكانت هجماتهم الوحشية على الجنوب اولا ، ثم على الشمال في البداوي والنهر البارد ، واخيرا في قلب العاصمة اللبنانية نفسها .

ولكن لكي لا نتيه بالاستطراد نعود للسؤال حول ما يريده الفلسطينيون من لبنان وما ينسبه البعض زورا لهم في مجال تبرير ضربهم وتصفيتهم أمام المواطنين البسطاء الذين لا يعرفون الحقائق .

● يقول هذا البعض :

— المقاومة في لبنان تسيست ، واسلمت زمام أمرها لليسار اللبناني الذي يحاول الافادة من قدراتها العسكرية لتحقيق أهدافه المحلية للاطاحة بالنظام او للضغط عليه من أجل تحقيق تغييرات اجتماعية .

في مجال الرد على هذه النقطة بالذات يقول قادة المقاومة وكل الملتزمين بها ، ان المقاومة لم تختر اصدقاءها في لبنان ولا في خارج لبنان . اصدقاؤها هم الذين اختاروها من بين القوى السياسية المتاحة ، فالتفوا من حولها ومحضوها كل دعم وتأييد .

الخطأ ، ان كان ثمة خطأ ، ليس خطأ المقاومة ولا خطأ اصدقائها ، وانما خطأ الذين يأخذون على هذا التحالف قيامه ويحاولون اليوم ضربه وتفسيخه ، بدلا من أن يبادروا هم لاعلان دعمهم وتأييدهم للمقاومة .

لماذا لم يتقدم « اليمين » اللبناني لتأييد المقاومة ودعمها وحمايتها من أعدائها ، ان للمقاومة خارج الساحة اللبنانية صداقات وطيدة مع الكثيرين ممن لا يمكن تصنيفهم الا على حساب اليمين ، واليمين الملكي العريق احيانا .

ان قيادة المقاومة ، رغم ما يساق ضدها من انتقادات قاسية حول صداقاتها هذه لم تأبه لهذه الانتقادات ولم تستسلم لها . بل على العكس ، فقد كانت المقاومة اول من طرح مفهوما جديدا لليسار واليمين في المنطقة العربية عندما فرضت اولوية الصراع القومي من أجل استرداد الارض قبل أي صراع اخر . ولم يكن وصول المقاومة لمثل هذه القناعة نتيجة ضغط او اكراه او تسلط فصيل من فصائلها على فصيل آخر ، انما كان نتيجة ممارسات وتجارب وحوارات ديمقراطية تحفل بها مجالسها الوطنية بما ورد فيها من مداخلات ومرافعات .

يبقى في مجال الرد على هذه النقطة ، الحديث عن « تسييس » المقاومة . والواقع ان هذا الحديث تغلب عليه سطحية وسذاجة تثيران الدهشة . فالذين يتصورون أو يريدون ان تكون المقاومة زندا بلا عقل وبندقية بلا هدف سياسي هم اما جهلة موغلون في الجهل او خبثاء اغبياء لا في حق المقاومة وحسب بل وفي حق انفسهم وفي حق مصالحهم . هؤلاء غاب عنهم ما اراد الاستعمار والصهاينة ان يغيب عنهم وعن العالم كله ، وهو أن هناك شعبا متكاملا هو شعب فلسطين ، وان لهذا الشعب ، ككل شعوب الدنيا ، عقله السياسي وزنده المحارب ومؤسساته الاخرى .

حركة المقاومة ليست عصابة مسلحة ، ولا جهازا حربيا ملحقا لهذه الدولة او تلك ، لهذا المرجع او ذاك . حركة المقاومة هي ثورة متكاملة لم تحمل البندقية عبثا بل من اجل اهداف سياسية محددة ، منها ما هو مرحلي ومنها ما هو استراتيجي . ولن تكون الا كذلك . وباللحظة التي تتجرد فيه من « التسييس » المشار اليه ستنتحر وتموت ، وبالتالي تستحق مثل هذه النهاية .

يبقى من النقطة اياها ، الحديث عن تسليح اليسار اللبناني عن طريق المقاومة . والحديث عن السلاح والتسليح قد يكون واردا في اي بلد عربي باستثناء لبنان ، بسبب

تكوين لبنان السياسي والاجتماعي عبر تاريخه الحديث والمعاصر . واذا اعتمدنا التلميح حول الحقائق المعروفة عن السلاح والتسليح في هذا البلد لكي لا نمس اوتارا حساسة في مرحلة حرجة ، فاننا نكتفي بالتساؤل :

— من في لبنان لا يملك بندقية ؟ ومن من ساسة لبنان وقادته، ولا سيما التقليديين منهم لا يملك قوات مسلحة ؟ بل من لا يعرف أن لبنان كان في السنوات الماضية أهم قاعدة لتجارة السلاح في المنطقة ؟ ان من يعرف المصادر التي يأخذ منها الفدائيون أسلحتهم ، يعرفون ، او يجب أن يعرفوا ، بأن هذه المصادر وغيرها قادرة على تسليح من تتحمل المقاومة زورا مسؤولية تسليحهم . ومن المؤكد ان لليسار اللبناني نفسه ما يقوله في مجال الرد على هذه القضية عندما يسأل من يسألونه : وانتم من أين لكم ما عندكم من سلاح ؟ هذا اذا لم يكشف اوراق بعض غلاة اليمينيين ممن جعلوا السلاح تجارة رائجة لهم .

● ويقول البعض :

— نحن نفهم ان السلاح في أيدي رجال المقاومة يستهدف العدو الصهيوني في الارض المحتلة . فلم كل هذا السلاح ، ولا سيما الثقيل منه ، في المخيمات وداخل المدن ؟

في بداية الرد على هذا التساؤل لا بد من الملاحظة بأنه سؤال طارىء . ولولا تفجر الازمة الاخيرة والوصول الى مستوى الاشتباكات العسكرية لما استطاع لبناني او فلسطيني ان يطرح مثل هذا السؤال لانه كان من المستحيل ان يخطر له على بال . هذا يعني ان السلاح الذي ظهر ، كان من الممكن ان يبقى في عالم السرية ، وكأنه غير موجود فعلا ، لولا اختلال جسر الثقة بين المقاومة والسلطة وتصاعد الازمة الى مستوى الانفجار فالاشتباك بمختلف الاسلحة وصولا الى الطيران . السلاح الذي استعمل في الاشتباكات المؤلمة لم يأت فور وقوع الاشتباك . كان موجودا من قبل ولكن في بطن الارض حيث يجب ان يكون كل سلاح الا عندما نحمله لنضرب العدو . تعود الثقة مرة اخرى يختفي السلاح ويعود فقط للظهور ان هي اهتزت وضاعت . هذا هو الاساس السياسي الوحيد الذي يضبط السلاح ، وغير ذلك خداع للذات والعقل ولقدرات التحرك السريع .

ونأتي الان لصلب السؤال :

في ظل ظروف قتالية ، لا السلاح ولا حملة السلاح يجب ان يكونوا في غير ساحات القتال . المقاومة تعترف بذلك ولكن والكل يعرف أين نحن الان من الظروف القتالية . هذا من ناحية .

ومن ناحية اخرى ، على الذين يدعون الدهشة من وجود السلاح في المخيمات والمدن ان يتذكروا معنا مسلسل التصفيات الجسدية الذي تعرض له الفلسطينيون ولا يزالون في كل أصقاع الارض ، سواء عن طريق العدو الصهيوني مباشرة او عن طريق عملائه من افراد ومؤسسات ودول . ان اميركا ذاتها لم تخجل من اعلان الحرب على الفلسطينيين تحت شعار مكافحة الارهاب . واقامت من أجل ذلك الدوائر المختصة بكل ما تحتاجه من خبراء ورجال واموال واسلحة .

ولكي لا نكرر « فيلم » أيلول في الاردن ، وهو لا يزال قريبا الى ذاكرة كل منصف حر ، فهل نسينا ما جرى للفلسطينيين في مخيماتهم في الجنوب وفي الشمال ، وما جرى لقادتهم في بيروت قبيل الاشتباكات المؤلمة الاخيرة بليلتين فقط ؟ اولم توزع أجهزة السلطة اللبنانية نفسها مذكرات خدمة على قواتها المسلحة بأن ثمة اخبار عن امكانية انزال اسرائيلي في مخيمات الفلسطينيين في لبنان ؟ ولو كان في قدرة لبنان العسكرية ان يحمي المقيمين فوق ترابه من حرب الابادة التي تشنها اسرائيل ، بل لو أبدى لبنان ، مجرد موقف سياسي

مطمئن بالنسبة لهذه الحرب ، لكان من الممكن طرح مثل هذا التساؤل عن السبب وراء وجود السلاح في المخيمات وحول المدن .

والذين يطرحون هذا التساؤل ، ويتباهون أحيانا بأن لبنان على استعداد لمعاملة الفلسطينيين كما تعاملهم الدول العربية لا يعرفون شيئا عن « الوجود الفلسطيني المسلح والسياسي» في كثير من هذه الدول . اللهم الا اذا كان القصد بأنهم يريدون معاملة الفلسطينيين على غرار المعاملة في الاردن . وعلى الرغم من انه يعز على اي قلم فلسطيني ، في هذه المرحلة بالذات ، ان يبدو مبخرا لاي نظام عربي ، الا ان الحقيقة الموضوعية تفرض علينا ان نشير الى جزء مما للفسطينيين — كشعب وكثورة — من مكاسب قومية في عدد من الاقطار العربية .

اولا : للفلسطينيين في عدد من الاقطار كامل حقوق المواطن « المضيف » على الصعيد المدني .

ثانيا : انهم ينخرطون في جيوش عدد من الاقطار تماما كالمواطنين الاصليين ويصلون في الجيش الى أعلى المراتب . وكما في الجيش كذلك في السلك السياسي .

ثالثا : للثورة الفلسطينية في مصر وسوريا والعراق قوات مسلحة وقواعد تدريب ثابتة.

رابعا : للثورة الفلسطينية في بعض الاقطار قواعد بحرية .

خامسا : وهذا الاهم : للفلسطينيين في عدد من الاقطار المكسب الثوري الاساسي وهو الموقف المبدئي لهذه الاقطار من قضية التحرير والموقف الستراتيجي الثابت المعادي للامبريالية واسرائيل .

فمن كانت له مثل هذه المكاسب — اذا جاز مثل هذا التعبير — ولم يحمل السلاح داخل مخيماته فلأنه مطمئن الى الحد الادنى من واجبات الدولة « المضيفة » للدفاع عن وجوده كشعب وكمقاومة وكقضية . ومع ذلك كله فان القضية السلاحية تبقى كما أشرنا قضية مرهونة بعلاقة امن الثورة ومدى الثقة التي يمكن الاطمئنان اليها في القدرة للدفاع عن وجود آلاف الفلسطينيين .

ولا بد استكمالا للرد على هذه القضية من طرح سؤال او تساؤل مضاد .

السؤال : من يخاف فعلا من السلاح الفلسطيني ؟ واي عدو للفلسطينيين غير الصهيوني والاسرائيلي وحلفائهما ؟

في غمار الاشتباكات المؤلمة ، او اقتتال الاخوة كما حلا للجميع أن يسموه ، كان ابو عمار وهو يسمع القصف والمدافع يقول والالم يحز في قلبه :

— أي جنون هذا الذي نشهده ! صحيح أننا ندافع عن أنفسنا ، من منازلنا ومن مكاتبنا، ولكنها معركة لا نصر فيها لاحد .

أكثر من ذلك ، قال مسؤول في المقاومة في حوار له مع شخصية لبنانية في مجال التأكيد له على حرص المقاومة على وقف اطلاق النار .

— ان أي نصر عسكري نسجله عليكم يعادله على الفور هزيمة سياسية لنا . انها بالنسبة الينا ، لولا الدفاع عن الذات ، حرب بلا هدف ، بلا غاية ، حرب مجانية .

واضاف :

— نحن في لبنان ولسنا في الاردن . في الاردن كان يمكننا اعتبار قلب النظام هدفا سياسيا نفيد منه باقامة حكم وطني ثوري يجعل من عمان « هانوي » الثورة . ولكننا في لبنان ، وأي مس بمؤسسات لبنان او نظامه ليس من اهدافنا وليس في صالحنا .

وساق له على ذلك المثل التالي :

ـــ ان لنا في « سجن الرمل » الذي هو على بعد امتار منا أكثر من ثلاثمئة معتقل . ان فكرة اطلاق سراحهم بالقوة لم تخطر لنا على بال لاننا نعتبر حتى السجن (وكررها) الذي فيه شبابنا وثوارنا مؤسسة نحرص على سيادتها . . فما بالك بلبنان الوطن ؟

● ويقول البعض :

لماذا تريد المقاومة من لبنان ، وهو البلد الصغير المحدود الامكانيات ان يتحمل في سبيل القضية الفلسطينية اكثر من اي بلد عربي آخر ؟

ونحن نحاول الرد على هذا السؤال لا بد لنا من الاعتراف بأننا نحن أيضا نطرح هـذا السؤال ، لا من قبيل المزايدة على الذين يطرحونه ، وانما انطلاقا من كوننا ـــ كما أشرنا بداية ـــ حركة قومية التفكير والتطلعـات والغاية . والمقاومة لم تزعم ذات يوم انهـا قادرة على تحرير فلسطين وتصفية الوجود الصهيوني ـــ الامبريالي المتجسد بالكيـان الاسرائيلي بمعزل عن قوى الجماهير العربية كلها بما تملكه من قدرات وامكانات . اذن فالمقاومة انطلاقا من تقديرها لدورها وتقييمها للقوى التي يجب تسخيرها للمعركة تناضل من أجل وضع كل الامكانات العربية في المعركة . ولكنها في معالجتها لهـذه القضيـة التعبوية **لا تنطلق من مبدأ السير على خطى اضعفنا** ، او في اطار تفكير جامعة الدول العربية التي أصبح الاجماع فيها مستحيلا الا ضمن الحدود الدنيا لاية توصية .

مع ذلك فان تفكير المقاومة ، رغم ثوريته ، لا يشترط الى حدود المغامرة بالمصائر ، وشاهدها على ذلك كما سبق وقلنا قرارها بالتنازل عن « حقوقها » المكتسبة من اتفاقية القاهرة عندما رأت ان الممارسة الثورية قد تورط لبنان بتحمل نتائج سلبية مرفوضة للمقاومة قبل أي فريق اخر . ولو اراد لبنان الرسمي فعلا ، وهو المعترف بخطـورة الوجود الاسرائيلي على كيانه ومستقبله ، تبني سياسة دفاعية جادة لوجد في حركة المقاومة اكبر حليف له ليؤمن كل ما تتطلبه هذه السياسة من امكانيات مادية .

والمقاومة الفلسطينية لم تتوان مرة واحدة عن التعرض لهذه القضية بالذات حول دور لبنان وقدراته ، ولعل من يطلع على ما يصدر عن قيادة المقاومة من ادب ثوري، قد لاحظ مدى اهتمام المقاومة بهذه القضية .

لقد قالت المقاومة اكثر من مرة ان لبنان احدى ساحات نضالها ، ولا يجوز ان تبقى ، أو أن يقع الفلسطينيون في اوهام الظن ان لبنان وحده الساحة التي يجب النضال منها . الواقع ، ان المقاومة الفلسطينية تشعر بحرج شديد ان تخوض في تفاصيل هذه القضية، تاركة للقوى الوطنية اللبنانية ذاتها أن تحكم على مدى جدية لبنان الرسمي ـــ عبر كل عهوده ـــ على ترجمة ايمانه بخطورة العدو الصهيوني بأفعال وخطط دفاعية تعكس هذا الايمان .

ان كلاما كثيرا يمكن ان يساق في مجال الرد على هذه القضية ، لكن يجدر بالمقاومة ان تبقى مطلة على أزمتها في لبنان من النافذة القومية وان تربط أزمتها بالصورة الشاملـة للواقع العربي ، وعندئذ تصل الى الرؤى الثورية السليمة وهي أن ازمتها هنا ، كما كانت ازمتها في الاردن ، هي أزمة سياسية على المستوى القومي بين نوعين من المواقف بالنسبة للغزوة الصهيونية الامبريالية : **موقف من يريد التصدي ويسعى لتنمية قـواه وقدراته ، وموقف من يريد المساومـة ويرى بالضعف الراهن مبـررا للاستسـلام والتصفيـة .**

من خلال هذه الرؤية القومية لأزمة المقاومة في لبنان ، ستنفتح أمام المقاومة وكل القوى والجماهير المساندة لها افاق جديدة لا بد لها من تصويب نضالاتها في اتجاهها لكي تضع حدا ، لا لازمتها في لبنان وحسب ، بل ولكل ازمة على الطريق .

ذاهب الى الجملة العربية في الخامس عشر من أيار

محمود درويش

[١]

تجلس في أيار ، ما بين الوردة والبندقية .

هذا هو اول الرحيل . وهذا هو آخر الارض . لكل شيء اوانه الا موتك ، يأتي مباغتا ومكررا وبلا مناسبة كالمطر الاستوائي ، فمن أين تلتقط برهة لليـــاقة الاحتفال بذكرى الموت الاول ؟. مهزوم من الوريد الى الوريد . وها أنت تعبـــر بين الصوت والصدى مسيحا جديدا بلا طقوس . في الجملة العربية متسع لقارة من الخيام . أسكن احداها واحلم بصيف قليل الحر .

تجلس في أيار ، ما بين الوردة والبندقية .

الوطن ليس صخرة قديمة حتى لو كانت لها حرارة الجسد . مـــا أشد سذاجتك اذا حاصرت ذاتك ونارك بهذا الحلم البدائي المحدد . الوطن مطلق . فلا تسأل عمن أعطى الارض هذا الضيق الواسع . من الماء الى الماء ملايين من القلوب التي تؤويك وتسند ظهرك . اذهب الى الجملة العربية تجد الذات والوطـــن . وفي الوقت متسع للحرب والسلام .

تجلس في أيار ، ما بين الوردة والبندقية .

وماذا تفعل لو خرجت من هذا الدور ؟ هذه الصيرورة صارت تطعمك وتسقيك . يلقون على جراحك النقود والتبرعات ، فمن أين تأكل لو التأمت ! كل الذين جربوا الحرية قبلك لعنوها حين اكتشفوها وتاقوا الى أيام البحث عنها . والدولة شرطة وضرائب ، فهل تنفق هذا الدم من أجل بوليس جديد وضريبة جديدة ؟. مجد المسيح أنه مصلوب في عز الدعوة . تصور .. تصور لو ترجل المسيح ما يحدث في الدنيا !. الفوضى والردة . سيتمرد عليه الكهنة والفنانون والفقراء . سيرغمونه على العودة الى جراحه حافيا او بحذاء جديد لكي تستمر حياة الاخرين . اذهب الى الجملة العربية ، واستمتع بهدير التأييد واحلم بسلامة الضاد . مر غزاة كثيرون (هل عرفت شعوب اخرى ما عرفنا من الغزاة ؟) احتلوا الارض ، وشردوا الناس ، ولكنهم ما استطاعوا أن يفترعوا حجاب حرف حلقي واحد ! .

تجلس في أيار ، مابين الوردة والبندقية .

ويا وطني الذي أعرف الطريق اليك ولا أعرفك . من ربع قرن وأنا ذاهب اليك عبر الجملة العربية الرسمية ، وغريب عنها وعنك . أعجبتهم وردتي ، وحاولوا أن يسرقوا بندقيتي ، فأطلقت النار على الهواء ، فأصبت الوردة ، فاتهموني بمحاولة الانتحار . . وساقوني الى المحاكمة . فهل أصمت كي أقترب منك ، أم أدافع عنك وعني بالجملة العربية اياها ؟

[٢]

انتهت حفلة الميلاد . ليس للمدينة المقدسة ذاكرة منتظمة . أمطرت السماء ماء وغزاة . وكان الجندي الجديد يتنزه في حارات التاريخ المفتوحة مع صديقته القديمة ويقول « اذا نسيتك يا حبيبتي تنساني ذراعي » . وقد نسي ذراعه في صدرها ، فنبهته الى الخيانة « تحب اورشليم أكثر مني ! » . ضحكا وتابعا النزهة . كانا يستعيدان ذكريات عن الحرب الاخيرة ويندهشان من امكانية الحياة بدون القدس ، ويروي لها بطولة لم يمارسها . .

ابتاعا فلافل من بائع عربي صار يتقن اللغة العبرية بلثغة بولندية .

« اعتادوا علينا . هل تعرفين ان الزمن ضابط في جيش الدفاع الاسرائيلي ، يترقى عاما بعد عام ؟ » خلعت حذاءها ومشت حافية . « تريدين أن أثبت لك ذلك ؟ » اشترى صحيفة من بائع عربي يروج للطبعة الجديدة من صحيفة المساء بلغة عبرية سليمة .

« للقهوة العربية مذاق لاذع . كيف تكون حياتنا بدون هؤلاء السكان . . كيف ؟. هل تتصورين ان بمقدورنا المحافظة على وحدتنا القومية اذا كنا نعيش وحدنا ؟ »

دخلا مسجد الصخرة ، وتبادلا قبلة على مرأى من الاسطورة « لتشهد الاسطورة على أن شعب اسرائيل حي » . شعرا بالندم لانهما ، قبل سبع سنوات ، تبادلا قبلة هنا للذكرى بإحساس السائح الذي لن يعود . وها هما يعودان كل سنة . « هذه القبلة ليست للذكرى ، بل هي لاستفزاز الاسطورة » .

كانت السماء تمطر . السماء تمطر دائما في أعياد الميلاد . راقه ان يجري مقارنة — على الطبيعة — بين بوله والمطر ، فانتحى زاوية وعاد يحدثها عن فارق طفيف في اللون . « للعرب طباع حميدة أهمها الكرم والنسيان » . ردت بلا اكتراث : « لا أحبهم » . اكتشف برهانا جديدا : « لولاهم ما كنت عرفتك وأحببتك . ولكي يستمر حبنا ويثمر لا بد من وجود عرب » . تذكرا خلافاتهما القديمة عندما كانا يدرسان في كلية الاداب ، ولكن المساء أغراهما بالعناق فقبلها ، وتابع : « انهم جوهر وحدتنا . أنا من وارسو وأنت من بغداد . الذي صنع اليهودي هو التحدي وحاجته الى التماسك . فما هو محور تماسكنا . العرب هم تحدينا المشترك ، فاذا ذهبوا ذهبت وحدتنا ، وانتقل التحدي الى العلاقة بين القادم من وارسو والقادم من بغداد » . ذكرته بأنه سينام الليلة مبكرا ليبدو قويا ونشيطا في الاستعراض العسكري غدا .

في تلك اللحظة ، كان عمال التنظيف يكنسون الشوارع من آثار صلوات الاسبوع الماضي . كان المسيح يتراجع الى الوراء ، وكانت المدينة المقدسة تخون ذاكرتها وتفتح شوارعها لعيد الغزاة الجدد الذين كانوا ينشدون « يا أورشليم من ذهب » .

وفي تلك اللحظة أيضا ، كانت تصل اليهم هدية مفاجئة أو بطاقة معايدة : كان دم عربي غزير يسيل في شوارع بيروت ، وكان يتحول الى زيت ينعش الارز القديم الذي أهدي الى الملك سليمان لبناء الهيكل !

[٣]

من يوقف التشريد ؟

كنا نتساءل قبل أيام : من يوقف الهزيمة ؟ والان نصرخ : من يوقف التشريد .. تشريد هذه المرأة ؟

الصورة ذاتها تواجهنا دائما في الصحيفة ، وفي ضواحي المدينة ، وعلى كل أرض عربية ، ونادرا ما تواجهنا في الضمير .

الصورة ذاتها . تأتي بعد الرصاص دائما : أم فلسطينية تجر أطفالا ، وتحمل فراشا ، وتمشي في الريح والمجهول . تلجأ من ملجأ الى ملجأ . فمتى تستقر في ملجأ أخير غير القبر ؟ كأن الدعوة الى العودة أرجئت . من ربع قرن ونحن نراها تخطو في العظم (من نحن لنتكلم بهذه الصيغة ؟ — مراقبون) تخرج من مخيم في اتجاه خيمة أخرى أو صخرة منحنية . تلاحقها اللعنة والقذيفة والاقدار المكتوبة . سموها ما شئتم ، فهي أمي .

— أقيموا لها خيمة من اسمنت ، لكي تكف عن التشرد . دعوها تستقر في لجوء واحد .
— الفراش المحمول على الرأس .. والوطن المحمول في القلب مربوطان بخيط واحد . اذا استراح الفراش ضاع الوطن .
— وهل أصبح اللجوء اعلانا وزينة ؟
— بل هو نداء يتجسد في غضب يعلن في ثورة .

لا ينتهي الحوار الا بتدخل غارة ، مرة من الاعداء ، ومرة من الاشقاء ، فلا يبقى في الوطن العربي (أو العالم العربي) مكان لا تصل اليه القذائف بحثا عن ظل هذه المرأة التي لا أعرف اسمها ولكنني أعرف أنها أمي ..

— لماذا تضربها الطائرات ؟
— لكي تخفي ظلها عن الارض .
— ولماذا يؤذيكم ظلها ؟
— لانه ثقيل .. ثقيل تنوء به أكتاف هذه اليابسة الممتدة من المحيط الى الخليج .
— انها لا تطلب شيئا الا الوجود .
— العدو لا يرضى بهذا .
— وأنتم .. هل يعنيكم رضا العدو .. أم حياة هذه المرأة التي هي دمكم ؟
— لا حيلة لنا بمصارعة العدو .
— لا تصارعوه .. دعوها تصارعه وحدها .
— ليس على أرضنا . لان العدو لا يرضى بهذا .

صار بوسع العدو أن يمشي أو يتنزه في الشوارع العربية التي لم يعلن عن احتلالها بعد . يشرب القهوة في المطارات او المقاهي ، يسهر في البارات ، ويعود بسيارة خاصة أو بسيارة اجرة في آخر الليل الى حدود فلسطين . واذا تعب من السهر نام في فراشنا . ألم يطرد كمال ناصر وكمال عدوان ومحمد يوسف النجار من فراشهم !.

غضب العرب من هذه الاهانة ، فسارت ملايين في جنازتهم . وبعد اسبوع تبرعت الطائرات العربية — دفاعا عن سلامة فراش النساء المستوردات — بضرب هذه المرأة التي لا أعرف اسمها ولكنني أعرف انها أمي .

— لماذا تضربونها ؟
— من أجل مصلحتها . . من أجل الدفاع عنها . نحن لا نستطيع أن نحميها من غارات العدو ، فنحميها من الحياة التي تسبب لها التشرد وتسبب لنا فتور السياح . خير لها أن تموت برصاص الاشقاء من أن تموت برصاص الاعداء .

[٤]

على شريط تسجيل ، كانت الافتتاحية لصوت العصافير . العاشرة صباحا ، وليس للعصافير موقف ولا مصلحة . بعد دقائق انهمرت أصوات الطائرات (فجأة صرنا نحارب) . بين الطلعة والاخرى كانت العصافير تكمل زقزقتها .

— لماذا ؟
— لانها لا تفهم السياسة .
— ألا تملك غريزة الخوف من الموت ؟
— تملك ، ولكنها تعرف أن الطائرات لا تصيبها على هذه الشجرة .
— كيف ؟
— لعلها جاءت بأجنحة مزورة .

صدق ! أو لا تصدق . لقد سمعتها بأذني . وهذا هو الشريط .

— ماذا سمعت أيضا ؟
— ان هونغ كونغ لا تكون أرض ثورة .
— لا أحد يطالب بهذا .
— أين جسدك ؟
— تحت ثيابي .
— وما هي حدوده ؟
— تواريخ : جنوبا — ١٥ أيار ١٩٤٨ . شرقا — تشرين الثاني ١٩٥٦ . غربا — ٥ حزيران ١٩٦٧ . شمالا — أيلول ١٩٧٠ . هذه هي حدود جسدي .
— تحمل قنابل ؟
— لا .
— ماذا تحمل اذن ؟
— انني مدجج بالغضب .
— لماذا تعيش ؟
— لاعود الى وطني .

هذه هي المشكلة . ليس مهما أن تحمل سلاحا في الشارع او في المخيم او في البيت . ما دمت تحمل هذا الجسد المدجج بالغضب — كما اعترفت — فانك قابل للانفجار وتوريط العرب . ولا تنس أن هونغ كونغ ليست أرض ثورة . واسمح لي أن أقول لك انك ما دمت موجودا هنا فان فلسطين موجودة هنا . وفلسطين ممنوعة من التداول العلني ، لان العدو يغضب . . يغضب . . يغضب . هل تفهم !.

— هذا اختياري وقدري . اذا تحررت من الاختيار فلن أتحرر من القدر .

ـــ اذهب الى الدول التي تقوم مبررات حكمها وشرعيتها على أولوية التداول بقضية فلسطين . والا ، فما عليك الا المتاجرة بالملابس الداخلية أو العمل بوابا في شقة مخروشة . لان العدو يغضب .. يغضب . وبيتنا من زجاج .

ـــ لقد ولدت هنا . لست لاجئا . من ربع قرن ولدت هنا . لست لاجئا . هونغ كونغ ليست أرض الثورة . لست لاجئا . ولكن لماذا تكون سايغون ؟

ـــ لان العدو يغضب .

ـــ أين أذهب اذن ؟

ـــ اذهب الى الثورة العربية .

ـــ أين هي ؟

ـــ لا أعرف .

واستمعت الى بقية شريط التسجيل . كانت أصوات الطائرات والقذائف تتداخل مع أصوات العصافير ..

[٥]

وقفت على هذه القارة المحاصرة بالبحر والمحيط ، وقلت : أنا قادم من ذروة السقوط . كانت هذه الارض شبيهة بثور جريح يسقط من قمة الرجاء الى قاع الهزيمة المتناسلة ، ولكنه كان يرتبط بالكون بقرنه الحاد الذي ما زال يطفو على سطح اليابسة . طافح بالنفط ، والكسل ، والشعوب الممنوعة من الممارسة والمجهزة بنتائج استفتاء جاهزة « نعم » .

[خلع الملك ثيابه الملكية ، وارتدى بزة ضابط ، واحتل الاذاعة ، واعلن الجمهورية . وقال : كان الحكم البائد متآمرا على قضية فلسطين ، وقد قامت ثورتنا المجيدة من أجل تحرير فلسطين وتحقيق الوحدة العربية . صفقوا له . انتقلوا من حالة اليأس الى حالة اللا يأس . وكان الملك يضحك في غرفة النوم سعيدا بنتائج الاستفتاء الشعبي «نعم»] .

أغمدت القرن في صدرك ، فكنت بين الجسم والجثة شكلا ثالثا قابلا للتسمية المشجعة . فسموك وصدقت اسمك . وما كنت تدرك ، جيدا ، انك التوتر الباقي في أعصاب المرحلة المترددة على مفترق الاختيار .

ـــ دمك والنفط ، هذا هو الصراع .

كانوا يحتاجون هذه المعادلة من أجل الضغط على المستهلك عبر البحار . فصفقوا لك ... وكان لون الدم أقوى من دمك في علاقتهما الاولى .

مادة للانفجار ممنوعة من الانفجار . هذا أنت . لك الاناشيد كلها . وأطنان من الخيام . وحائط الاعلان .

ثوريّ في قبضة ملك . هل تتقن اللعبة ؟ وهذه الجماهير التي تمنحك آمالها وخبزها يخبئها الملك ـــ باسمك ـــ في عباءته البيضاء .

وهذا الشيء الممتد من الماء الى الماء ، ما اسمه ؟ لا هو خارطة ، ولا هو وطن . ولكنه جسد ينتظر الزلزال القادم من نبي لا شرط لنبوءته الا ان يسمي الاشياء بأسمائها . ولست البديل ولا المخلّص ، ولكنك الاشارة والبدء والقربان . فتحركت أشياء .

ـــ دمك والنفط . هذا هو الصراع الباقي بعد سقوط التجارب السابقة والشعارات .

لماذا يزهو دمك الى هذا الحد ، ويصبح لونه أقوى من لون النفط ؟ يرجوكم المستهلك عبر البحار ان تعيدوا النفط الى صفائه القديم مقابل وعد باعادة قطعة أرض . فجاءوا اليك ليعيدوك الى قبضة الملك في لعبة لا تتقنها . وانتهى دورك لتعود الى حالتك الاولى : لاجئا وقضية . وقالوا للجماهير هذا عدوك الداخلي الذي يؤلب عليك العدو الخارجي . واعطوا الامان للعدو المشترك ، لان المعادلة تغيرت ، والتحم أمن العدو بأمن النظام . تركوا العدو يستريح وقاموا بالدفاع عن أمنه وحدوده التي تشدد قبضتها على رقاب المعواصم . الدفاع عن الباب العالي يقتضي الدفاع عن نوم الغزاة وراحتهم . وكان الطلبة القلقون يتساءلون : ما الفرق بين الغزاة القادمين من الخارج والطغاة الطالعين من الداخل ؟ اختلفوا على فروق كثيرة واتفقوا على فارق واحد هو : ان الغزاة يشرّدون والطغاة يقتلون من ينجو من ايدي الغزاة . واتفقوا على شيء آخر هو ان الغزاة يحتلون الارض ، والطغاة يقتلون من يدعو الى تحريرها .

وانت ، ما زلت واقفا على هذه القارة المحاصرة بالبحر والمحيط وتصرخ : أنا قادم من ذروة السقوط ، لاحمي قرن الثور الذي ما زال يطفو على سطح اليابسة التي هي ... صدري !

[٦]

تكبران معا : أنت وايار .

تكبر كتفاك ، وتكبر الصخرة . ويقدم أيار اوراق اعتماده الى الشهر الذي يليه . ويبقى الوضع سجالا . من الصعب ان يبلغ ايار ربع قرن بمثل هذه السهولة ، ولا تتغير نتيجة الحرب الصامتة . هل يمزح التاريخ ؟. بعد كل هذه الهزائم ... بعد اختلاط هـذه الشهور تدور الحرب في شوارعنا ليتسنى للعدو ان يكمل احتفالاته . هل يمزح التاريخ ؟ يخرج ايار ليدخل حزيران ، والبنادق العربية تصوب الى كل الاتجاهات الا الاتجـاه الصحيح . اذا اشتكى العامل ، واذا غضب الطالب تصبح بنادقنا شجاعة . كل الحرب في الداخل ونغني للصمود . ربع قرن ... ربع قرن ونحن نلوك الجملة اياها ، وحدود العدو تلاحقنا . مزيد من الخطابات مزيد من الهزائم ، وانت الشذوذ عن القاعدة .

ـــ أيها الفلسطيني التائه ! ضع حدا لهذه الفوضى .

لم تسمع ، فساقوك الى مجزرة في شهر آخر او في عيد ميلاد موتك الاول . لماذا ؟ من أجل سلام وهمي .

تصير شبحا . تصير كابوسا . تصير شرارة .

ـــ اذهب الى مكان آخر واتركنا بأمان .
ـــ أينما ذهبت يصير ظلي مكانا .

حين سقط حصان في الملعب الرياضي ، برصاص طائش ، حزنت سيدات المجتمع وهواة سباق الخيل .

وحين سقط عشرات من الناس ، في البيوت ، وبرصاص مصوب لم يحـــدث حزن في المدينة .
ليس لقتلاك صور ولا أسماء ، لان الحصان الشهيد يغطي الكون .

لماذا يسقط الشهداء بهذه الكثرة المجانية ، وفي مكان غير صالح للاستشهاد ؟. كثيرا ما يتحول الموت الى مهنة . فماذا يحدث لو أعلن المرشحون للموت الاضراب عن هذه المهنة ... ماذا يحدث ؟

ـــ نصير شعبا بلا شهداء ، ويصير عيد الشهداء باطلا .
ـــ ماذا ايضا ؟
ـــ يفلس الشعراء
ـــ ماذا ايضا ؟
ـــ يتلعثم الخطباء
ـــ وماذا ايضا ؟
ـــ تسقط الحكومة .

التصفية ؟. لا نظن . هذه مشكلة داخلية . علاقاتنا طيبة . ومن اجل السيادة والمراعاة المتبادلة للاستقلال الوطني ـــ لا نتدخل . التصفية ؟ لمـــاذا ينبغي استخدام هـــــذا المصطلح ؟. هذا يسمى تحريرا . والشعار المرحلي المطروح الان ليس تحرير الارض العربية المحتلة من الغزاة الاسرائيليين . الشعار الآن هو تحرير الارض العربية من الذين يشكلون خللا في معادلة الامن الرسمي في منطقة الشرق الاوسط ، ومن الذيـــن يذكرون الناس بأن لهم أوطانا محتلة . وهذا بالطبع ليس تصفية . من المسؤول ؟ ليس شخصا وليس جناحا في سلطة . المسؤول هو المناخ العربي الرسمي . ففي ظل هذا المناخ الراكد يصبح القمع الداخلي امرا مشروعا ينطوي تحت لواء المحافظة على السيادة الوطنية . وزن القضية أكبر من أي كتف فلماذا نحملها وحدنا ؟ هكذا يقولون . في ظل هذا المناخ العام يصبح كل اعتداء على الوجود الثوري ـــ لا الفلسطيني فقط ـــ شأنا من شؤون البلد الداخلية .

ـــ اذا قتلتموهم سرنا في جنازتهم . واذا لم تنجح العملية بسرعة نجد انفسنا في مأزق ونضطر للتدخل من أجل المصالحة. فمن المسؤول؟. حالة السلم غير المكتوب في الممارسة العربية ، وحالة الحرب المعلنة في الجملة العربية .

مشكلة اسرائيل بين امثولة التاريخ وبرامج البقاء

انطوان بطرس

تحتفل اسرائيل بمرور خمس وعشرين سنة على قيامها وهي لا تزال في حالة حرب مع الدول العربية تحكمها قانونيا اتفاقيات هدنة او قرارات وقف اطلاق نار . وهي ، بواسطة ثلاث حروب رئيسية خاضتها ضد العرب ، تمكنت ان تجعل وجودها المؤقت يستمر طوال هذه الفترة الطويلة .

اما الوضع الفعلي الذي يتحكم بعلاقاتها بالدول العربية فهو وضع متناقض واكثر سوءا مما كان في أي وقت مضى . فهناك استعداد لدى عدد من الدول العربية المحيطة بها للاعتراف بها ان هي انسحبت الى حدود ما قبل الخامس من حزيران ، وعزوف عن المبادرة بالنسبة للدول التي لا تزال تعلن رفضها لها . اما الشعوب العربية فهي لا زالت في مرحلة الرفض الاساسي لكن غير المستند الى مقدرة للتعبير عن الارادة والسعي لتحقيق هذه الارادة . اما في عامي ١٩٤٨ و ١٩٥٦ فكان الرفض شاملا وان كانت الارادة دون مستوى الاحساس . وبالنسبة لاي مراقب خارجي فاسرائيل ، وفق هذه الاوضاع، قائمة لتبقى طالما ان احدا من المعنيين لا يملك القدرة على طردها .

ويبرز هذا الواقع ضمن اطار من الاحتفالات الكبرى ليوبيل يمثل ربع قرن من الاستمرار والتواجد ، فيثير انفعالات مؤلمة قاسية لدى العرب بسبب ما يمثله هذا الواقع من قهر للارادة العربية ودلالة على ان الزمن لا زال يسير لصالح اسرائيل وان ذلك قد يستمر ان لم يحدث تغيير جذري لا زالت ملامحه ، بل قل رؤاه ، غير موجودة .

من جهة أخرى فان هذا الواقع يمثل في الوقت نفسه جوهر المعضلة الاسرائيلية . فلقد استطاعت اسرائيل ان تفرض نفسها بحد السيف ، لكن الى متى يظل سيفها مجليا وهل ان الارادة العربية المقهورة ستظل ظاهرة تاريخية أم انها ستتحرك مع التطور العربي فيعود العرب الى مواقفهم الاساسية كما حصل ايام الصليبيين ؟ وبحسب تعبير احد الخبراء الاستراتيجيين الاميركيين فان اسرائيل « قد » تظل متفوقة ربع قرن اخر « ولكن المنطق وقانون المعدلات يوحي بان اسرائيل الصغيرة المحاطة بكتلة بشرية هائلة من العرب ستفقد في وقت ما تفوقها »(١).

هل يعمل الزمن لصالح اسرائيل ؟

لم يكن المحللون الاستراتيجيون البعيدون هم وحدهم الذين اثاروا هذه التساؤلات . بل ان هذه التساؤلات بدأت في الظهور مباشرة بعد انتصار اسرائيل في حرب حزيران . كتب حول ذلك مبكرا جندي اسرائيلي مغمور ترك اسرائيل ليعمل في لندن مع الجماعة الرافضة التي عرفت فيما بعد باسم « متسبن » يدعى شمعون تزابار . وقد كتب ذلك في الذكرى الاولى لحرب حزيران ، كما ونبه الكاتب الاسرائيلي آهارون كوهن الى ان البلاد العربية لم تستثمر بعد طاقاتها ومواردها الاساسية ، وان اي تطور في هذا المجال سيضيق الشقة بينها وبين اسرائيل . فالعرب ، كما كتب ، يمثلون ٣ ٪ من عدد سكان

العالم و١٢ ٪ من دول الامم المتحدة وتزيد مساحة بلادهم بمقدار مليون كيلومتر مربع عن مساحة القارة الاوروبية ، ويملكون اضخم احتياطي للنفط في العالم (٦٠ ٪) ويشكل وضعهم الجغرافي تقاطعا حيويا في التجارة العالمية برا وبحـــرا وجوا ولديهم طاقات اقتصادية وزراعية وصناعية(٢) .

وخصصت « التايم » الاميركية مؤخرا (١٩٧٣/٤/٢) عدة صفحات لتتحدث عن مستقبل الامكانات العربية على ضوء موارد النفط وحدها . وقالت ان دخل الدول المنتجة سيصل الى ٤٠ بليون دولار سنويا في الثمانينات . واذا انفقت هذه الدول نصف دخلها عـــلى النفط فسيجتمع لديها في منتصف الثمانينات ١٢٠ بليـــون دولار ، اي مـــا يوازي كـــل احتياطي العالم اليوم من القطع النادر والذهب ، وما يكفي لشراء جميع شركات النفط في العالم . ونقلت « التايم » عن احد مسؤولي وزارة الطاقة والمحروقات الاميركية « ان العالم لن يشهد مثيـــلا للثروة التي تتدفـــق وسوف تستمر في التدفق عـــلى الخليـــج الفارسي » .

كما تناقل الاسرائيليون بعيد الحرب صدى كتاب(٣) حوى تسجيلات اذاعية ادلى بهـــا الجنود الاسرائيليون وذووهم حول الحرب ونتائجها جاءت معظمها تبدي امتعاضها من التوسع وتجدد الحرب مرة كل حقبة من السنين . جاء فيه عبارات من طراز « اصبع وادي يوري يساوي كل حائط المبكى » و « القرية التي ربيت فيها مع حبيبتي تساوي كل القدس القديمة » .

فلما هذه التساؤلات كلها ؟

لقد اعرب رؤساء اركان الجيش الاسرائيلي السبعة السابقون في ندوة عقدتها صحيفة « معاريف » بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين عن اعتقادهم بأن العداء العـــربي لاسرائيل عنصر من الدرجة الاولى من عناصر الصراع العربي الاسرائيلي وان حـــالة اللاسلم قائمة حاليا تحت غطاء القوة الاسرائيلية . اعرب ديان عن اعتقاده بان السلام الممكن حاليا هو سلام للمدى القصير ، في حين قال رابين بانه لا يوجد حاليا اي استعداد للتسليم باسرائيل ، وقال تسور ان تحقيق السلام سيستغرق وقتا طويلا ، وتوقع يدين ان تستمر حالة اللاسلم حوالي ثلاثين سنة اخرى وقال مكليف انه لا يعتقد ان السلام سيحل خلال السنوات العشر المقبلة(٤) . كمـــا ويعيد عـــدد من الاسرائيليين وغـــير الاسرائيليين امثولة الدولة الصليبية . يبدو من هذا الكلام ان الاسرائيليين يعتقدون ان القوة لم ولن تتمكن أن تكسب اسرائيل قبولا في المنطقة وانه اذا أرادت اسرائيل ان تنهي حالة العداء وتتمتع بوجود مقبول من قبل جيرانها ، فان عليها أن تبحث عن وسيلة او جملة وسائل اخرى تحل بها المشكلة .

الواقع ان الذي يقرأ تاريخ الصليبيين سيعجب من أوجه الشبه بين الدولتين . فهو لن يرى تشابها في الخطوط العامة والعريضة بل شبها فوتوغرافيا في التفاصيل الدقيقة .

ولعل افضل دراسة عن أوجه التشابه بين الدولتين دراسة الدكتور شارل عيساوي(٥) كما وان من الذين عنوا بها أوري افنيري ، الذي ، رغم انه حاول الرد عليهـــا في كتبه ومقالاته(٦)، يقول « ان الفروق بين الدولتين ، على اهميتها ، ليست شيئا يذكر امـــام أوجه الشبه المثيرة في الاتجاه العام للحركتين [الحركة الصهيونية والحركة الصليبية] . ويضيف « بامكان المرء ، عندما يبدأ برسم المشابهات ، ان يذهب الى التفاصيل . هل كان الملك بولدوين يختلف كثيرا عن بن غوريون ؟ ومن ذا الذي يشبه موشي دايان اكثر من رينالد ده شاتيون ، غازي القوافل الاسلامية » . ويشبه افنيري هرتسل بالبابـــا ادريان باعث الحملة الصليبية ، كما ويشبه المؤتمر الصهيوني الاول بمؤتمر كلير مونت ١٠٩٥ . ويصف موجـــة الغزو البحرية وبناء القـــلاع والحصون (عنـــد الصليبيين) بالكيبوتسات ، عند الاسرائيليين(٧) .

ولكن دارسا للتاريخ مثل شارل عيساوي يمضي أكثر من ذلك كله ويعتبر ان التشابه بينهما ، القائم حتى في التفاصيل الدقيقة ، يصل الى حد الاعجاز . لكن الشيء الهام في استنتاجه هو ان هذه التشابهات ليست وليدة الصدفة ، بل ناتجة عن تشابه المعطيات والظروف بين الدولتين ، وفي كلا الحالتين فالموضوع هو تأثير مجتمع غربي على الشرق الادنى المسلم . ويتساءل هل يؤدي التشابه والمعطيات والظروف الى تشابه في النتائج وفق قوانين التاريخ . فالعوامل والمؤثرات الاساسية التي سادت اوضاع الدولة الصليبية لم تتبدل اليوم . فهناك العامل الجغرافي (كون سوريا ومصر تشكلان الفاصل بين البحر المتوسط والمحيط الهندي وبالتالي بين مراكز النشاط الاقتصادي في اوروبا والشرق الاقصى) والعامل الجغرافي البشري (كون مصر مركز الثقل في الشرق الاوسط) وهناك مؤثران ثقافيان (الاسلام عامل للتلاحم الاجتماعي والقدس ذات مكانة روحية سامية) . هذا من ناحية عوامل التاريخ التي لم تتبدل . ثم ان هناك اوجه شبه بين طبيعة الدولتين (التطلع نحو القدس ، التجزئة العربية ، سوء تقدير العرب لقوة الدخلاء ، المفاوضات السرية مع العدو ، بدء التلاحم العربي بعد خلق الدولة الدخيلة ، وحدة سوريا ومصر واليمن ، الروح التوسعية عند الدولة الدخيلة واعتمادها على العون الخارجي بالمال والرجال ، رفض العرب للدولة الدخيلة ، سعي الدولة الدخيلة الى الاتصال بالبحر الاحمر عن طريق العقبة ومقاومة القاهرة كذلك حصول تقارب مصري — سوري عند قيام عدوان على مصر من قبل الدولة الدخيلة) . وقد وصف رنيه غروسيه « ان هذه الكتلة الاسلامية الضخمة القادرة على محو اضعاف هؤلاء المغامرين القادمين الى آسيا بعشرين مرة ، قد سمحت لنفسها ، بتجزؤها ، ان تتحطم امام الانفجار الفرنجي »(٨) .

« السابقة الصليبية »

لقد كان لنظرية « السابقة الصليبية » تأثيرها على كل من العرب واليهود . فقد تحدث عنها الفريق امين الحافظ ايام رئاسته لسوريا مرارا كما وان الرئيس عبد الناصر كان يضعها في صلب تفكيره عندما قال في خطابه ، في الذكرى الاولى لحرب حزيران ، ان حرب العرب مع اسرائيل حرب طويلة قد تمتد الى « عشرات السنين وربما مئات السنين » كما وان تويني تحدث مرارا عن ان الصراع العربي الاسرائيلي قد يطول مئات من السنين وان اليهود سيضطرون بالنهاية الى الهجرة من اسرائيل . ويروي انتوني ناتنغ احد معارضي الفكرة الصليبية بانه كثيرا ما سمع العرب يتحدثون عنها واعتبرها ميلا خطيرا لدى العرب لاعتقاده ان وجود الاسلحة النووية قد بدل المعطيات تبديلا اساسيا(٩) .

ويجد المرء كذلك في مذكرات ناحوم غولدمان وكتاباته قلقا من أن الزمن لا يعمل لصالح اسرائيل . كما وان اهم جوائز رئيس الدولة في اسرائيل عن عام ١٩٦٩ اعطيت للبروفسور يشوع برافر أحد خبراء تاريخ الصليبيين الذي «اثبت» ان السابقة الصليبية لن تكرر مع اسرائيل . ولكن رجلا مثل الجنرال اسحق رابين ادهش مستمعيه ، في ايلول ١٩٦٧ ، في الخطاب الذي القاه في احتفالات الذكرى السبعين لانعقاد المؤتمر الصهيوني الاول حينما شبه اسرائيل بالدولة الصليبية وقال ان اكثر ما يخشاه على اسرائيل هو ان تذبل اذا اصابها جفاف في الهجرة كما حصل الامر مع الدولة الصليبية . وكان رابين آنذاك رئيسا للاركان يحمل لقب المنتصر في حرب حزيران .

فما هي السابقة الصليبية وما العبرة فيها ؟

بدأت أول غزوة صليبية عام ١٠٩٥ بدعم مادي وبشري هائلين من العالم المسيحي . وقد افاد الصليبيون من التفكك الذي عم العالم الاسلامي فاقاموا دويلات عدة في المنطقة .

ووصف رنسيمان ، اشهر مؤرخي الحملات الصليبية ، ان من اهم الاسباب وراء نجاح حملة الصليبيين « تجزئة العرب التي مكنت الدولة الدخيلة الصغيرة من ان تقيم لنفسها اسسا في اراضيهم » . ولكن رغم سيطرة الصليبيين على القدس وامكنة عديدة في المنطقة فقد اضمحلت الدولة الصليبية في النهاية ، بعد ثماني موجات صليبية كان اخرها عام ١٢٧٠ .

ويجمع المؤرخون على ان اضمحلال الدولة الصليبية يعود الى عاملين اثنين :

اولا : تعب العالم المسيحي وملله من مد الدولة الصليبية بالرجال والمال وهو ما كانت تحتاج اليه باستمرار بسبب رفض العالم الاسلامي الاعتراف بالدولة الصليبية واصراره على عدائه لها وعدم تمكينها من اقامة علاقات اقتصادية معه وبالتالي زرع جذور ثابتة لبقائها في المنطقة .

ثانيا : وحدة سوريا ومصر . ففي خلال الوقت الذي بدأ فيه الغرب يفقد الاهتمام بالدولة الصليبية ظهرت زعامة قوية في المنطقة وحدت مصر وسوريا واستطاعت ان تكيل الضربات الشديدة الى الدولة الصليبية بزعامة صلاح الدين فاحتوتها كمرحلة اولى واوقفتها عن التوسع . وقد قضي على الدولة الصليبية بعد حوالي مئة سنة اخرى على يد المماليك الذين اعادوا توحيد مصر وسوريا ومعظم شاطىء البحر الاحمر في قبضتهم الحازمة .

احتواء السابقة الصليبية بالدراسات المستقبلية

وقد عني عدد من الاسرائيليين واليهود بهذا الموضوع بشكل او بآخر ومنهم من عني به عناية علمية في مجال العلوم المستقبلية الجديدة Prognosis التي اصبحت موضة العصر في شؤون السياسة والاستراتيجية .

والنظرية التي تكمن وراء العلوم المستقبلية هي في دراسة معطيات موضوع ما بواسطة العلم والتكنولوجيا وبأسلوب تحليل الانظمة System analysis ودراسة امتدادات هذا الموضوع في المستقبل وتطور نموه واشكاله والعوامل الداخلة او التي يمكن ان تتداخل فيه ، والتوصل الى فكرة عن حالته بعد عقد او عقدين او ثلاثة الخ ... وبذلك التكهن المستقبلي حول شكل التطور في ذلك الموضوع . وقد ادت هذه النظرية الى جعل العلماء، على مختلف انواعهم ، ركيزة خلفية لدراسة السياسة بمدلولها العصري والمستقبلي . واصبحت هناك عشرات المراكز او « بنوك الادمغة » ومهمتها تقديم الرأي والمشورة حول معضلات سياسية تسند اليها .

وتكاد لا تحصى الدراسات والمقالات التي صدرت في اسرائيل وخارج اسرائيل حول مستقبل الصراع العربي الاسرائيلي وشكل القوى والعوامل التي ستدخل فيه في المستقبل ، وكذلك المقترحات والحلول التي نادى بها مفكرون اسرائيليون ويهود وغير يهود لهذه القضية والتي تعكس نظرة مستقبلية للواقع الحالي . فهناك على سبيل المثال الكراس المثير الذي اصدرته جماعة تطلق على نفسها اسم « جمعية السلم » في اسرائيل بعنوان « الشرق الاوسط عام ٢٠٠٠ » والتي تمثل في رسوم بيانية وخرائط ومصورات واحصائيات جغرافية المنطقة وتعداد سكانها ومداخيلها وقواهم الفاعلة واتجاهات النمو في الدخل القومي ومصادر الطاقة والثروة والعمالة والبطالة والصحة والتكنولوجيا والعلاقات الاقتصادية والبشرية وغيرها ، ثم تخرج باستنتاجات وتوصيات تدعو بالنهاية الى ان افضل حل للصراع العربي الاسرائيلي هو في اقامة دولتين اسرائيلية وفلسطينية .

وفي حين ان العرب دعاة الحل الصليبي للقضية الفلسطينية ينتظرون سقوط اسرائيل

كتفاحة ناضجة من على الشجرة غير عالمين بأن الامثولة الصليبية تعني مبادرة عربية ، نلاحظ ان كثيرا من مجالات النشاط الاسرائيلي متوجهة لتدارك السابقة الصليبية بدراستها وتحليل عناصرها ووضع الحلول لعناصرها وجزئياتها .

وانستعرض ذلك بالتفصيل :

لما كانت الدولة الصليبية قد اضمحلت نتيجة عوامل اهمها وحدة سوريا ومصر وبروز قيادة عربية قوية وملل العالم المسيحي من الاستمرار في مد الدولة الصليبية بالمال والرجال لتظل جيبا اوروبيا دائم التجدد بوجه المسلمين ، فما الذي تفعله اسرائيل لكي لا تتعرض لذلك ؟

يقول العالم الفيزيائي — الرياضي ، اليهودي هيرمان كاهن ، ومؤلف كتاب « العالم سنة ٢٠٠٠ » ورئيس مجلس امناء مؤسسة « هدسون انستتيوت » للدروس المستقبلية في محاضرة له بجامعة بارايلان ، بتل ابيب ، ان اسرائيل ستظل حتى المستقبل المنظور « جيبا اوروبيا في بحر اسلامي وان العرب لن يعدموا وسيلة لاستعادة [فلسطين] مثلما فعل اليهود حينما عادوا اليها بعد فاصل الوف السنين » . وكشف النقاب على انه يرأس فريقا من العلماء لدراسة المشكلة والبحث في العوامل الاقتصادية والسياسية التي يمكن اللجوء اليها للتخفيف من ضغط العرب على اسرائيل « وابقاء قوة اسرائيل متفوقة حتى يوجه العرب انظارهم نحو شؤون اخرى [بعيدا عن الحرب] ويتم بالتالي تخفيف حدة التوتر » .

فما الذي تحتاج اليه اسرائيل لمواجهة السابقة الصليبية ؟

أ) ان تصبح ، اقتصاديا واجتماعيا وبشريا ، جزءا من المنطقة . وحتى يتحقق لها ذلك فهي تحتاج الى دعم مالي منتظم من العالم ومن اليهودية العالمية بشكل خاص وكذلك الى دعم بشري منتظم من يهود العالم .

ب) كي تحقق اسرائيل لنفسها وضعا طبيعيا مقبولا في الشرق الاوسط فهي تحتاج الى انهاء العداء العربي الرسمي والشعبي حتى تكسب الاعتراف بها وبوجودها ضمن اطار من السيادة الاقليمية وتقيم علاقات بشرية واقتصادية يومية مع جيرانها وتحل مشكلة الفلسطينيين . والى حين يتحقق ذلك فانه يهمها بمقدار كبير استمرار حالة السلام تحت غطاء القوة الاسرائيلية كما وانه من صالحها عدم تحقيق تكتل عربي قوي في ظل زعامة تستند الى ارادة متحررة مجندة طاقات مستغلة استغلالا صحيحا .

فاذا حققت اسرائيل ذلك تكون قد حصلت على ما عجزت عنه الدولة الصليبية وحالت دون تكرار السابقة الصليبية ، لا عن طريقة فرضية ان التاريخ لا يكرر نفسه بل بابدال قوانين ومبادىء الصراع وبالتالي نتائجه .

فلنستعرض ما تقوم به اسرائيل والصهيونية على صعيد هذه الاستراتيجية :

١ — تأمين انتظام الدعم المالي

تمكنت اسرائيل ان تجعل الدعم المالي يتدفق عليها بصورة منتظمة طوال السنوات الخمس والعشرين الماضية ، ولا يبدو ان هناك أي تبديل طارىء في الصورة . اهم موارد هذا الدعم مصدران اثنان : الاول المعونات الاميركية (الخاصة والرسمية) والثاني التعويضات الالمانية لاسرائيل . وقد بلغت المعونات الاميركية مجتمعة منذ ١٩٤٨ وحتى الربع الاول من عام ١٩٧٣ ٩ بلايين دولار(١١) . وكان نصيب الفرد من العون الاميركي الخاص والرسمي خلال السنوات العشرين الاولى ١٤٠٠ دولار اميركي وهي نسبة تزيد عن العون الذي تقدمه الولايات المتحدة لاي بلد من البلدان الثلاثة عشر المجاورة

لاسرائيل، اذ أن العون الاميركي لهذه الدول لا يتعدى ٣٥ دولارا للفرد الواحد(١٢).

وجاء هذا العون لاسرائيل في اكثر من قناة . فقد شكلت المعونات الاميركية للوكالة اليهودية نصف ميزانيتها ، للفترة بين تأسيس الوكالة ولغاية حرب حزيران . كما وبلغت المعونات الاميركية للوكالة للفترة بين حرب حزيران ومنتصف عام ١٩٧٠ : ٥٠٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار . وتلقت اسرائيل من صندوق النداء الموحد الناشط في اميركا ١٥٠،٠٠٠،٠٠٠ دولار عام ١٩٦٩ وحده(١٣).

ومن المانيا الغربية استطاعت اسرائيل ان تحلب ١،٠٨ بليون دولار حتى نهاية عام ١٩٧١ كتعويضات لضحايا النازية من اليهود . وتوقعت مصادر اسرائيلية ان تصل هذه التعويضات الى ٢٠ بليون دولار عام ٢٠٠٠ . كما وتطالب اسرائيل والصهيونية المانيا بأن تدفع لاسرائيل تعويضات جديدة لقاء تشغيل العمال اليهود في المصانع والمنشآت الالمانية قبل الحرب دون اجر على حد تعبيرها. كما وتسعى اسرائيل كذلك الى الحصول على تعويضات من النمسا .

ولقد دفع العون الخارجي الهائل الذي استطاعت اسرائيل الحصول عليه بصورة منتظمة ببعض من الخبراء العرب الرصينين ، امثال الدكتور يوسف صايغ ، الى اعتبار العون الخارجي اشبه بقطاع ثابت من قطاعات الاقتصاد الاسرائيلي ، وان على العرب ان يتخذوا منه « منطلقا لا يخضع للشك الخطير » عند وضع استراتيجية العمل القومي(١٤).

٢ ــ تأمين انتظام الهجرة الى اسرائيل

بلغ عدد المهاجرين الى اسرائيل عام ١٩٤٨ ٦٠٠،٠٠٠ اي ٣٥٪ من عدد اليهود الذين كانوا في اسرائيل عند انشائها(١٥)، وبلغ معدل الهجرة في السنوات ١٩٦١ ــ ١٩٦٦ ٥٠ الف مهاجر تقريبا ثم هبط هذا المعدل تدريجيا حتى زاد عدد المهاجرين من اسرائيل الى الخارج عام ١٩٦٧ عدد القادمين اليها .

وقد ساهمت حرب حزيران في اعادة حجم الهجرة اتساعا بحيث بلغت عام ١٩٦٩ ٤٥ الفا (مقابل ٣١،٠٠٠ لعام ١٩٦٨ و ١٨،٠٠٠ لعام ١٩٦٧) . ونقلا عن مدير عام وزارة الاستيعاب في اسرائيل فان مجموع المهاجرين الى اسرائيل [illegible] حزيران وحتى نهاية ١٩٧٢ بلغ ٢٢٥،٠٠٠(١٦).

ولا يتعدى تكاثر السكان الطبيعي في اسرائيل ١،٦٪ سنويا ، ولما كان معدل الهجرة الى اسرائيل بحدود ١،٢ ــ ١،٥٪ من عدد السكان ، فان الزيادة تصل الى حدود ٣٪ اي في حدود الزيادة الطبيعية في الدول العربية(١٧).

ويبدو ان الهجرة من الدول العربية وصلت ، او كادت تصل، الى [illegible] وجهت اسرائيل انظارها نحو يهود الاتحاد السوفياتي الذين يبلغ عددهم ما بين ٢،٠ ــ ٣ ملايين نسمة حسب مختلف التقديرات(١٨). وقد شنت اسرائيل حملة ضغط شديدة على الاتحاد السوفياتي دون كلل طوال السنوات العشر الاخيرة بحيث نجحت في فتح باب الهجرة اليهودية السوفياتية . وكان اخر محاولات الضغط موقف الكونغرس الاميركي من اتفاق التجارة السوفياتي الاميركي المشروط بتجميد الضريبة على المهاجرين اليهود. ففي حين لم يزد عدد اليهود المهاجرين من الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٧٠ عن تسعمائة يهودي ارتفع عددهم الى ١٥،٠٠٠ عام ١٩٧١ ثم قفز الى ٣٢،٠٠٠ عام ١٩٧٢(١٩).

٣ ــ دراسة عوامل الرفض العربي

يظهر المستشرقون اليهود اهتماما كبيرا بالتاريخ العربي . والجامعة العبرية في القدس حافلة بالدراسات العربية والاسلامية وبالاساتذة المتخصصين في مختلف الشؤون العربية

والاسلامية . وقد اثار موقف العرب الرافض للدولة الصليبية طوال مئتي سنة اهتمام الدارسين اليهود المعاصرين امثال شلومو غوتاين ، استاذ الدراسات الاسلامية في الجامعة العبرية ، والياهو اشتور ــ شتراوس ، الخبير بتاريخ اليهود في العـــالم الاسلامي واسبانيا الاسلامية . كما ان ثمة دراسات نشرت في هذا الصدد منها دراسة عمانوئيل سيفان عن « الاسلام والصليبيين » التي تناولت فكرة الجهاد عند المسلمين كما دونها ابو طاهر السلمي في « كتاب الجهاد » . ولهذا الكتاب ــ المخطوطة أهميـــة خاصة اذ انه كتب بعد ثلاث سنوات فقط من دخول الصليبيين الى المنطقة وبالتالي فهو اول دراسة عن موقف العرب من الدولة الدخيلة .

ويفسر المستشرق اليهودي برنارد لويس الرفض العربي بأنه نابع عن كره الاســـلام للمساومة . فالعالم بالنسبة للمسلمين خير او شر ، والصراع قائم ابدا بين دار الاسلام (المسلمون والدول التابعة لهم) ودار الحرب (الدول غير الاسلامية) وفي هذا الصراع يمكن ان تقوم الهدنة ولكن يستحيل قيام سلم(٢٠) .

ويرى غلوب باشا الذي عاش مع العرب ستة وثلاثين عامـــا انهم شعب لا يساوم ، ويستشهد بأن الفتح الاسلامي ، حينما بدأ كانت تواجهه قوتان عالميتان (الامبراطورية الرومانية والامبراطورية الفارسية) فلم يهادن الاسلام أيا منهما ، ولو مؤقتا ولضرورات التكتيك ، بل ضربهما في وقت واحد وأقام امبراطورية امتدت من المحيط الاطلسي الى حدود الهند . وقد استمرت هذه الامبراطورية التي بناها جيل واحد من الفاتحين ، ٢٥٠ عاما . وبعد ان اضمحلت السيطرة السياسية لهذه الامبراطورية ظلت للعرب الزعامة الفكرية للعالم طوال ٢٥٠ سنة اخرى(٢١) .

يرى المستشرقون ان هذه النقاط تفسر الكثير من العداء العربي لاسرائيل فتضعه ضمن محتوى تاريخي مبدئي ، فكيف تعزل اسرائيل الشعوب العربية عن هذا الموقف وتضع حدا فاصلا بينه وبين خطه التاريخي ؟

٤ ــ مقابلة الرفض العربي بالضرب المبرح

من المعروف ان الحروب لا تمثل « علاجا صداميا » فحسب بل عاملا لقهر ارادة الشعوب المهزومة ووسيلة لفرض واقع جديد مختلف برمته . وأفضل مثال على ذلك نتائج هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية على البنيان الثقافي للنظام السياسي والتربية المدنية في اليابان .

والمعروف ايضا ان اسرائيل تعتبر اول دولة ذات سياسة رسمية تقوم على الردع(٢٢) وتعترف نشرات رسمية اسرائيلية بالغارات الانتقامية كسياسة رسمية(٢٣) . ولقد نبه مفكرون امثال اسحق دويتشر بان الحروب المتوالية التي تقوم بها اسرائيل « تؤدي في نهاية المطاف الى القضاء على قوة البلدان العربية قضاء مبرما»(٢٤) . وكان أحد المبررات التي قدمها ديان للضرب قرب القاهرة في اواخر عام ١٩٦٩ ايصال حقائق الوضع على الجبهة الى المصريين(٢٥) .

ولقد كان عبء ذلك على الاقتصاد الاسرائيلي باهظا .

وقبل اعطاء لمحة عن كلفة هذه السياسة لا بد من التذكير بان الاقتصاد الاسرائيلي ، الذي يشبهه البعض بانه اقتصاد النبات في غرفة زجاجية ، يحتاج بصورة اساسية لاستمراره للعون الخارجي ، فجاءت السياسة العسكرية الاسرائيلية لتضفي عليه اعباء ثقيلة جعلت المكلف الاسرائيلي يدفع ارفع نسبة ضرائب في العالم ، او يدفع ٦٢٪ على الدخل الذي يتعدى عشرة آلاف دولار(٢٦) . ويذهب ٨٠٪ من ايرادات الضرائب الى ميزانية الدفاع (٢٧) .

وتقدر نفقات الاحتلال بـ ١٥ مليون ليرة اسرائيلية في اليوم اي حوالي ١،٢٠٠،٠٠٠ جنيه استرليني وذلك وفق تقديرات اسرائيلية رسمية(٢٨). ويذكر ان ميزانية العام ٦٨/٦٩ كانت قد خصصت ١٥ مليون جنيه استرليني لادارة المناطق المحتلة(٢٩).

وفي تصريح للمستشار المالي لرئيس الاركان الاسرائيلي ان كلفة عمليات القصف على قناة السويس التي استمرت ما بين ٢ــ٤ ايام اثر اغراق الباخرة ايلات بلغت ٦ ملايين ليرة اسرائيلية كثمن قنابل . ويكلف الجندي الاسرائيلي في اليوم ٢٠٠٠ ليرة اسرائيلية ، وتكلف ساعة طيران اسرائيلية ما بين ١٥٠٠ ــ ٢٠٠٠ ليرة اسرائيلية . وتبلغ كلفة طائرة الفانتوم مع معداتها الحربية ٢٠ مليون ليرة اسرائيلية(٣٠). وقدر بنحاس سابير ان تكاليف طائرات الفانتوم الاسرائيلية كافية لسد احتياجات اسرائيل من المحروقات خلال السنوات السبع عشرة المقبلة(٣١).

وقد قفزت ميزانية الدفاع في اسرائيل بمعدل ٤٥ ٪ بين حرب حزيران واواخر عام ١٩٧١ فتجاوزت ٥ مليارات ليرة اسرائيلية(٣٢). وهي اليوم تشكل ٣٠ ٪ من الميزانية العامة البالغة ٤٧ بليون دولار (٣٣) ، ويذهب نصف موازنة الدفاع للاستيراد العسكري . وتعتبر نسبة ميزانية الدفاع الاسرائيلية الى مجموع ميزانية الدولة العامة أعلى ميزانية دفاع في العالم. ومن أجل المقارنة نورد ما سبق لرئيس الحكومة اللبنانية الاسبق الراحل حسين العويني ما قاله من أن ميزانية الدفاع الاسرائيلية شكلت عام ١٩٦٩ ضعفي ميزانية لبنان العامة و١٥ ضعفا لموازنته العسكرية(٣٤).

وتشكل ميزانية الدفاع السبب الرئيسي في عجز ميزان المدفوعات ، فاسرائيل تنفق ٢٠ ٪ من الميزانية العامة على سداد ديونها(٣٥). (كانت هذه الديون قد بلغت في نهاية ايار ١٩٦٩ الفي مليون دولار كما وان العجز التجاري بلغ ١٩٧٠ بليون دولار اي بزيادة ٥٤ ٪ على حجمه عام ١٩٦٩) .

هذا على صعيد الاعباء المالية اما على صعيد الخسارة البشرية فقد تكبدت اسرائيل منذ ١٩٤٧ وحتى منتصف ١٩٧٢ ٨٢٨٧ قتيلا(٣٦) (اكثر من نصفهم بين ١٩٤٧ ــ ١٩٤٨ اذ بلغوا ٤٤٨٧ قتيلا) .

٥ ــ التوسع الاستراتيجي

وخلافا لبعض الاعتقادات الشائعة ، فان التوسع الاسرائيلي ليس مجرد تلبية لشهوة الصهيونية للتوسع ، بل أنه عملية منتظمة تهدف الى تقوية اسرائيل استراتيجيا بوجه الدول المعادية المحيطة بها . فمن المعروف ان حدود اسرائيل قبل حرب حزيران لم تكن جيدة من الناحية الاستراتيجية ، اذ كان بالامكان ، عسكريا، شق اسرائيل عند منتصفها حيث يضيق عرضها بين الاردن والمتوسط الى ١٢ ميلا فقط . كما وان مرتفعات الجولان السورية كانت تضع الجليل الاعلى بكامله تقريبا تحت مرمى المدفعية السورية .

فقد أعطى قرار التقسيم الدولة اليهودية ما مساحته ١٤،٠٠٠ كلم٢ ، ثم احتلت اسرائيل بعد حرب ٤٨ حوالي ٦٠٠٠ كلم٢ اخرى من أصل المساحة المخصصة للدولة العربية، ثم امتدت حدود اسرائيل بعد حرب حزيران اربعة اضعاف ، اذ احتلت ٦١،١٩٨ كلم٢ في سيناء (التي تبلغ وحدها ضعفي مساحة اسرائيل) و٥،٨٧٨ كلم٢ في الضفة الغربية و١،١٥٠ كلم٢ في الجولان و٣٦٢ كلم٢ في غزة، اي انها احتلت ٢٠ ٪ من الاراضي المصرية و٧٠٪ من الاراضي الاردنية و١٥ ٪ من اراضي سوريا وكل غزة(٣٧). وكان يتطلب الطائرات المصرية قبل حرب حزيران كي تصل الى قلب اسرائيل في تل ابيب فترة ٥ دقائق طيران في حين كان يتطلب الطائرات الاسرائيلية حتى تصل الى القاهرة ثلاثين دقيقة طيران(٣٨). اما الان فقد انعكست الاية لصالح اسرائيل . ويقول حاييم هرتسوغ

احد خبراء اسرائيل العسكريين انه بفضل الحدود الجديدة لم تعد اسرائيل مضطرة الى الهجوم اولا لتأمين سلامتها عند الخطر(٣٩).

٦ ــ الحرب النفسية المكثفة

يقترح رئيس الاركان الاسرائيلي الاسبق يغئال يادين للتخفيف من العداء العربي الاسرائيلي « الوصول الى الشعوب العربية ، ليس في يوم واحد وانما خلال سنوات عديدة » واقترح « سلاحا من الدرجة الاولى » البث باللغة العربية بصورة مستمرة طوال اربع وعشرين ساعة وعلى أن يستمر ذلك « حتى نصل الى يوم التفاوض » . واقترح التركيز على مشكلات الدول العربية الداخلية لا بل المحلية كالتذكير للمصريين بأن بينهم ٢٥ ــ ٣٠ مليونا مصابا بالزهري على حد تعبيره ، وعلى « أن يصل هذا الى الفيوم واسيوط » مقرونا بالدعوة الى صرف الجهود في غير مجالات التسلح .

٧ ــ الشعب الفلسطيني : بين الخلاص منه واحتوائه

تعنى اسرائيل بهذا الموضوع عناية خاصة لارتباطه بمجمل وضع العداء العربي . فالفلسطينيون ليسوا فقط رأس الحربة العربية المنتصبة امامهم بل هم السكان الاحياء الذين يحتل الاسرائيليون بيوتهم منذ وقت لم يمض عليه زمن طويل . فالثابت ان القضية الفلسطينية قضية دائمة الاشتعال ومفتاح لليقظة العربية المقبلة . لهذا فمن الضروري بالنسبة لاسرائيل حل قضية الشعب الفلسطيني وظاهرة المقاومة .

ورغم جميع الادعاءات المعاكسة من قبل الرسميين ، فهناك اليوم اتفاق بين المسؤولين الاسرائيليين حول التوصل الى حل للشعب الفلسطيني يوفر للفلسطينيين وجودا مستقلا دون أن يبلغ حد السيادة المستقلة . ويعتقد الاسرائيليون ان الفلسطينيين داخل الاراضي المحتلة اصبحوا قانعين بهذا الحل لانهم باتوا يخشون اندثار الهوية الفلسطينية . وان أقصى ما يطمحون اليه ان يكون لهم وجود مستقل يحفظ الشخصية الفلسطينية على أن يتكفل الزمن بمستقبل سيادتهم . ويستشهد الاسرائيليون بشخصيات فلسطينية سياسية وفكرية عميلة كالجعبري وعزيز شحادة وعطاالله منصور .

ويتلخص الموقف الاسرائيلي حول مصير الشعب الفلسطيني في ثلاثة اتجاهات . الاول اتجاه الاعتراف بالشعب الفلسطيني وبوجوده وشخصيته المستقلة كحل لاسكاته. ويمثل هذا الاتجاه ديان وهركابي وشامير وايلاف . والثاني ، فهو الذي آمن بوجود هذه الشخصية ومضى خطوة اضافية الى الامام لكن لم يعثر بعد على الحل الامثل . ويمثل هذا الاتجاه ماتيتياهو بليد وسبرينتساك . اما الاتجاه الثالث فقد مضى بدوره مرحلة اضافية الى الامام واقترح خلق كيان فلسطيني واضح . ويمثل هذا الانجاه افنيري (رئيس دائرة العلوم السياسية في الجامعة العبرية) وهرتسوغ وشحاده ومنصور(٤٠).

ويبقى السؤال كيف تعالج اسرائيل قضية الفلسطينيين خارج الاراضي المحتلة الذين تنضوي غالبيتهم العظمى في المقاومة الفلسطينية . يمثل هذا الفريق المطالب بالتحرير بالنسبة لاسرائيل حالة عقلية مختلفة تنطبق عليه السياسة المطبقة على الدول العربية المعادية ، اي سياسة القهر وتخفيف حدة العداء . وتوفر لنا الاحداث بين ١٩٦٧ واليوم اكثر من مثال على سلوك اسرائيل في هذا المجال .

٨ ــ تزيين فوائد السلم

ولا تكف اسرائيل عن التحدث عن فوائد السلم بالنسبة الى الدول العربية وتزيين المكاسب التي ستتحقق للشعوب العربية من جراء ذلك . والذين اطلعوا على كراس « الشرق الاوسط عام ٢٠٠٠ » لاحظوا مقدار تركيزه على هذه الناحية . وابرز ما يلفت

النظر في هذا المجال ان الكراس يتحدث عن تقدم الخدمات الطبيـــة وارتفاع مستوى المعيشة واطالة الاعمار وتحسن الدخل وفرص التعليم بالنسبة لمجتمعات الشرق الاوسط ان هي انصرفت الى التنمية والتعمير عوضا عن التسلح . كما وان الكراس يعد كل بلد عربي بأنه سيكون مركزا رئيسيا لسلعة ما او صناعة بالنسبة لدول المنطقة : سورية للصناعات النسيجية ، مصر مركزا صناعيا ، لبنان مقرا لسوق مشتركة تضم كل المنطقة ومركزا للعمل والنقل والمواصلات واسرائيل مركزا للصناعات الالكترونية الخ ... كما تجدر الاشارة كذلك الى اقتراح دان بافلي مستشار الحاكم العسكري للضفة الغربية عام ١٩٦٩ باقامة سوق مشتركة بين اسرائيل والاردن ولبنان(٤١) .

ويكفي ان نذكر ، اضافة الى ما ورد حول الدراسات المتقدمة التي تجريها اسرائيل حول الشؤون العربية ، ان هناك، اضافة الى الهيئات والمؤسسات العلمية المعنية بالدراسات العربية في الجامعة العبرية ، خبراء للشؤون العربية لكل حزب او مسؤول حكومي أمثال الكولونيل فرح وتوليدانو وموشي ساسون ويوسف غينات ودان بافلي وميخائيل عساف ويهوشع حبوشي ويعقوب كوهن والعازار يعاري ومردخاي آلون وامنون لين ويعقوب اتيان وغيرهم . ولا بد كذلك من الاشارة الى القرار الذي اتخذه وزير المعارف يغآل الون ، بناء على توصية لجنة خبراء على رأسها البروفسور موشي بيامنتا ، استاذ اللغة العربية في الجامعة العبرية ، بتدريس العربية بصورة الزامية في المدارس الاسرائيلية « كي تصبح العربية جسرا بين سكان اسرائيل والعالم العربي ووسيلة للتفاهم اليهودي ـــ العربي » .

٩ ـــ القفز فوق علاقات الجوار بعلاقات البعد

اذا نظرنا الى خريطة الشرق الاوسط لوجدنا ان هناك ثلاث دول غير عربية تمثل كتلا بشرية لا يستهان بها تقيم علاقات طيبة مع اسرائيل وهي ايران ، تركيا والحبشة . وبما أن الدول العربية المحيطة باسرائيل هي المجال الحيوي لاقتصاد اسرائيل ونظرا الى افتقار اسرائيل الى هذه السوق قبل حرب حزيـــران (تشكل الضفة الغربية اليوم سوقا هامة للمنتجات الاسرائيلية) ، فقد وجهت اسرائيل انظارها نحو هذه الدول الثلاث كي تكسر بواسطتها نطاق العزلة التي تحيط بها . وتتصور الدراسات الاسرائيلية ان عدد سكان هذه الكتل البشرية الثلاث سيصل عام ٢٠٠٠ الى حوالي ١٤٠ مليون نسمة (٦٠ مليونا ايران ، ٤٠ مليونا الحبشة ، ٤٠ مليونا تركيا) مما يجعلها توازن العنصر العربي في دول المواجهة ، اي الدول العربية المعادية التي تحيط بها .

كيف ينظر العرب وبعض أصدقائهم الى هذه الامور ؟

أ ـــ انصار المعادلة بين السلم المبكر والتوتر المرسوم

يعتقد بعض المفكرين العرب ان هذه الامور حقائق مرة ولكنها ليست نهائية . فمقابل ذلك كله هناك حقائق ايجابية عربية ينبغي استكشافها والعمل بموجبها ، كما وان في صميم الحقائق المرة سلبيات اسرائيلية ينبغي تحريكها اذا أريد افشال مساعي اسرائيل في هذا المجال . وان كثيرا من مصادر القوة الاسرائيلية نقـــاط ضعف في الوقت ذاته ينبغـــي استثمارها .

على سبيل المثال فان دعوى الصهيونية ليهود العالم للهجرة الى اسرائيل لم يقم بتلبيتها اكثر من ٥ بالالف(٤٢) . كما وان هناك معادلة دقيقة بين السلم المبكر والتوتر المرسوم ، ينبغي على الخبراء العرب البحث عنها وتحديدها . فالآراء لا زالت متضاربة ، حتى في اسرائيل ، حول ما اذا كان السلم المبكر وتقليص الموازنات الدفاعية بين الدول العربية واسرائيل يخدم اسرائيل أم الدول العربية ، وأي منها يفيد من الابقاء على التوتر . ومتى وعند اي نقطة يصبح احد هذين العاملين لصالح هذا الفريق أو ذاك .

فمن جهة أثار أرييه بنكوس رئيس الوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية العالمية مسألة انخفاض الاندفاع الوطني في اسرائيل بعد حرب حزيران والمناخ « المعادي » للمهاجرين في اسرائيل وتأثيره على تقليص الهجرة الى اسرائيل(٤٣). كما ودعا الباحث الاقتصادي شاؤول زارحي الى ضرورة « تأمين الهدوء على الحدود والعمل لتحقيق تسوية سلمية مع العرب تتيح (لاسرائيل) تخفيض نفقات الامن التي تستأثر حاليا بأكثر من ربع الناتج القومي »(٤٤).

ومن جهة أخرى أثارت دراسة أعدها « معهد هورفيتس للسلام » في اسرائيل ، حول الاوضاع الاقتصادية في اسرائيل والبلاد العربية في الثمانينات في حالتي السلم والحرب جملة استنتاجات محيرة فقد أشارت الدراسة الى أن الاقتصاد الاسرائيلي آخذ بالنمو وبالازدياد بالمقارنة مع دول المجابهة رغم ان نفقات الامن اقتطعت جزءا مهما من القوة الاقتصادية . كما قالت الدراسة ان التوتر المرسوم هو من صالح العرب اذ يضمن لهم عدم تحول اسرائيل الى دولة توازيهم في القوة الاقتصادية . وان عقد سلم فوري سيفقد اسرائيل جزءا هاما من مصادر التمويل وتفقد بالتالي الفرصة لتحقيق النمو الاقتصادي الذي تطمح اليه .

لكن هل صحيح ان مصادر التمويل ستقف أم أن توقيع اتفاقية السلم سيتيح لاسرائيل مبررا لطلب مساعدات وقروض جديدة ؟ ثم اذا تمكنت اسرائيل ، رغم ازدياد العبء الامني ، ان تقلص بسرعة الفجوة الاقتصادية بينها وبين دول المواجهة ، فهل يعني ذلك ان السلام يزيد من النمو الاقتصادي ويجعل قوتها مساوية لقوة دول المواجهة .

ان قيام العرب باتخاذ المبادرة في اجراء مثل هذه الدراسات عامل أساسي لرسم استراتيجية العمل القومي . وليس أدل على الفائدة من المكاسب التي تحققها اسرائيل بوضع القضايا العربية على المشرحة ودراستها دراسة علمية . فقد يقف العرب على نتائج تقلب التفكير السائد حول طرق واحتمالات الصراع كما وانهم يصبحون عنصرا متحركا على رقعة الصراع فيفقدون اسرائيل امتياز توفر خصم ساكن يتوقعون كل سكناته وتحركاته فيرسمون له الخطط والمناهج ويوجهون سيره حسبما تقتضيه مصالحهم .

ب ــ أنصار التكامل الاقتصادي

يؤيد فريق من المفكرين العرب انصار نظرية التكامل الاقتصادي ، الفريق الاول ويضيفون ، نقلا عن ولتر روستو ، مستشار الرئيس الاميركي السابق جونسون لشؤون الامن القومي ، ان النمو الاقتصادي « كتدفق الحياة يسير في مراحل متعاقبة وان جميع المجتمعات تمر به دون تمييز وتتخذ فترة زمنية ثابتة كما لو انها قانون حديدي » . وتقرب هذه المدة من ستين عاما يبلغ عندها التكامل الاقتصادي المقدرة التكنولوجية ، فيتبدل وجه المجتمع وامكاناته .

ويرى أصحاب هذه المدرسة ان الامل في قلب موازين الصراع العربي الاسرائيلي يكمن في التصنيع الذي سيؤدي ، بحسب نظرية روستو الى سد الفجوة العلمية والتقنية بين العرب واسرائيل . ويستشهدون بأنه من أصل ٥٠٠٠ سنة من التاريخ المدون فان البلدين العربيين اللذين يحتلان مركز الثقل في العالم العربي ، سوريا ومصر ، ظلا فاعلين في الحضارة البشرية مدة ٤٥٠٠ سنة وان الجمود قد أصابهما في السنوات الخمسمائة فقط . وان وضعهما المالي لا يعكس اصالتهما التاريخية . كما يستشهدون بما كتبه برنارد لويس ، المستشرق اليهودي حول مقدرة العرب على التكيف ، عندما استطاعوا وهم شعب الصحراء ان يتحولوا الى البحار ويتابعون أبهر فتوحهم وراء البحار .

ج ــ انصار نظرية الكفاح الشعبي المسلح

أدت التجربة الفياتنامية الى تقليص أهمية التكافؤ في التقنية والقــوة الاقتصادية بين المتحاربين وأعطت بالمقابل قيمة أساسية للقدرة الشعبية المنظمة خاصة عندما يكون أحد الفريقين دون الثاني قدرة على خوض معارك عسكرية بالمعنى الكلاسيكي .

ويقوم مفهوم هذه الحرب على ان جيشا غير مسلح جيدا ، لكنه يقاتل في سبيل قضية عادلة ويسانده شعب موحد في جبهة وطنية متحدة تقوم على اساس تحالف العمـــال والفلاحين ويقودها حزب قوي النظام مسلح بالنظرية الماركسية ــ اللينينية ، يستخدم اسلوب النقد الذاتي قادر على كسب حرب شعبية ضد بلد يفوقه قوة وتقدما(٤٥) .

وبحسب منطوق هذه النظرية فان حربا شعبية يخوضها العرب ضــد اسرائيل كفيلة بانتصار العرب مهما كانت قوة اسرائيل . ويقولون ان ما جرى حتى اليوم على الصعيد الفلسطيني كان بمثابة اختبار وتلمس لطريق الحرب الشعبية وان التراجع الذي أصاب المقاومة الفلسطينية يعود الى عدة اسباب من ضمنها ان الفلسطينيين يخوضونها دون سائر الامة العربية ، لا بل يخوضونها وهم معلقون في الهواء بلا ارض او ركيزة جغرافية تكون لهم بمثابة « هانوي » . اما اذا أمكن الهاب الامة العربية وتنظيمها وتعبئتها وفق المفهوم العلمي للحرب الشعبية فالنتيجة سوف تختلف .لكن لا توجد حتى الان أية دراسة منهجية لكيفية حصول هذا التحول في العالم العربي .

د ــ انصار نظرية حتمية التاريخ والعدالة والمشيئة الالهية

على النقيض من هؤلاء كلهم يقف جماعة من المؤرخين والمفكرين العرب وغير العرب الذين يقدمون حلا للقضية الفلسطينية يستند الى مبدأ انتصار العدالة وتنفيذ مشيئة الله . ففي الحديث الذي أدلى به توينبي الى صحيفة معاريف(٤٦) مثال على ذلك . قال « ان دولة اسرائيل لن تثبت لانها قائمة على الظلم » . كما وان الرئيس شارل حلو يكثر في احاديثه في ترداد مثل هذه الآراء انسجاما مع موقفه العام القائل بأن اعمال الانسان ومنجزاته « تجسيد لحتمية التاريخ ومشيئة الله »(٤٧) .

*

وجهت يوما المدعوة مريام غليلي ، من رامات غان في اسرائيل ، رسالة مفتوحة الى موشي ديان قالت فيها « نحن نريد ان نعيش في هذه البلاد مع هاجر واسماعيل ولا ننوي الهجرة الى ميامي بيتش او الى الريفييرا » . ان هذه الكلمات تعبير عن حقيقة هامة وهي ان اليهود حينما جاءوا الى فلسطين فقد جاءوا اليها هربا من الاضطهاد ، وان الشعور بالغطرسة يتضاءل عندما يجابهون اختباراً حقيقيا يتناول استقرارهم ، كما وان الواقع المنسي يعود الى السطح عند لقاء المخاطر فيتذكرون انهم انما جاءوا سعيا وراء حياة عادية طبيعية وان الذي جنته لهم سياستهم الصهيونية كان العكس تماما .

ويحلو للمرء أن يستشهد بما قاله توينبي « ان في داخل فلسطين شيئا من السحر ذلك ان كل من كان فيها مرة يريد العودة اليها » . ان نضال الفلسطينيين في سبيل العودة ، وما مثله ويمثله هذا النضال من عبء ثقيل على اسرائيل ، سينتصر بالنهاية ، ومهما طـــال الزمن ، لانه نضال عادل .

---

١ ــ مجلة « تايم » ٧٣/٤/٣٠ .

٢ ــ انظر مجلة « **الجويش كورترلي** » ، خريف ١٩٦٧ .

٣ ــ كتاب سياح لوحاميم « **حديث المقاتلين** » .

٤ ــ نقلا عن مجلة « **الى الامام** » ٧٣/٤/٢٧ .

٥ ــ مجلة « **فورين افيرز** » تموز ١٩٥٧ .

٦ ــ كتاب « **اسرائيل بلا صهاينة** » ومجلة « **نيو ميدل ايست** » ايلول ٦٩ ، ومجلة « **ذي موسلم**

ورلد » كانون الثاني ١٩٧٠ .

٧ ــ كتاب « **اسرائيل بلا صهاينة** » ص ٦٨ ــ ٧٧ .

٨ ــ انظر تلخيصنا وعرضنا لدراسة الدكتور عيساوي في « **الدستور** » ملحق النهار ١٠/٥/ ٦٩ .

٩ ــ انظر محاضرته بمناسبة ذكرى وعد بلفور في المؤتمر السنوي الثالث والعشرين للمجلس الاميركي لليهودية بنيويورك : « مأساة فلسطين من وعد بلفور حتى يومنا » .

١٠ ــ صحيفة « **الجيروزاليم بوست** » ٧٠/٣/٢٦ .

١١ ــ مجلة « **تايم** » ٧٣/٤/٣٠ .

١٢ ــ مقال لدافيد نيس في « **التايمز** » ٧١/٢/٥ (سحب هذا المقال من الطبعة) .

١٣ ــ لورنس هوشر في « **الناشيونال اوبزرفر** » ٧٠/٥/١٨ .

١٤ ــ كتاب « **الاقتصاد الاسرائيلي** » ، طبعة ثانية ، مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٣٥٦ ــ ٣٥٩ .

١٥ ــ من خطاب لبن غوريون أمام الوكالة اليهودية الموسعة « **الجيروزاليم بوست** » ٧٠/٦/٢٤ .

١٦ ــ صحيفة «**الجيروزاليم بوست**» ٧٢/١٠/٢٤ .

١٧ ــ انظر يهوشوا بارهلل « **تأملات في أزمة الشرق الاوسط** » ، دار منتور باريس .

١٨ ــ صحيفة « **الجيروزاليم بوست** » ، ٧٢/١٠/٢٤ و ٧٢/١١/١٥ .

١٩ ــ الوكالات ، ٧٣/٤/٢٥ .

٢٠ ــ كتاب «**الشرق الاوسط والغرب**» ص ١١٥ .

٢١ ــ محاضرة منشورة في كتاب « **المأزق العربي الاسرائيلي** » واشنطن ١٩٦٨ تحرير ماجدة خدوري ، ص ٢١ ــ ٣٩ .

٢٢ ــ سياسة الردع من العلاقات العربية الاسرائيلية ، مقال فرد خوري ، « **ميدل ايست جورنال** » العدد ٤ ، ١٩٦٦ ، ص ٤٣٥ .

٢٣ ــ انظر على سبيل المثال **كتاب حكومة اسرائيل السنوي لعام ١٩٥٨** ص ١٣٦ .

٢٤ ــ مجلة « **الازمنة الحديثة** » تشرين الثاني ١٩٦٧ .

٢٥ ــ صحيفة « **الهرالد تربيون** » ٧٠/١/٢٩ .

٢٦ ــ مجلة « **تايم** » ٧٣/٤/٣٠ .

٢٧ ــ صحيفة « **الجيروزاليم بوست** » ٦٩/٨/١٥ .

٢٨ ــ تصريح لمدير عام وزارة الدفاع الاسرائيلية « **الجيروزاليم بوست** » ٧٢/٥/٤ .

٢٩ ــ صحيفة « **الاتحاد** » ٦٩/١/١٠ .

٣٠ ــ صحيفة « **الاتحاد** » ٦٩/١/٨ .

٣١ ــ صحيفة «**الجيروزاليم بوست**» ٦٩/١٠/٢٢ .

٣٢ ــ تصريح لسابير « **النهار** » ٧١/٨/٢٢ .

٣٣ ــ مجلة « **تايم** » ٧٣/٤/٣٠ .

٣٤ ــ صحيفة « **الانوار** » ٦٩/١/٤ .

٣٥ ــ مجلة « **تايم** » ٧٣/٤/٣٠ .

٣٦ ــ الارقام لغاية حرب حزيران نقلا عن تقرير لرويتر صحيفة « **الحياة** » ٦٨/٥/١ الارقام بين حرب حزيران ومنتصف ٧٢ نقلا عن صحيفة « **هآرتس** » ٧٢/٦/٦ .

٣٧ ــ صحيفة « **النهار** » ٧٠/٢/١٩ و٧١/٤/٨ .

٣٨ ــ ملحق صحيفة « **الجيروزاليم بوست** » ٦٩/٤/٢٢ .

٣٩ ــ صحيفة « **الجيروزاليم بوست** » ٧٢/٦/١١ .

٤٠ ــ للاطلاع على تفاصيل هذه الاتجاهات انظر كتاب «**اسرائيل والفلسطينيون**»، مجموعة مقالات تحرير شلومو افنيري .

٤١ ــ صحيفة « **الاتحاد** » ٦٩/٨/١ .

٤٢ ــ صحيفة « **هاعولام هازيه** » ٧٢/١/٢٦ .

٤٣ ــ صحيفة « **الجيروزاليم بوست** » ٧٢/٥/٢٨ .

٤٤ ــ مجلة « **نيو اوتلوك** » تموز ــ آب ١٩٧٢ .

٤٥ ــ انظر الجنرال فونغوين جياب ، « **حرب الشعب ، جيش الشعب** » ، دار النشر باللغات الاجنبية (الطبعة الانكليزية) هانوي ، ١٩٦١ ، ص ٣٠ . كذلك انظر ماوتسي تونغ « الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية » **المؤلفات المختارة**، المجلد الرابع ، دار النشر باللغات الاجنبية (الطبعة الانكليزية) بكين ، ١٩٦١ ص ٤٢٢ .

٤٦ ــ حديث لصحيفة « **معاريف** » ٧٢/١١/١٠ .

٤٧ ــ صحيفة « **النهار** » ٧٣/٥/١ .

اغلاق مضائق تيران ــ السبب والذريعة

المقدم الهيثم الايوبي

طبقت الدول العربية خلال حروبها الثلاث مع اسرائيل استراتيجية تقليدية مباشرة تستهدف خرق دفاعات العدو بضربات تقليدية على الحدود مع قصف لبعض الاهداف الاستراتيجية بالعمق (حرب ١٩٤٨) او تستهدف صد هجمات العدو المباشرة الموجهة الى داخل البلدان العربية المجاورة لاسرائيل عن طريق مجابهتها بقوات تقليدية منتشرة على الحدود (حربا ١٩٥٦ و ١٩٦٧) . وبالرغم من نقطة ضعف العدو المتمثلة في طول مواصلاته الخارجية نظرا لوجوده داخل منطقة معادية تحيط به من كل جانب ، وانفتاحه على العالم الخارجي عن طريق البحر فقط ، واعتماد قوته العسكرية والاستراتيجية والاقتصادية الى حد بعيد على الامدادات الخارجية فان الدول العربية لم تلجأ خلال الصراع الى تصعيد الحرب حتى مستوى الحرب الشاملة التي تستهدف فيما تستهدف قطع قصبة التنفس الاستراتيجية الممتدة عبر البحر الابيض المتوسط (خلال الحروب الثلاث) او قطع قصبة التنفس الثانية الممتدة عبر البحر الاحمر (خلال حرب ١٩٦٧) . أي انها لم تستخدم طيرانها وبحريتها لتنفيذ عمليات غير مباشرة تتمثل بتسديد ضربات فعالة لخط امداد العدو بالمواد الاستراتيجية في عرض البحر وفي الموانىء الاسرائيلية نفسها **ضمن اطار حرب طويلة الامد** . واكتفت في هذا المجال بتسديد ضربات جوية وبحرية محدودة الى الموانىء وخاصة في حرب ١٩٤٨ .

وهكذا انحصر الصراع الاساسي في مناطق الحدود ، وحافظ على شكله المباشر التقليدي ، وساعدت سرعة انتهاء العمليات في عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ على بقاء قصبتي التنفس الاستراتيجيتين سليمتين كما بقيت رئتا اسرائيل (حيفا وايلات) تعملان بدون تعطيل ، وتزودان القوة العسكرية الاسرائيلية بكل ما تحتاجه من امدادات .

ولقد استمر هذا الخطأ حتى خلال حرب الاستنزاف المصرية ــ الاسرائيلية . اذ بقيت منطقة قناة السويس مسرح هذه الحرب في المرحلة الاولى رغم اهمية الاهداف البشرية والبترولية المصرية على الضفة الغربية بالنسبة للاهداف الاسرائيلية العسكرية (خط بارليف) على الضفة الشرقية ، فاذا استثنينا عمليات الضفادع البشرية المصرية ضد ميناء ايلات وعددها ثلاث عمليات وصفها موشي دايان بانها « نصر عسكري » وامتدح العناصر التي نفذتها بأنها « اثبتت تقدما كبيرا في قدرتها القتالية »(١)، وجدنا ان الجمهورية العربية المتحدة لم تفكر آنذاك بتبديل منطقة الاستنزاف او فتح منطقة استنزاف جديدة في عرض البحر بعيدة عن منطقة القناة . وكان التبرير السائد في تلك الفترة : هو أن اي ضرب لمواصلات العدو البعيدة ، وتصعيد الاستنزاف الى مستوى المجابهة الشاملة سيدفع الطيران الاسرائيلي الى ضرب اهداف مدنية داخل الاراضي المصرية التي لم تكتمل دفاعاتها الجوية . بيد ان هذا التبرير سقط من تلقاء نفسه عندما صعد الاسرائيليون حرب الاستنزاف ونقلوها الى قلب مصر ، وقصفوا الاهداف المدنية بالطائرات معتمدين على تفوقهم الجوي وضعف شبكة الدفاع الجوي المصرية . وعندما

اكتملت شبكة الدفاع المصرية ، وفقدت طائرات الفانتوم سحرها (فترة ٣٠ حزيران — ٧ اب ١٩٧٠) واصبح التصعيد الاسرائيلي عن طريق القصف بالعمق عملا غالي التكاليف ، وصار بوسع الطيران والبحرية المصريين تصعيد الاستنزاف عن طريق تسديد ضربات موجعة لاهداف بعيدة وغير محمية (خطوط المواصلات البحرية) دون خوف من تصعيد اسرائيلي معاكس ، توقفت حرب الاستنزاف وسقط الوضع كله في مستنقع اللاحرب واللاسلم ، وأضاع العرب فرصة نادرة لاستخدام الخنق الاستراتيجي كوسيلة غير مباشرة لاستنزاف القوات المعادية المشتبكة في حرب استنزاف مباشرة تقليدية على طول القناة .

ولقد جسدت المقاومة الفلسطينية خلال حرب العصابات التي شنتها ضد العدو — كجزء من حرب استنزاف ثورية طويلة الامد — فهمها لمبدأ الخنق القريب (قصف ميناء ايلات المتعاقب) ولمبدأ الخنق البعيد (ضرب ناقلة البترول كورال سي في حزيران ١٩٧١) . بيد ان تأثير هذه العمليات بقي محدودا بحدود امكانات حركة المقاومة التي لا تقارن بامكانات الدول .

ويكشف لنا هذا العرض السريع للتطبيق العسكري العربي لمبادىء الخنق الاستراتيجي القريب والبعيد أهمية اغلاق مضائق تيران في ايار ١٩٦٧ والمغزى الاستراتيجي الفريد لهذه العملية . ففي ١٦ ايار ، وبعد حشد القوات المصرية في سيناء لتخفيف ضغط الحشود الاسرائيلية على الجبهة السورية ، قام الرئيس عبد الناصر **بأول حركة استراتيجية غير مباشرة** منذ حرب ١٩٥٦ عندما طلب من سكرتير الامم المتحدة سحب قوات الطوارىء الدولية من شرم الشيخ لتحل محلها القوات المصرية.وكان هذا العمل هو الخطوة الاخيرة لتصفية آثار العدوان الثلاثي في عام ١٩٥٦ والذي حصلت اسرائيل بموجبه على حق المرور في خليج العقبة تحت اشراف قوات الامم المتحدة . ولقد لجأ الرئيس عبد الناصر الى هذا العمل معتمدا على ما يلي : ١) حق مصر « الذي لا ينازع » في السيطرة على كامل اراضيها ، وانعكاس هذا الحق على الرأي العام الدولي الذي لا يستطيع ان يقف موقف المعارضة من سيادة اي شعب على كامل أرضه ، ٢) الاعتقاد بأن القوات المصرية التي احتشدت في سيناء تشكل مع القوات السورية المحتشدة على الجبهة الشمالية قوة رادعة كافية لمنع اسرائيل من شن اي هجوم يستهدف العودة الى السيطرة على المضائق المتحكمة بحركة الملاحة نحو ميناء ايلات . كما انها قادرة على الدفاع — وفق حساب موازين القوى الموجودة والمحتملة — اذا ما غامر الاسرائيليون بمثل هذا الهجوم ، ٣) تحقيق كسب سياسي على الصعيد العربي الداخلي بعد ان لمحت الاوساط السياسية العربية على نطاق واسع الى وجود قوات الطوارىء وحرية الملاحة الاسرائيلية ، واعتبرت ذلك مساسا بالسيادة العربية .

وفي الفترة ما بين ١٦ و ٢٢ وصلت القوات المصرية الى شرم الشيخ وحلت محل قوات الطوارىء الدولية . واعلن الرئيس عبد الناصر اغلاق خليج العقبة امام الملاحة الاسرائيلية عندما قال في خطاب ٢٢ ايار « ان العلم الاسرائيلي لن يمر من خليج العقبة ... ان سيادتنا على مدخل الخليج لا تقبل المناقشة » (الاهرام ٦٧/٥/٢٣) واكد بأن المواد الاستراتيجية لا تستطيع المرور من الخليج حتى ولو كانت على سفن غير اسرائيلية ، وذلك تطبيقا لقواعد ما قبل حرب ١٩٥٦ . وهنا بدأت أول بوادر الخنق الاستراتيجي الذي لا تستطيع اسرائيل احتماله او السكوت عنه ، وتعتبره سببا كافيا لشن الحرب .

ولم يكن مخططو السياسة المصرية يجهلون هذه الحقيقة التي أبرزتها الاحداث الماضية وتصريحات الزعماء الاسرائيليين وتهديداتهم السافرة . ومن المعروف ان الزعماء الاسرائيليين وعوا قيمة ميناء ايلات والبحر الاحمر حتى قبل قيام دولة اسرائيل . ويقول

بن غوريون في كتابه **أعوام التحدي** « وكان هؤلاء يدعون لاستعادة هذا الميناء الذي هو أول ميناء يهودي في التاريخ . واثناء الحرب التي وقعت ضد العرب عام ١٩٤٨ لم يكن من الميسور بلوغ ميناء ايلات لانه يقع على رأس مثلث يسيطر العدو على ساقيه — الاردن من جهة ومصر من الجهة الاخرى . وكان هذا المثلث فخ الموت بالنسبة لاية قوة اسرائيلية تحاول الوصول اليه ...!! » وفي ٢٣ تموز ١٩٤٨ بعث بن غوريون الى وفد مستوطنات النقب رسالة حدد المهمات الاربع التي ترغب اسرائيل في تحقيقها ، وكانت احداها « الوصول الى ايلات واقامة ميناء فيها ومطار ومعسكر للجيش ومدينة ، واستيطان زراعي حولها » (باماحانيه ٢٦/١٠/٧١) . ويؤكد المؤرخون الاسرائيليون أن من أهم الاهداف التي تحققت في حرب ١٩٤٨ هو الوصول الى البحر الاحمر، واحتلال أم الرشراش — التي بنى الاسرائيليون في موقعها ميناء ايلات — وذلك بعد الهدنة الثانية ، وعلى اثر انسحاب مفاجيء غير مفهوم للقوات الاردنية التي كانت تأتمر بأمرة غلوب باشا . ويروي الصحفي موشي بيرلمان كيف وقف بن غوريون عند أم الرشراش في عام ١٩٤٨ وسرح بفكره طويلا ثم قال : « انني هنا احلم بأساطيل داوود تروح جيئة وذهابا لتربط بين الدولة اليهودية المرتقبة وبين شعوب اخرى عديدة » (الاهرام ٦/٩/ ١٩٧١) .

بيد أن وصول الاسرائيليين الى البحر وبناء ميناء ايلات لم يفتح امامهم أبواب البحر الاحمر لان المصريين عمدوا الى تسليح مضائق تيران واغلاق هذا الممر المائي أمام الملاحة الاسرائيلية . وفي ١٢ ايلول ١٩٥٥ شددت مصر الحصار بأن أصدرت قوانين لتنظيم الدخول من البحر الاحمر الى خليج العقبة ، وتحدد هذه القوانين « ضرورة اعلان السفن عن رغبتها بالدخول قبل ٩٢ ساعة . وان تحمل تصريحا من المكتب المصري الاقليمي المكلف بالاشراف على الحصار الاقتصادي على اسرائيل ومقره الاسكندرية »(٢) فكان هذا الموقف سببا من الاسباب التي دفعت اسرائيل الى التحالف مع فرنسا وبريطانيا ، والاشتراك بالعدوان الثلاثي (١٩٥٦) .

ولقد أعد العدو خطته لاحتلال شرم الشيخ منذ عام ١٩٥٥ . وتتلخص هذه الخطة بانزال كتيبة مظلات في شرم الشيخ ، على حين تتقدم كتيبتا مشاة محمولتان من اللواء جفعاتي — الذي كان بقيادة حاييم بارليف — وتسيران من ايلات بمحاذاة الشاطيء حتى تصلا الى شرم الشيخ . وفي حزيران ١٩٥٥ نفذت السلطات الاسرائيلية عملية يرقون الاستطلاعية التي قام بها مجموعة من الضباط والرقباء داخل سيناء وكانت مهمتهم كشف جزء من الطريق والتحقق من صلاحيته لسير آليات اللواء(٣). ثم نفذت اسرائيل بالفعل خطتها في عام ١٩٥٦ بأن دفعت لواء مشاة ميكانيكيا سار مع الشاطيء الغربي لخليج العقبة حتى بلغ شرم الشيخ ، وأخذ مواقعه في جزيرتي تيران وصنافير عند مدخل المضيق .

وفي ٦ تشرين الثاني ١٩٥٦ جرى في شرم الشيخ عرض عسكري تليت خلاله رسالة دافيد بن غوريون التي أكدت ان من اهداف حرب ١٩٥٦ « تأمين حرية الملاحة في المضائق وقناة السويس ايضا »(٤). ويتفق هذا القول مع ما اورده بن غوريون في كتابه **أعوام التحدي** من انه اخبر مجلس الوزراء الاسرائيلي قبل الزحف على سيناء ان الهدف من هذا الزحف لا يتمثل في « الاستيلاء على صحراء قاحلة بل فتح مضائق العقبة في وجه الملاحة ، مما يتيح لدولة اسرائيل اتصالا مباشرا مع البحر الاحمر والمحيط الهندي وقارتي أفريقيا وآسيا » . ولقد أكد ييغال آلون هذه الحقيقة الهامة عندما تحدث عن اسباب حرب ١٩٥٦ وبرر القيام بها بقوله : « ان الحظر المفروض على الملاحة الاسرائيلية في قناة السويس والبحر الاحمر ... كان في الحقيقة جزءا من حرب اقتصادية شاملة ضد اسرائيل . وبصفة خاصة فان الحصار حول ميناء ايلات على البحر الاحمر يجعل من المستحيل على نصف اسرائيل الجنوبي (النقب) — الذي تتركز فيه موارد البلاد المعدنية

الطبيعية — ان يتطور اقتصاديا »(٥). كما اكدها الجنرال عيزر وايزمن عندما حدد اهداف الحرب الاربعة ومنها «فتح قناة السويس وضمان حرية الملاحة في مضائق تيران» (ن م د ف ١٥/٧/١٩٧١) . ويروي كريستيان بينو — وزير خارجية فرنسا اثناء العدوان الثلاثي — في احدى مقالاته ان احد اهداف اسرائيل من حرب ١٩٥٦ كان فتح مضائق العقبة بغية شق طريق اسرائيل الى افريقيا . (الحياة ١٣/١١/١٩٦٦) .

وبالرغم من انسحاب القوات الاسرائيلية من سيناء وقطاع غزة في عام ١٩٥٧ تحت تأثير ضغط سوفييتي — امريكي مشترك فقد حقق العدو هدفا هاما من أهداف الحرب ، وتخلص من خطر الخنق الاستراتيجي القريب عندما وافقت مصر « على مرابطة قوة من البوليس الدولي في المناطق الحساسة ، بما في ذلك منطقة شرم الشيخ بمحاذاة مضائق تيران . والتزمت الدول البحرية بضمان حرية الملاحة ، بما في ذلك حرية الملاحة للسفن الاسرائيلية . وبالاضافة الى ذلك ، وعد الرئيس ايزنهاور (وان كان ذلك قد تم سرا) باستغلال مركزه من اجل فتح قناة السويس في وجه الملاحة الاسرائيلية »(٦).

ولم يكن الحديث عن استخدام قناة السويس كمنفذ الى افريقيا وآسيا جديدا على الاسرائيليين . فلقد حاولوا المرور عبر القناة منذ البداية استنادا الى البند الاول من اتفاقية القسطنطينية عام ١٨٨٨ الذي يحدد حرية الملاحة في القناة خلال السلم والحرب. ولقد تأمن لهم ذلك طالما ان القناة كانت تحت اشراف السلطات البريطانية . وفي ايلول ١٩٥٤ استخدم الاسرائيليون سفينة الشحن بيت جاليم القادمة من اريتريا كسفينة اختبار للملاحة الحرة بعد الاتفاقية المصرية — البريطانية للجلاء عن منطقة القناة فاحتجزها المصريون واسروا طاقمها(٧). وبعد حرب ١٩٥٦ واتفاقية ١٩٥٧ وانفتاح الملاحة الاسرائيلية على البحر الاحمر تابعت اسرائيل محاولاتها لاستغلال قناة السويس من طريق شحن بضائعها على بواخر أجنبية . فلقد مر عبر قناة السويس في سنتي ١٩٥٧ — ١٩٥٨ حوالي ٤٠ سفينة تستأجر أغلبها شركات ملاحة اسرائيلية . وفي عام ١٩٥٩ شددت السلطات المصرية الخناق على البواخر التي تحمل اعلام دول اجنبية وتنقل البضائع من اسرائيل واليها فأوقفت الناقلة الليبرية قفطين منوليس (٩ اذار ١٩٥٩) الذاهبة من حيفا الى سيلان وصادرت شحنتها . واوقفت في بور سعيد الباخرة الالمانية الغربية ليلوط (١٧ اذار ١٩٥٩) المتجهة من حيفا الى الشرق الاقصى وصادرت شحنتها ، وحجزت الباخرة الدانماركية أنجا طوفت (٢١ أيار ١٩٥٩) في بور سعيد ، مدة ٩ شهور حتى أفرغت البضائع التي تحملها من اسرائيل الى الشرق الاقصى كما حجزت الباخرة اليونانية اسطبليا (١٩ كانون الاول ١٩٥٩) التي تنقل صادرات اسرائيلية الى الشرق الاقصى(٨).

بيد ان محاولات اسرائيل المتكررة لفتح القناة أمام الملاحة الاسرائيلية لم تكن أبدا محاولات جادة للحصول على منفذ حيوي ، اذ لا تمثل القناة بالنسبة لها طريقا هاما او حتى متوسط الاهمية ، فهي تتصل مع أوروبا عن طريق حيفا وتتصل بأفريقيا وآسيا عن طريق ايلات ، ولا تفيدها القناة الا **لتسهيل** عمليات تصدير منتجات القسم الشمالي من البلاد الى افريقيا وآسيا واستيراد المواد الاولية اللازمة لهذا القسم . وليس لها أي تأثير على حركة المواصلات الاستراتيجية (استيراد المعدات والاسلحة من اوروبا او استيراد البترول من ايران) . ولهذا فاننا نلاحظ ان رد الاسرائيليين على اغلاق القناة أمام ملاحتهم كان يتسم دائما بالسمة **السياسية والدبلوماسية** مع محاولة الاعتماد على التعهدات والاتفاقات والمعاهدات وعلى رأسها معاهدة القسطنطينية ١٨٨٨ . على حين أن ردهم الفوري بالنسبة لفكرة اغلاق المضائق هو **التهديد بالحرب أو شنها بالفعل** .

ولقد كان هذا كله واضحا امام القاهرة في ايار ١٩٦٧ اذ ما ان اغلقت المضائق حتى توتر الوضع في اسرائيل الى أبعد حد ممكن ، فلقد حطم هذا العمل جميع مخططات اسرائيل

التجارية مع آسيا وافريقيا وازال من الوجود آخر ربح احتفظت به اسرائيل من حرب ١٩٥٦ . واعاد القبضة العربية لتسيطر من جديد على رئة اسرائيل الجنوبية (ايلات) وتضغط من جديد على قصبة التنفس الاستراتيجية الجنوبية . وفي ٢٣ ايار تحدث رئيس الوزارة الاسرائيلية ليفي اشكول امام الكنيست عن قرار ج. ع. م. لاغلاق خليج العقبة واعتبره « خرقا واضحا للقانون الدولي » ... و « اعتداء على اسرائيل » (الاهرام ٦٧/٥/٢٤).وذكر مصدر مسؤول في القدس المحتلة ان هذا القرار يعني «خنق اسرائيل» (الاهرام ٦٧/٥/٢٤) ونقلت اليونايتد برس عن مصادر مطلعة في القدس « ان اسرائيل ستحارب لفتح القناة » (الاهرام ٦٧/٥/٢٤) وردد زعماء العدو بجوقة واحدة « ليس أمام اسرائيل اي خيار . يجب علينا ان ندافع عن حقنا في حرية الملاحة بكل ما لدينا من وسائل » (معاريف ٦٧/٥/٢٣) . وان « اغلاق خليج العقبة ليس سوى جزء من خطة مصر لتدمير اسرائيل ». وفي ٦٧/٥/٢٧ ذكر مسؤول اسرائيلي كبير لمراسل رويتر « أن اغلاق الخليج هو بداية سياسة شاملة لازالة اسرائيل » (الاهرام ٦٧/٥/٢٨) ووصلت الازمة الى نقطة اللاعودة . ولم يعد السؤال هل ستجري الحرب ؟ بل متى ستقع الحرب ؟ ويذكر العميد شلومو آرال قائد سلاح البحرية الاسرائيلية « وزادت الحالة خطورة بعد قفل مضائق تيران من قبل المصريين تلك الخطوة التي حولت المواصلات البحرية الى موضوع رئيسي زاد من حدة التوتر »(٩).

وحتى يوم ٢٦ لم تحاول اية باخرة اسرائيلية الاقتراب من المضائق . وصدرت الاوامر لكافة السفن الماخرة في عرض البحر بابطاء سرعتها والانتظار . وحولت السلطات الاسرائيلية باخرتين تابعتين لشركة تسيم وطلبت منهما التوجه نحو جنوب افريقيا (الاهرام ٦٧/٥/٢٦) . ولم تستبعد اسرائيل استخدام بواخر مدنية لاختبار الحصار المصري ، ويقول العميد شلومو آرال بهذا الصدد « وفي فترة الاستعداد كان على الاسطول ان يقتحم الحصار المضروب حول تيران . واحضرت سفينتان تجاريتان الى ميناء ماسادا الموجود في اثيوبيا ... وتم تزويدهما بالاطقم بواسطة السلاح البحري ، واعدتا لتكونا سفينتي أختبار للمرور في مضائق تيران . ولقد الغيت هذه المهمة عندما تم احتلال المضائق »(١٠).

وتحركت الدول الامبريالية لدعم اسرائيل في الحفاظ على الوضع الراهن Status - quo المبني على نتائج حرب ١٩٥٦ ، وحذرت الولايات المتحدة بأنها تؤيد حرية الملاحة في مضائق تيران . وتؤيد حرية تحرك جميع الدول في هذه المضائق التي تحرس البحر الاحمر.واعلنت على لسان احد موظفي وزارة الخارجية امام المؤتمر القومي للسياسة الخارجية الذي يحضره رجال الصحافة والاذاعة « انها تعتبر هذا المضيق ممرا دوليا ، وتنظر للامر نظرة خطرة لو ان اية دولة حاولت غلقه » (الاهرام ٦٧/٥/٢٣) .

في يوم ٥/٢٧ تناقلت وكالات الانباء نبأ احتمال اختبار الحصار عند وصول بترول ايراني على بواخر تحمل علم ليبريا . بيد ان هذه الوكالات لم تلبث ان اكدت في ٥/٢٩ ان باخرة امريكية تحمل علم ليبريا اتجهت نحو المضائق ثم عادت بعد القصف التهديدي من مدفعية خفر السواحل (الاهرام ٦٧/٥/٣٠) . وفكرت الدول الامبريالية البحرية بممارسة ضغوط فعالة على القاهرة لاجبارها على التراجع عن موقفها بالنسبة للملاحة . وكانت النوايا في هذه الدول تتجه الى ما يلي : ١) اعتبار مضائق تيران ممرات دولية لا يمكن اغلاقها أمام الملاحة ، ٢) القيام بضغط سياسي على مصر ، ٣) تهديد مصر ماليا واقتصاديا ، ٤) تشكيل قوة بحرية دولية لحماية السفن المتجهة الى اسرائيل ، ٥) اختراق الحصار وفق خطة « رغاتا » Reggata الامريكية اذا ما رفضت مصر الخضوع لكل الضغوط .

ولقد استندت الضغوط الغربية على اتفاقات ١٩٥٧ التي انسحب الاسرائيليون بموجبها

من سيناء ، اي على الجائزة التي حصل عليها المعتدي الاسرائيلي لمكافأته على عدوانه في عام ١٩٥٦ — وهي جائزة باطلة لانها جاءت كوضع راهن باطل ناجم عن عمل باطل «ولا ينجم عن العمل الباطل [قانونيا] الا باطل . ولا بقاء لباطل» — وصمدت القاهرة أمام الضغط . وبدا الموقف المصري حازما في المؤتمر الصحفي الذي عقده الرئيس عبد الناصر في يوم ٢٨ ، واعلن فيه أن اغلاق المضائق هو « تصحيح للاوضاع » التي نجمت عن حرب ١٩٥٦ . واكدت مصر موقفها ازاء محاولات الدول البحرية الامبريالية عندما نشرت صحيفة الاهرام شبه الرسمية بأن « أية دولة تحاول اقتحام خليج العقبة بالقوة تقوم بعمل عدواني ضد ج. ع. م. ويحق لـ ج. ع. م. بمقتضى معاهدة القسطنطينية عام ١٨٨٨ منعها من استعمال قناة السويس » (الاهرام ٦٧/٦/٢) . وفي الوقت الذي كانت الدول البحرية تستعد فيه لاتخاذ قرار جماعي صعد الرئيس عبد الناصر الموقف الى حدوده القصوى ، واعلن في احتفال توقيع انضمام العراق الى اتفاقية الدفاع المشترك في ٦٧/٦/٤ « لن نعترف بأي بيان تصدره الدول البحرية عن أي حق لاسرائيل في استعمال خليج العقبة ، وسنعتبر مثل هذا البيان عملا عدوانيا ومقدمة للحرب » (الاهرام ١٩٦٧/٦/٥) . وهكذا تمسك الرئيس عبد الناصر بخطوته الاستراتيجية غير المباشرة ، وقرر الاحتفاظ بهذا الكسب المحمي بقوات مسلحة برية محتشدة في سيناء ، وقوات جوية منتشرة في مطارات سيناء ومطارات ج. ع. م. وبدا غير مستعد لتقديم التنازلات أو الخضوع للضغوط من أي نوع كانت . وأصبح الخنق الاستراتيجي **القريب** حقيقة ملموسة ومدعومة بالقوة .

وبالرغم من استمرار المحاولات الدبلوماسية الغربية المتعددة ووجود أمل ضعيف جدا بامكان التوصل الى صيغة ملائمة لتخفيف حدة التوتر فقد اعتبرت اسرائيل ان الموقف المصري عبارة عن « **اعلان حرب** » . ولقد عبر جدعون روفائيل مندوب اسرائيل في مجلس الامن عن هذا الرأي في جلسة مجلس الامن بتاريخ ٦٧/٦/٣ بقوله « ان قطع هذا الشريان يعتبر عملا مساويا في خطورته لبتر جزء من اراضينا » (الاهرام ٦٧/٦/٤). وجاءت أقوال ييغال آلون أكثر وضوحا عندما ذكر في مؤتمر عام « ان عبد الناصر أعلن الحرب علينا فعلا ونحن اليوم نريد رفع الحصار » (الاهرام ٦٧/٦/٤) . ولآلون رأي محدد بالنسبة لاغلاق مضائق تيران وأسلوب الرد عليه شرحه في كتابه **الستار الرملي** (ص ١٤) عندما قال : « فمن ناحية القانون الدولي ، ومن ناحية التمرس السياسي تحملت مصر مسئولية بدء العمل العدواني منذ الساعة التي أغلقت فيها المضائق بتصريح علني . ولم تكن هناك ضرورة لطلقة مصرية اولى لكي تثبت مصر عدوانها . وكان من الواضح ان ربط ساعة الصفر الاسرائيلية بسفينة اسرائيلية تقوم باختبار الحصار المفروض على المضائق يعتبر اعلانا اسرائيليا للقيادة المصرية بالساعة التي ستبدأ فيها العملية الاسرائيلية ، فيضيع بذلك عنصر المفاجأة » ولقد أعاد آلون طرح هذا الرأي في كتابه **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** (ص ١٨٧) عندما قال : « ان اغلاق مضائق تيران في وجه الملاحة الاسرائيلية سيعتبر (عملا من أعمال الحرب السافرة) وانه (من وجهة نظر الاستراتيجية الحيوية يجب ألا تقوم اسرائيل بالاشتباك في حرب دفاعية « مرتبطة » بمسرح بعينه — مثل منطقة مضائق تيران — أو بموعد معين — مثل الموعد الفعلي للاغلاق — يختارهما الحاكم المصري ... فمن الواضح انه سيحاول اختيار الزمان والمكان الانسب له وغير المناسبين لاسرائيل . ولا توجد غلطة اكبر من السماح للعدو بأن يفرض مكان الفعل وزمانه ... وبالتالي أسلوبه . ان اغلاق مضائق تيران ليس عملا محليا يستدعي مجرد رد فعل محلي . انه يصل الى حد اعلان الحرب الذي يسمح لاسرائيل بأن تحدد مكان ومدى وساعة الصفر لعملها) » . ويذكر الجنرال

يشعياهو جافيش « اعلن ناصر اغلاق مضائق تيران لمنع الملاحة الى ايلات . وهكذا بدأ حاكم مصر الاعمال العدوانية ضد اسرائيل »(١١).

وبالرغم من الضجة الاسرائيلية حول « عدوانية ! » اغلاق المضائق واعتباره بمثابة « اعلان الحرب » من جانب ج. ع. م. فان من المؤكد ان هذا العمل لم يكن السبب الوحيد الكامن وراء حرب ١٩٦٧ . فلقد خطط الاسرائيليون لهذه الحرب منذ أمد بعيد بناء على دوافع اقتصادية وديموغرافية وتوسعية ومائية وحددوا أهدافها الاستراتيجية (التوسعية والامنية) وأعدوا القوى اللازمة لتحقيق هذه الاهداف ، وانتظروا الوضع الملائم لهم على الصعيدين العربي والدولي بغية تحديد ساعة الصفر الافضل لشن حرب ظافرة . ولم يكن اغلاق خليج العقبة أمام الملاحة — كما يقول الجنرال متتياهو بيلد — سوى « ذريعة للحرب »(١٢) [Casus Belli] وان كانت هذه الذريعة أهم من الذرائع الاخرى (حشد القوات في سيناء ، توقيع الدفاع العربي المشترك ، تزايد نشاط الفدائيين في شمال البلاد ... الخ) في كسب المناورة السياسية الخارجية على الصعيد العالمي .

ويؤكد هذا الراي كل من حاييم بارليف واسحاق رابين ، فلقد صرح بارليف في مقابلة مع صحيفة يديعوت احرونوت في ٧٢/٦/٢ « أن اللحظة الحرجة بحسب رأيي هي اغلاق المضائق ... لان دخول الجيش المصري الى سيناء لم يكن سببا شرعيا لاعلان الحرب » (نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ٧٢/٦/١٦) . كما صرح اسحاق رابين في مقابلة مع صحيفة معاريف في ٧٢/٦/٢ « حتى اغلاق المضائق كان بالامكان ارجاع العجلة الى وراء ... واذا لم تكن اسرائيل ملزمة عمليا باتخاذ اي قرار عدا اتخاذ الاحتياطات لتكون مستعدة لكل طارىء ، فانه منذ فرض الحصار اصبح الامر عملا عدائيا ضد اسرائيل أجبرها على القتال » (ن. م. د. ف ٧٢/٦/١٦) . ولا يخفي ابا ايبان ان قرار البدء بشن الحرب — تنفيذا لقرار الحرب المتخذ سابقا — قد اتخذ فور الحصول على ذريعة الحرب [Casus Belli] فهو يقول في مقابلته مع صحيفة معاريف في ٧٢/٦/٢ : حذرت الدول الغربية في ١٨ و ١٩ و ٢٠ أيار ١٩٦٧ من نتائج فرض حصار مصري على مضائق تيران ولكن « الحصار فرض في ٢٢ ايار . وكان واضحا لكل أولئك الذين اشتركوا في المشاورات في اليوم التالي في تل ابيب ... ان فرض الحصار يعني ان الحرب واقعة لا محالة — الا اذا حدثت معجزة والغاه ناصر » (ن م د ف ٧٢/٦/١٦) . ولكن كل من يعرفون حقيقة شخصية الرئيس عبد الناصر — ومن بينهم ايبان وبقية زعماء اسرائيل السياسيين والعسكريين — كانوا يعرفون ان هذا الالغاء مستحيل ، وان المعجزة لن تقع . اي أن الحرب قائمة لا محالة . وان الذي سيشنها هو اسرائيل لا ج. ع. م. لان القاهرة كانت تفضل آنذاك الحفاظ على **الوضع الراهن الجديد** الذي يلائمها سياسيا واستراتيجيا . وتحاول ابقاء **الامر الواقع المفروض من قبلها** حتى لو اضطرها ذلك الى الاشتباك بمعركة دفاعية او معركة هجومية محدودة . على حين كانت تل أبيب ترفض هذا الوضع الجديد ولا تتمكن من احتماله ، ولكنها لا تستطيع تبديله وتحطيم الامر **الواقع المفروض** الا بشن حرب هجومية واسعة النطاق تدمر جميع القوات المسلحة المصرية المحتشدة في سيناء أو تجبرها على التراجع حتى قناة السويس . ويؤكد هذا التحليل لاهداف الطرفين الاستراتيجية خطأ الفكرة التي طرحها بعض العسكريين العرب بعد حرب ١٩٦٧ ، والقائلة بأنه كان على مصر أن تحشد كبد قواتها على الضفة الغربية وراء القناة ، او على الضفة الشرقية قرب القناة ، وأن تترك ستارة ضعيفة من القوات البرية على الحدود المصرية — الاسرائيلية ، لان مثل هذا الحشد الذي يتحدثون عنه كان يعني السماح لقوات العدو بالوصول الى شرم الشيخ برا وبحرا ، ويسمح لها بتحقيق هدف هام من أهداف الحرب . وهو هدف كبير على مستوى الاستراتيجية العليا للدولة ، يؤدي ضياعه الى افقاد ضربة الرئيس

عبدالناصر الاستراتيجية غير المباشرة كل معناها ، ويفك القبضة المصرية عن قصبة التنفس الاسرائيلية الجنوبية ، ويسمح للرئة ايلات بالعودة الى العمل بصورة طبيعية ، وكأن الحشد المصري لم يكن .

ولم تبدأ اسرائيل هجومها العسكري في صبيحة ٥ حزيران ١٩٦٧ الا بعد ان طورت مناورتها السياسية الخارجية الى أبعد مدى مستخدمة مسألة فتح المضائق الحيوية لحياتها ، ومستغلة التصريحات العربية المتعلقة بوجود الكيان الاسرائيلي كله . وكانت دعايتها السياسية الموجهة الى العالم مبنية على النقاط التالية : ١) ان وجود دولة اسرائيل مهدد بخطر عربي ساحق ، ٢) ان اغلاق المضائق عمل يتنافى مع قوانين الملاحة الدولية ، ٣) ان اغلاق ميناء ايلات يخنق اسرائيل اقتصاديا ويحرمها من التجارة مع آسيا وأفريقيا ، ويمنع عنها البترول اللازم لحياتها ، ٤) ان اغلاق ميناء ايلات سيؤخر سرعة تطور القسم الجنوبي من البلاد وتعمير صحراء النقب واسكانها ، ٥) ان في الخطوة المصرية خرقا للاتفاقات التي وقعتها مصر في عام ١٩٥٧ ، ٦) ان الخطوة المصرية تتجاهل تعهدات الدول الكبرى الخاصة بحرية الملاحة في المضائق . وكان من أبرز مظاهر المناورة السياسية الخارجية سفر أبا ايبان الى الولايات المتحدة لاستطلاع رأيها بالنسبة لتعهداتها الخاصة بحرية الملاحة في المضائق . ولقد أكد له جونسون « انه يستطيع ان يؤكد للحكومة الاسرائيلية انه سيتخذ بقوة كل اجراء ممكن لابقاء المضائق مفتوحة » (معاريف ٧٢/٦/٢) . ووقفت بريطانيا موقفا مشابها للموقف الامريكي واعتبرت ان فرض الحصار على المضائق يعتبر « تحديا مثيرا » لاسرائيل . أما الجنرال ديغول فقد اعتبر ان اندلاع الحرب بسبب المضائق سيكون بداية حرب عالمية . انه « لم يتنكر ابدا لحقيقة ان تعهدا فرنسيا أعطي في سنة ١٩٥٧ ، لكنه قال : لقد تغير الزمن . التعهدات لا تعتبر ابدا مطلقة » (معاريف ٧٢/٦/٢) .

وبعد ان اتخذت الحكومة الاسرائيلية قرار **بدء الحرب** ، المعتمد على **قرار الحرب** السابق ووجود **ذريعة الحرب** حددت يوم ٥ حزيران لبدء العمليات العسكرية التي اطلقت عليها اسم « الهجوم المضاد المسبق » . ولقد تم هذا التحديد بناء على عوامل متعددة بعضها **تأخيري** والبعض الاخر **استباقي** .

وتتمثل **العوامل التأخيرية** في : ١) اعطاء الاجهزة الدبلوماسية والسياسية الفرصة الملائمة لكسب **المناورتين السياسيتين الداخلية والخارجية** . ٢) اعطاء الاجهزة العسكرية الزمن اللازم **للحشد** شريطة ان لا يكون هذا الزمن أطول مما ينبغي ، ٣) السماح لاكبر عدد ممكن من القوات المصرية من عبور القناة ، ويقول آلون بهذا الصدد « وقد رؤي بصورة عامة انه يجب ان يترك العدو يحشد قواته لاطول فترة ممكنة لاعطاء اسرائيل أفضل الفرص لتحطيم الجزء الاكبر من جيشه »(١٣).

اما **العوامل الاستباقية** فهي : ١) الهجوم قبل ان تتوصل الدول البحرية الى تنفيذ تعهدات ١٩٥٧ او الضغط على مصر لاجبارها على تطبيق اتفاقات ١٩٥٧ الخاصة بحرية الملاحة في المضائق تحت اشراف الامم المتحدة ، الامر الذي يحرم اسرائيل من فرصة استغلال **ذريعة الحرب** التي سنحت أمامها ، وقد لا تسنح مرة اخرى قبل زمن طويل ، ٢) الهجوم قبل استكمال التنسيق المصري ــ الاردني ــ السوري ، وقبل استكمال الحشد العربي بوصول القوات العراقية التي تحركت باتجاه الاردن ، ٣) استباق اية عملية مصرية ــ اردنية تخلق وضعا راهنا جديدا يتمثل في **عزل النقب واحتلال ايلات** . ويقول ييغال آلون « خطط المصريون كما يبدو بالتعاون مع الاردنيين في عملية محلية لعزل النقب واحتلال ايلات بحركة كماشة مدرعة من سيناء ومن العقبة بمعاونة القطع البحرية المصرية في البحر الاحمر ... ويجب ان لا نستبعد من الاحتمالات احتمال أنهم أملوا في ان يؤدي احتلال ايلات الى الغاء ضرورة الملاحة الاسرائيلية في البحر الاحمر .

ومن هنا تكون الدول البحرية معفاة من التزاماتها حول حرية الملاحة في مضائق تيران»(١٤) ويذكر كتاب معهد « شيلواح » السنوي الخاص بأحداث ١٩٦٧ [ميدل ايست ريكورد] : « كان عبد الناصر يسعى لفصل ايلات . ولم يكن ليبقى في مكانه في الخامس من حزيران لو لم تتدخل اسرائيل » . ويقول البروفسور ديشون احد كبار باحثي المعهد في الكتاب نفسه « ان اعادة تتبع خطوات وتصريحات عبد الناصر خلال شهر ايار ١٩٦٧ ، توضح انه كان ينظر الى احتفاظ اسرائيل بايلات على انه عمل غير شرعي . وكان ينوي القيام بعملية عسكرية محدودة لفصل منطقة ايلات عن اسرائيل كاستمرار لعملية اغلاق مضائق تيران » ، ٤) استباق توزيع القوات المصرية المحتشدة في سيناء وتنظيمها . ويقول آلون بأنه كان يرى في تلك الفترة ان على اسرائيل « ان تهاجم عندما يكون العدو قد حشد اكبر قسم من قواته في سيناء . ولكن لم يكن لديه الوقت الكافي لتوزيعها وتنظيمها بصورة سليمة . ان هذه هي اللحظة المناسبة لسحق قوات العدو بالحد الادنى للخسائر من جانبنا »(١٥).

هناك راي شائع يقول بأن اغلاق المضائق كان **سببا** حرب ١٩٦٧ وراي اخر يؤكد بأن هذا العمل كان **ذريعة** الحرب . ولعل التحليل السابق قد كشف لنا انها كانت من الجهة الاسرائيلية **سببا من الاسباب** العديدة التي دفعت الى شن الحرب غير العادلة ، كما كانت في الوقت نفسه **الذريعة** الدولية لوضع الآلة الحربية موضع العمل . اما من الجهة العربية فهي ضربة استراتيجية غير مباشرة وخنق استراتيجي قريب مغطى بحشد عسكري ظنه مخططو السياسة العربية كافيا لردع اسرائيل او للاشتباك معها في حرب دفاعية — هجومية محلية عادلة ، ثم جاءت الاحداث لتثبت انه كان غير كاف للقيام بهذه المهمة . واذا كان الخطأ في تقييم حجم الردع الناجم عن القوة العسكرية المحتشدة هو خطأ السياسيين الذين لم يحسنوا الموازنة بين الخطر الذي يمكن ان تتعرض له اسرائيل اذا ما شنت الحرب والخطر الذي تتعرض له اذا ما تخلت عن « هدف الرهان » الثمين (الرئة الجنوبية)، ولم يقدروا ان الخطر الثاني هو الاكبر بما لا يقبل الجدل،ولم يستنتجوا من ذلك ان الحرب قائمة بالفعل ، فان عدم تمكن القوات المحتشدة من الدفاع عن هدف الاستراتيجية العليا رغم ان موازين القوى المادية كانت تسمح بذلك [راجع مقدمة مقال محمود عزمي « خبرات معارك رفح — غزة في حرب ١٩٦٧ » في هذا العدد] هو خطأ العسكريين وحدهم . ويمكننا ان نخفف مسئولية السياسيين اذا قلنا بأن القرار السياسي اخذ مع وجود احتمالين هما : **الردع** او **الدفاع** على الاقل لحماية الربح المحقق في الجولة الاولى وكلاهما مبنيان على تقديرات غير صحيحة قدمها العسكريون عن قدرة القوات المحتشدة على الردع او على الدفاع عند اللزوم . اي انهما مبنيان على موازين القوى بالمعنى الشامل للقوى (المادية والمعنوية والتدريبية والتقنية الخ) كما قدرها العسكريون . وليس للعسكريين في هذا المجال سوى عذر واحد هو انهم طلبوا تسديد الضربة الاولى فمنعوا من ذلك . ولكن لو ان التدريب والمعنويات واستيعاب السلاح في قوات الطرفين كانت متشابهة ، او لو انها كانت لدى الجانب المصري اضعف بقليل مما هي عليه لدى الجانب المعادي لكانت القوى المادية المصرية كافية لصد الضربة الاولى رغم كل مفاجأة . ولكن نتائج العمليات دلت على ان العوامل المختلفة [عدا العامل المادي] كانت متباينة بشكل خلخل ميزان القوى وحرم القوة المادية المصرية من القدرة الدفاعية رغم حجمها المادي الكافي [نظريا] للدفاع .

لقد كانت المضائق في عامي ٥٦ و ٦٧ على رأس قائمة الاهداف التي اندلعت المعارك من اجلها . فما هو الموقف اليوم ؟ ان اسرائيل تصرح بأنها ترفض التخلي عن شرم الشيخ بغية ابقاء مداخل ميناء ايلات حرة أمام الملاحة الاسرائيلية . ففي ٢٣ تشرين الاول ١٩٧١ اعلن وزير الشرطة شلومو هيلل ان « اي مجهود دبلوماسي لحمل اسرائيل على الانسحاب من شرم الشيخ هو مضيعة للوقت لان هذا الموقع يشكل الضمانة الوحيدة

لحرية مرور السفن الاسرائيلية الى خليج العقبة » (و . ص . ف ـــ تل ابيب) . ونقلت وكالات الانباء العالمية في مطلع اذار ١٩٧٣ ان غولدا مايير أعلنت « ان اسرائيل يمكن ان تنسحب من الاراضي العربية التي احتلتها في حرب حزيران ١٩٦٧ باستثناء مرتفعات الجولان السورية وشرم الشيخ في سيناء » ... « اننا ندرك أهمية قناة السويس بالنسبة الى مصر ، ولكن مصر يجب أن تدرك قيمة شرم الشيخ بالنسبة الى اسرائيل . ان شرم الشيخ لا أهمية لها بالنسبة لمصر ، لكنها مهمة بالنسبة لنا ولاتصالاتنا البحرية مع الشرق » (النهار ١٩٧٣/٣/٢) . ولا يكتفي الاسرائيليون بالمطالبة بشرم الشيخ بل يطالبون بطريق بري من ايلات الى شرم الشيخ . ففي ٧٣/٣/٢٧ قال وزير المواصلات شمعون بيرس اثناء حفلة تدشين ورشة طيران جديدة في شرم الشيخ « ان مصير هذا المكان لن يتقرر بالمدافع بل بالجرارات ... انه لن يكون تغيير ولن يحصل انسحاب من شرم الشيخ . وانه ينبغي انشاء المستوطنات على طول القطاع الساحلي حتى اوفيرا » (ر . أ . أ . ٧٣/٣/٢٨) . ويرفض الاسرائيليون الانسحاب من شرم الشيخ مع ضمانة الدول الكبرى لحرية الملاحة ، ويقولون انهم لا يثقون بمثل هذه الضمانات ولا يودون تكرار تجربة ١٩٦٧ ويعتبرون ان الوجود العسكري في شرم الشيخ وعلى خط محدد داخل سيناء يغطي شرم الشيخ هو الضمانة الوحيدة في المستقبل . وتصطدم هذه الرغبة اصطداما مباشرا مع سيادة جمهورية مصر العربية على اراضيها الامر الذي يجعل القاهرة تتصلب في موقفها بالنسبة لشرم الشيخ مع تساهلها بالنسبة لمسألة حرية الملاحة . ففي حديث للرئيس السادات مع نيوزويك طرح مراسل المجلة سؤالا يتعلق باشارة غولدا مايير الى « ان الداعي الوحيد لامن اسرائيل في سيناء هو منطقة شرم الشيخ » فكان جواب الرئيس السادات : « اننا سنوافق على أي شيء بالنسبة لشرم الشيخ ، وعلى ضمان حرية الملاحة . ولكننا لن نوافق على احتلال اسرائيلي . اننا سنعطيها للمجتمع الدولي تحت اية صيغة يرونها مقبولة ـــ الى الخمسة الكبار في مجلس الامن بما في ذلك الصين ، بقواتهم أو بقوات محايدة وتحت ضماناتهم . ماذا تستطيع ان تطلبه مني اكثر من ذلك ؟ ولكن ان تبقى القوات الاسرائيلية رائحة غادية كما يحلو لها في منطقة الشرم فذلك أمر ليس محل نقاش » (نيوزويك عدد ١٩٧٣/٤/٩) .

لقد اندلعت الحرب على رمال سيناء مرتين لفتح الملاحة الى ايلات ، ومنع الخنق الاستراتيجي عند شرم الشيخ . ولكن هل ينبغي ان يكون الخنق قريبا دائما ؟ ان الضغط على قصبة التنفس الاستراتيجية الجنوبية ممكن في كل نقطة من نقاط البحر الاحمر ، وشمال مضيق باب المندب وجنوبه ، وعند المضيق نفسه . وبالرغم من تبجح اسرائيل بقدرتها على حماية الملاحة في البحر الاحمر عن طريق قواتها البحرية الجديدة وطائراتها التي تزود بالوقود في الجو فان القدرة البحرية العربية متفوقة على البحرية الاسرائيلية بمراحل ولن تستطيع الطائرات المقاتلة الاسرائيلية عند باب المندب وعلى بعد ١٢٠٠ ـــ ١٢٠٠ ميل من مطاراتها مجابهة الطائرات المقاتلة العربية التي تنطلق من مطارات موجودة في جنوب مصر او في السودان او في اليمن (الشمالي والجنوبي) لان عدد طائرات ستراتوكروزر الاسرائيلية المخصصة لتموين طائرات السكاي هوك محدود جدا [تقول نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ٧٢/٥/١ عن مجلة القوات المسلحة الامريكية أن لدى اسرائيل ٦ طائرات ستراتوكروزر للتموين . ولكن نشرة معهد الدراسات الاستراتيجية The Military Balance 1972-1973 تقول بأن لدى اسرائيل ١٠ طائرات ستراتوكروزر منها طائرتان فقط لنقل الوقود والعدد في التقديرين صغير جدا بالنسبة للمهمة] . كما ان بعد محطات الرادار الاسرائيلية وقرب محطات الرادار العربية سيجعل المعارك الجوية تدور لصالح الطيران العربي حتما . ومن هنا جاءت رغبة اسرائيل الملحة في التعاون مع الحبشة ومع القواعد الامريكية المنتشرة في البحر الاحمر رغم زيارات الامبراطور هيلاسيلاسي المتكررة للدول العربية(١٦) ورغم تعهدات

الحبشة المستمرة بأنها « لن تقف أبدا ضد العرب بسبب روابطها الخالدة مع العرب »(١٧).

لقد كان ميناء ايلات دائما رئة هامة لاسرائيل . ولكن اهميته اليوم اكبر من ذي قبل ، وخاصة بعد اكتمال انشاء خط أنابيب البترول ـ ايلات ـ عسقلان الذي سترتفع طاقته في عام ١٩٧٤ حتى ٦٠ مليون طن . ومهما كانت اهمية ايلات لتأمين « التجارة مع الشرق » كبيرة فان أهميتها الاستراتيجية اليوم اكبر من اهميتها الاقتصادية . ومهما كان اهتمام اسرائيل الاقتصادي بافريقيا كبيرا فان اهتمامها اليوم بشرق افريقيا يحمل طابعا استراتيجيا . ويلاحظ المراقبون ان تغلغل اسرائيل في افريقيا يتمحور حول محاور جديدة « فلقد تبدل تسلسل الافضليات . وتقدمت المتطلبات الاستراتيجية على المتطلبات الاقتصادية . لذا تم تجاهل افريقيا الغربية لصالح افريقيا الشرقية التي يمكن ان تغدو خط تحديد جديد اسرائيلي ـ عربي » L'Orient Le Jour 8/9/71. خاصة وان بلدان افريقيا الشرقية وسواحلها المشرفة على شمال مضيق باب المندب وجنوبه هي الاماكن الوحيدة التي تستطيع اسرائيل منها حماية الملاحة في البحر الاحمر ومنع اي خنق استراتيجي بعيد .

ان القوة البحرية العربية قادرة على تحقيق هذا الخنق . فاذا قارنا قوة اسرائيل البحرية مع قوتي مصر وسورية البحريتين [على اعتبار ان البحرية الاسرائيلية موزعة بين البحرين الابيض والمتوسط والاحمر] لوجدنا تفوق العرب البحري الساحق(١٨) رغم مبالغات الدعاية الاسرائيلية وتضخيمها لصناعتها البحرية (قوارب ساعار ، صواريخ غبرييل ... الخ) . ولكن التفوق البحري وحده لا يكفي فلقد كانت البحريتان المصرية والسورية متفوقتين(١٩) في حرب ١٩٦٧ ولم تحققا الخنق البعيد لان اسرائيل سددت الضربة الحاسمة في مكان اخر ولم تسمح باطالة أمد الحرب . وتأمل اسرائيل في المستقبل أن تمنع اي خنق استراتيجي بحري بضربات توجه الى مسارح العمليات البرية بشكل ينهي الصراع بسرعة وينهي بالتالي امكانية تحقيق الخنق . لذا فان من المتعذر على القوات البحرية العربية أن تمارس أية عملية غير مباشرة وان تستخدم الخنق البعيد الا اذا كانت القوات العربية البرية والجوية قادرة على الهجوم او الدفاع على الاقل في مسارح العمليات البرية . وهذا مثال واضح عن قدرة الدفاع على تعزيز الهجوم ، وعن انقلاب أية قوة دفاعية الى قوة هجومية كامنة في مسرح العمليات نفسه او بالنسبة لمسارح العمليات الاخرى .

لقد فتح الرئيس عبد الناصر آفاق الخنق الاستراتيجي القريب في ايار ١٩٦٧ ثم كانت الحرب ، وضاع الكسب الذي حققه ، وتسعى القاهرة اليوم جادة للعودة في شرم الشيخ الى اوضاع ما قبل ٢٢ ايار ١٩٦٧ بضمانات دولية . ولكن آفاق الخنق الاستراتيجي البعيد مفتوحة على مصراعيها أمام الاستراتيجيين العرب في الجولات المصيرية المقبلة . ومقتل اسرائيل هو ضعف سلاحها البحري وحساسية قصبات تنفسها الطويلتين ، ولكنها تغطي هذا المقتل بوجود ثغرات في الدرع الدفاعي العربي على جبهات المواجهة . وعندما يكون الدرع ضعيفا يصاب السيف بالشلل ، وكلما قوي الدرع وازداد مناعة أصبح بوسع السيف ان يقطع قصبات التنفس بحرية أكبر .

---

١ ـ العميد الركن عزيز الاحدب « **اليوم السابع لحرب حزيران** » الدار الشرقية للطباعة والنشر، ص ١٤٩ .

٢ ـ افرايم تشلمي « **حروب اسرائيل ١٩٤٩ ـ ١٩٦٩** » ، نسخة مترجمة عن العبرية في مكتبة مركز الابحاث الفلسطينية .

٣ ـ **المرجع السابق** .

٤ ـ **المرجع السابق** .

٥ ـ ييغال آلون « **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** » ، دار العودة ، ص ١٥٦ .

٦ ـ ييغال آلون « **الستار الرملي** » ، ص ٥٧ من النسخة المترجمة في مركز التخطيط .

٧ — افرايم تشلمي « **حروب اسرائيل ١٩٤٩ — ١٩٦٩** » .

٨ — **المرجع السابق** .

٩ — **المرجع السابق** .

١٠ — **المرجع السابق** .

١١ — **المرجع السابق** .

١٢ — Le Monde نقلا عن معاريف ٧٢/٣/٢٩.

١٣ — ييغال آلون « **انشـاء وتكويـن الجيش الاسرائيلي** » .

١٤ — ييغال آلون « **الستار الرملي** » ، ص ١٥.

١٥ — ييغـال آلون « **انشـاء وتكويـن الجيش الاسرائيلي** » ، ص ٢٠٢

١٦ — زار الامبراطور هيلاسيلاسي مصر ولبنان والكويت والاردن في عـام ١٩٦٦ ، ثم زار السودان في عام ١٩٦٧ ومصر في عام ١٩٦٩ و١٩٧٠ . ومصر في عام ١٩٧٣ .

١٧ — من خطاب الامبراطور هيلاسيلاسي في الكويت في عام ١٩٦٦ (المحرر ١٠ تشرين الاول ١٩٦٦) .

١٨ — **القوات البحرية ١٩٧٢ — ١٩٧٣** (المرجع The Military Balance 1972-1973

	اسرائيل	مصر وسوريا
مدمرات	٢	٥
غواصات	٢	١٢
زوارق دورية سريعة	١٢	١٨
مع صواريخ سطح		مع صواريخ سطح
— سطح غبريل		— سطح ستيكس
طوربيدات	٤	—
زوارق دورية صغيرة	١٢	٣٢
زوارق انزال	١٠	١٢
مطاردات غواصات	—	١٢
سفن حربية	—	٢
كاسحات الغام للاسطول	—	١١
كاسحات الغام على الشواطىء	—	٢
زوارق دورية سواحل	—	٢

(واحدة قيد التجهيز)

١٩ — **القوات البحرية في حرب ١٩٦٧** (المرجع : **حروب اسرائيل ١٩٤٩ — ١٩٦٩** — افرايم تشلمي) .

	اسرائيل	مصر وسوريا
مدمرات	٣	٧
غواصات	٢	١٢
حاملات صواريخ	—	٢٤
سفن ضد الغواصات	١	١٥
طوربيدات	١٢	٥٠

خبرات معارك « رفح ــ غزة » في حرب ١٩٦٧

محمود عزمي

استحوذت الضربة الجوية المفاجئة التي قام بها الطيران الاسرائيلي صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ ضد القواعد الجوية المصرية ، على القسط الاكبر من اهتمام من تناولوا احداث حرب ١٩٦٧ بالبحث أو التعليق ، نظرا للنتائج الاستراتيجية التي ترتبت عليها في تقرير مجرى الحرب كلها .

ونتج عن هذا التركيز المبالغ فيه على ضربة الطيران ان توارت الصورة الحقيقية لكثير من المعارك البرية التي دارت فوق « رمـــال سيناء » وبين « بيارات غزة » أو في شوارع « القدس » أو فوق مرتفعات « الجولان » . وتوارت معها ايضا بطولات عربية عديدة سجلتها الاحداث الفعلية لهـــذه المعارك ، وكان من اخطر آثار ذلـــك التواري لصور المعارك الفعلية أن طمست معالم الدروس العسكرية المستفادة منها سواء على المستوى التكتيكي او الاستراتيجي ، او على الاقل لم تظهر بوضوح أمام الفكر العربي الذي تعذبه الهزيمة حتى الان ويؤرقه البحث عن سبل الخلاص من آثارها . ولذلك فاننا نعتقد انه مع مرور ست سنوات على احداث هذه الحرب ، يجدر بنا ان نلقي بعض الاضواء على المعارك البرية التي شهدتها . وسوف نقصر دراستنا هذه على معارك القطاع الشمالي من الجبهة المصرية التي دارت بين « غزة » شمالا و « العريش » جنوبا مرورا « بخان يونس » و « رفح » و « ممر خروبة » ، نظرا للاسباب التالية : اولا ان محور الجهد الاسرائيلي في خرق الجبهة المصرية كان مركزا في هذا القطاع . ثانيا قوة وعنف العمليات الدفاعيـــة التي قامت بها القوات المصريـــة والفلسطينية خلال هذه المعـــارك . ثالثا للاحتمالات الايجابية التي كان من الممكن ان تحدث لو طالت المقاومة في هذا القطاع على مجنبه ومؤخرته .

التوزيع العام للقوات المصرية عشية بدء القتال : عقب اتخاذ القيادة السياسية المصرية قرارها الخاص بتدعيم موقف سوريا ازاء التهديدات والحشود الاسرائيلية في ١٣ مايو ١٩٦٧ ، حشدت القيادة العسكرية العليا قوات ضخمة خلال الاسابيع الثلاثة التي تلت ذلك ووزعتها عشية بدء القتال يوم ٥ يونيو بالصورة التالية :(١)

- الفرقة ٢٠ الفلسطينية في قطاع « غزة » : وكانت تتألف مـــن لوائي مشاة وفوج صاعقة . وتقول بعض المصادر أن افرادها كـــانوا يبلغون نحو ٣٠ الف مقاتل ، وأن نصفهم تقريبا كانوا موزعين على شكل وحدات دفاعية صغيرة ثابتة او واجبات حراسة فردية عادية ، وكانت تدعمها بعض وحدات المدفعية وحـــوالي كتيبة دبابات معظمهـــا من طراز « شيرمان » ويقودها ضباط معظمهم من المصريين وعلى رأسهم اللواء عبـــد المنعم الحسيني حاكم « غزة » .

- الفرقة السابعة مشاة في قطاع « رفح ــ العريش » : وتتألف من اربعة ألوية مشاة ولواء مدفعية(٢) ومجموعة مدرعة تتكون من دبابات « ت ٣٤ » ودبابات « ستالين ــ ٣ »

ومدافع ذاتية الحركة مضادة للدبابات « س يو ١٠٠ » ، وتضم بمجملها نحو ١٠٠ قطعة مدرعة موزعة بين مواقع « رفح » ، « الشيخ زويد » ، « ممر خروبة » ورئاستها في العريش .

● الفرقة الثانية مشاة في قطاع « أبو عجيله ــ القسيمة » : وكانت تتألف من لوائي مشاة ولوائي مدفعية فضلا عن مجموعتين مدرعتين (المجموعة تشكيل مدرع أقل قوة من اللواء المدرع بكتيبة دبابات) من دبابات « ت ٣٤ » ومدافع « س يو ١٠٠ » وكانت موزعة ما بين « أم قطف » و « ابو عجيلة » و « القسيمة » .

● الفرقة الثالثة مشاة في قطاع « جبل لبنى ــ بير الحسنة » : وكانت تتألف من ثلاثة ألوية مشاة راكبة ، اي محمولة بعربات نقل جنود (Motorized Infantry) ولواء مدرع ولوائي مدفعية وكانت بمثابة خط دفاعي ثان وراء الفرقتين الثانية والسابعة ونستطيع التحرك لمساندة اي منهما .

● الفرقة السادسة مشاة في قطاع « الكونتيلا ــ نخل » : وكانت تتألف من ٤ ألوية مشاة راكبة ولواء مدرع ولواء مدفعية ، وقد وزعت بين « الكونتيلا » و« نخل » حيث تركزت قوتها الاساسية نظرا لتلاقي عدة طرق هناك ، فهناك الطريق من الكونتيلا عبر « تامد » وطريق من رأس النقب قرب « ايلات » عبر « تامد » ايضا الى « نخل » ، وطريق من « القسيمة » واخر من « بير الحسنة » ، ثم يمتد الطريق بعد تلاقي هذه الطرق نحو الغرب متجها الى « السويس » عبر « ممر متلا » .

● مجموعة مدرعة : تتألف من لواء مدرع ولواء صاعقة راكب ، ولواء مدفعية ، وقد حشدت في منطقة تقع بين الفرقتين الثانية والسادسة على مقربة من طريق القسيمة ــ نخل . بحيث تستطيع ان تشكل دعما لكل من الفرقتين وخاصة الفرقة السادسة في الجنوب ما بين نخل والكونتيلا .

● الفرقة الرابعة المدرعة : وقد اضيف الى قوتها المدرعة الاصلية ، لواء مشاة راكب ولواء مدفعية ، وكانت موزعة بين « بير جفجافة » و « بير تمادا » مشكلة بذلك خطا دفاعيا ثالثا في عمق مسرح العمليات في سيناء حامية بذلك طرق الاقتراب من ممرات « سيناء » الحيوية في « جفجافة » ، « الجدى » ، « متلا » . والاستعداد لشن هجمات معاكسة عملياتية على مستوى الجبهة المصرية .

وتقدر معظم المراجع العسكرية قوة هذه التشكيلات جميعا بنحو ١٠٠ الف جندي تدعمهم قرابة ٩٠٠ دبابة ومدفع ذاتي الحركة . كما تقدر ايضا ان نسبة لا تقل عن ٢٠٪ من مجموع الدبابات والمدافع ذاتية الحركة وعربات نقل الجنود المصفحة كانت غير صالحة للحركة عند نشوب القتال بسبب نقص الوقود الناجم عن اضطراب وحدات الشئون الادارية نظرا لكثرة تحريك التشكيلات قبيل نشوب الحرب ، او بسبب الاعطال الميكانيكية الناتجة عن طول مسافة التحركات المتوالية منذ بدء الحشد وكان هذا واضحا بالنسبة للمدرعات بالذات لانها اضطرت للسير المستمر المذكور على سلاسلها معظم الوقت . كما تقدر هذه المراجع ان نسبة تصل الى ٢٥٪ من مختلف انواع المركبات الاخرى كانت في الحالة السابقة نفسها فضلا عن نسبة الربع ايضا من نحو ١٠٠٠ مدفع كانت هي الاخرى غير صالحة للقتال للاسباب نفسها(٣)! وهذه مسألة بالغة الاهمية في حساب ميزان القوى الفعلي بين الطرفين يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار عند كل بحث . وتقدر المراجع العسكرية ان كتيبة الدبابات المصرية كانت تتألف من ٣٣ دبابة وان اللواء المدرع كان يضم ثلاث كتائب دبابات (بالاضافة الى الوحدات المعاونة الاخرى) اي انه كان يتكون من ٩٩ دبابة بخلاف المدفعية(٤). كما تقدر المراجع المذكورة ان كتيبة الدبابات الاسرائيلية كانت تتألف من ٣٥ دبابة موزعة على ٣ سرايا ، فضلا عن كتيبة مدفعية مكونة

من ١٢ مدفع هاون عيـار ١٢٠ مم محملة على عربات نقل جنود مصفحة(٥)، وسرية دبابات استطلاع ، وانه كان يضم بمجمله ١١٠ دبابات .

ولم يكن في الجيش الاسرائيلي وقتئذ تشكيل قتـالي يعـرف بالفرقـة . وانمـا وزعت القوات الاسرائيلية سواء كانت مشاة او مدرعـات او مدفعيـة او مظليـين على شكل كتائب وألوية ، وكان اللواء هو أعلى شكل تنظيمي ثابت ، وقد تشكل مـن مجموعة ألوية مختلفة قوة قتالية خاصة بمهمة معينة بصفة مؤقتة تأخذ شكلا قريبا من شكل الفرقة من حيث القوة ووحدة القيادة ولكنها تنحل فور الانتهاء من المهمة المحـددة لها . ولذلك يطلق على هذا التجميع اسم« Ugdas »بالعبرية وهي تقابل « Task Force ». ويحتفظ كل لواء داخل المجموعة القتالية باستقلاليته الاصلية من حيث شئونه الادارية ووسائل نقله القائمة على الاكتفاء الذاتي حتى يكون وحدة قتالية سريعة الحركة قادرة على الهجوم والقتال بمفردهـا . هذا ويبلغ حجم اللواء المدرع الاسرائيلي نحو ٣٥٠٠ جندي . وهذا على خلاف تنظيم الفرقة الذي كان يأخذ بها الجيش المصري وقتئذ اذ ان الفرقة تنظيم اداري وقتالي كبير نسبيا (حوالي ١١ الف جندي في الفرقة المدرعة) يعطى قوة قتالية اكبر ولكنه يحتاج الى جهد كبير منظم للشئون الادارية وكفاءة كبيرة ايضـا في قيادة وتحريك مختلف وحدات الفرقة اثناء القتال بحيث تعمل بتناسق وفاعلية . وهذه مسألة أخرى يجب وضعها في الاعتبار عند تقدير حسابات القوى بين الطرفين ، اذ ليس المهم كميات السلاح واعداد الجنود فحسب وانما ايضا طريقة التنظيـم والقدرة على الاستفادة الفعالة منها لاحداث اكبر مردود ممكن لقوة النيران ووسائـل الحركة التي تتوفر لدى كل طرف في المكان المحدد والزمان المناسب لظـروف المعركة . كل هـذه الاعتبارات الجزئية ، بخلاف اعتبارات اخرى ستتضح خلال مجـرى القتال ، رأينا أن نلقي عليها بعض الضوء قبل الدخول في سرد تطورات المعركة وحتى لا تبدو الارقام لدى الطرفين مجرد أرقام فحسب فلا يحسن تقديرها .

المخطط الاسرائيلي وتوزيع القوات المعدة له : يقول الكاتب الامريكي الجنسية الاسرائيلي الاصل « ناداف صفران » في كتابه « من حرب الى حرب » ، أن القيادة الاسرائيلية العليا قد حشدت في مواجهة الجبهة المصرية(٦) من جملة ١١ لواء مدرعا كانت لديهـا ـــ بعد اجراء التعبئة العامة ـــ ٦ الوية ومجموعتين مدرعتين اخريين . بالاضافة الى ٣ ألوية مظليين من جملة اربعة كانت لديها ، و ٣ ـــ ٤ الوية مشاة من جملة عشرة الالوية من الصف الاول التي كانت متوفرة لديها ، و٦ الوية مدفعية من جملة ١٢ لواء مدفعية (أو ما يقابل قوة اللواء كشكل تنظيمي) كانت لديها . وأن جملة هذه القوات كانت تقدر بنحو ٦٥ الف جندي ، حوالي ٦٥٠ دبابة(٧) بخلاف المدفعية ذاتية الحركة . وهذا التقدير في قوة المدرعات التي كانت لدى الجيش الاسرائيلي في الجبهة المصرية وحدها ينفي المزاعم الشائعة في عديد من الكتابات التي تناولت تقدير القوى العسكرية بين الجيوش العربية التي خاضت حرب يونيو والجيش الاسرائيلي ، حول اجمالي عدد الدبابات التي كانت لدى اسرائيل عند بـدء القتال ، وانها كانت ٨٠٠ دبابـة فحسب (مثلما ورد في كتاب الجنرال الامريكي «مارشال» المسمى « Swift Sword » (٨)وذلك حتى يبدو تفوق اسرائيل التقني خرافيا في مقابل التفوق الكمي للجيوش العربية المشتركة في القتال ضدها ، حيث أن تقديرات المصادر المذكورة لقوة المدرعات العربية كانت : ١٣٠٠ دبابة لدى مصر ، ٦٠٠ دبابة لدى سوريا ، ٢٥٠ دبابة لدى الاردن) . ولكن تقدير عدد الالوية المدرعة بـ ١١ لواء الذي ذكره « صفران » يصل بعدد الدبابات لدى الجيش الاسرائيلي الى نحو ١٢٠٠ دبابة بخلاف المدافع ذاتية الحركة ، وهو تقدير مقارب للواقع وأكثر منطقية من التقدير الشائع بأنها كانت ٨٠٠ دبابة فقط ، لان واقـع الهجوم عـلى جبهة « سيناء » و « الضفة الغربية » في آن واحد مع الاحتياط لمواجهة احتمال تدخل الجيش السوري

ينفي اسطورة الـ ٨٠٠ دبابة . خاصة وان الدبابات ليست كالطائرات يمكن نقلها من جبهة لاخرى في اليوم نفسه او خلال ساعات قليلة !

ان حشد ٦٥٠ دبابة اسرائيلية على الاقل امام الجبهة المصرية ـــ ونحن نعتقد ان العدد كان اكبر من هذا بعض الشيء لانه من الثابت وجود ستة ألوية في العمليات فضلا عن بعض الكتائب المدرعة المستقلة ـــ يجعل عدد المدرعات الاسرائيلية المتاحة لدى القيادة الجنوبية اكثر في الواقع من عدد المدرعات المصرية القادرة على القتال اذا تذكرنا أن اجمالي قوتها بما في ذلك المدافع ذاتية الحركة « س يو ١٠٠ » قدر بـ ٩٠٠ قطعة وان نسبة لا تقل عن ٢٠٪ منها كانت غير قادرة عمليا على الحركة والقتال عند بدئه .

وقد رسمت الخطة العامة الاسرائيلية للهجوم في الجبهة المصرية على اساس خرق المواقع الدفاعية في « رفح » ، « ابو عجيلة »، التي تتحكم في مداخل الطريقين الاساسيين في شمال ووسط سيناء المؤديين الى « القنطرة » و« الاسماعيلية » عند قناة السويس ، ثم الاندفاع بسرعة ودون مرحلة توقف مؤقتة لاعادة التجميع والتنظيم نحو الممرات الاربعة لسيناء المتحكمة في طرق المواصلات ، وهي ممر « رمانة » على طريق « العريش ـــ القنطرة » ، « ممر جفجافه » على طريق « ابو عجيلة ـــ الاسماعيلية » ، و « ممر الجدي » على طريق « القسيمة ـــ بير الحسنة ـــ بير تمادا ـــ قناة السويس قرب جنوبها » ، « ممر متلا » على طريق « الكونتلا ـــ نخل ـــ السويس » . وبقفل الممرات والوصول الى ضفة القناة الشرقية تعزل بقية القوات المصرية خاصة التي في الجنوب او تتحطم اثناء محاولتها الانسحاب عبر الممرات نحو القناة .

اما الاستيلاء على « شرم الشيخ » او فتح الملاحة في « مضائق تيران » الذي كان المبرر الاصلي لنشوب القتال فقد ترك أمرها لعملية تكميلية صغيرة تقوم بها قوة من مشاة البحرية وقوات المظلات بعد الانتهاء من العمليات الرئيسية في شمال ووسط « سيناء » . ولكن اتخذت عدة تدابير لاشعار القيادة المصرية ان « شرم الشيخ » ستكون لها أولوية خاصة في العمليات التعرضية وذلك عن طريق مضاعفة نسبة طلعات الاستطلاع الجوي فوقها بالنسبة للطلعات فوق « غزة » ، وبواسطة اعطاء انطباع مبالغ فيه عن قوة الحشد المدرع على المحور الجنوبي عند « الكونتيلا » حيث حشد هناك في الحقيقة لواء واحد مدرع معزز بقوة اضافية ، الا انه جرى حشد لواء اخر من الدبابات الهيكلية على مقربة منه وبطريقة تمويه لم تراع فيها الدقة حتى يبدو واضحا في الصور الجوية لطائرات الاستطلاع المصرية . هذا وقد اخضعت القوات المستخدمة في الجبهة المصرية للعميد « جافيش » قائد المنطقة الدفاعية الجنوبية لاسرائيل . والذي قام بتوزيع قواته في شكل ثلاث مجموعات قتالية (متباينة الحجم ونوعية التشكيل وفقا لطبيعة مهمة كل مجموعة) لها قوة الفرقة ـــ اي ثلاثة « Ugdas » ـــ سميت على أسماء قادتها كما هي عادة الجيش الاسرائيلي : مجموعة العميد « تال » : في أقصى الشمال عند « خان يونس » و« رفح » مهمتها اختراق دفاعات الفرقة الفلسطينية في « خان يونس » والفرقة المصرية السابعة في « رفح » ثم الاندفاع الى العمق العملياتي للفرقة عند « العريش » في اليوم نفسه عبر مواقع « الشيخ زويد » ، « ممر خروبة » . وكانت هذه المجموعة أقوى المجموعات الثلاث ومشكلة من أفضل ألوية الجيش الاسرائيلي . وقد تألفت من لوائين مدرعين ولواء مظليين ميكانيكي ولواء مشاة ميكانيكي ، تدعمها نحو ٥ كتائب مدفعية وكتيبة مهندسين فضلا عن كتيبة او كتيبتين مستقلتين من الدبابات احداهما لمعاونة لواء المظليين والاخرى لمعاونة لواء المشاة الذي كلف بمهاجمة « غزة » بعد الاستيلاء على « خان يونس » . هذا ويقدر « ادجار بالانس » قوة مجموعة « تال » بنحو ٣٠٠ دبابة ، و١٠٠ عربة نصف جنزير ، وأكثر من ٥٠ مدفعا بعضها ذاتي الحركة(٩) .

مجموعة العميد « شارون » : في الوسط عند قطاع «أم قطف ــ ابو عجيلة ــ القسيمة» مهمتها اختراق دفاعات الفرقة المصرية الثانية في « ام قطف » و « أبو عجيلة » وتصفية دفاعات « القسيمة » بعد ذلك ثم الاندفاع بسرعة الى « نخل » لتدمير «مجموعة الشاذلي المدرعة » وتطويق الفرقة السادسة مشاة . وكانت هذه المجموعة تتألف من لواء مدرع ولواء مشاة وكتيبة مظليين و ٦ كتائب مدفعية ، فضلا عن قوة صغيرة أخرى تضم كتيبة دبابات ووحدة استطلاع ووحدة مشاة ميكانيكية ، ووحدات مهندسين . ويقدر « ادجار بالانس » مجموع قوة « شارون » بنحو ٢٠٠ دبابة ، و ١٠٠ عربة نصف جنزير ، و ١٠٠ مدفع .

مجموعة العميد « يوفه » : وقد حشدت في المنطقة الواقعة بين فرقتي « تال » و « شارون » وكانت تتألف من لوائين مدرعين بدون مدفعية وقد عهد الى احد لوائيها بالقيام بزحف من منطقة تبعد عن جنوب « رفح » بنحو ٣٠ كيلومترا عبر وادي « حرادين » الذي كان عبارة عن مجرى ماء جاف ممتد بين كثبان الرمال غير الصالحة لسير المركبات ينتهي قرب موقع « بير لحفن » الواقع الى الجنوب من العريش على الطريق المؤدي الى « ابو عجيلة » . (وكانت القيادة الاسرائيلية اثناء احتلالها سيناء عام ١٩٥٦ قد أرسلت جماعة استطلاع لدراسة ارض هذا الوادي اكدت امكان اجتيازه بعربات نصف جنزير بشيء من الصعوبة) وذلك لمهاجمة الموقع المصري ومنع وصول أية نجدة للعريش من جانب الفرقة الثالثة مشاة المرابطة في « جبل لبنى » ولم يكن يدافع عن مخرج هذا الوادي غير سرية مشاة مصرية واحدة نظرا لان القيادة المصرية كانت تعتقد باستحالة سير الدبابات او المجنزرات بصفة عامة في هذا الوادي . هذا بينما كلف اللواء المدرع الاخر بالتقدم صوب جبل لبنى اثر احتلال مجموعة « شارون » لمواقع « ابو عجيلة » وبذلك يتم تحطيم خط الدفاع الثاني المصري في العمق العملياتي بقوات سليمة وغير مجهدة بمعارك الاختراق الاولى وفي أسرع وقت ممكن . ويقدر « ادجار بالانس » مجموع قوة « يوفه » هذه بنحو ٢٠٠ دبابة ، ١٠٠ عربة نصف جنزير(١٠) . وبالاضافة الى هذه المجموعات الثلاث الرئيسية حشد « جافيش » ، كما سبق ان قلنا ، لواء مدرعا مدعما أمام « الكونتيلا » لمشاغلة الفرقة السادسة مشاة وتثبيتها الى ان تصل قوات « شارون » الى مؤخرتها عند « نخل » بعد الاستيلاء على « القسيمة » ثم يقوم اللواء المدرع في هذه الحالة بمطاردة قوات الفرقة المذكورة عبر طريق « الكونتيلا ــ التامد ــ نخل » .

ويقول « ادجار بالانس » في كتابه « الحرب العربية ــ الاسرائيلية الثالثة » (وهو صادر عام ١٩٧٢) انه كان هناك لواء مدرع اخر أعطاه الاسم الرمزي (مثلما فعل بالنسبة لبقية الالوية الاسرائيلية لدواعي السرية والامن التي فرضتها عليه سلطات الجيش الاسرائيلي عند تجميعه مادة الكتاب) « اللواء المدرع ن » كان محتشدا في مواجهة « القسيمة » التي تبعد بضعة اميال الى الجنوب الشرقي من « أبو عجيلة » خشية قيام حاميتها بهجوم مضاد يستهدف مؤخرة قوة « شارون » الرئيسية اثناء انشغالها بالهجوم على مواقع « ابو عجيلة » (وكانت تتألف وفقا لقول « بالانس » من لواء مشاة تعززه ١٢ دبابة ستالين ، ٣٠ دبابة ت ٣٤ ونحو ١٠٠ مدفع)(١١) . وهذا التقدير يرفع قوة المدرعات الاسرائيلية الى ٧ الوية كاملة بخلاف كتائب الدبابات المستقلة الاخرى التي عملت احداها على الاقل في قطاع غزة واخرى مع « تال » لتعزيز لواء المظليين واخرى مع « شارون » . ولا بد انه كانت توجد كتيبة أو اكثر في الاحتياطي التابع لقيادة « جافيش » الامر الذي يرفع قوة المدرعات الاسرائيلية المستخدمة في الجبهة المصرية الى نحو ٩٠٠ دبابة على الاقل . هذا كما حشد لواء مشاة من الصف الاول تعززه وحدة استطلاع مدرعة من الدبابات الخفيفة « ام اكس ١٣ » امام قطاع « غزة » بخلاف قوات

الدفاع المحلي الموجودة داخل المستعمرات الاثنتي عشرة القائمة هناك . وفي « ايلات » كانت مجموعة صغيرة من الوحدات تساعد كتيبة مشاة في الدفاع عن الميناء المذكور وتستعد للعملية البرمائية التي ستتم ضد « شرم الشيخ » في مرحلة متقدمة من تطور العمليات الرئيسية بنجاح .

خطة « تال » في مهاجمة « رفح » : كانت القوات العربية الموجودة في المنطقة المحددة لهجوم مجموعة تال موزعة كالآتي : اللواء الفلسطيني ١٠٨ المؤلف من ثلاثة افواج مشاة ومجموعات من الفدائيين وكتيبة مدفعية ميدان عيار ٢٥ رطلا الانجليزية الطراز مع فوج غير كامل من دبابات « شيرمان » القديمة (سريتين فقط من الدبابات) وسريتين من المدافع المضادة للدبابات(١٢) . وكان يدافع عن منطقة « خان يونس » موزعا قواته بين قرية « بني سهيل » وبلدة « خان يونس » نفسها ومفرق « ام كلب » وبلدة « رفح » . وقد استحكمت القوات داخل خنادق وحفر للمدافع تحميها بعض الالغام والاسلاك الشائكة فضلا عن حقل الغام كان ممتدا من موقع « أم كلب » حتى دفاعات وطريق بلدة « رفح » التي تبعد نحو ١٦ كيلومترا عن « خان يونس » . وداخل « خان يونس » و « بني سهيل » و « رفح » كانت هناك قوات المقاومة الشعبية غير النظامية المسلحة بالبنادق والرشاشات ، ولكن الاسلحة الثقيلة الموجودة مع اللواء المذكور كانت غير كافية العدد ومن نوع اضعف من اسلحة العدو المماثلة . والى الغرب والجنوب من بلدة « رفح » كانت تمتد مواقع الفرقة السابعة مشاة على جبهة عرضها نحو ١٢ كلم بين كثبان ساحل البحر المجاورة تقريبا لخط سكة حديد « العريش ــ رفح » وكثبان منطقة « العجرة » الواقعة على بعد ١٥ كلم جنوبي « رفح » ، يسترها حقلان من الالغام احدهما يسد الفجوة بين « رفح » وشاطىء البحر والآخر يبدأ من جنوب « خان يونس » مارا بشرق « رفح » ثم يتجه نحو الجنوب حتى كثبان « العجرة » ، بالاضافة الى الالغام الموزعة حول المواقع الدفاعية نفسها بشكل مباشر ، وذلك وفقا لما ترويه مصادر العدو الاسرائيلي(١٣) . وقد تركزت الدفاعات المصرية على كلا جانبي منطقة « مفرق طرق رفح » الواقعة الى الجنوب الغربي من « رفح » نفسها ، وهي منطقة يتلاقى عندها الطريق الرئيسي بين « رفح » و« العريش » بطريق قديم كان ممتدا حتى « العوجة » من قبل وطريق آخر كان متجها داخل فلسطين اصلا جنوبي « رفح » حتى المستعمرات الاسرائيلية هناك .

وقد وزعت قيادة الفرقة السابعة احد ألويتها تقريبا في موقع دفاعي يقع شمال المفرق المذكور حتى خط سكة « رفح ــ العريش » ، كما وضعت لواء آخر في موقع دفاعي جنوب المفرق يمتد حتى كثبان العجرة ، وركزت مدفعية الميدان وراء هذين الموقعين خاصة الجنوبي منهما الذي عززته ببعض الدبابات من طراز « ستالين ٣ » و « ت ٣٤ » داخل حفر عميقة تحمي مجنبة الموقع الجنوبي بالذات لمواجهة حركات التطويق المحتملة ، هذا بالاضافة الى المدافع المضادة للدبابات وقواذف البازوكا التي كانت موزعة داخل حفر مموهة مع كتائب المشاة في المواقع . كما وضعت قيادة الفرقة المذكورة لواء مشاة اخر تعززه الدبابات والمدفعية في موقع دفاعي عند بلدة « الشيخ زويد » الواقعة على بعد نحو ١٣ كلم غرب مفرق الطرق على الطريق المؤدي الى « العريش » . والى الغرب من « الشيخ زويد » بنحو ١٥ كلم حشدت قيادة الفرقة نحو لواء مشاة رابع كان قد اضيف الى قوتها للدفاع عن « ممر خروبة » الذي يمتد نحو ١٤ كيلو مترا حتى ضواحي « العريش » وهو منطقة رملية لا يمكن لاية عربة ان تمر خلالها الا عبر الطريق المعبد فقط تقريبا وقد عززته بعدد من المدافع المضادة للدبابات وببعض الدبابات « ت ٣٤ » الموضوعة في حفر مموهة ، وكانت القوات المدافعة تحميها بعض الالغام وتتمركز داخل خنادق وبعض التحصينات . وفي العريش نفسها كانت توجد قيادة الفرقة والوحدات

الادارية وبعض الوحدات التي تدافع عنها وعن المطار القريب . وازاء هـذا التنظيم الدفاعي الذي تحمي طرق الاقتراب اليه حقول الالغام وكثبان الرمال من الاجنحة والذي تعززه بالنيران مدفعية الميـدان بعيدة المدى من عيار « ١٢٢ مم » وغيرهـا المحشودة بصورة مركزة في مؤخرة الموقع الدفاعي عند المفرق ، قرر « تال » ان يخرق الجبهة في « خان يونس » أولا حيث الدفاعات والقوات اضعف بصفة عامة وحيث تبعد المدفعية المصرية الرئيسية بأكثر من ١٦ كلم ويصعب عليها توجيه نيران قوية نظرا لوجود الكثافة السكانية الفلسطينية في « خان يونس » والقرى المحيطة بها ، ثم يندفع اللواء المـدرع الذي سيقوم بهذا الخرق بسرعة وبغض النظر عن الخسائر التي تلحق به وعن استمرار وجود جيوب مقاومة في مؤخرته باتجاه بلدة « رفح » ومحطة سكة حديدها زاحفا فوق الطريق المعبـد الرئيسي الذي قـدر انه لن يكون ملغما نظـرا لان القوات المصرية والفلسطينية تستخدمه في حركة مركباتها وحركة المواصلات مع « غزة » و « العريش » فيهاجم البلدة من الشمال الشرقي ثم يتجه الى مفرق الطرق ويقتحمه زاحفا بسرعة نحو « الشيخ زويد » فيهاجمها ويواصل زحفـه حتى « ممر خروبه » حيث يناوش القوات المدافعة عنه فاذا شعـر بامكان التغلب عليها يقتحـم الممر ويزحف نحـو مشارف « العريش » ، أما اذا كان الموقع قويا صامدا فانه عليه ان ينتظر حتى الليل حيث سيقوم اللواء المدرع الاحتياطي بالهجوم ملتفا حول مؤخرة الموقع من الجنوب عبر كثبان الرمال الناعمة . وفي الوقت نفسه يقـوم لواء المظليين الميكانيكي بواسطـة كتيبتين من قوته تعززهما كتيبة دبابات « باتون » مستقلـة بالالتفاف حول الجنـاح الجنوبي للدفاعات المصرية الممتدة جنوب مفرق الطرق حتى كثبان « العجرة » ثم تتجـه قوة من المظليين للهجوم على خنادق المشاة من المؤخرة ويتجه قسم اخر منهم مع الدبابات لتدمير مواقـع المدفعية الميدانية المصرية الاساسية في المنطقة وتطوق الدفاعـات كلها وتلتقي بقوات اللواء المدرع المهاجم من الشمال عند بلـدة « كفرشان » القريبة من طريق « رفح ـ العريش » .

هذا ويقوم لواء المشاة الميكانيكي التابع لمجموعة « تال » تعززه كتيبة من اللواء المظلي الميكانيكي بتطهير « خان يونس » بعد اقتحام اللواء المدرع الزاحف نحو « رفح » لها ، ثم يزحف أثر ذلك داخل قطاع « غزة » صوب المدينة نفسها من الجنوب ، لتصفية المقاومة فيها واحتلالها . تلك كانت المعالم الرئيسية لخطة « تال » في اختـراق الجبهة المصرية في قطاعها الشمالي . وقد وضع تكتيكه الهجومي على أساس دفـع الدبابات لخرق المواقع الدفاعية في اقتحام بالنيران والدروع يتم في هجوم نهـاري ودون تحضير كبير من المدفعية بينما تقوم الطائرات بضرب مواقع المدفعية المعادية من ارتفاع منخفض بالرشاشات والصواريخ . وهو تكتيك تدربت عليه المدرعات الاسرائيلية في منـاورات ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ حتى تعطى امكانية عملية لتحقيق أساليب الحرب الخاطفة وسرعة نقل المعركة الى أرض العدو ، وتخلى الجيش الاسرائيلي بشكل رئيسي عن تكتيك اقتحام المشاة للخطوط الدفاعية في هجوم ليلي يعقبه دفع المدرعات في العمق بعد ذلك،ولم يطبق هذا التكتيك سوى في اقتحام دفاعات « أبو عجيلة » بواسطة مجموعـة « شارون » مع استخدام « المظليين » في اسكات المدفعية بهجـوم مباغت على مؤخرتها يتـم فيه ابرارهم بواسطة طائرات الهليكوبتر ليلا ايضا ، وذلك لقوة وعمق الدفاعات هناك(١٤) .

اقتحام دفاعات « خان يونس » : في الساعة الثامنة والربع من صباح ٥ يونيو ، وبعـد عودة طائرات الموجة الاولى المهاجمة للمطارات المصرية من عملياتها ، تحـرك اللواء المدرع المكلف بالهجوم على « خان يونس » بقيادة العقيد « شموئيل » ، وكان يضم كتيبة دبابات من طراز « باتون » وكتيبة دبابات « سنتوريون » ، وسرية استطلاع مـدرع مؤلفة من دبابات « باتون » وعربات نصف جنزير وسيارات « جيب » مسلحة ، (وقد سمي اللواء « س » في الكتابات الاسرائيلية والاجنبية) بادئا بذلك أول مرحلة من عملية

« المنديل الاحمر » اي عملية الهجوم البري على الجبهة المصرية التي كان مقررا الشروع فيها عقب ظهور بشائر نجاح عملية « الحمامة » (أي عملية الهجوم المفاجيء على القواعد الجوية المصرية) ، تحرك اللواء المدرع تتقدمه جماعة استطلاع في مقدمة كتيبة « الباتون » التي زحفت وراءها كتيبة « السنتوريون » كموجة ثانية للاقتحام المدرع نحو « الخط الاخضر » أي حدود وقف اطلاق النار هدنة ١٩٤٩ ، التي تبعد نحو ٦ كلم عن بلدة « خان يونس » نفسها ، ودون ان تطلق المدفعية الميدانية الاسرائيلية اية طلقة بعد على المواقع العربية . وبعد دقائق قليلة حلقت فوق الدبابات المتقدمة أسراب طائرات « الفوغا ماجستر »(١٥)وأجنحتها محملة بالصواريخ فيطريقها نحو مواقع المدفعية المصرية المتمركزة في مؤخرة المنطقة الدفاعية في «رفح» حتى تسكت نيرانها المتوقعة . وما أن اقتربت الدبابات من المواقع الفلسطينية حتى أخذت قنابل المدفعية تتساقط تجاهها وفي الوقت نفسه فتحت المدفعية الاسرائيلية نيرانها عليها ، ثم صبت المدافع المضادة للدبابات والبازوكا والرشاشات نيرانها على الدبابات والعربات نصف جنزير والجيب المهاجمة وكانت الساعة قد تخطت الثامنة والنصف بدقائق قليلة ، وأصيب بعض العربات واشتعلت فيها النيران بينما اخذت الدبابات تزحف وراء بعضها متبعة علامات جنازير الدبابات الامامية لتتجنب الالغام ، واخذت تشق طريقها بصعوبة فوق أرض مليئة بالحفر المضادة للدبابات وداخل الازقة الضيقة لقرية « بني سهيل ».ويصف « شابتاي طيفيت » في كتابه « دبابات تموز » المقاومة هناك فيقول « لقد كان متفقا ان يلتقي طابورا دبابات « الباتون » عند محطة « خان يونس » ولكن كلما كانت الدبابات تزداد أقترابا من « بني سهيل » كانت تشتد مقاومة المصريين واصبح من الصعب فتح طريق للتقدم بالقوة . وعند مدخل « بني سهيل » قوبلت الدبابات بنيران عنيفة من الرشاشات والبنادق والمدافع المضادة للدبابات ، وقد أصيبت نتيجة ذلك عربة ضابط الاتصال الخاص بالمدفعية نصف المجنزرة من احد المواقع المحصنة واشتعلت فيها النيران القرمزية اللون وغطتها تماما »(١٦). وتوالت اصابات العربات نصف مجنزرة واصابات الدبابات ايضا التي اخذت تتجنب المناطق المحصنة وتخترق الازقة او تلتف عبر الحقول . وفي بلدة « خان يونس » نفسها ازدادت المقاومة شدة ، وشعر قائد اللواء المدرع « شموئيل » أنه قد حدث تقليل للقوة المدافعة عن « خان يونس » قبل المعركة ، فقد بلغ عدد الدبابات المصابة ستا من الكتيبة الامامية . ولذلك قرر تغييرا جزئيا للخطة الاصلية التفصيلية التي كان قد وضعها فبدلا من ان تستمر الكتيبة المدرعة الاخرى في السير جنوبي « خان يونس » لتشتبك مع دفاعات رفح من بعيد ، أمرها بأن تعدل خط سيرها وتهاجم « خان يونس » بالاشتراك مع كتيبة الدبابات الاولى المتورطة في القتال داخل أزقة البلدة . وازاء عنف المقاومة هذه طلب « جافيش » من « تال » ان يشرك لواءه المدرع الثاني الاحتياطي في القتال ولكن « تال » رأى عدم ضرورة ذلك الاجراء وأخذ يساند مدرعاته بنيران مدفعيته ، كما أمر « الفوغا ماجستر » بمعاودة الهجوم الجوي على مواقع المدفعية المصرية في « رفح » لانها عادت الى العمل مرة أخرى وأخذت تساند المدافعين عن « خان يونس » بنيرانها ونتيجة لهذه الاجراءات استطاعت الدبابات أن تواصل اختراقها لخان يونس وتنطلق صوب « رفح » و « أم كلب » على الطريق المعبد الخالي من الالغام . وتركت وحدة الاستطلاع التابعة للواء المدرع ومعها سرية مشاة ميكانيكية لتصفية المقاومة في « خان يونس » التي عادت واشتدت مرة أخرى حيث أخذ القناصة يطلقون النار على الجنود في العربات نصف جنزير وكذلك مدافع « البازوكا » والرشاشات ، وكذلك كان الحال في مرتفع « بني سهيل » الذي سبق اقتحامه .

القتال في القطاع الشمالي من دفاعات رفح : دخلت دبابات لواء « شموئيل » بلدة « رفح » نفسها بعد مقاومة بسيطة من نيران الاسلحة الصغيرة ثم تقدمت نحو محطة « رفح » على الطريق المعبد أو بجوار الخط الحديدي فاستولت عليها ، ومن هناك

اتجهت الى منطقة مفرق الطرق من الشمال تتقدمها وحدة استطلاع مكونة من دبابتين « باتون » و ٣ عربات نصف جنزير و ٤ عربات جيب مسلحة ، وعلى مبعدة ١٠٠ متر تقريبا من المفرق اطلقت النيران بشدة على هذه القوة من موقع جيد الاخفاء على مقربة من الطريق ثم انهالت قذائف مدفعية « رفح » الشهيرة التي لم تكن الطائرات قد نجحت في تدميرها تماما ، فاصيبت عربة نصف جنزير واخرى « جيب » فاندفعت دبابات الوحدة لمهاجمة الموقع حيث اصيبت احداها بلغم . ودار قتال عنيف مع الجنود المصريين داخل خنادق الموقع اسفر عن اصابة الدبابة الثانية ايضا ولم يتبق لدى هذه الوحدة في النهاية سوى عربة واحدة نصف جنزير و ٢ جيب ونصف رجالها ، وذلك كما يروى مؤلف كتاب « دبابات تموز » الاسرائيلي(١٧) . وقد اسرعت بقية وحدات « شموئيل » بمهاجمة المواقع الدفاعية شمال مفرق الطرق وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة صباحا ودار قتال عنيف بين الدبابات الاسرائيلية والدفاعات المصرية التي كانت تتخندق فيها المدافع المضادة للدبابات والدبابات « ت ٣٤ » التي اخذت قذائفها تصيب دبابات «السنتوريون» القوية التدريع وتشعل فيها النيران ، وطوال هذا الوقت اخذت المدفعية تقصف الدبابات المهاجمة فقد كان جنود أطقم المدافع يبتعدون عن مدافعهم في الخنادق اثناء اغارة الطائرات الاسرائيلية ثم يعودون اليها مرة أخرى لمواصلة اطلاق نيران المدافع التي لم تصب في الاغارة . وتزايدت اصابات الدبابات من كلا النوعين « باتون » و « سنتوريون » التي اخذت تطلق نارها اثناء السير على دبابات « ت ٣٤ » ومدافع « س يو ١٠٠ » الثابتة داخل حفرها (مساندها) من مسافات قريبة فتدمر عددا منها ، وفي عديد من المرات كان جنود المشاة المصريون يتقدمون من الدبابات الاسرائيلية بمدافع « البازوكا » ويقذفونها عن قرب اثناء زحفها نحو خنادقهم الى حد أن اضطرت دبابة منها لقرب المسافة ان تسحق احدهم بجنازيرها قبل ان يصيب دبابة اخرى قريبة . وكان كثير من قادة الدبابات الاسرائيلية يوجهون حركتها ونيرانها من ابراج الدبابات المفتوحة فأخذت الرشاشات المصرية تقتل العديد منهم . ولذلك طلب « شموئيل » مساندة المدفعية التي صبت نيرانا غلالة امام حركة الدبابات التي اندفعت بسرعة عبر المواقع المصرية ودون ان تصفي مقاومتها على الطريق الاسفلت صوب « الشيخ زويد » التي وصلتها بسرعة مفاجئة القوات المدافعة عنها التي لم تكن تتوقع ظهور دبابات العدو أمامها بهذه السرعة ، وكانت النتيجة ان استولت على الموقع بعد مقاومة محدودة ، وواصلت سرية « سنتوريون » زحفها على الطريق حيث صادفت قافلة امداد مصرية متقدمة فاطلقت عليها النار ودمرت عرباتها وواصلت تقدمها حتى مداخل « ممر خروبة »؛ بينما كانت هناك سريتان اخريان تقفان في « الشيخ زويد » لتأمينها . وقد توقفت السرية المتقدمة وكان لديها ٧ دبابات « سنتوريون » ولذلك أمر قائدها بالتوقف لانه خشي قيام المصريين بهجوم مضاد يقضي عليه تماما وهو منعزل هكذا في مؤخرة الفرقة السابعة بعيدا عن حدود اسرائيل بـ ٤٠ كلم وبينه وبين العريش ٢٠ كلم اخرى ، وبقي ساعتين في انتظار وصول باقي الكتيبة .

اقتحام « ممر خروبة » : عندما توقفت الدبابات الاسرائيلية بعد احتلالها « الشيخ زويد » نزل قادتها للراحة قليلا فوجدوا أن ما من دبابة الا وبها اصابات مختلفة من نيران المدافعين ! ولم يكن الهجوم على « ممر خروبة » ضمن المهام المنوطة بلواء « شموئيل » المدرع اصلا كما سبق ان اوضحنا عند الحديث عن خطة « تال » في الهجوم ، الا أن « شموئيل » رأى ان يستغل سرعة التقدم في العمق الذي احرزه ولا ينتظر الهجوم الليلي بواسطة اللواء المدرع الاخر الموضوع في احتياطي الفرقة ، ولذلك طلب من «تال» ان يسمح له بمواصلة الهجوم صوب الممر للوصول الى « العريش » بسرعة . وقد سمح له « تال » بدفع كتيبة من دبابات « السنتوريون » لاقتحام الممر متى كان ذلك سهلا ومع ارسال كتيبة « باتون » الى مفرق طرق « رفح » مرة اخرى لمعاونة قوات

المظليين التي تواجه مقاومة شديدة في القطاع الجنوبي من الدفاعات . وقد توجهت الكتيبة المذكورة الى هناك فعلا بينما قامت كتيبة « السنتوريون » بالزحف تجاه ممر « خروبة » الذي يطلق عليه الاسرائيليون اسم « ممر جيرادي » منذ عام ١٩٥٦ حين اصيب فيه لواء مدرع بقيادة باراليف بخسائر شديدة حين مر خلاله . وكانت الساعة قد تخطت الثانية والنصف ظهرا حين تحركت الكتيبة المدرعة المؤلفة من ١٧ دبابة « سنتوريون » و ٢ « باتون » لاختراق ممر « خروبة » الذي وصلته وهي سائرة في شكل رتل على الطريق الاسفلتي نفسه لاستحالة السير على جانبه تقريبا ، وقد انطلقت مسرعة داخلة الممر الذي تحيط به الدفاعات المصرية التي بوغتت بظهور الدبابات الاسرائيلية وهي تطلق النار بشدة على كلا الجانبين اثناء سيرها دون توقف وفقا لتكتيك الرمي الغزير اثناء المسير الذي يستخدمه الاسرائيليون في المدرعات والمشاة بغية ابطال نيران المدافعين ومنعهم من استخدام اسلحتهم ، فمرت فترة قصيرة دون ان ترد عليها ، ثم اخذت تطلق النار عليها فأصابت عربات وحدة الاستطلاع التي كانت تتبع الدبابات في حركتها السريعة كما اصابت دبابة من السرية الثانية ، فكان ان انسحبت وحدة الاستطلاع الى مدخل الممر حيث قبعت هناك بلا حركة بعد ان دمرت عربتان منها ودبابة ، بينما واصلت بقية الدبابات سيرها السريع ووصلت الى خارج الممر وتوقفت عند مشارف « العريش » نظرا لحاجتها الى التزود بالوقود والذخيرة . وقامت القوة المصرية المدافعة عن الممر اثر ذلك بقفل الممر مرة اخرى واخذت تعيد تنظيم دفاعاتها عازلة بذلك كتيبة « السنتوريون » وراء الممر قرب « العريش » . ثم وصل قائد اللواء « شموئيل » بعد ساعتين حيث حذرته قوة الاستطلاع من محاولة عبور الممر لان المدافعين اعادوا تنظيم انفسهم مرة اخرى . وقد حاول « شموئيل » مهاجمة استحكامات المصريين بعد ذلك بحوالي نصف ساعة بدفع كتيبة دبابات « باتون » الى يسار الموقع اثناء مشاغلة باقي قواته لهذه الاستحكامات من الامام على الطريق ، الا ان هجوم « الباتون » فشل وحطمت عدة دبابات كما تعطل البعض الاخر نتيجة الالغام وقتل قائد الكتيبة بطلقة اطاحت برأسه وهو يطل من برج دبابته وكان يدعى « الماجور اهود » كما غاصت بقية الدبابات في الرمال الناعمة . وهنا وصلت الى مدخل الممر سرية دبابات « باتون » ضلت طريقها اثناء زحفها مع القوة التي كانت تهاجم جنوب « رفح » فأمرها قائد اللواء باقتحام الممر على الطريق نفسه بسرعة ، وتقدمت هذه السرية ودباباتها الامامية تنطلق بسرعة ٤٥ كلم/ساعة وهي تطلق النار ذات اليمين واليسار على مواقع المدافع المضادة للدبابات واستطاعت الوصول الى حيث كانت الكتيبة السنتوريون تقف عند مشارف « العريش » وليس لديها سوى ٧ دبابات كلها مصابة اصابات مختلفة اذ كانت هوائيانها محطمة وفتحاتها الصغيرة غير قائمة ولونها قاتم مسود موحل كما يصفها مؤلف كتاب « دبابات تموز »(١٨) وهي تدخل العريش مع الغروب . وعندما حاول قائد اللواء وبقية القوة الزحف داخل الممر وجدوه مقفلا مرة ثانية في وجوههم من جانب المدافعين الذين أصلوهم بالنيران ! فاضطر « شموئيل » الى الانسحاب الى حيث كان واتصل بقائده « تال » يشرح له الموقف ويطلب منه ارسال كتيبة المشاة الميكانيكية التابعة له التي كانت لا تزال تقاتل في « رفح » لتطهر الدفاعات المصرية هناك ، الا ان « تال » خشي من ذلك التصرف لان المنطقة الدفاعية كانت لا تزال تعج بالمصريين ويحتمل ان يعيدوا تنظيم انفسهم ويقطعوا مواصلات الفرقة ويدمروا مناطق الشئون الادارية خاصة وانه قد حدث أن تقدم مدفع « س يو ١٠٠ » من منطقة « الشيخ زويد » صوب مستشفى ميدان اسرائيلي أقيم في محطة قطار « رفح » وكاد يقضي عليها لولا تصادف وجود دبابة اسرائيلية « باتون » كانت تصلح من عطب اصابها اطلقت عليه النار في اخر لحظة وهي تسير لتلحق بوحدتها في المقدمة . وهذا يوضح لنا مدى اضطراب موقف فرقة « تال » وقتئذ . ولقد حاول تال الخروج من هذا الموقف العصيب بأن امر لواء الدبابات الاحتياطي

وكان مؤلفا من دبابات « ام اكس ١٣ » و « شيرمان » بأن يزحف صوب « ممر خروبة » ليهاجمه من الجنوب الا ان دبابات وعربات هذا اللواء نصف جنزير غاصت في الرمال الناعمة قرب الممر وكاد وقودها ان ينفد فحاول جنود المشـــاة الميكانيكيـــة ان يقطعوا المسافة المتبقية سيرا على الاقدام الا انهم تعبوا من السير في هذه الرمال وتعذر عليهم الاستمرار فعادوا ادراجهم مرة اخرى بعد أن كانوا قد قطعوا كيلو مترا واحدا ! وبقي هذا اللواء بلا حركة حتى الصباح . وعندما علم « تال » بذلك أمر بقطع تماس الكتيبة الميكانيكية التي تقاتل في دفاعات « رفح » مع المصريين وتحريكها نحو « ممر خروبـــة » فورا لانقاذ الموقف هناك وفتح الطريق للدبابات المعزولة وراءه والتي كانت بحاجة ملحة الى الوقود والذخيرة والاصلاحات . وكان هذا القرار مخاطرة من جانب « تال » لان اي اعادة تنظيم لبقية القوات المصرية التي كانت لا تزال في « رفح » كانت كفيلة باحداث آثار خطيرة على قواته المتقدمة اثناء هذه الليلة الحرجة ليلة ٥/٦ يونيو . وقد وصلت الكتيبة الى « ممر خروبة » بعد صعوبات شديدة في السير على الطريق الذي كان مزدحما بالعربات والدبابات المحترقة وبقوافل سيارات الامداد ، وعند منتصف الليل هاجمت الكتيبة القوات المدافعة عن الممر تتقدمها الدبابات ثم ترجل الجنود المشاة من العربات نصف جنزير وهاجموا المواقع الدفاعية على ضوء القنابـــل المضيئة ، وبعد قتال عنيف استمر ٤ ساعات استولت القوة المهاجمة على الممر وبقيت رابضة فيه لضمان استمرار فتحه للقوات المتقدمة . وفي الرابعة صباحا وصلت امدادات الوقود الى الدبابات المنعزلة عند مشارف العريش والتي كان قائدها يخشى قيام القوات المصرية بهجوم مضاد على قواته المفتقرة الى الوقود والذخيرة الكافية طوال هذا الوقت . وفي السادسة صباحـــا استولت قوة من ٧ دبابات باتون على مطار « العريش » وقبل ذلك وصلت جمـــاعة « تال » القيادية الى مدخل المدينة حوالي الرابعة والنصف من صباح الثلاثاء ٦ يونيو بعد ان حققت اختراقها المطلوب في عمق خطوط دفاع الفرقة السابعة مشاة التي قتـــل قائدها اثناء القتال عند « الشيخ زويد » وهو اللواء « عبد العزيز سليمان »(١٩).

القتال عند النطاق الجنوبي لدفاعات رفح : اثناء العمليات السابق عرضها والتي كـــان يقوم بها لواء « شموئيل » المدرع ، كانت القوات المكلفة بالالتفاف حول الدفاعات المصرية جنوب مفرق طرق « رفح » عند كثبان « العجرة » تخوض غمار قتال عنيف للغاية . فقد اجتازت قوة المظليين الميكانيكية الحدود في حوالي التاسعة صباحـــا من نقطة تبعد عن مستعمرة « كرم شالوم » ٦ كلم الى الجنوب ، وقد اصطدمت بمقاومة شديدة من نيران اللواء المصري المتخندق هناك أدت الى قتل قائد احدى سرايا دبابات الباتون المتقدمة امام زحف المظليين وتدمير بعض دباباتها ، واضطرب زحف السرية ثم اندفعت الى مجنبة الدفاعات حيث اشتبكت مع الدبابات المصرية من طراز « ستالين ٣ » وانفصلت عـــن كتيبة المظليين التي زحفت شمالا على الطريق القديم للعوجه نحو المفرق تهاجم المواقع المصرية من الخلف ، بينما اندفعت سرية « باتون » اخرى صوب الطريق العام علـــى اساس أنها ستصل الى بلدة « كفرشان » لتهاجم المدفعية المصرية هناك والمدرعات الا أنها ضلت الطريق ووصلت الى « الشيخ زويد » وانقطع اتصالها اللاسلكي مع الكتيبة المدرعة (وهذه السرية هي التي عثر عليها « شموئيل » عند ممر خروبه بعـــد ذلك واستخدمها في الهجوم الثاني لفتح الممر المذكور) . وهكذا عملت كتائب المظليين دون حماية الدبابات فوقعت تحت نيران المدفعية والهاونات المصرية وفقدت احدى سراياها ١٢ عربة نصف جنزير من عرباتها الـــ ١٤ ، وفقدت سرية اخـــرى جميع عرباتهـــا واضطرت للسير على الاقدام ، وخسرت سرية ثالثة ٩ عربات نصف جنزير من مجموع عرباتها الـــ ١٥(٢٠)! وهكذا تحرج موقف اللواء المهاجـــم ولذلك طلب « تال » مـــن « شموئيل » ارسال كتيبة مدرعة لنجدة هذه القوات كما سبق ان أوضحنا . ودار قتال شديد طوال اليوم تداخلت فيه القوات مع بعضها وتحرجت مراكز عديد من وحـــدات

العدو المدرعة والميكانيكية خلاله كثيرا ، خاصة موقف سرية الدبابات التي انعزلت عن كتيبة المظليين اذ حوصرت تقريبا من جانب بعض الدبابات المصرية «ستالين ٣» . ولم يتبق لديها سوى ٥ دبابات صالحة للقتال انخفض عددها الى ٤ دبابات بعد اشتعال النار في دبابة اخرى ولكن الدبابات الثقيلة كانت بطيئة المناورة فلم تكمل تطويقها لسرية دبابات العدو فنجت من الموقف الذي كانت فيه . ولولا ان انتهت المعركة التي كانت تدور عند « كفرشان » بسرعة في الساعة الثالثة بعد الظهر تقريبا لبقيت قوات المظليين وبعض الدبابات التي كانت معها محاصرة خلف المواقع المصرية ، اذ ان القوة المدرعة التي كانت قد انفصلت عن المظليين عادت بعد انتهاء مقاومة هذا الموقع وهاجمت الدفاعات كلها في الثالثة والنصف بعد الظهر حتى حوالي السابعة والنصف مساء حيث انتهت المقاومة المنظمة جنوب مفرق الطرق . ويرجع السبب في فشل الدفاع المصري في الاستفادة من سوء موقف القوات المهاجمة الى استخدام الدبابات معظم الوقت من داخل الحفر وعندما كانت تتحرك لم تكن تتحرك بالسرعة المطلوبة في المناورة وكان تحركها يتم بصورة جزئية دون تجميع قواتها الامر الذي أتاح للدبابات الاسرائيلية فرصة مواجهتها على مراحل والقضاء عليها بنيرانها .

المعركة في « غزة » : بعد أن تحرك لواء « شموئيل » المدرع من منطقة « خان يونس » ليواصل اختراقه لدفاعات « رفح » دخلت «خان يونس» كتيبة مشاة ميكانيكية لتطهيرها ولكن المقاومة العربية التي أعيد تنظيمها حالت بينها وبين ذلك وبقي قلب البلدة وضواحيها في أيدي القوات الفلسطينية ، ولذلك قامت بقية القوة الاسرائيلية المعهود اليها احتلال قطاع « غزة » (وهي لواء المشاة الميكانيكي المعزز بكتيبة مظليين وكتيبة دبابات « شيرمان ») بتجنب « خان يونس » وزحفت حولها نحو الشمال حيث أخذت تلاقي مقاومة متزايدة من شبكة معقدة من المواقع الدفاعية قرب « دير البلح » وبعدها على الطريق الى « غزة » نفسها ، في هذا الوقت كانت كتيبة مشاة اخرى تهاجم « تل علي المنطار » المشرف على مدينة « غزة » الا انها اوقفت عن التقدم هناك ، فقامت كتيبة المظليين ودبابات « الشيرمان » بالتحرك نحو الشرق للهجوم على هذا « التل » ذي الموقع الحاكم . وبعد قتال عنيف استطاعت هذه القوة ان تحتله بعد مباغتة القوة المدافعة عنه من الخلف . الا ان المدينة لم تسقط خلال الليل واستمرت المقاومة الشديدة، وفي الصباح اخذت المدفعية الاسرائيلية تقصف جميع المواقع الدفاعية المحيطة بالمدينة بآلاف القنابل وبعد توقف القصف قال رجال المدفعية انهم « وحدهم قد استخدموا ذخيرة اكثر مما استخدم طوال الحروب السابقة ضد العرب من الذخيرة »(٢١) كما يروي الكاتب الاسرائيلي « دافيد ديان » في كتابه « اضرب اولا » ، والذي يصف تفاصيل كثيرة عديدة عن عنف وخطورة مقاومة القوات الفلسطينية للقوات الاسرائيلية المهاجمة للقطاع ، فهو يقول مثلا « لقد كان جنود الفرقة الفلسطينية الذين دافعوا عن النقاط الدفاعية القوية لمدينة غزة وضواحيها خصوما صلبي العود . عندما اقتحمت الدبابات « خان يونس » واطلقت نيرانها على طول مواقعها الدفاعية ، توقفت المقاومة في البلدة . ولكن بمجرد ان مرت الدبابات وقبل ان تصل المشاة الاسرائيلية ، عاد الفلسطينيون الى خنادقهم وبثوا الالغام بسرعة في الطوق وخارج الدفاعات . لقد قاوم الفلسطينيون بعناد بالرغم من عدم تفوقهم عسكريا ... ان قتال الوحدات الفلسطينية يستحق الاحترام والتقدير فأن كل موقع كنا نقتحمه كانوا يعيدون تلغيمه بسرعة على نحو أشد مما كان عليه قبل اختراقه . وقد حدث هذا في المدن وفي كل مكان قاتلناهم فيه . انهم لم يكونوا يلقون بسلاحهم ولا يتوقفون عن القتال حتى يدمروا بشكل كامل »(٢١)! كما يروي ان « خان يونس » عرضت التسليم ثم استقبلت القوات التي دخلتها بالنيران مرة اخرى فكان أن قصفت بعنف طوال صباح الاربعاء ٧ يونيو ثم طهرها المظليون بعنف بعد ذلك . وقد استسلمت « غزة » رسميا في الثانية عشرة وخمس واربعين دقيقة ظهر الاربعاء ٧

يونيو وتوقفت المقاومة فيها . ولم يعلن العدو عن خسائره في « غزة » ولكن الواضح وخاصة من كتاب « دافيد ديان » هذا أن الخسائر كانت باهظة في الافراد والعربات نصف جنزير والدبابات والتي كثيرا ما وقعت في كمائن مدفعية وبازوكا الخ .

الدروس المستفادة من معارك « رفح ــ غزة » : يعلق الكاتبان « دافيد كمشي » و « دان باولي » في كتابهما « حرب الايام الستة » على معارك اليوم الاول في القطاع الشمالي من الجبهة المصرية فيقولان « لم تكن المعركة بأي حال من الاحوال ذلك الانتصار السهل الذي يتصوره الكثيرون . فلقد قاتل المصريون بشكل كله عزم وتصميم على القتال . وقاموا خلال اليوم بتجميع قواهم واعادة تنظيم خطوطهم . ولقد احتلت « رفح » ومواقع محصنة اخرى واعيد احتلالها مرتين واحيانا ثلاث مرات في قتال نهاري شاق . وقد قام احد مؤلفي هذا الكتاب بدخول المدينة اثناء زحف اللواء المدرع ووجدها كمصيدة موت، اذ كان القناصة المصريون يطلقون النار على الجنود الاسرائيليين، بينما يواصل جنود آخرون المقاومة الشرسة ، رغم ان المدينة كانت قد سقطت في أيدي الاسرائيليين منذ ساعات مضت »(٢٢). فاذا ما وضعنا هذا التعليق مع ما سبقه من تعليقات اخرى قالها « دافيد ديان » وكثيرون غيره من الكتاب وقادة العدو نفسه عن صلابة المقاتلين المصريين والفلسطينيين في عديد من المواقف والمواقع وما تبرزه احداث « خان يونس » و« غزة » و« رفح » و« ممر خروبة » نفسها من صلاحية الجنود العرب للقتال والصمود بشجاعة في حدود الطاقة الانسانية ، يشتد في ذهننا سؤال : لماذا كان الفشل في صد الهجوم الاسرائيلي ؟ لماذا لم تسفر كل هذه المواقف الصلبة عن صد زحف « تال » ومنع اختراقه او تدمير قواته بعد ذلك الخ لماذا ؟ ! ونحن بطبيعة الحال لن نتطرق في محاولة الاجابة على هذا التساؤل الى تحليل كافة أسباب الفشل العسكري العربي في حرب ١٩٦٧ ، لان ذلك يخرج بنا عن نطاق هذه الدراسة المحددة لبعض معارك هذه الحرب . وانما سنقصر تحليلنا لاسباب الفشل في صد الاختراق الاسرائيلي في القطاع الشمالي من الجبهة المصرية كما أوضحته خبرات المعارك التي قدمنا لها عرضا سريعا موجزا فيما سبق ، ودون تطرق لتأثير صدور الامر العام للانسحاب من « سيناء » على الموقف العسكري الذي تلا الاحداث التي تعرضنا لها ، نظرا لان الامر لم تصدره القيادة العليا للقوات المصرية الا بعد مضي نحو ٣٠ ساعة من بدء القتال ، اي بعد أن كانت دفاعات الفرقة السابعة قد اخترقت وسقطت « العريش » وكانت « غزة » محاصرة وعلى وشك ان تبدأ المعركة فيها ، ومن ثم لم يكن لهذا الامر صلة مباشرة بالجزء الذي تعرضنا له من المعارك على الجبهة المصرية . ويمكن لنا أن نوجز هذه الاسباب العسكرية التكتيكية في النقاط التالية :

● جمود التكتيك الدفاعي الثابت : تبالغ الكتابات الاجنبية نقلا عن المصادر العسكرية الاسرائيلية في تصوير قوة ومناعة استحكامات المواقع الدفاعية في « رفح » ، « خان يونس » ، « غزة » ــ كما بالغت في تصوير قوة الدفاعات في « ابو عجيلة » وفي مرتفعات الجولان ايضا ــ وذلك لاضفاء هالة ضخمة من المجد على الجيش الاسرائيلي الذي اخترق مثل هذه الدفاعات في ساعات قليلة وتصويره كقوة عسكرية لا تقهر مثلما كانت الدعاية النازية تصور به الجيش الالماني الهتلري . وتكرر الكتابات الاسرائيلية فكرة كاذبة عن قوة هذه الدفاعات فتقول عادة انها قد اعدت على مدى عشرين عاما تقريبا اي منذ عام ١٩٤٨ ، او منذ عشر سنوات في حالات اخرى ، متناسية في الحالة الاولى ان الجيش الاسرائيلي احتل سيناء عام ١٩٥٦ وأزال اي استحكامات كانت موجودة قبل ذلك ! وانه في الحالة الثانية كانت ظروف ما بعد عدوان ١٩٥٦ ووجود قوات الطوارىء الدولية على الجانب المصري من الحدود وحساسية اي تحركات او استعدادات عسكرية كان يمكن أن تتم هناك ، أدت في الواقع الى عدم تحصين دفاعات الحدود بالمعنى الذي تعنيه كلمة تحصين . ولذلك كانت معظم هذه الدفاعات من النوع الميداني العادي الذي

البرية والجوية وأي محاولة للاقتحام الراسي من الجو او الانـزال البحـري ، وتحمل مرحلة زمنية ليست قصيرة من الحصار الكامل ، وبحيث تؤمن له حامية دائمة تضـم اسلحة المشاة والمدفعية م/د ، م/ط والمدفعية الساحلية التي تدعمها دفاعات ساحلية (كانت توجد فعلا بطارية ساحلية هناك) وبعض المدرعات التي تستطيع ان تلعب دور الاحتياطي المتحرك لمساندة الدفاع او لشن هجمات مضادة خارج الاطار الدفاعي وفقا لخطة العمليات الشاملة في شبه الجزيرة ككل . ان مثل هذا التأمين الفعال لقاعدة « العريش » كان ضرورة حيوية للدفاع عن شمال سيناء ومساندة الدفاع عن قطـاع « رفح ــ غزة » ، وهو ضرورة استراتيجية أيا كانت الاستراتيجية العسكرية العـامة هجومية كانت أو دفاعية .

● سلبية الدور الدفاعي المسند لقطاع « غزة » : لقد كان قطاع « غزة » يمثل امتدادا جغرافيا وسكانيا له اهميته الاستراتيجية داخل الارض المحتلة من فلسطين يهدد جناح الجبهة الجنوبية للجيش الاسرائيلي الايمن تهديدا خطيرا . وكان من الممكن لو استثمرت كثافته البشرية الشديدة الحماس لمقاتلة العدو الصهيوني وأهمية موقعه الجغرافي ــ الاستراتيجي كنتوء ممتد بعمق داخل الارض المحتلة ، ان يلعب دورا بالغ الاهمية في تقرير نتيجة المعارك التي تدور في « سيناء » خاصة في حالة صمود «العريش» و«رفح» و« خان يونس » أو أي منها ، بحكم انه كان سيشغل جانبا له اهميته مـن القوات الاسرائيلية ويهدد مواصلات العدو المتجهة الى جبهة سيناء ، في حالة قيام القـوات الموجودة فيه بهجمات مضادة قوية في اتجاه « بير سبع » او « العوجة » مثلا . وكان هذا يتطلب مستوى ارفع كما وكيفا في تسليح القوات الفلسطينية النظامية والشعبية الموجودة فيه ، يتضمن قدرا معقولا من المدفعية بمختلف انواعها مـن ميدان ، م/د ، وم/ط ومدفعية ساحلية ، ومن الدبابات الحديثة (ت ــ ٥٤ مثلا) بكمية لا تقل عن لواء مدرع متكامل الوحدات . وفي ظل هذه الظروف كان القطاع الشمالي للجبهة المصرية غالبا ما سيصمد أمام ضربات العدو ، وبالتالي كان الهجوم على المحور الاوسط ستخف حدته ويمكن تركيز القوى ضده . لانه سيصبح من المجازفة الخطيرة بالنسبة للعدو أن يدفع مدرعاته وسط « سيناء » ومؤخرته مهددة من الشمال على هذا النحو . وفي هذا الاطار الاستراتيجي كان يمكن «للعريش» و«غزة» ان تكونا قنفذا دفاعيا متحركا يهدد مجنبة القوات المعادية المتقدمة ومؤخراتها . وان تلعبا معا وفي وقت واحد متناسق الاداء دور « طبرق » في عام ١٩٤١ ضد جيوش « روميل » التي كانت تهدد حدود مصر الغربية وقتئذ . اذ صمدت حامية المدينة لحصار ثمانية شهور كاملة فحرمت قوات المحور من قاعدة ادارية ضرورية ولازمة ومثلت خطرا لا يمكن تجاهله منذ وضع خطة الاندفاع الى داخل الاراضي المصرية . وبطبيعة الحـال فان مقارنة موقف وتأثير صمود كـل من « العريش » و « غزة » بصمود « طبرق » ليست مقارنة حرفية نظرا لوجود قواعـد ادارية للعدو في « بير سبع » وغيرها وامكانية امتداد الجبهة كثيرا الى الجنوب منهما ، الا انه كان بوسع صمود وايجابية دفاع كل من المدينتين ان يعطيا آثارهما الحتميـة على مجرى عمليات الحرب الخاطفة الاسرائيلية من حيث سرعة التنفيذ وتركيز القوى . وفي هذه الحدود كان دورهما سيتشابه مع دور « طبرق » في الصحراء الغربية عـام ١٩٤١ ، ودور « سباستبول » في شبه جزيرة القرم عام ١٩٤٢ .

وبعد لقد قدمت الجندية العربية والجماهير الشعبية العربية في قطاع غزة آلاف الشهداء في معارك « رفح » ، « خـان يونس » و « العريش » وكتبت بالدم صفحـات فخار في تاريخ النضال الوطني الثوري ، وهي وان كانت لم تؤد الى النتائج التي كانت تستحقها لانها كانت نجاحات تكتيكية محلية وسط فشل استراتيجي عام ، فانها زودت مستقبـل الصراع المسلح الثوري ضد الصهيونية والامبريالية بخبرات ودروس هـامة جديرة

بالدراسة والاستيعاب ، وهي وغيرها من التضحيات والخبرات تمثل مشاعل مضيئة على الطريق الطويل نحو التحرير .

---

١ ــ هذه البيانات مستمدة اساسا من المراجع التالية :
Safran, Nadav. *From War To War* New York; Pegasus, 1969, p. 234-36.
العميد الركن حسن مصطفى ، **حرب حزيران ١٩٦٧** ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣ ، صفحات ٩٤ ، ٩٦ .

٢ ــ تفاصيل تشكيل الفرق المصرية مستمدة من المراجع الاجنبية لا من مصادر مصرية رسمية لان وثائق هذه المرحلة لم تنشر حتى الان . ولذلك قد تكون التفاصيل غير منطبقة بدقة على الواقع نفسه الذي تحدده الوثائق الرسمية .

٣ ــ O'Ballance, Edgar, *The Third Arab-Israeli War*, London, Faber And Faber, 1972, p. 100.

٤ ــ نداف صفران ، **المصدر السابق** ، ص ٢١٤ .

٥ ــ *Military Review*, November 1971, p. 47.

٦ ــ ويقول صفران في الوقت نفسه انها قد حشدت عشية بدء القتال في ٥ يونيو ١٩٦٧ ثلاثة الوية مدرعة بالاضافة الى مجموعة او اثنتين مدرعتين في الجبهة الاردنية ومعها لواء مظلي و ٥ الوية مشاة من الصف الاول و ٤ ــ ٥ الوية مدفعية . وانها حشدت امام الجبهة السورية وقتئذ وقبل الهجوم الفعلي على الجولان لواء مدرعا ولواء مشاة صف أول ولوائين مدفعية . وان اجمالي القوة الاسرائيلية امام الجبهة الاردنية كان ٥٠ الف جندي و ٣٥٠ دبابة ، وامام الجبهة السورية ٢٥ الف جندي و ١٠٠ دبابة .

٧ ــ نداف صفران ، **المصدر السابق** ، ص ٣٣١ و ٣٣٧ .

٨ ــ Marshall. Brigadier General, *Swift Sword*, American Heritage Publ. 1967, p. 138.

٩ ــ ادجار اوبلانس ، **المصدر السابق** ، ص ١٠٠ .

١٠ ــ **المرجع السابق** ، ص ١٠١ .

١١ ــ **المرجع السابق** ، ص ١٢٦ ، هامش ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

١٢ ــ مصطفى ، حسن ، **المصدر السابق** ، ص ١٢٢ و ١٣٢ .

١٣ ــ **المرجع السابق** ، ص ١٢٣ .

١٤ ــ Teveth. Shabtai, *The Tanks of Tammuz*, London, Weidenfeld and Nicolson, 1968, p. 51, 115.

١٥ ــ طائرات « الفوغا ماجستر » هي اصلا طائرات تدريب نفاثة من طراز فرنسي تقوم اسرائيل بتصنيعها محليا تحت اشراف المصنع الفرنسي ويمكن استخدامها في المعاونة الارضية المباشرة في حالة عدم وجود مقاتلات معادية ، وهي مسلحة برشاشين ٧،٥ مم ويمكن تحميلها ببعض الصواريخ العادية جو ــ ارض او قنابل خفيفة . واقصى سرعة لها على ارتفاع ٣٠ الف قدم نحو ٤٥٠ ميل/ساعة ويصل مدى عملها الى نحو ٦٠٠ ميل في حالة تزودها بخزانات وقود اضافية . وكان يوجد منها لدى اسرائيل ٦٠ طائرة وقد وضع بعضها تحت قيادة « تال » مباشرة .

١٦ ــ **المصدر نفسه** ، ص ١٣٥ و ١٤١ .

١٧ ــ **المرجع السابق** ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٦٣ .

١٨ ــ **المرجع السابق** ، ص ١٩٦ .

١٩ ــ مصطفى ، حسن ، **المرجع السابق** ، ص ١٤٣ .

٢٠ ــ **المرجع السابق** ، ص ١٤٨ .

٢١ ــ Dayan. David, *Strike First*, New York, Pitman, 1967, p. 73, 74, 77, 79, 80.

٢٢ ــ David Kimche and Dan Bawly, *The Six - Day War*, New York, Stein And Day, 1971, p. 182.

٢٣ ــ عبيدة ، فاروق « الجمهورية تكشف اسرار معركة رفح » ، القاهرة ، جريدة **الجمهورية** في ١٩ يونيو ١٩٦٨ .

كيف فهمت اسرائيل المقاومة الفلسطينية قبل ٥ حزيران ؟

وليد نويهض

في ليل ١٩٦٤/١٢/٣١ قامت منظمة فتح بأول عملية عسكرية لها داخل الاراضي المحتلة ، وأعلنت ذلك في بلاغ صدر يوم الجمعة أول كانون الثاني من العام ١٩٦٥ . وفي نفس اليوم اذاع شمعون بيريس بيانا نيابة عن ليفي اشكول رئيس الحكومة ووزير الدفاع ورد فيه : بأن اسرائيل تقوم بتحسين خط دفاعها العسكري وندد بالاعمال التخريبية . وتبعه الميجر جنرال اسحق رابين رئيس الاركان العامة للجيش الاسرائيلي فقدم تقريرا عن الوضع الامني الى مجلس الوزراء الاسرائيلي الذي انعقد في ٢ كانون الثاني . وتلاه ليفي اشكول في بيان القاه في الكنيست يوم الاربعاء ٦ كانون الثاني قاله فيه : ان اسرائيل لن تتحمل ازدياد تدهور الوضع على حدودها مع سوريا والاردن . ويوم الثلاثاء في ١٢ كانون الثاني صدر البلاغ الثاني عن قوات العاصفة حول عمليات جديدة لها في الاراضي المحتلة . فاعاد الميجر جنرال اسحق رابين الكرة واعلن بان : اسرائيل ستعمد بالقوة لمواجهة مشروعات التحويل العربية ، وهدد بان الاحداث الموسمية مع سوريا ستؤدي الى اشتعال « نيران اكبر »(١) .

وكرت أعمال المقاومة الفلسطينية في عمق الاراضي المحتلة ، بالرغم من التهويل الصهيوني والتهديدات الاسرائيلية المتكررة ، والاعتداءات المضادة ضد المقاومة وعمليات الانتقام ضد الجماهير العربية في فلسطين المحتلة ، اذ قامت قوات العاصفة (فتح) طيلة عام ١٩٦٥ ، بـ ٧ عمليات في كانون الثاني و ٤ في شباط و ٩ في اذار و ٣ في نيسان و١٢ في ايار . وتصاعدت العمليات العسكرية في شهر حزيران فوصلت الى ٢٠عملية(٢) . وتابعت العاصفة اعمالها العسكرية فقامت في شهر تموز من نفس السنة ، بـ ١٢ عملية و ٥ في اب و ١٦ في ايلول و ٧ في تشرين الاول و ٩ في تشرين الثاني و ٦ في كانون الاول . وكانت الحكومة الاسرائيلية قد اجتمعت في ٣ تشرين الاول لبحث أعمال العاصفة ، واجراءات الامن الخاصة ، والجهود الدبلوماسية التي اعتمدتها اسرائيل في وجه السلسلة الاخيرة من عمليات «التخريب» والتسلل من الاردن . ورفع ليفي اشكول تقريرا الى الحكومة عن حالة الامن على ضوء اعمال « التخريب » الاخيرة التي قام بها رجال فتح(٣) .

وفي السنة الثانية لولادة فتح ، تابع رجال العاصفة اعمالهم العسكرية داخل الاراضي المحتلة . فقامت المقاومة بـ ٥ عمليات في كانون الثاني و ٣ في شباط و ٤ في نيسان و٧ في ايار و٤ في حزيران . وقدم ايضا الدكتور جورج طعمة مندوب سورية الدائم في الامم المتحدة في ١٢ ايار من العام ١٩٦٦ شكوى الى جاكوب دي بوس مندوب هولندة ورئيس مجلس الامن لذلك الشهر ، اتهم فيه اسرائيل بان لديها نوايا للقيام بهجوم على سورية وبان ليفي اشكول رئيس الحكومة الاسرائيلية ووزير دفاعها وغيره من الناطقين الاسرائيليين وخاصة الميجر جنرال اسحق رابين رئيس اركان الجيش الاسرائيلي يطلقون تصريحات تهدد بالحرب التي عادة تتبعها اعتداءات على الدول العربية(٤) .

وتصاعدت عمليات المقاومة الفلسطينية ضد المؤسسات الصهيونية وازداد عمق ضرباتها داخل الاراضي المحتلة ، ابتداء من النصف الثاني من العام ١٩٦٦ . اذ قامت العاصفة بـ ٤ عمليات في تموز و٦ في ايلول و١١ في تشرين الاول و٣ في تشرين الثاني و٦ في كانون الاول (٥). مما دفع شمعون بيريس نائب وزير الدفاع الاسرائيلي سابقا والسكرتير العام لحزب « رافي » الى نشر مقال في صحيفة « قباط حداش » اشار فيه : « انه على الرغم من عدم وجود حرب فعلية بين اسرائيل والعرب ، فيجب على اسرائيل الا تستهين بخطورة « سياسة العدوان العربية » ذلك لان مثل هذه السياسة تشجع القوى المتطرفة مثل منظمة « فتح » للاعتداء على المواطنين الاسرائيليين ، كما ان مثل هذه السياسة لا تزال تفرض على اسرائيل الحصار والمقاطعة وتضطرها لتخصيص الامكانيات الكبيرة من أجل سباق التسلح »(٦). ونشرت صحيفة « الجروزالم بوست » بتاريخ ٨ تموز ١٩٦٦ مقالا قالت فيه ، انه بالامكان عقد صلح بين العرب واسرائيل ، اذا قامت الدول العربية بتحقيق شيئين للوصول الى السلام « وهذان الشيئان هما : ايقاف غارات الفدائيين العرب من قطاع غزة الى داخل اسرائيل ، وفتح خليج ايلات امام الملاحة الاسرائيلية »(٧). وفي جلسة مجلس الوزراء الاسرائيلي في ١٨ ايار ١٩٦٦ ورد في تقرير اشكول حول اعمال مكتب رئيس الوزراء « ان اسرائيل تعرف ان افراد منظمة « فتح » يعملون من الاراضي السورية ، وان اسرائيل لا تحبذ القوة ، ولكن من واجبات الحكومة الاساسية حماية اراضيها ومواطنيها واحباط محاولات الارهاب التي تقوم بها بعض العناصر »(٨).

ونفذت اسرائيل تهديداتها في اعتداء كبير على الاراضي السورية في ١٤ تموز ١٩٦٦ . حيث قال المندوب الدائم للوفد الاسرائيلي امام مجلس الامن ، مبررا العدوان : « في ١٣ و ١٤ تموز قامت وحدات من الجيش السوري وبعض الجماعات الاخرى المسلحة بأحداث اعمال تخريبية ضمن الاراضي الاسرائيلية ، وان الحكومة السورية مسؤولة عن أعمال التخريب تلك ، وان الحكومة الاسرائيلية قد أمرت قواتها لتقوم بعمل ثأري محدود النطاق ضد سورية ، وذلك ردا على اعتداءات سورية المتكررة على اسرائيل »(٩). وكررت اسرائيل اعتداءاتها بهجوم بربري على قرية السموع الاردنية في ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٦ ، فقال المندوب الاسرائيلي في مجلس الامن : « ان أعمال اسرائيل العسكرية تقوم بها حكومتي بسبب الاعمال التخريبية التي يقوم بها الفدائيون الفلسطينيون ضمن الاراضي الاسرائيلية . وما قامت به الحكومة لم يكن الا عملا عسكريا محدودا يهدف الى ردع الاردن عن السماح باستعمال اراضيه قاعدة لشن اعمال تخريبية ضد الشعب الاسرائيلي »(١٠).

الا ان المقاومة الفلسطينية ، بالرغم من الهجوم المضاد الذي قامت به القوات الاسرائيلية وبالرغم من محاولات النظام الاردني لخنق تحركها ، صعدت اعمالها العسكرية داخل الاراضي المحتلة . اذ بلغت مجموع عملياتها في شهر كانون الثاني ١٩٦٧ ما يزيد على ٨ عمليات وفي شهر شباط ٦ وفي اذار ٩ وفي نيسان ١٤ وفي ايار ١٦ وفي حزيران (شهر الحرب العربية ــ الاسرائيلية) ١٢ عملية (١١).

وقبل اندلاع نار حرب الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، حدثت عدة اشتباكات دامية على الحدود السورية ــ الاسرائيلية ، وتميزت خمسة الاشهر الاولى من العام ١٩٦٧ بالمعارك المستمرة بين اسرائيل وسورية على الحدود ردا على اعمال المقاومة الفلسطينية المتزايدة . وهذا شريط بمسلسل الاشتباكات التي وقعت في شهر كانون الثاني ، وهي في الاول والثاني والثالث عندما نسف الفدائيون مخزنا للادوية يقع على الحدود السورية ــ اللبنانية ــ الاسرائيلية . وفي ٦ كانون الثاني صرح اشكول ، بأن عام ١٩٦٧ سيكون حرجا بالنسبة للشرق الاوسط . واستمرت الاشتباكات بعد ذلك في

و٩ كانون الثاني حين وقعت ثلاث معارك عنيفة وتبعها اشتباكان في ١١ و١٤ كانون ثاني ، فعقدت الحكومة الاسرائيلية على اثرهما اجتماعا خاصا في ١٥ كانون الثاني ، صرح فيه اشكول اسباب الاجتماع الطارىء فقال : جئت « ابلغ الوزراء بالخطوات التي يجب ان تتخذها اسرائيل للاستعداد لمواجهة الاعتداءات السورية » وتركز البحث « حول احتمال توجيه غارة انتقامية ضد سورية » . وفي ١٦ كانون الثاني ، هاجم الفدائيون اهدافا حيوية في اسرائيل ، مما دفع يوثانت الطلب الى لجنة الهدنة السورية ـ الاسرائيلية لعقد سلسلة اجتماعات حول الموضوع ، فعقد اجتماعان في ٢٥ و ٢٩ كانون الثاني ، دون أن يصل الجانبان الى حل مشترك تتفق عليه جميع الاطراف(١٢) . وعقد الكنيست اجتماعا في ٢٤ كانون الثاني ١٩٦٧ وذلك للتداول بشأن الوضع المتوتر مع سورية ولتقدير ما اذا كانت اسرائيل ستشارك في اجتماعات لجنة الهدنة المشتركة . وقد انقسم اعضاء الكنيست الى معسكرين واضحين : الاول يشمل اعضاء حزب رافي المشتركة في الائتلاف الحكومي ، وهو يؤيد استخدام جميع امكانات الضغط الدبلوماسي لاقناع السوريين بوقف اعمالهم العدوانية . والثاني يشمل اعضاء الاحزاب جاحال ، وهو يحث على القيام بعملية عسكرية ضد السوريين في الحال ومن ثم تقديم ايضاح الى الامم المتحدة والدول الكبرى بشأنها(١٣) .

وخلال شهر نيسان ١٩٦٧ اشتد التوتر العسكري على خطوط الهدنة الاسرائيلية ، وشرح اشكول ذلك في خطاب له : « انه اذا كان عبر الحدود (يقصد سورية) يعتقد بأن تفوقه الطوبوجرافي يتيح له الحماية والحصانة في مهاجمتنا والاعتداء على ارضنا ، دون تعريض نفسه لخطر العقاب ، فانه يكون قد ارتكب خطأ بالغا ، اذ ان رجال سلاحنا الجوي اثبتوا له وللعالم أجمع باننا نعرف كيف نحمي حقوقنا وارواح مواطنينا »(١٤) . وقبل اواخر ايار ١٩٦٧ ، سحبت مصر قوات الامن عن الحدود واعلنت حالة الطوارىء واغلاق خليج العقبة بوجه الملاحة الاسرائيلية ، على اثرها القى اشكول خطابا في الكنيست في ٢٢ ايار فقال : ان الاحداث حتمت على اسرائيل « اتخاذ جميع الخطوات اللازمة للتعبئة لتدارك اية تطورات محتملة » وقال بان الحكومة « اصدرت اوامر باجراء تعبئة لقوات الاحتياط »(١٥) .

ووقعت فجر الخامس من حزيران حرب عربية ـ اسرائيلية من جانب واحد ، اذ استطاعت اسرائيل أن تهزم الجيوش العربية في مدة لا تتجاوز الايام الستة ، وذلك نتيجة اتباعها تكتيكا مرنا وفر لها الجو الملائم لتنفيذ خطة الاحتلال مباشرة . ويمكن اختصار التكتيك الاسرائيلي بالنقاط التالية :

١ ـ تصريحات عديدة من جانب الوزراء والمسؤولين الاسرائيليين تظهر بان اسرائيل دولة معتدى عليها .

٢ ـ المناداة باحلال السلام بين اسرائيل والدول العربية عن طريق المفاوضات المباشرة، في الوقت الذي كانت تقتنص الفرص لاعلان الحرب .

٣ ـ استنكار اعمال الفدائيين في الاراضي المحتلة التي تزيد حدة التوتر في المنطقة وتحميل المقاومة المسؤولية الرئيسية والمباشرة لحرب حزيران(١٦) .

اسرائيل والمقاومة من خلال محاضر الكنيست

شكلت اعمال المقاومة الفلسطينية داخل الاراضي المحتلة محورا للنقاش دار طيلة اعوام ١٩٦٥ و ٦٦ و ٦٧ في الكنيست الاسرائيلي ، ولقد كانت مختلف الكتل النيابية ـ الاحزاب الممثلة داخل الكنيست متفقة على المضمون من ناحية اعتبار اعمال الفدائيين وكفاحهم من اجل التحرير اعمالا « ارهابية » و « تخريبية » تهدد «الاستقرار والامن الاسرائيليين» هذا بالرغم من اختلاف الكتل والاحزاب على الشكل واشكال قمع ومكافحة اعمال

المقاومة والنظرة الى « الجيران » العرب . ولقد كان واضحا بان الحكومة الاسرائيلية كانت تعطي اهمية بالغة لاعمال المقاومة ولا تترك مجالا الا وتطرح مشكلة « التخريب » و« الاعتداءات العربية على أمن اسرائيل » وذلك كمحاولة لاخفاء الطابع الاستعماري والاستيطاني لدولة اسرائيل وكيفية تكونها وظهورها الى حيز الوجود بالاضافة الى محاولة طمس حق شعب فلسطين بالعودة الى دياره ، وتعتبر اي عمل من هذا القبيل عملا « عدوانيا » و« ارهابيا » يريد ان يمحق الشعب اليهودي ويزيله من الوجود بتشجيع من البلدان العربية التي تصرح اجهزة اعلامها باستمرار عن نواياها في هذا الشأن !؟

اما حول نسبة تمثيل الاحزاب الاسرائيلية ودور كل حزب في الكنيست وخطه السياسي العام ، فاننا نلحظ بان الكنيست كان يضم قبيل العدوان الصهيوني في الخامس من حزيران الكتل التالية :*

١ ــ كتلة التجمع او الائتلاف . وهي الكتلة الحاكمة في اسرائيل والمسيطرة على الكنيست ومجلس الوزراء ، وتضم الاحزاب التالية : تجمع عمال اسرائيل ، الحزب الديني القومي ، حزب العمال المتحد (مابام) حزب الاحرار المستقلين ، التعاون والاخاء ، والتقدم والانماء ، اجودات يسرائيل وعمال اجودات يسرائيل .

٢ ــ كتلة جاحال . وهي كتلة يمينية متطرفة لا تؤمن بالحوار الدبلوماسي والحلول السياسية وتضم مختلف المنظمات الصهيونية الارهابية قبل قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ ، منها : كتلة حركة حيروت ــ حزب الاحرار وقائمة عمال اسرائيل (رافي) .

٣ ــ كتلة « اليسار » الصهيوني . وهي كتلة ضعيفة (٥ نواب فقط) ومتشعبة الاتجاهات السياسية ومنقسمة على بعضها بعضا ، وتتألف من التيارات الثلاثة التالية :
أ ــ كتلة القائمة الشيوعية الجديدة (راكاح) . ابرزهم مئير فيلنر ، ب ــ هاعولام هازيه ــ كتلة القوة الجديدة . ابرزهم اوري افنيري ، ج ــ الحزب الشيوعي الاسرائيلي (ماكي) . ابرزهم شموئيل ميكونيس .

ان هذه الكتل الثلاث تشكل لولب السياسة الاسرائيلية على اختلاف احجامها واوزانها . وحتى نفهم بطريقة جيدة نظرة اسرائيل للمقاومة الفلسطينية قبل ٥ حزيران ، علينا بدراسة النقاشات ــ ولو بشكل مختصر ــ التي جرت في الكنيست ورؤية كل كتلة أو ممثل حزب لهذه المشكلة الطارئة التي واجهتها الحكومة الاسرائيلية ابتداء من أول كانون الثاني العام ١٩٦٥ .

يوم الاثنين ١٧ تشرين الثاني ١٩٦٦ ، دعا الكنيست الى اجتماع لمناقشة بيان حول الامن الاسرائيلي يلقيه رئيس الحكومة ووزير الدفاع الاسرائيلي ليفي اشكول . وقد ورد فيه : « وعلى غرار منظمة الشقيري ، تكونت عصابة تحت اسم « فتح » هدفها الاساسي عدم استقرار اسرائيل ، وكذلك التعرض لبعض الدول العربية ، وهذه العصابة جمعت مجموعات من المخربين اطلقت عليهم اسم « العاصفة » ، هذه المجموعات مشكلة اساسا من مجرمين محترفين وقتلة مرتزقة . واتضح ان منظمة الشقيري وعصابات المخربين تتمتع بتأييد محدود فقط في العالم العربي » وتابع « لكن عصابات المخربين قصيرة الاجل . فلكي تعمل تلزمها المعونة والملجأ والمال والثقة والتعاون من جانب الدول العربية . وقد أدت يقظتنا ونشاطنا الى احجام بعض الدول العربية عنها في الواقع . اما التأييد والتحيز فقد وجدتهما اساسا في دولة عربية واحدة وفي حكومتها ، وهي سوريا . ويمكن الافتراض ان هناك عناصر معينة تتعاون معها ايضا في بعض الدول العربية الاخرى ، ولكن الاساس نجده في سورية » واكمل خطابه قائلا : « ان الحكم السوري يسمح بصدور صحيفة هذه العصابة في دمشق ، كما يساعد في تخطيط عمليات المخربين ، ويقدم التأييد الفعال لزملائهم في الدول العربية المختلفة .

وبالاضافة الى « فتح » فالجيش السوري يدرب وحدات في نطاقه ، مهمتها القيام بعمليات في اسرائيل وفي دول عربية أخرى » وتابع « ولا تكتفي سوريا بمحاولاتها الوقحة في الخارج — في أخلاء مسؤوليتها — بل تتجرأ على التصريح بلا توقف بأن اسرائيل هي التي تتآمر للهجوم على سوريا ، وان البيانات الاسرائيلية عن اعمال التخريب داخل أراضي اسرائيل ما هي الا ذريعة لهجوم مدبر » وانهى خطابه قائلا : « وطبقا لهذا اضطررنا الى العمل ضد اهداف في الاردن ولبنان لان القتلة خرجوا من هناك للعمل داخل اسرائيل . لا يمكننا تبرئة دولة يعبر المخربون اراضيها ولا تبرئها من المسؤولية عن منع عبور كهذا — هذه المسؤولية التي تظهر في اتفاقيات الهدنة »(١٧) .

واضح من بيان اشكول ثلاث نقاط رئيسية : ١ — وصم المقاومة بالارهاب واتهام ابناء المخيمات بالمجرمين المحترفين . ٢ — تحميل سورية المسؤولية الاساسية عن اعمال المقاومة وتهديدها بالرد على دعمها للفدائيين . ٣ — التلميح بشن حرب مضادة ضد قواعد المقاومة داخل الاراضي العربية مع التشديد على مسؤولية سورية في المساهمة لاستمرار عملياتهم .

وسنرى الان بان مناقشة البيان من قبل الكتل الحزبية في الكنيست لم تخرج عن هذه النقاط الثلاث ، باستثناء « اليسار » الصهيوني ، الذي اعتبر بان المقاومة الفلسطينية عمل « تخريبي » و « ارهابي » الا انه لم يوافق على ردود الفعل العسكرية الاسرائيلية ضد قرى الدول العربية وتهديدات الحكومة لاسقاط الحكم في سورية ، مفضلا اتباع اسلوب الضغوطات السياسية والدبلوماسية .

وبدأ المناقشة يوسف سابير (جاحال) فقال : « علينا الا ننظر الى أعمال التخريب هذه كعمل مؤقت لا يتكرر ، بل كجزء من خطة تعدها اما دولة عربية واحدة او بالاتفاق بين كل الدول العربية المجاورة » وتابع « علينا في ظروفنا الجغرافية والجغرافية السياسية ان نكون متيقظين دائما لحالة الدفاع المباشر لا ضد حرب بمعنى الكلمة بل ضد ما يسمى « حرب العصابات » على غرار ما تقوم به هذه الدول . اذ ان أي دولة من هذه الدول او كلها لا تستطيع شن حرب ضد اسرائيل بقصد ابادتها . والطريق الاسهل لها هو التحرش بنا بالوسائل المعروفة ، والحاق الضرر بنا الى درجة نضطر معها الى العيش دائما في توتر غير منقطع »(١٨) .

وتبعه زئيف تسور (التجمع) فقال ان « حكومات سوريا المتغيرة دائما في السنوات الاخيرة ، وخصوصا الحكومة الحالية ، بدأت بتكتيك ارهابي جديد نعرف جوهره منذ فترات سابقة . ولكنه اصبح الان اسلوبا حديثا يهدف الى تشويش مجرى الحياة العادية في اسرائيل واضطرار اسرائيل ومعها الدول العربية الى الدخول في حرب شاملة في المنطقة » وتابع « وعلى اساس العمليات الارهابية التي تتم داخل اسرائيل ينبغي ان نطالب في الجمعية العامة (يقصد الامم المتحدة) العناصر المؤيدة لوكالة الغوث والتشغيل باعادة تنظيم اداري وعملي للوصول الى تسجيل حقيقي للمحتاجين الى الاغاثة ومحو اسماء المجندين في جيش التحرير من القوائم تماما ، وكذلك توجيه عمل الوكالة الى عمل بناء يقوم على استيطان اللاجئين واستيعابهم في الدول التي يعيشون فيها »(١٩) .

وقال يتسحاق رفائيل (المفدال) : « طوال عدة اسابيع ذعرت سكان اسرائيل اعمال القتل والتخريب وحكومتنا تسجل هذه الاعمال وتضيفها الى الحساب المخضب بالدم ولكنها لا ترد بالقوة التي تملكها » وتابع « هنا ليس في الامكان شن حرب بحسب المفهوم الفيتنامي ، كما اشار الى ذلك متحدثون سوريون أخيرا . لا توجد غابات او ادغال تفصل بين بلدينا . فالحدود مكشوفة وسهلة العبور — نسبيا — كما ان الظروف الاستراتيجية والعملية هنا لا تلائم حربا من هذا القبيل »(٢٠) .

وتبعه شمعون بيريس (رافي) : « ان « فتح » ـــ بوحي من سوريا ـــ تحاول توريط حكومة الاردن ، ولا يوجد أي طعم لاتباع خطواتها . فالملك حسين كعبد الناصر يعرف علاقات القوى ، ولهذا فهو لا يميل الى اعمالها المتسرعة » و « اذا كان من الضروري ان تطالب الاردن باتخاذ جميع الوسائل لعدم جعل اراضيها ملجأ لـ « فتح » حتى لو لم تكن مصدرا لهذه المنظمة ، فيبتغي التمييز بين الموانع الاردنية وبين الدوافع السورية »(٢١).

وقال يترهار هراري (حزب الاحرار المستقلين) : « علينا الا نتجاهل او نستهين بحرب العصابات او بحرب المقاومة او بالصور الاخرى التي اتخذتها الحرب ضد اسرائيل ، وسوريا التي تريد الدخول في حرب معنا ، ولا تتجرأ على محاربتنا وجها لوجه ، فتجرب صورا اخرى من الحرب »(٢٢).

وصعد مناحيم يدوش (اجودات يسرائيل) الحملة على سورية من خلال عمليات المقاومة ، فقال بعصبية عنصرية : « الدم اليهودي الذي يسفك . ليس له بديل او ثمن، كل نفس في اسرائيل عالم متكامل . حتى هذا الجيل الذي رأى مجرى دماء اخواننا وفقد الملايين . هذا الجيل لا يمكن ان يتكلم عن دم يهودي يسفك لاعتبارات الاستحقاق والتكتيك »(٢٣).

وتبعه جبر معدي (التعاون والانماء) فقال « أسلوب وضع الالغام وحرب العصابات اسلوب قديم ، لا فائدة منه وليس في استطاعته حل المشكلة . على العكس سيزيد النار اشتعالا » وجاء بعده موشي دايان (رافي) فقال « لا توجد اليوم موجة تسلل ، بل يعبر الحدود عشرات من قطاع الطرق التابعين لمنظمة « فتح » وبسببهم لا ينبغي ان تسود دولة اسرائيل حالة ذعر تضطرها الى زيادة استعدادها الدفاعي » وتابع دايان كلامه مستندا الى أهمية دور الدول العربية الرجعية في تصفية المقاومة « ان قسوة حسين في الاردن في محاربة « فتح » قائمة على اساس الافتراض بانه ان لم يحاربها فان اسرائيل سترد باعمال عسكرية »(٢٤).

وشرح موشيه آرام (التجمع) دوافع سياسة الحكومة السورية « المخزية » في دعم المقاومة فقال : « اعتقد أنه يمكنني ان ألمح بسهولة ثلاثة اتجاهات جامحة .
أ ـــ بالاستفزاز الدائم يمكن دفع بقية الدول العربية ـــ وخصوصا مصر ـــ وتوريطها في حرب ضد اسرائيل رغم ارادتها . ب ـــ صرف نظر جماهير الشعب السوري عن الصعوبات الداخلية الخطيرة التي تزعزع سوريا في الميدانين الاقتصادي والاجتماعي .
ج ـــ الاتجاه الرئيسي ـــ محاولة تجريد حكومة اسرائيل من سلاحها ، بالمبادرة باحداث اشتباكات على الحدود وعمليات ارهابية وتخريبية »(٢٥).

اما « اليسار » الصهيوني فلقد كانت مواقفه « متناقضة » مع الكتل اليمينية والدينية المتطرفة في عنصريتها وشوفينيتها ، الا ان حدود « تمايزه » و « معارضته » لا تخرج عن كونها « معارضة » صهيونية في الاساس و « تمايز » من ضمن دائرة اسرائيل ومصالحها الامنية . اذ كانت ولا تزال تحكمه جملة تناقضات تصب في النهاية بطاحونة الدولة الاسرائيلية . وهي :

١ ـــ اعتباره المقاومة الفلسطينية عملا « تخريبيا » و « ارهابيا » .

٢ ـــ اعتباره ان اي حرب اسرائيلية ـــ عربية هي حرب استعمارية ولدوافع استعمارية وبتحريض من الاستعمار ولخدمة الاستعمار .

٣ ـــ تحذيره للحكومة الاسرائيلية بعدم قيامها بأي اعتداء على الدول العربية لانها ستقع في عجلة الاستعمار ومصالحه . وكأن اسرائيل ليست في الاساس مشروعا استعماريا ـــ أستيطانيا ـــ صهيونيا ، « فاليسار » هنا يغيب طبيعة اسرائيل العدوانية والتوسعية

وكيفية قيامها في الاساس ، كما انه يغيب ارتباطاتها بالامبريالية العالمية مع اعترافنا « باستقلالها » النسبي في بعض الاشياء .

٤ ــ طرحه لموضوعات السلام والامن والاخوة الدبلوماسية والسياسية وشجبه للحرب، بشكل تجريدي وغير عملي وواقعي . اذ انه (اليسار) لا يميز بين حرب اسرائيل ضد الدول العربية والمقصود منها بالاساس ضرب الحركة الوطنية في هذه البلدان أي خدمة الرجعية العربية والامبريالية وبين حرب العرب ضد اسرائيل وهي حرب تقدمية ، تحررية وطنية تصب في النهاية في الهدف النهائي الا وهو الثورة الاشتراكية ــ البنساء الاشتراكي .

وهذه تعليقات « اليسار » الصهيوني حول الموضوع المطروق في الكنيست . اذ اميل حبيبي (القائمة الشيوعية الجديدة) يقول : « اننا نستنكر بكل شدة اعمال التخريب والقتل التي تقوم بها المنظمة التي تدعى « فتح » . اننا نستنكر اي تأييد مباشر او غير مباشر من جانب دوائر حاكمة في سوريا لعمليات عدوانية تقوم بها هذه المنظمة . ونقول هذا الكلام من خلال التفهم العميق لجوهر النزاع الاسرائيلي ــ العربي الذي يحاول الاستعمار استغلاله لانجاح مؤامراته العدوانية ضد السلام واستقلال الشعوب » ويستنتج اخيرا ان « طريق اسرائيل هو مع الشعوب العربية ضد الاستعمار ، لا مع الاستعمار ضد الشعوب العربية »(٢٦) .

ويقول اوري افنيري (هاعولام هازيه ــ قوة جديدة) ان « الوضع السائد الان على الحدود السورية هو ايضا جزء من الثقة والايمان باننا نخدم الاستعمار . وها نحن نتهم مرة اخرى بالاشتراك في مؤامرة استعمارية لاسقاط الحكم الثوري في سوريا » ويردف « يجب ان نقوم بأعمال سياسية توضح تماما اننا لا ننتمي الى عجلة الاستعمار ، ولا نتآمر على رغبة الجماهير العربية في التقدم القومي والاجتماعي » ويتابع « ان مشكلة الساعة هي « فتح » . ولكن مشكلة الجيل هي السلام . علينا الا ننساه مجرد لحظة »(٢٧) .

اما شموئيل ميكونيس (الحزب الشيوعي الاسرائيلي ــ ماكي) فقد طرح المقترحات التالية : « أ ــ عملا سياسيا دوليا يشكل ضغطا على حكام سوريا لوقف تأييدهم للعمليات الارهابية ضد اسرائيل . ب ــ تأمينا لمناطق الحدود التي يتسلل منها المخربون والقتلة باستخدام وسائل حراسة ، كسد هذه المناطق وانارتها بما فيه الكفاية ، بوسائل وقائية حديثة »(٢٨) .

وتبعه توفيق طوبي (القائمة الشيوعية الجديدة) فقال : « يجب ان نصل الى السلام . ثمانية عشر عاما تصرفتم هكذا (يقصد الحكومات الاسرائيلية) وهذا ما أبعد اسرائيل عن تسوية عادلة ، تسوية سلمية »(٢٩) .

وبالرغم من موقف « اليسار » الصهيوني المعارض بشدة لمخططات اسرائيل العدوانية والمؤيدة « بشدة » للحلول الدبلوماسية والسياسية التي تضع المنطقة على عتبة السلام دون تقدير حقيقي منه لابعاد السلام السياسية التي تعني لاسرائيل والامبريالية ، الاستسلام الكامل للصهيونية والارتماء الكلي باحضان الولايات المتحدة الاميركية ، فان اسرائيل اكملت سياستها العدوانية التي ليست الا نتيجة طبيعية وتكملة حتمية لاستمرار الوجود الصهيوني في فلسطين ، مما دفع « اليسار » الصهيوني الى تقديم مشروع مناقشة للاعتداءات الاسرائيلية على البلدان العربية في الكنيست .

وقدم مشروع المناقشة شموئيل ميكونيس (الحزب الشيوعي الاسرائيلي) حيث ورد فيه: « أعضاء الكنيست ، لقد طرأ تحول خطير على سياسة الحكومة الانتقامية العسكرية الا وهو الانتقام الجماعي من سكان منطقة عربية كاملة على الحدود ، بحجة ان عصابات

المخربين تتسلل منها الى اراضينا ثم تعود اليها كما يقول لنا بصورة رسمية . لقد علمتنا التجربة ان هذا لا يمنع استمرار تسلل المخربين الى الاراضي الاسرائيلية » وتابع « على اسرائيل ان تعيد النظر في سياستها الدفاعية والخارجية حتى تكسب المزيد من الاصدقاء ، ولا تتمادى الدوائر الحاكمة في اخطائها الشديدة ، ولا يقع بلدنا في حبل المؤامرات الاستعمارية في المنطقة »(٣٠).

وتبعه توفيق طوبي (القائمة الشيوعية الجديدة) فناقش مسألة غارة اسرائيل على الاراضي الاردنية في ١٣ تشرين الثاني ١٩٦٦ ، فقال ان « القوى الاستعمارية الاجنبية التي تريد اعاقة التقدم الاجتماعي للشعوب العربية والمحافظة على مصالح شركات البترول وعلى المصالح الاستعمارية للدول الغربية الكبرى . وهذه القوى هي بعينها التي تهتم بالنزاع بين اسرائيل والدول العربية ، وهي التي تحرك الخيوط وتعجل بالاشتباكات العسكرية ، وهي التي تستغل النزاع الاسرائيلي — العربي وتعجل بسفك الدماء المشترك بل انها تعجل حتى بالحرب وعلى الخصوص ضد الدول العربية المناهضة للاستعمار مثل سوريا حتى تتمكن من التدخل والعودة بعجلة التاريخ الى الوراء »(٣١). وقال اوري افنيري (هاعولام هازيه — قوة جديدة) : « ان المسألة ليست استسلامنا لاعمال القتل والتخريب ، فلا محل للمناقشة سواء في الكنيست او في الدولة . انه ليس هناك اي نقاش في اننا لن نستسلم لحرب العصابات على الحدود . ان المسألة هي كيف ؟ هل العمل العسكري على وجه العموم ، وخصوصا هذه العملية ، يساعد على وضع حد للصدام ، ام ان العكس هو الصحيح ؟»(٣٢).

ورد ليفي اشكول (وزير الدفاع ورئيس الحكومة) على مناقشة « اليسار » الصهيوني فقال : « يؤسفني انني سمعت هذه التهم عن الامبريالية الاسرائيلية وعن الاستعمار الاسرائيلي وان اسرائيل تسير في ركب الاستعمار من فم احدى النساء الباسلات قبل الغارة على جبل الخليل بعدة أيام وفي اثناء مناقشات مجلس الامن » وتابع مبررا سياسة العدوان الاسرائيلي على الدول العربية فقال : « ان حكام سوريا لا يخفون تأييدهم لـ « فتح » ويفخرون باعمال القتل التي تقوم بها ويطلبون استمرارها علانية »(٣٣).

وهكذا نرى بان حدود تمايز « اليسار » الصهيوني الممثل في الكنيست عن باقي الكتل والاحزاب ضيقة جدا . وتتلخص :

١ — بأن اعمال العنف العسكرية الجماعية التي تقوم بها اسرائيل ضد البلدان العربية لن تؤدي الى نتيجة ، ولن تمنع حرب العصابات والتسلل ، عدا عن كونها ستشجع أعمال العنف العربي المضاد وستجر الى حرب اسرائيلية — عربية .

٢ — اتهام الحكومة الاسرائيلية بانها تريد اسقاط الحكم التقدمي في سوريا ، المعادي للاستعمار ، وبالتالي فان اسقاطه يعني خدمة للامبريالية وتجميدا للتطور الاجتماعي للشعوب العربية .

٣ — اعتبار ان اسرائيل ليس لها علاقة بالاستعمار من الاساس ، مع الموافقة على ان اعمال الحكومة الاسرائيلية العدوانية تصب في طاحونة الامبريالية وتسير مع عجلة الاستعمار في المنطقة .

٤ — التشديد على السلام بشكل مطلق ولوم اي جهة (عربية ام اسرائيلية) تحاول خرق الهدنة على الحدود والمطالبة باتباع اساليب الحوار السياسي والدبلوماسي دون الاخذ بعين الاعتبار حق شعب فلسطين باتباع طريق الكفاح المسلح للعودة الى أرضه المغتصبة .

٥ ــ محاولة التمييز ما بين الحكم التقدمي في سورية واعمال المنظمات « الارهابية » و « التخريبية » في الوقت الذي تعتبر بقية الكتل الحزبية بانه لا فرق بين الحكم السوري والعمل الفدائي . بل تعتبر ان سورية هي التي خلقت وشجعت وأيدت المقاومة الفلسطينية وساهمت في نموها وتطورها .

ومر عاما ١٩٦٥ و ١٩٦٦ وجاء مطلع العام ١٩٦٧ ، وطبعا لم تغير اسرائيل موقفها من المقاومة الفلسطينية ، وأصرت على اتهام سورية بانها المسؤولة الاولى والمباشرة عن العمليات الفدائية ، وكأنها لا تعلم بأن المقاومة المسلحة كانت ستقوم وستستمر سواء بوجود نظام حكم تقدمي في سورية او غيرها من البلدان العربية أم بعدم وجود مثل ذلك النظام في أي قطر عربي . وبالمقابل ازدادت اعمال المقاومة في الارض المحتلة التي تمثلت بحرب الالغام والهجوم على المستعمرات ونسف بعض المرافق الحيوية التي أدت الى مقتل العشرات وجرح المئات عدا عن حالتي الذعر والرعب في اسرائيل بالاضافة الى ازدياد توتر الاوضاع العسكرية على الحدود السورية ــ الاسرائيلية وخاصة فترة الاشهر الخمسة السابقة لحرب ٥ حزيران .

وهذا ما دفع الحكومة الاسرائيلية الى دعوة الكنيست الى اجتماع لمناقشة بيان لفي اشكول حول الوضع الامني في دورة ١٧ كانون الثاني ١٩٦٧ . ولم يطرأ في الجلسات اي تعديل جوهري على موقف الكتل والاحزاب السياسية في اسرائيل من ناحية فهمها للمقاومة الفلسطينية ونظرتها للاعمال العسكرية التي تقوم بها ، وكيفية مواجهتها ، واسلوب مجابهتها على الصعيدين السياسي والعسكري .

فقد ورد في بيان اشكول : « ان السوريين يعملون بذراعين : ذراع واضحة عسكرية بادواتها المختلفة من ناحية ، ومن ناحية أخرى يستندون الى اعمال مجموعات المخربين على اختلاف انواعهم ويشجعونها » وتابع تحليله للموضوع « وعندما تمكنا من وقف اعمال تحرش الجيش السوري ، وكفلنا استمرار العمل الزراعي المنظم ، وازلنا التهديد عن المستوطنات توجه السوريون مرة اخرى الى تشجيع عمليات زرع الالغام والتخريب »(٢٤) .

ورأى حاييم لنداو (جاحال) رأي اشكول ، وشرح أهداف حرب العصابات العربية بالشكل التالي : « الاول ، التشويش على سير الحياة النظامية في اسرائيل ، والتأثير في أمن مواطني اسرائيل ، ووضع قوة عسكرية ومدنية للدفاع ضدها . وعلينا ان نفهم انه ان لم توقف هذه الحرب عاجلا ، تطورت وتقدمت في امكاناتها ، واستطاعت ان تكون مزعجة جدا وحافلة بالاخطار . والهدف الثاني لحرب العصابات داخلي ، هو رفع الروح المعنوية للمواطنين السوريين ورفع سمعة الحكومة السورية . والهدف الثالث هو تحريك دول عربية أخرى من أجل دفعها في طريق حرب متشابهة ، ومن خلال تسوية الحسابات بين العرب . والهدف الرابع سياسي خارجي وهو خلق « حركة تحرير فلسطينية » ليست فقط سياسية بل عسكرية ايضا . والادلة على هذه المحاولة رأيتها وسمعتها في الجمعية العامة للامم المتحدة الاخيرة » وبعد ان انهى شرحه يخلص لنداو الى القول : « يجب ايقاف حرب العصابات . ان كل التغيير الاساسي تغيير حتمي »(٢٥) . وتبعه جبريل كوهين (التجمع) الذي حدد احتمالات الحرب من ضمن هذا المنظار : « ان في علاقات اسرائيل وسوريا ثلاثة منطلقات للازمة وكل منطلق منها يشكل احتمالا لنشوب حرب : أ) تحويل مصادر نهر الاردن . ب) مشكلة المناطق المنزوعة السلاح ونزاعات عمليات استغلال الاراضي . ج) استخدام حرب التخريب والالغام والارهاب داخل حدود دولة اسرائيل . ومركز ثقل ينتقل ويتحرك كل مرة من مجال الى اخر ، واخيرا فوجئنا بانضمام فعال في تركيز عمليات الارهاب والتحدي على الحدود وفي مواصلة عمليات التحويل »(٢٦) .

وقال موشيه أونا (الحزب الديني القومي) : « ان عملية واحدة لمنع المخربين من القيام بها ، او تنتهي بالقبض على المجرمين ، لها تأثير اكثر من هدم عشرة منازل . واننى مقتنع الان انه يجب توسيع الوسائل الخاصة باحباط نشاط المخربين وتحسينها حتى لو لم نستطع ان نمنعها كليا ، وكلنا يعلم مدى الصعوبات المرتبطة بهذا الوضع » . وبعد ان كشف أونا خطورة الوضع الناجم عن أعمال المقاومة التي لم يستطع الجيش الاسرائيلي حتى ذلك الوقت من افشال واحدة منها على الاقل عسكريا ، تبعه شمعون بيريس (رافي) : « لا يمكن ان نفترض ان هدف سوريا هو ان تهزم وتتلقى ضربة من جيش الدفاع الاسرائيلي في ضوء وقوفها وحدها وضعف جيشها . ان ما تريده سوريا هو حرب عصابات ممتازة مع كل توجيهاتها دون مخاطرات اضافية . وهذا بالذات ما على اسرائيل ان تمنعه »(٣٧) .

وقال يعقوب حزان (مابام) : « اننا اقوياء بما فيه الكفاية ومتأكدون من قوتنا على صد اي اعتداء موجه ضدنا . واننا قادرون على مناقشة مشكلات أمننا في هدوء ، من خلال تشغيل ادراكنا والابتعاد عن كل هستيريا الصياح او عن كل حديث تختفي خلفه اقتراحات بسيطة للغاية : ردود ، ردود ، ردود ... » .

واكمل جدعون هاوزنر (حزب الاحرار المستقلين) كلام بيريس عن هستيريا الحرب التي اصابته واصابت الحكومة الاسرائيلية وكيفية تجاوزهما لاعتبارات « السلام » والعمل الدبلوماسي والسياسي ، فقال : « اننا نقف الان بيد ممدودة للتسوية . وانه لعار ان نقف بها على هذا الوضع مدة طويلة ، ان هذا الموقف يتلاءم مع هذا الوقت فقط ، وقد قررنا ان نقوم بذلك واننى اظن ان الحكومة قررت ما ينبغي ، ولكن اذا ردت يدنا خالية فانها ستكف عن الشرح والتوضيح وتعود مرة اخرى الى السلاح »(٣٨) .

ونبعه يعقوب كاتس (عمال اجودات يسرائيل) : « يجب ان نعلن رغبتنا في السلام وأمن حياتنا وحياة ابنائنا . وان مع ذلك لن نسمح لاي كان بان يرسل سهامه بصورة دائمة الينا ، يقتل ابناءنا ويعرض حياتنا للخطر دون ان نرد عليه ونقتص منه »(٣٩) .

نلاحظ ، بان ادعاءات الكتل اليمينية المتطرفة والمتعصبة وخلافاتهم البسيطة تتلخص بالنقاط التالية :

١ ــ الادعاء بان اسرائيل تريد السلام ، وبلد محب للسلم ولا يكن اي عداء لجيرانه العرب .

٢ ــ الادعاء بان اسرائيل بلد معتدى عليه . وتصوير الخطر العربي بشكل يجعل اسرائيل بمثابة الحمل الوديع امام الذئاب الكاسرة .

٣ ــ الامعان في اخفاء الطبيعة التوسعية والعدوانية لاسرائيل ، وتغييب موضوع نشأتها وتكونها مع تجاهل كلي لشعب فلسطين وحق النازحين والمشردين في العودة الى اراضيهم . وتكرار تحميل سورية مسؤوليتها عن اعمال العنف في المنطقة ، كغطاء لتبرير هجومها العسكري .

٤ ــ الخلاف الطفيف بين الكتل اليمينية والمتطرفة اي بين كتلة الائتلاف الحكومي (التجمع) وكتلة المنظمات الصهيونية الارهابية المعارضة (رافي) يتمحور حول ان الحكومة تريد ان تستعمل الوسائل الدبلوماسية اولا لتبرير عدوانها العسكري امام الراي العام العالمي ، بينما المعارضة اليمينية المتطرفة ترفض اي مجال للعمل السياسي و « الحوار » وتطالب بالرد الفوري والقمع العسكري .

أما مناقشة « اليسار » الصهيوني لبيان رئيس الحكومة فلم تخرج عن كونها تكرارا لفظيا لما سبقها من مناقشات وخلافات في اساليب العمل لمواجهة المقاومة الفلسطينية .

اذ ان مئير فيلنر (القائمة الشيوعية الجديدة) يقول : « اننا نرفض الدعاية العسكرية المتطرفة التي يقوم بها ممثلو جاحال ورافي في الكنيست الذين يخافون من كلمة المفاوضات نفسها » وتابع يشرح اسباب الخلاف العربي — الاسرائيلي : « ان المشكلات المختلف عليها هي مشكلات سياسية ، ويجب حلها بالوسائل السياسية في اطار لجنة الهدنة . وكل عمل عسكري ضد سوريا على غرار الغارة على السموع او بصورة مشابهة لها ، سترتد علينا . يجب المحافظة على اتفاق وقف اطلاق النار ، ولجنة الهدنة المشتركة جزء لا يتجزأ من هذا الاتفاق » . وتكلم اوري افنيري (هاعولام هازيه — قوة جديدة) حول العمل الفدائي وعلاقته بسورية فقال : « ان الدعاية الرسمية تنسب كل هذه الاعمال بصورة تلقائية الى حكومة دمشق ، وهذا الامر أعطى شرعية لهجوم كبير على سوريا . والواقع ليس لدينا اثبات قاطع ان حكومة سوريا أو أي حكومة عربية اخرى تتحكم مطلقا في هذه المنظمات » .

وتبعه شموئيل ميكونيس (الحزب الشيوعي الاسرائيلي) الذي اعتبر بأن اعمال المقاومة الفلسطينية تعطي حجة للامبريالية بركوب موجة العداء العربي — الاسرائيلي فقال : « ان الانتقام العسكري من جانب واحد ، واعمال القتل والتخريب التي تقوم بها منظمات الارهاب العربية التي تؤمن بالافكار المغامرة التي لا صحة لها حول « حرب شعبية لتحرير فلسطين » من جهة أخرى تخدم في الواقع المصالح الاجنبية لنفس القوى التي تكف عن ركوب « حصان » النزاع الاسرائيلي — العربي »(٤٠).

لقد كانت مجمل تصريحات المسؤولين الاسرائيليين حول الوضع الامني ، وخطورة العمل الفدائي تأخذ مجراها الطبيعي وتتصاعد يوما بعد يوم كمقدمة لتنفيذ الخطة الصهيونية بقمع حركة التحرر الوطنية العربية واحتلال المزيد من الاراضي العربية . وقد عبر عن هذا الاتجاه — اتجاه خوف اسرائيل من نمو الشخصية الفلسطينية وانبعاثها من جديد من خلال المقاومة المسلحة — بشكل صريح مقال بيغال الون في ١٠ شباط ١٩٦٧ في جريدة الجروزاليم بوست . اذ قال : « ولكنهم يدركون ايضا (يقصد العرب) بان الهزيمة على يد اسرائيل ، مع انها قد لا تهدد وجودهم كدول ذات سيادة الا انها قد تهددهم كأنظمة حكم قائمة » وشرح الون اهداف منظمة التحرير الفلسطينية ومنظمة فتح بقوله : « تحاول هاتان المنظمتان ان تخلقا ما يسمى « الشخصية الفلسطينية » بقصد اكتساب اعتراف مختلف الدول بها ولغرض اقامة نواة سياسية قادرة على المطالبة بعودة الاراضي التي تحتلها اسرائيل » ويتابع « ان اعمالهم العسكرية تستهدف نسج اسطورة من الكفاح البطولي حول « الشخصية الفلسطينية » ورفض قبول وجود دولة اسرائيل من قبل العرب وغيرهم ، وابقاء القضية قائمة ومتحركة ، وانزال الخسائر البشرية وزعزعة الثقة في اسرائيل » ويردف معلقا على اهداف المقاومة المسلحة سياسيا ، فيقول : « ان وجود واعمال منظمة التحرير الفلسطينية ليست موجهة كليا ضد اسرائيل ... بل هي موجهة ايضا ضد الدول العربية » وبعدها يكشف الون عن دور الدول العربية في خنق الشخصية الفلسطينية من خلال خنقها لتحركهم الوطني التحرري وأمله في حصول ذلك « وبعد عامين من الهجمات الفدائية وهجماتنا الانتقامية المقابلة ، اظهر الاردن بامكانه عند الضرورة ان يسيطر على حدوده وان يمنع تسلل الفدائيين »(٤١).

ان مختلف التصاريح والبيانات والمقالات والمناقشات هذه ، ان كانت داخل الكنيست ام خارجه ، ليست الا مدخلا لتحقيق هدف واحد . وهو : عدوان الخامس من حزيران وهزيمة العرب الثالثة .

ملاحظات عامة

ان تحليل نصوص مناقشات الكنيست التي تعبر عن مجمل السياسة الاسرائيلية تحتاج

الى دراسات عديدة . ولكننا نستطيع ان نستنتج منها عدة امور ارادت الحكومة الاسرائيلية اخفاءها لتبرير عدوانها الاساسي (قيام اسرائيل) واعتداءاتها الثانوية (حرب حزيران مثلا) عن الرأي العام العالمي . وهي :

١ ــ دور اسرائيل في المنطقة العربية . وهو يتمثل في اتجاهين : أ) تبعيتها للامبريالية العالمية مع الاحتفاظ « باستقلالها » النسبي في التحرك العسكري لخدمة الاهداف الاستراتيجية السياسية المشتركة . ب) اداة تنفيذ لمخططات الامبريالية العالمية وفي طليعتها الولايات المتحدة الاميركية لقمع اي تحرك شعبي عربي ــ فلسطيني مسلح لتحرير الارض والانسان . بالاضافة الى ضرب الحركة الوطنية العربية التي بدأت تحقق بعض المنجزات الاجتماعية وتفرض بعض المكتسبات الديمقراطية .

٢ ــ التهويل بالخطر العربي وجعله الخطر الاساسي ، والتناقض الرئيسي للجماهير اليهودية في فلسطين . وذلك لتحقيق هدف داخلي ، وهو تحويل اي امكانية لبروز تناقض طبقي بين الجماهير اليهودية (وخاصة اليهود الشرقيين) والمؤسسات الصهيونية . وتمييع ذلك التناقض وصهره في اتجاه واحد : احتلال المزيد والمزيد من الاراضي الجديدة، تحت شعار بان الاحتلال هو الحل الوحيد لفك تناقضات الدولة الاسرائيلية والطريق الوحيد للخروج من أزمات النظام الرأسمالي الصهيوني ــ الاستيطاني .

٣ ــ من الواضح جدا بأن اسرائيل كانت تعاني قبل العام ١٩٦٧ أزمة اقتصادية خانقة تتمثل في : ١) نقص كبير في كمية المعونات والتبرعات من الصهيونية والدول الرأسمالية الامبريالية . ٢) ازدياد عدد العاطلين عن العمل . ٣) العجز الفاضح في الميزان التجاري . ٤) تدهور الاوضاع الاقتصادية في مجمل القطاعات الانتاجية الاسرائيلية بسبب فقدان السوق الاستهلاكية من جهة ونقص المواد الخام للتحويل الصناعي المتقدم والتطوير الاقتصادي .

٤ ــ لقد نشرت صحيفة الجلوبو الايطالية تقريرا صادرا عن حاكم بنك اسرائيل دافيد هوروفيتز ، ورد فيه بالارقام مدى العجز الاسرائيلي طوال عامي ١٩٦٣ ــ ١٩٦٤ ، يقول : بلغ العجز في الميزان التجاري عام ١٩٦٤ ما يزيد على ٣٤١ مليونا من الدولارات مقابل ٢٢٥ مليونا عام ١٩٦٣ اي بزيادة ٢٤ ٪ . وايضا بلغ عجز اسرائيل في ميزان المدفوعات ٥٨٠ مليونا بزيادة ١٧٠ مليونا عام ١٩٦٣ . هذا بالرغم من « المساعدات » الالمانية الغربية لاسرائيل والتي بلغت طيلة اعوام ١٩٥٠ ــ ١٩٦٤ ما يزيد على ٢٤ مليار مارك مع الوعد باستمرار دفع ١٦ مليار مارك لسنوات ١٩٦٥ ــ ١٩٧٥(٤٢).

وأعلن وزير العمل الاسرائيلي في تقريره عن البطالة امام الكنيست في ٩ أيار ١٩٦٦ ما يلي : « هناك ظواهر واضحة لوجود بطالة وتدهور اقتصادي ، خاصة في بعض مناطق الاعمار . وقد شكلت لجنة وزارية لوضع التوصيات اللازمة لمواجهة الحالة »(٤٣). وبعد صدور التقرير منعت الحكومة الاسرائيلية تداوله . الا ان الذي كشف حقيقة الوضع الاقتصادي في اسرائيل هو الخلاف الذي حصل في اذار ١٩٦٧ بين أطراف الاتحاد الصهيوني البريطاني بسبب رفض مجلة « الجويش اوبزرفر » التي يصدرها الاتحاد في لندن ، نشر مقالة لمراسل المجلة في القدس حول تفشي البطالة في اسرائيل ، استنادا الى أرقام استقاها المراسل من مدير «لجنة الطاقة البشرية» في اسرائيل هانوف سميث. كما ان رئيس الحكومة الاسرائيلية اعترف امام اعضاء الكنيست ، بان حماسة اليهود قد خفت بالنسبة لاسرائيل وبان ذلك أثر تأثيرا ملحوظا على كمية التبرعات المرسلة الى صندوق الدولة اليهودية . ويتابع اشكول بان ذلك الحماس عاد من جديد بعد حرب ٥ حزيران التي كلفت اسرائيل ٧٥٠ مليون دولار ، غطتها بسرعة تبرعات اليهود في العالم التي بلغت ٣٥٠ مليون دولار فقط ابتداء من شهر حزيران الى ايلول ١٩٦٧ ، عدا

التبرعات الصهيونية ـــ الامريكية التي بلغت في الفترة نفسها ما يزيد على ٢١٠ ملايين دولار(٤٤).

ان هذه الحقائق توضح طبيعة اسرائيل العدوانية وارتباطاتها بالاحتكارات الامبريالية ، والسوق الرأسمالية العالمية ، ودورها التنفيذي في ضرب حركة التحرر الوطنية العربية، كما انها تكشف عن طبيعة أزمة النظام الرأسمالي في اسرائيل واوضاعه الاقتصادية التي تحتاج باستمرار الى عملية احتلال جديدة لتنفيس حدة التناقضات الداخلية التي يمكن ان تنشب اذا استمرت تلك الحالة دون تنفيذ سياسة العدوان والاحتلال ، مع الاخذ بعين الاعتبار ان حرب ٥ حزيران لم تكن في الاساس متوقفة على الاسباب الاقتصادية (انخفاض التبرعات ـــ نقص المساعدات ـــ البطالة ...) بل ايضا تعود لاسباب جوهر قيام اسرائيل والتي تتلخص في عدائها الشرس لاي حركة تحرر عربية على الصعيدين الوطني والاجتماعي .

وبعد ، نقول كلمة اخيرة ، انه بعد ٥ حزيران نشرت عدة دراسات وابحاث عربية تحلل وتفسر اسباب الهزيمة قبل ١٩٦٧ ونتائج الهزيمة بعد ١٩٦٧ ، وحتى الان لم تجر اي محاولة لدراسة شاملة وكافية ـــ على حد علمنا ـــ تشرح وتحلل وتقيم الهزيمة نفسها ، عسكريا وسياسيا .

---

١ ـــ **اليوميات الفلسطينية** ، المجلد الاول ، الصفحات ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٨ ، ١٩ .

٢ ـــ **اليوميات الفلسطينية** ، المجلد الاول ، النصف الاول من العام ١٩٦٥ .

٣ ـــ **اليوميات الفلسطينية** ، المجلد الثاني ، النصف الثاني من العام ١٩٦٥ .

٤ ـــ **اليوميات الفلسطينية** ، المجلد الثالث ، من ٦٦/١/١ الى ١٩٦٦/٦/٣٠ .

٥ ـــ **اليوميات الفلسطينية** ، المجلدان الرابع والخامس ، من ٦٦/٧/١ الى ١٩٦٧/٦/٣٠ .

٦ ـــ **الكتاب السنوي لعام ١٩٦٦** ، ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

٧ ـــ **الكتاب السنوي لعام ١٩٦٦** ، ص ٢٦٨ .

٨ ـــ **الكتاب السنوي لعام ١٩٦٦** ، ص ٢٧٢ .

٩ ـــ **الكتاب السنوي لعام ١٩٦٦** ، ص ٥٩٦ .

١٠ ـــ **الكتاب السنوي لعام ١٩٦٦** ، ص ٦٠٦ ـــ ٦٠٧ .

١١ ـــ **اليوميات الفلسطينية** ، المجلدان الرابع والخامس .

١٢ ـــ **الكتاب السنوي لعام ١٩٦٧** ، ص ٥٧٣ .

١٣ ـــ **الكتاب السنوي لعام ١٩٦٧** ، ص ٥٧٩ .

١٤ ـــ **الكتاب السنوي لعام ١٩٦٧** ، ص ٣٩٧ .

١٥ ـــ **الكتاب السنوي لعام ١٩٦٧** ، ص ٣٩٨ .

١٦ ـــ **الكتاب السنوي لعام ١٩٦٧** ، ص ٣٩٥ .

* ان هذا التقسيم الاستثنائي يطال فقط القضايا التي تعرضت لها الدراسة .

١٧ ـــ **محاضر الكنيست ١٩٦٧/١٩٦٦** ، ص ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٨ .

١٨ ـــ **محاضر الكنيست ١٩٦٧/١٩٦٦** ، ص ١١ ، ١٢ .

١٩ ـــ **محاضر الكنيست ١٩٦٧/١٩٦٦** ، ص ١٥ ، ١٨ .

٢٠ ـــ **محاضر الكنيست ١٩٦٧/١٩٦٦** ، ص ٢٠ ، ٢٢ .

٢١ ـــ **محاضر الكنيست ١٩٦٧/١٩٦٦** ، ص ٢٦ .

٢٢ ـــ **محاضر الكنيست ١٩٦٧/١٩٦٦** ، ص ٣٤ .

٢٣ ـــ **محاضر الكنيست ١٩٦٧/١٩٦٦** ، ص ٣٧ .

٢٤ ـــ **محاضر الكنيست ١٩٦٧/١٩٦٦** ، ص ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ .

٢٥ ـــ **محاضر الكنيست ١٩٦٧/١٩٦٦** ، ص ٧٧ .

٢٦ ـــ **محاضر الكنيست ١٩٦٧/١٩٦٦** ، ص ٤١ ، ٤٣ .

٢٧ ـــ **محاضر الكنيست ١٩٦٧/١٩٦٦** ، ٥٧ ، ٥٩ .

٢٨ ـــ **محاضر الكنيست ١٩٦٧/١٩٦٦** ، ص ٦٠ .

٢٩ ـــ **محاضر الكنيست ١٩٦٧/١٩٦٦** ، ص ٨٢ .

٣٠ ـــ **محاضر الكنيست ١٩٦٧/١٩٦٦** ، ص ١٩٩، ٢٠٠ .

٣١ ـــ **محاضر الكنيست ١٩٦٧/١٩٦٦** ، ص ٢٠٢.

٣٢ ـــ **محاضر الكنيست ١٩٦٧/١٩٦٦** ، ص ٢١٤.

٣٣ ـــ **محاضر الكنيست ١٩٦٧/١٩٦٦** ، ص ٢٠٦ ـــ ٢٠٧ .

٣٤ ــ **محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧** ، ص ٢٨٦ ــ ٢٨٧ .

٣٥ ــ **محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧** ، ص ٢٩٧ ــ ٢٩٩ .

٣٦ ــ **محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧** ، ص ٣٠٠ .

٣٧ ــ **محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧** ، ص ٣٠٦ ، ٣٠٩ .

٣٨ ــ **محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧** ، ص ٣١٢ ، ٣٢١ .

٣٩ ــ **محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧** ، ص ٣٣٠ .

٤٠ ــ **محاضر الكنيست ١٩٦٦/١٩٦٧** ، ص ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣٣ ، ٣٤٥ .

٤١ ــ نقلا عن **ملحق فلسطين** الصادر من جريدة **المحرر** اللبنانية ، ٢٣ شباط ١٩٦٧ .

٤٢ ــ نقلا عن **اليوميات الفلسطينية** ، المجلد الاول ، ص ١٦ ، ١٧ .

٤٣ ــ **الكتاب السنوي لعام ١٩٦٦** ، ص ٢٧٣ .

٤٤ ــ **المصدر نفسه** .

صدر حديثا عن مركز الابحاث

النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه

١٩٠٨ ــ ١٩١٨

بقلم

الدكتورة خيرية قاسمية

والكتاب عبارة عن اطروحة نالت عليها الكاتبة درجة دكتوراه . وينشرها مركز الابحاث ليلقي الضوء على النشاط الصهيوني بالتفصيل وردود الفعل العربية عامة والفلسطينية بشكل خاص على هذا النشاط ، في اوسع وأدق التفاصيل حول الموضوع . والكتاب يتضمن مجموعة ضخمة من الوثائق المتعلقة بالموضوع تنشر لاول مرة .

اطلبه من مركز الابحاث ــ قسم التوزيع
ص.ب ١٦٩١ ــ بيروت
سعر النسخة ٨ ليرات لبنانية
تضاف اليها اجور البريد : ١٠٠ ق. ل. في العالم العربي
٢٥٠ ق. ل. في اوروبة ، ٥٠٠ ق. ل. في سائر الدول .

تجربة في الصحافة السرية

عبد القادر ياسين

عندما تم للقوات الاسرائيلية احتلال قطـــاع غزة ، في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ واجهت التنظيمات الثورية في القطاع جملة واجبات عسيرة ، كان عليها ان تنجزها . لعل على رأس تلك الواجبات كان انتزاع الجماهير من هوة اليأس التي أسقطتها فيها الهزيمة . لذا فقد كان أمام القوى الثورية في القطاع أن تخوض نضالا تحضيريا دؤوبا وشاقا ، قبل الوصول بالكفاح الى النضال المسلح . مما طبـــع الكفاح الثوري بالقطاع ، في النصف الثاني من سنة ١٩٦٧ ، بالطابع السياسي . ولعبت الصحافة السرية دورا محوريا في هذا الكفاح . وقد ارتكزت القوى الثورية في القطاع على الصحافة السرية ، دون الدعاية الشفهية . نظرا للانتشار الواسع للتعليم في القطاع أولا ، وطلبا للامان ثانيا ، ولقلة الاعضاء المنظمين القادرين على تغطية الدعاية الشفهية ثالثا . وحتى الاميين كـــانوا يستطيعون السماع الى مواد الصحيفة من أحد القراء ، بمـــا يتيح لهؤلاء الاميين تربية فكرية وسياسية ثورية .

كيف ولدت المقـــاومة

منذ بداية الاحتلال الاسرائيلي لقطاع غزة ، تأسست « الجبهـــة الوطنية المتحدة » من « الحزب الشيوعي » و« حزب البعث » و« جبهة تحرير فلسطين (ج ت ف) » . وشارك بعض المستقلين الوطنيين الديمقراطيين في قيادة الجبهة . ولبعض المستقلين ثقل سياسي كبير في قطاع غزة ، لا تستطيع معه التنظيمات الثورية تجاهلهم ، نظـــرا لتأثيرهم البالغ في أوساطهم المهنية والعائلية .

وقد صدرت صحيفة « المقاومة » ، في أول آب (اغسطس) ١٩٦٧ ، لمساندة الجبهة في عملها السياسي والفكـــري . وفي العدد الاول منها جرى شرح نهجهـــا . وتصدت « المقاومة » لواجباتها منـــذ اليوم الاول ، فقد اجتهدت لجذب قطاعات واسعة مـــن الجماهير الى ساحة الكفاح ، وعمدت الى ملاحقة الافكار الانهزامية والانتحارية على حد سواء . وجاءت موادها لتربي الجماهير بالروح الكفاحية الصحيحة ، من أجل الكفاح ضد الاحتلال الاسرائيلي ، وتصعيد هذا الكفاح ، ليأتي الكفاح المسلح تتويجا له .

وقد أظهرت تجربة « المقاومة » أن خير وسيلة لنشر الافكار الثورية بين الجماهير ، هي القيام بتحريك ودعاية صائبين وواضحين ، مع رفع مستوى الجماهير الفكري . وقـــد واجهتنا منذ البداية عقبة داخلية لم تكن في الحسبان . تلك هي استصغار بعض اعضاء قاعدة الجبهة شأن الدور الذي تلعبه الصحافة والمطبوعات في تربية الجماهير وفـــي توجيه نضالاتها .

لقد كانت الصحافة السرية الثورية في قطاع غزة ـــ بشبكـــة منشوراتهـــا اليوميـــة والاسبوعية والشهرية ـــ تلعب دورا هاما في تربية الشعب، وفي تنظيم اعمال جماهيرية، وفي رفع مستوى المناضلين الفكري والسياسي .

وبينت التجربة ان ارتفاع توزيع الصحيفة السرية، شأنه شأن نهوض التنظيم واتساعه، ملتحم بالاعمال الجماهيرية . فارتفاع توزيع الصحيفة السرية مرتبط اشد الارتباط بمستوى نشاط الاعضاء ، وبمدى مشاركة الجماهير في النضال . وفي الوقت نفسه ، ارتبط تقدم العمل الجماهيري للجبهة الوطنية المتحدة بقطاع غزة ، ارتباطا مباشرا ، بالنجاحات التي احرزها التنظيم السري والصحافة السرية للجبهة . وباختصار ، كانت صحافة الحزب السرية هي قلب النضال الشعبي . والجسد بلا قلب لا يستطيع الحياة على حد تعبير المناضل التقدمي البرتغالي « جوزيه موريرا »*. لذا لم يكن صدفة أن تتوقف « المقاومة » عن الصدور ، في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٠ ، اي في أعقاب المذبحة الشرسة التي نظمتها السلطة الاردنية للمقاومة الفلسطينية ، في الاردن ، في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ .

ولقد كانت « المقاومة » ثغرة في جدار الرقابة الشرسة التي فرضها الاحتلال الاسرائيلي على قطاع غزة ، ومصدر صحيح للاعلام ، حيث كان يجري فيها تحليل اكثر القضايا الحاحا ، وتسجل فيها نضالات الجماهير الشعبية ، وتلقى فيها الاضواء على المسائل المحلية والعربية والعالمية .

وقد أتت الصحافة السرية في الوطن المحتل (المقاومة ، الجماهير ، الوطن) لتعبر عن ارادة المقاومة عند شعبنا ، وعنصرا أساسيا في الكفاح الوطني . وهي — بحق — شعلة تضيء الطريق الى النصر .

حيـاة الصحيفة وطابعهـا السري

يكتسب دور الصحافة الثورية اهمية خاصة في قطاع غزة . ففي خلال ست سنوات من الاحتلال الاسود والارهاب الفاشي والقمع الوحشي ، نجحت القوى الثورية في القطاع في المحافظة على تنظيماتها السرية واصدار صحافتها السرية .

وقد قامت القوات الاسرائيلية بشن غارات عديدة على مقار صحيفة « المقاومة » . وهذه امور كنا ننتظرها ، الا أننا لم ننقطع عن العمل أبدا طوال أكثر من ثلاث سنوات . وبالرغم من كل الصعاب ، فقد حافظت « المقاومة » على مواعيد صدورها بانتظام .

وفي الظروف السرية فان عملية اصدار الصحيفة تظل محفوفة بأخطار جمة ، وتتطلب درجة عالية من الحذر واليقظة الثورية . بدءا من شراء الورق والحبر ونقلها الى مقر المطبعة ، مرورا بأعمال الطباعة البالغة الدقة والخطورة ، وانتهاء بالتوزيع ومصاعبه واخطاره .

وفي ظل الارهاب الاسرائيلي البشع ، يعود نجاح صحيفة « المقاومة » ، الى حد بعيد ، الى الاجراءات المحكمة التي اتخذت لمواجهة تلك القضايا الشائكة التي تحيط — عادة — بالصحافة السرية : الجهاز الفني (المطابع) ، الطباعة ، الورق والاحبار ، المقر، وأخيرا توزيع الصحيفة . فبدون حل هذه الامور حلا صحيحا ودقيقا كان يستحيل اصدار عدد واحد من « المقاومة » .

وقد جرى استعمال أدوات طباعة غير متقدمة ، لقلة الضجيج الذي تصدره اثناء عملها، وان كانت هذه الادوات تحتاج الى وقت أطول في العمل . فاذا أضفنا الى الميزة الاولى سهولة نقل هذه الادوات — عند الضرورة — لتبين لنا مدى الامان الذي يتيحه استخدام مثل هذه الادوات .

ويرتكز الصدور المنتظم للصحيفة وبقية المطبوعات ، على نظام طاعة حديدي ودقيق ، يجري فيه توزيع المهام والواجبات بشكل مدروس ومحدد . كما يتم انتقاء الكوادر المختصة ، بالدقة نفسها . واذا عرفنا أن مطبعة « المقاومة » لم تكتشف طوال اكثر من

عشرين شهرا ، بالرغم من تفتيش القوات الاسرائيلية للحي الذي تقـوم فيه المطبعة ـ بيتا بيتا ـ عشرات المرات ، وان « المقاومة » ظلت تصدر بانتظـام أكثر من ثلاث سنوات ، في ظروف بالغة القسوة والسوء ـ لاتضح لنا مدى ما تتمتع به الجبهة الوطنية المتحدة من كفاءة تنظيمية وعلاقات وثيقة وعميقة بالجماهير . وما تتمتع به كوادرها من جسارة واستعداد غير محدود للتضحية في سبيل وطنها .

وفي ظل القمع والتفتيشات المستمرة ، والمفاجئة ، من قبل القوات الاسرائيلية ـ للمارة والمنازل والسيارات ـ فان تخفيض أوزان واحجام المطبوعات السرية يرفع من معدلات الامان وسلامة التوزيع ، وبالتالي سلامة عمل وتنظيم الجبهة كله .

وقد يصدم القارىء عندما يعلم ان كل هذه الضجة التي أقمتها هنا ، هي بخصوص ورقة واحدة كانت تصدر بصفة دورية مرة كل اسبوع ، وتمتلىء بالمواد السياسية المتنوعة . فقد جرى طبع « المقاومة » على ورقة فولسكاب واحدة ، على كلا الوجهين . وقسمت كل صفحة الى ثلاثة أعمدة ، وجرى توزيع المواد على كل صفحة بشكل يجعل العـين تتقبلها وتستريح لها ، ويسمح ، في الوقت نفسه ، بنشر اكبر قدر ممكن من المواد ، في أصغر حجم ممكن ، توفيرا للأمان واختصارا لوقت القراء .

وأذكر اننا طبعنا من الاعداد الثلاثة الاولى من « المقاومة » نحو مائة نسخـة للعدد الواحد ، وزعنا نحو سبعين من كل عدد ، وطلبنا الى اعضاء الجبهة تمريرها على أكبر عدد ممكن من القراء ، ثم اعادتها الينا ، حيث كان يجري اعادة حصرها واحراقها ، مع الاحتفاظ ببعضها في الارشيف . وقد لجأنا الى هذا الاجراء للحيلولة دون وقوع نسخ من « المقاومة » في أيدي المحتلين ، ولحصر الجهة التي تسرب منها في حـالة وقوع بعض النسخ في أيدي سلطات الاحتلال .

ونظرا لعدم عملية هذا الاجراء ، وصعوبته ، وحاجته الى جهود مضنية ، فقد جرى رفع العـدد الى ٥٠٠ نسخة ، وسمح منذ العـدد الرابع بعـدم اعادة النسخ . وفي وقت لاحق جرى رفع عدد النسخ المطبوعة من « المقاومة » الـى الف نسخة للعدد الواحد. وأخذ الاقبال على « المقاومة » يشتد ويتزايد ، خاصة بعد دخول القطـاع مرحلـة النهوض الثوري ، بعد نجاح الاضراب الشامل الذي كانت قد دعت اليه الجبهة ، في الثامن من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ . الا ان قيادة الجبهة رأت ان تكون استجابتها ـ لهذا الاقبال على الصحيفة ـ محكومة ، خشية ان يؤدي الاتساع غير المحكوم لتوزيع الصحيفة الى تعريض سلامة الجبهة كله للخطر ، او أن يشكل هذا الاتساع عبئا اضافيا على الاعضاء ، ينجزونه على حساب بقية المهام التنظيمية ، التي اخذ دورها يتزايد مع النهوض الثوري . وظل نمـو واتساع توزيع « المقاومة » مسايرا لنمـو واتسـاع الجبهة نفسها .

صحيح أن طباعة وتوزيع صحيفة سرية ، وتدابير امنها ، تكلف غاليا ، الا انهـا خير بطاقة مرور الى الجماهير ، تحمل صوت الحزب اليها ، ويستمد الحزب من الجماهير ـ بواسطتها ـ العون المادي والمؤازرة المعنوية . والعون المادي مطلوب لتغطية نفقات الطباعة والورق ، ومصاريف النقل ، وايجار المقر ، وما اليه . ونجاح اصدار وتوزيع الصحافة الثورية السرية ، وسلامتها في ظل نظام فاشي ، لا يمكن ان يكونا ثمرة جهود أفراد لا تربطهم ببعض اي رابطة ، بل هما نتيجة عمل حزب قوي ، منظم ، ويضرب بجذوره في أعماق الجماهير . واصدار مثل تلك الصحافة ، يتطلب وجود حزب قادر على حل القضايا العديدة التي يثيرها الاصدار والتوزيع ، ولديه الكوادر اللازمة لمواجهة تلك القضايا . واصدار وتوزيع صحافة سرية ، يتطلبان مناضلين لديهم القدرة علـى النقيد الواعي بانضباط صارم ، متمتعين بيقظة عالية ، وقادرين على الخروج مـن

المآزق . وهذا كله لا يكون الا في رجال ونساء نشأوا على عبادة وطنهم ، وحب شعبهم .

وقد أوضحت التجربة أن قيام جهاز متفرغ لتنظيم وتوزيع الصحيفة السرية ، هو خير وسيلة لحماية الفنيين والتنظيم كله ضد غارات العدو وكمائنه . وتتيح للقسم الاكبر من الحزب ، في الوقت ذاته ، الانصراف الى الواجبات والمهام العديدة الاخرى الملقاة على عاتقه .

وكان تسليم نسخ « المقاومة » يتم في أوقات متفاوتة ، في غير الزمان والمكان اللذين تم بهما التسليم في المرة السابقة . وما أن تصل نسخ الصحيفة الى قواعد الحزب والجبهة، حتى يقوم هؤلاء بتوزيعها مباشرة ، ويدا بيد ، الى العناصر الوطنية الشريفة والمأمونة .

وللتحريك المباشر والعاجل ، كانت الجبهة تصدر بيانات ، يقوم الاعضاء بتوزيعها — ليلا — على المنازل ومناطق التجمع ، مثل النوادي والمقاهي والمستشفيات والورش ، في ساعة صفر محددة وموحدة في كل القطاع ، ويجري تبليغ « التمام » الى « مكتب العمليات » الذي كان يتشكل لمواجهة مسائل توزيع كل منشور . ويتم تبليغ « التمام » من القاعدة الى اللجنة المركزية ، عبر اللجنة المحلية فلجنة المنطقة فمكتب العمليات .

وقد شاركت منشورات الجبهة الوطنية المتحدة في الاعداد وصنع المظاهرات والاضرابات والنضالات المتعاظمة التي جرت في قطاع غزة في السنوات الست الماضية ، وشارك فيها عشرات الالاف من ابناء القطاع .

وقد أتاح هذا كله للجبهة الوطنية المتحدة — بواسطة صحافتها — ان تشارك بشكل مباشر وفعال في الكفاح السياسي والعسكري في القطاع ، ابتداء من مظاهرات آب (أغسطس) ١٩٦٧ ، الى اضراب الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ ، الى هبة أيار (مايو) ١٩٦٨ ، الى العمليات العسكرية منذ عام ١٩٦٩ .

وقد لعبت صحيفة « المقاومة » دورا بالغ الاهمية في تحريك وتعبئة الشعب ، وتعزيز الروابط بين أعضاء الجبهة وبعضهم بعضا ، وتربية الجماهير . كما عممت « المقاومة » تجربة وخبرة كفاح الشعب الفلسطيني دفاعا عن حريته وتراب وطنه .

وغني عن القول ان العمل في الصحافة السرية يتطلب معرفة تفصيلية بالاوضاع المحلية — طبوغرافيا وديموغرافيا وسياسيا — وان يكون لدى العاملين فيها خطة عمل واضحة، وأن يتسم عملهم بالمرونة والجسارة والانضباط .

نماذج من معالجات « المقاومة »

بالاضافة للدعوة الى الوحدة والتصدي لمؤامرات الاحتلال ، التي نلحظها في كافة أعداد « المقاومة » ، نلاحظ أيضا اهتمامها بالتصدي لمحاولات اقامة كيان فلسطيني هزيل تحت حراب الاحتلال الاسرائيلي ، ففضحتها وأدانت القائمين بها ، ونبهت الجماهير الى مخاطرها . كما لفتت أنظار الجماهير الى مخططات التصفية والتوطين والتشريد التي تقوم بها اسرائيل ، وتنفذها من خلال بعض المتعاملين معها من الوجهاء الفلسطينيين . كما ألقت « المقاومة » الضوء على مشاريع تهويد التعليم والاقتصاد في قطاع غزة . ونددت بمحاولات نبش أخطاء الادارة المصرية والتهويل من أخطائها . ودعت الى « ان لا نقف مكتوفي الايدي ، انتظارا لما تسفر عنه دورة الامم المتحدة ، بل علينا أن نصعد عملية المقاومة ضد العدو ، ونفشل مخططاته »(١) . وكان ذلك ابان نظر قضية الشرق الاوسط — كما يحلو للبعض أن يسميها — في الامم المتحدة ومجلس الامن .

وعندما احتدمت الازمة الاقتصادية في القطاع ، أشارت « المقاومة » الى أن « هذه الازمة

لا يمكن أن تزول الا بكنس المحتلين » . ووضعت الصحيفة أمام الجماهير حلولا نضالية لمواجهة الازمة قوامها « ١ ــ اعلان التقشف ، وشد الاحزمة على البطون ، والادخار . ٢ ــ مقاطعة البضائع الكمالية التي تنتجها الشركات الصهيونية ، مقاطعة تامة شاملة . ٣ ــ على التجار أن يضعوا المصلحة الوطنية العليا فوق مصالحهم الخاصة ، وأن لا يعمدوا الى اخفاء السلع ورفع الاسعار ، واستغلال الازمة في الاثراء على حساب شقاء وجوع مئات الالاف من أبناء شعبنا . ٤ ــ يجب أن تبقى النقود المصرية متداولة مهما كانت حالتها »(٢).

وعندما ارتفعت الهمسات منتقصة من قدر النضال السياسي ، أوضحت المقاومة ــ في مقال عقدته خصيصا لهذا الغرض ــ أهمية هذا الشكل من النضال ، لتحقيق الوحدة الوطنية ، وانتشال جماهير الشعب من وهدة اليأس ، وفضح المشاريع الرامية الى تصفية ونسف قضيتنا الوطنية ، ومقاومة الارهاب الاسرائيلي ، والتصدي للحرب النفسية الاسرائيلية ، وكشف المتعاونين مع المحتل . وأشارت الصحيفة الى أنه « الان ، وبعد انجاز معظم هذه المهام ــ في جوهرها ــ نقف على أعتاب مرحلة نضالية جديدة تتطلب أشكالا نضالية أعلى . ومع ذلك يظل للنضال السياسي أهميته وضرورته ... »(٣).

وتنبهت المقاومة الى الموجة المتصاعدة من الارهاب الاسرائيلي في القطاع . والتي كانت ترمي الى دفع السكان الى مغادرة القطاع ، وكان هذا يحقق للاسرائيليين هدف تفريغ القطاع ويمهد ابتلاعهم له وضمه الى اسرائيل . وأكدت الصحيفة « أن النتيجة الحتمية الوحيدة للارهاب ، هي تدفق الالاف من أبناء شعبنا الشجاع الباسل الى خنادق المقاومة المجيدة ، والتعجيل بنهاية المحتلين » وطالبت صحيفة الجبهة الوطنية ، في مقالها ، الشخصيات الوطنية والمخاتير بتكوين « الوفود للاحتجاج ، وتنظيم عرائض الاستنكار ، وأرسالها للمحافل والهيئات الدولية » وطالبت « المثقفين أن يبصروا أبناء شعبنا بأهداف هذه الحملة الارهابية ، ويحضونهم ضد مؤامرات العدو » . وطالبت الجميع بتضييق الخناق على عملاء الاستعمار وجواسيسه ، وادعياء الوجاهة المتصدرين بأسمه (٤). ومنذ العدد السادس عشر (١٩٦٧/١٢/٣٠) خصصت « المقاومة » مربعا صغيرا (٥ × ٧ سم) ثبتت فيه بعض الشعارات السياسية والاقتصادية ، مثل : التقشف ، مقاطعة الكماليات ، مقاطعة المناهج غير العربية ، والتصدي للحرب النفسية . وفي العدد التالي جاءت الشعارات على النحو الاتي : « البقاء على أرض الوطن صفا واحدا ضد الصهيونية والصمود في مواجهة ارهاب الاحتلال » . وبجانب مربع الشعارات استجد مربع اخر حوى « حكمة المقاومة » ، وكانت في المرة الاولى بيتي شعر للشاعر المصري التقدمي كمال عبد الحليم ، كان قد قالهما ضمن قصيدة عام ١٩٤٦ لاستنهاض همم الشعب المصري في مواجهة طغيان اسماعيل صدقي ، وهما : « ايها الشعب تمرد ، أفلا تبصر قبرك ؟.. ها هو الحفار قد أوشك أن ينهي أمرك »(٥). وجاءت حكمة العدد التالي للشاعر نفسه « نحن لن يرهبنا السجن ، ولن نلقي السلاح .. دولة الظلم ستنهار ، وتذروها الرياح » في حين كانت « شعارات المقاومة » في العدد نفسه هي « الوطن أو الموت .. التمسك بأرض الوطن تحت كل الظروف »(٦).

كما قامت « المقاومة » بنشر ملخصات لمقالات كتاب تقدميين مصريين ، امثال الدكتور عبد العظيم أنيس وفيليب جلاب . كما أعطت حيزا كبيرا من مساحتها لخطب ومواقف المناضل عبد الناصر .

وعوضا عن « المقاومة » والمنشورات التحريكية ، أصدرت الجبهة العديد من الكراسات . كان الاول منها عن « الصهيونية » ، في حين جاء الثاني عن « حرب الشعب وجيش الشعب » وقد حوى تلخيصا وافيا لكتاب الجنرال جياب الذي يحمل العنوان نفسه ،

ومقتطفات لماوتسي تونغ في الموضوع نفسه . أما الكراس الثالث فقد ضم دراسة موجزة عن الماركسية .

الفن الصحفي :

استخدمت « المقاومة » المقال والخبر والقصيدة والشعار في التوجيه الصحفي والتحريك . وقد خصصت الصفحة الاولى منها للمقال السياسي الرئيسي ، بالاضافة الى مربع صغير كان يحتل الطرف الاسفل الايسر ، ويضم توجيها مباشرا حول قضية جماهيرية ملحة . أما الصفحة الثانية فكانت تضم الاخبار وجزءا من قصيدة حماسية ، والشعارات ، وكانت القصيدة في بعض الاحيان تخلي مكانها لمقال سياسي قصير .

وقد جاءت مقالات « المقاومة » بسيطة موجزة ، وكانت جملها قصيرة وواضحة ، وتجنبت التقعر واستخدام المصطلحات ، والانشاء ، والخطابة .

واذا كانت مهمة الصحافة هي الاعلام والتثقيف والتسلية ، فقد كان طبيعيا أن تسقط « المقاومة » المهمة الثالثة من حسابها . وان تجعل من المهمة الاولى هي المهمة الرئيسية لها ، في حين تترك التركيز على المهمة الثانية للكراسات والنشرات .

كما حل في « المقاومة » مفهوم « الجماهير تصنع الانباء » محل المفهوم الصحفي البورجوازي المعروف : « الاسماء تصنع الانباء » .

الدروس المستفادة :

ولقد بين صدور « المقاومة » — في حد ذاته — للجماهير ، ان العمل والنضال ضد الاحتلال الاسرائيلي ليس واجبا فحسب ، بل ممكنا أيضا . كما فضح صدور هذه الصحيفة السرية مدى عجز سلطات القمع الاسرائيلية — التي بدت كغول مخيف عقب هزيمة حزيران — عن القبض على مصدري « المقاومة » ، أو العثور على مطابعها .

وكان انتظام صدور « المقاومة » بمثابة نبض الجبهة والشعب معا . فلم تستطع سلطات الاحتلال الاسرائيلية وقف هذا النبض ، حتى عندما تمكنت من ضرب المطابع السرية للصحيفة ، في شباط (فبراير) ١٩٦٩ ، اذ سرعان ما عادت « المقاومة » الى الظهور في اذار (مارس) التالي .

وقد كان مقدرا تشكيل لجان للصحافة والمنشورات في الهيئات العليا للحزب، وما يوازيها في الهيئات الوسطى ، ولجان القاعدة ، لترويج الصحيفة والمنشورات والكراسات ، وتوفير الامن لها . وان تتعاون كافة هذه اللجان مع لجان الدعاية الحزبية المختلفة . الا ان الضربات المتلاحقة التي وجهها الاحتلال الاسرائيلي للحزب حالت دون تحقيق هذا الطموح .

وتجدر الاشارة هنا الى ان الحزب الشيوعي هو الذي تولى الجوانب الدعائية في الجبهة الوطنية . بما له من طول خبرة في العمل السري ، ولامتلاكه الكوادر والمطابع والاستعدادات اللازمة لمواجهة مثل هذا النشاط .

وقد خصص الحزب ثلاثة من كوادره القيادية لكتابة وطباعة « المقاومة » ، حيث تولى اثنان منهم الكتابة ، وتخصص آخر لامور الطباعة ، اي ان احد الكوادر الثلاثة كان مشتركا بين الكتابة والطباعة معا . ولضمان الحد الاعلى من الامان والسرية كان الثلاثة أعضاء في اللجنة المركزية للحزب . هذا في حين كان يشرف على مكتب الدعاية الحزبي — في الاحوال العادية — عضو مركزي واحد يعاونه أعضاء حزبيون عاديون . وكان يدير الجهاز الفني — في تلك الاحوال العادية — أعضاء غير مركزيين ، ولم يكن يشترط

في أعضاء الجهاز الفني سوى عدم انكشاف أمرهم للسلطات والناس كأعضاء في الحزب، كما كان يحال بينهم وبين الانشطة التنظيمية والسياسية .

وقد استخلصنا جملة دروس من هذه التجربة الغنية :

* تعلمنا أن الدفاع عن المواقف المبدئية لا يحتاج الى فظاظة وتوتر ، ولكنه يتطلب صبرا متعقلا . وان كان هذا لا يعني — البتة — الاخذ برأي العمليين ، القائلين بالعمل البحت وهجر الدعاية . اذ كيف يمكن أن نعمل ... وعلى أي أساس ؟!

* كما تعلمنا انه يجب الاستعانة بأوسع دائرة ممكنة من الناس ، لوضع محتوى الدعاية وأساليبها . مما يضفي على الحركة الطابع الديمقراطي والعلمي في آن واحد . كما أن البحث عن وسائل جديدة للدعاية ، من شأنه تطبيق أكثر فعالية لهذه الوسائل ، باجتذابه قوى جديدة الى الابداع والابتكار .

ومفهومنا العلمي للاشياء ، بالاضافة الى ارتباطنا الوثيق بالجماهير ، يتيحان لنا امكانية الوصول الى حلول صحيحة لمشاكلنا . ويجب ان نعي أن العمل الدعائي الصحيح ليس فقط بالاجابة على الاسئلة بشكل صحيح ، وانما أيضا اعطاء حل تتبناه الجماهير ، اذ ان الجماهير هي القوة الاساسية التي تجعل للحل الصحيح أهمية عملية .

* ان الانهماك الذي يسببه الارهاب الاسرائيلي ، وضيق الوقت المخصص للقراءة والمناقشة ، يدفعان الدعاة الثوريين الى التفكير بلا انقطاع في هذه المسألة . فكتاباتنا صحيحة ، الا اننا يجب أن نحرص على تقديمها بشكل مختصر ... مجرد بضع حقائق وأفكار أساسية ، أي علينا الجمع بين العمق والايجاز في وقت واحد . فالدعاية — في نظر لينين — فن ، ونشاط ابداعي ، مبني على كمية كبيرة من الوقائع ، وفن في انتقاء الوقائع الاشد وضوحا والاكثر دلالة ، وفي الجمع بين المفهوم العلمي للاشياء وبين شكل بسيط ، شعبي ، مقنع ، مع تجنب الكليشيهات ، والجمل الطنانة ، والتوجه الى أكبر عدد ممكن من المناضلين والكادحين .

* كان على دعايتنا أن تتصدى لاكثر القضايا تعقيدا ، والا تاه عملنا وسط الضباب .

* والمناقشة الفردية شكل هام جدا من أشكال الدعاية ، علينا ألا نهمله . مما يحتم على الاعضاء — والدعاة منهم على وجه الخصوص — تعلم فن النقاش ، واجادة ضبط النفس ، وكيفية عرض أفكارهم بمنتهى العلمية ، والبساطة ، والاختصار ، والوضوح .

* ليست الدعاية وقفا على جهاز متخصص في الحزب ، بل هي من شأن الحزب كله . ومعيار النجاح في الدعاية الثورية هو في مدى تعبيرها عن الاحتياجات الملحة للجماهير ، وعن الاهداف النهائية للثورة .

* الدعاية الثورية هي الارادة الواعية لنشر الحقيقة بين قطاعات واسعة من الجماهير . لذا فالدعاية الثورية جزء لا يتجزأ من النضال الثوري .

* بالرغم من تفوق العدو الدعائي — تكنيكيا وماليا — فان الدعاية الثورية قادرة على قهره ، لاعتمادها على الحقيقة ، ولدفاعها عن قضية عادلة ، ولاستنادها الى قاعدة جماهيرية عريضة ، مما يجعل منها مصدرا اعلاميا موثوقا به .

وبعد ، فأن الوضع الثوري في قطاع غزة اليوم يضع أمام الصحافة الثورية السرية في الوطن المحتل مهام نضالية جديدة . فقد دل تصاعد النضال الشعبي في فلسطين المحتلة، على أن كفاح الشعب هناك قد اكتسب ابعادا جديدة . والثورة التي تعي دور صحافتها في تعبئة الشعب ، لا بد ستبادر الى تلافي النواقص والسلبيات في العمل الصحفي السري ، ليستطيع مسايرة الحركة الثورية الفلسطينية . وبذا يمكن لصحافتنا الثورية

أن تتبوأ مكانها الصحيح في المسيرة النضالية من أجل التحرير وبناء فلسطين المستقلة الديمقراطية .

---

* جوزيه موريرا : مناضل شيوعي برتغالي ، عذبه رجال الشرطة السرية البرتغالية ، أملا في انتزاع معلومات عن المطبعة السرية للحزب ، الا أنهم فشلوا في الوصول الى هدفهم ، ومات موريرا تحت التعذيب .

١ — **المقاومة** . العدد السابع ، ١٩٦٧/١٠/٦ . (انظر : ليكن تصعيد المقاومة واجبنا الفوري ومهمتنا العاجلة) .

٢ — **المقاومة** . العدد الخامس عشر ، ١٢/١٥/ ١٩٦٧ . (انظر : في مواجهة الازمة الاقتصادية) .

٣ — **المقاومة** . العدد نفسه (انظر : النضال السياسي لماذا ؟!) .

٤ — **المقاومة** . العدد السادس عشر ، ١٢/٣٠/ ١٩٦٧ (انظر : في مواجهة الاحتلال) .

٥ — **المقاومة** . العدد السابع عشر ، ١/٧/ ١٩٦٨ .

٦ — **المقاومة** . العدد الثامن عشر ، ٢/١٣/ ١٩٦٨ .

جريمة بلا عقاب

سجل للارهاب الصهيوني — الاسرائيلي ١٩٣٩ — ١٩٧٢

بقلم : سامي هداوي

منشورات مركز الابحاث الفلسطيني ، ص.ب ١٦٩١ — بيروت

١٠٠ صفحة باللغة الانجليزية

سعر النسخة ليرتان لبنانيتان ، تضاف اليها أجور البريد : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ١٠٠ ق.ل. في اوروبا ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول

تقرير عن معركة غزة في حزيران ١٩٦٧

حصل مراسل شؤون فلسطينية في القاهرة على هذا التقرير ــ شفاهة ــ من أحد ضباط جيش التحرير الفلسطيني عقب الهزيمة مباشرة في مدينة غزة ، وقد قام بتدوينه في حينه .

الموقف السياسي يزداد توترا ، ساعة بعد اخرى ... رفعت حالة قواتنا ، واصبحت كتيبتنا في أقصى درجات استعدادها القتالي للتحرك واخذ مكانها على خط المواجهة مع العدو . القوات الاسرائيلية كانت تتحشد في مستعمرة « نحال عوز » والتباب المحيطة بها ، متخذة كثرة الاشجار في تلك المنطقة ستارا تخفي به تحركاتها ، وللقيام بأعمال التنظيم والتنسيق بين مختلف الوحدات ، استعدادا للانطلاق للهجوم ، وكنا نلاحظ هذه التحركات ونرفع بتقاريرنا للمستويات العليا ، وكان العدو نشطا لا تكف قواته عن الحركة ، ليل نهار ، لتتحشد على طول المواجهة ، وطيرانه نشطا يقوم بطلعات استطلاعية طوال النهار .

كنا في قطاع غزة نعرف بان العدو يملك التفوق علينا في مختلف اسلحته ووحداته ، اذا ما قارنا قواتنا الموجودة في قطاع غزة بقواته ، ولكننا كنا نملك العزيمة والروح المعنوية العالية والايمان بالهدف الذي نحارب من أجله ، فنحن اصحاب قضية عادلة .

صدرت الاوامر لكتيبتنا لاحتلال منطقة دفاعية على خط المواجهة من العدو ، تمتد من يمين مطار غزة ، مارا بتبة المنطار ، ثم بيارة سعدى الشوا ، وحتى ٥٠٠ متر خارج معسكر قوات الطوارىء الدولية ، الكائن يسار تبة المنطار .

المواجهة واسعة ، والفواصل كبيرة بين كل سرية واخرى ، وكان التعاون بالنيران عندنا مفقودا . بل كان غير فعال في داخل السرية نفسها بين الفصائل . حيث لم يجر احتلال السرية على خط واحد ، كما هو متبع ، بل كان موقع السرية بشكله وحدوده هو ما فرضته علينا طبيعة الارض باشجارها وكرومها ، ولم يكن للكتيبة اية قوات احتياطية ، تستخدمها لصد أي قوات معادية يمكن ان تخترق احدى مواجهات الكتيبة ، والدفاع عن تلك المنطقة لم يتوفر فيه لا الثبات ولا الفعالية ، لقلة اسلحة التدعيم مع الكتيبة ، ناهيك عن كثرة الاوامر من أكثر من مصدر ، وما كان علينا سوى التنفيذ لكل أمر واخر ، وكثيرا ما كانت تلك الاوامر تناقض بعضها بعضا لتعدد القيادات ، ولعل هذا اسوأ ما تبتلي به القوات في الفترة الاولى لنشوب الحرب ، حيث لم يحصل ان بقيت وحدة واحدة في مكانها المخصص لها من أول الامر ، بل جرى تغييره عدة مرات ، فما ان نبدأ في حفر الخنادق والتجهيز في مكان ، حتى يأتينا امر بترك هذا المكان والتحرك جهة اليمين او اليسار ، ثم نضطر أخيرا لترك هذا المكان ايضا ، لحجج واهية ، كل ما فيها ان الذي اصدر هذا الامر يريد ان يعرف الاخرين بانه هو القائد المسؤول !

وهكذا ، كان من نصيب كتيبتنا ان تحتل منطقة دفاعية تمتد من يمين مطار غزة وحتى ٥٠٠ م خارج معسكر قوات الطوارىء الدولية ، والى الامام منها ، اي ان وحدات الكتيبة المقاتلة كانت شرقي الطريق المسفلت ، فيما عدا مؤخرة الكتيبة ، التي كانت تحتل مواقعها في كروم الزيتون خلف تبة المنطار .

اخذنا في تجهيز المنطقة الدفاعية للكتيبة ، وتجهيز حفر الاسلحة ، وخنادق الجنـــود ، وكنا ـــ لضيق الوقت ـــ نستعين بافراد الشعب ، والحق انهم كانوا يندفعون عن طيب خاطر يتطوعون لمساعداتنا ، وكان الكل مقاتلا يحمل السلاح .

كنا نتابع التطورات السياسية اضافة الى متابعتنا لاعمالنا كعسكريين ، وكان الجميع متوتر الاعصاب ، كمن يترقب حدوث شيء في أية لحظة ، الى ان كان صباح الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وفي الساعة العاشرة بالضبط . ولم نفاجأ بهذا التوقيت لاننا اعرف بطبيعة العدو الصهيوني ونواياه الغادرة ، بـــل كنا نعد لكل احتمـــال يجري في اذهاننا عدته .

في هذا الوقت اخذ العدو يقصف مواقعنا بتمهيدات المدفعية ، ولمدة ست ساعات تقريبا ، وبدون انقطاع ، وبشكل كثيف ومركز ، من مواقعه يسار ويمين مستعمرة «نحال عوز» ، وكنا نرد عليه بما لدينا من اسلحة ، كانت في الواقع عاجزة عن ان تحدث به أية خسائر تذكر ، ورجال المشاة في قواتنـــا قابعون في خنادقهم في انتظار لحظـــة هجوم العدو . والحقيقة اقول ان معنويات جنودنا كانت عالية ، ولم يحصـــل ان فقد الرجال توازنهم نتيجة القصف ، او وضعوا في الاعتبار بان العدو سيتمكن من تحطيم خط دفاعاتنا، وكنت الاحظ هذا على وجوه الكثيرين متوتري الاعصاب ، واصابعهم على الزناد ، يمضغون لفافات التبغ ، ولكن في اعينهم كثيرا مـــن التساؤلات ، يعجز عن فهمها الا من كـــان يشاركهم نفس الموقف . ولم يجرؤ اي منهم ان يرد عليها ، حتى بينه وبين نفسه . فـــلا يمكن ان تحرز اسرائيل نصرا ساحقا ، واحب الناس الينا ، على بعد عشرات الامتـــار منا ، يحتضن اطفالهن في البيوت تحت رحمة قنابل مدفعية وطائرات اسرائيل .

لم يعد اي فرد يفكر في شيء سوى تلك اللحظة ، وهي بدء الهجوم الاسرائيلي ، وكنـــا في هذا الوقت على اتصال مستمر بين مختلف وحدات الكتيبة ، وكانت اعمال اخـــلاء الشهداء والجرحى وامداد القوات بمختلف الاحتياجات تجري بصورة صحيحة ومنتظمة. ومع اخر ضوء لنهار الخامس من حـــزيران (يونيو) بدأ هجوم العدو ، واشتبكنا معه ولكنه استطاع ان يخترق مواجهة السرية المحتلة ليمين تشكيل قتال الكتيبة ، بعد ان دفع الثمن غاليا ، فقد دمرت له سبع مجنزرات ، ولكن دباباته داست مواقع السرية . وقد استشهد لنا حوالي العشرين مقاتلا ، ثم قام العدو بعملية التفاف على الطريق المسفلت، متجها الى الشمال ثم مارا بمعمل « اللتون » ، وهكذا فقد صعدت آلياته ودباباته (نحو خمسين دبابة ومجنزرة) الى تبة المنطار من الخلف ، بعـــد ان لاقت مقاومة عنيفة من قواتنا المتخندقة هناك ، وسقط لنا كثير من الشهداء .

فوجئنا بتلك اللحظة بان قوات العدو قد اصبحت خلفنا ، وعلى تبة المنطار ، اي اننـــا اصبحنا واقعين تحت سيطرة نيرانه ، وهكذا قررنا الانسحاب الى مقبرة الشجاعية ، لنعترض طريق العدو ونمنعه من التوغل والانتشار داخـــل المدينة ، ولكن بعد فوات الاوان ، فلم تعد مقاومتنا منظمة ، وفقدت السيطرة والقيادة داخل المدينة . واخذ العدو يقصف المدينة بمدفعيته ، واخذت ارتاله تتقدم على كثير من المحاور والطرق لتحتل غزة . وهكذا اصبحت الاحياء الشرقية للمدينة واقعة في ساحة القتال . ولم يكن في مقدورنا ان نوقف تقدم العدو . وبذا تشتتت الكتيبة الى جماعات صغيرة لا رابطة بينها ، وتفرق الكثيرون لمقاومة وحدات العدو المخترقة ، او للانضمام لوحدات اخرى لاعادة التنظيم ثانية ، وهكذا انتهت حربنا النظامية مع العدو .

ولم يكن الذنب ذنب رجالنا ، بقدر ما يقع على عاتق القيادات المتعددة ، وقلة ما نملـــك من اسلحة ، وانتشار قواتنا على مواجهة واسعة ، وعلى خط واحد ، اشبه بقشرة رقيقة يسهل على العدو اختراقها ، بما لديه من تفوق عددي وكمي في الانفار والسلاح والمعدات .

تقرير حول مشاريع التسويات السلمية للنزاع العربي الاسرائيلي ١٩٤٨ ــ ١٩٧٢

ليلى سليم القاضي

للقضية الفلسطينية تاريخ طويل نسبيا مع مشاريع التسوية السياسية (الحلول السلمية) الهادفة الى تصفيتها نهائيا واضفاء طابع الشرعية الرسمية على الوجود الاسرائيلي في المشرق العربي . وقد حصرت في هذا التقرير أهم مـــا صدر من هذه المشاريع ومـــن « مبادرات السلام » منذ قيام دولة اسرائيل حتى مشروع الملك حســـين الداعي الى تصفية قضية الشعب الفلسطيني عن طريق اقامة « المملكة العربية المتحدة » . ومن مراجعة هذه المشاريع تبرز أمامنا صورة عامة عن النزاع العربي الاسرائيلي تتلخص بما يلي :

(١) أنظمة عربية تعرف انها عاجزة أمام قوة اسرائيل والقوى الامبريالية الداعمة لها ، وغير قادرة في الوقت نفسه على تخطي هذا العجز (لاسباب عديدة تختلف وفقا لطبيعة الطبقة الحاكمة في كل دولة عربية) .

(٢) الانظمة العربية نفسها وهي معرضة لضغط شعبي عربي وفلسطيني شديد كي تواجه التحدي الاسرائيلي بنجاح وتدعم نضال الشعب الفلسطيني لاسترداد حقوقه الوطنية وما يولده هذا الضغط من احراجات كبيرة لهذه الانظمة .

(٣) دولة اسرائيل وهي تستفيد من وضع الانظمـــة العربية الحرج وتنتهز الفرص المناسبة للمزيد من التوسع والسيطرة في العالم العربي مما يزيد بدوره من حراجة مركز الانظمة العربية أمام شعوبها ويفضح بصورة متصاعدة حقيقة عجزها عن القيام بالمهمات الوطنية الكبرى المطروحة على الامة .

(٤) تأرجح الانظمة العربية المستمر بين مغازلة فكرة الوصول الى تسوية سياسية مع اسرائيل (مع حفظ ماء الوجه قدر الامكان) تحت ضغط عجزها المزمن ، وبين التزاماتها بمواجهة اسرائيل مواجهة كفاحية وعسكرية ناجحة تحت ضغط المطالب الجماهيرية والتوقعات الشعبية من جهة ، ورفض اسرائيل والامبريالية تمكين الانظمة من الحصول على تسوية تحفظ ماء الوجه ولو ضمن أدنى الحدود ، من جهة ثانية .

(٥) اسرائيل وهي تستفيد الى أقصى الحدود من التأرجح العربي الرسمي المذكور فتطرح نفسها كداعية للسلام والتسويات السياسية « المعقولة » والحلول السلمية بينما هي في الواقع تكسب مكاسب كبيرة من استمرار حالات الحرب الباردة أو الساخنة ، أو حالات اللاسلم واللاحرب مما جعل أية تسوية للنزاع قضية خاسرة بالنسبة لها حتى هذه الساعة .

(٦) نزعة الانظمة العربية المعنية ، في وجه هذا المأزق الخانق ومن أجل المحافظة على المصالح الطبقية التي تمثلها ، الى البحث عن المخارج « اللائقة » لنفسها عن طريق

الاصرار على « تدويل » مأزقها واخراج الصراع عن نطاقه الاقليمي ، ومن ثم اللجوء الى الوساطات الخارجية ، ومشاريع التسوية الدولية ، ومساعي هيئة الامم ، وجهود الدول الاربع الكبرى ، في محاولة لتغطية رغبتها في تسوية النزاع بدون اراقة ماء الوجه كليا أمام جماهير دولها وشعوبها ، ولمنع مركزها الحرج شعبيا من الوصول الى حافة التدهور الكلي .

ان كل مشروع تسوية سياسية سنمر عليه في هذا التقرير يعكس ، من حيث تركيبه وخلفيته وطبيعة الاستجابات العربية والاسرائيلية الى دعوته ، المقومات الاساسية الستة المذكورة التي صنعت تاريخ علاقة التسويات السياسية بالقضية الفلسطينية عامة والنزاع العربي الاسرائيلي بالتخصيص .

ولا بد من الاشارة هنا الى ان هذا التقرير لا يتطرق الا الى مشاريع التسوية ذات الطابع الرسمي وشبه الرسمي التي طرحت من قبل أحد الاطراف المعنية (الطرف الاسرائيلي أو العربي ، او طرف ثالث مثل هيئة الامم وحكومات الدول الاخرى) على الاطراف الاخرى في الصراع كأساس ممكن التفاوض حوله لتصفية القضية الفلسطينية . أي لا يتطرق هذا التقرير الى المشاريع ذات الطابع « الخاص » أو غير المطروحة على بقية الاطراف بصفة رسمية مثل مشروع آلون ومشروع بعثة غيشر والمشروع الذي تقدمت به جماعة الكويكرز والافكار التي طرحت حول التنمية الاقتصادية والمائية المشتركة لمنطقتنا ، الخ ...

القسم الاول : ١٩٤٨ — ١٩٦٧

لجنة التوفيق الدولية

جاءت أول محاولة لتسوية النزاع العربي الاسرائيلي بعد قيام دولة اسرائيل من قبل مجلس الامن الذي اتخذ قرارا في ١١ كانون الاول ١٩٤٨ بتشكيل لجنة التوفيق الدولية . تألفت اللجنة من ممثلين عن فرنسا والولايات المتحدة وتركيا . وتلخص موضوع الخلاف الذي ركزت اللجنة مساعيها عليه في ما يلي : مطلب الحكومة الاسرائيلية اجراء مفاوضات مباشرة مع كل دولة عربية منفردة وعلى حدة من جهة ، واصرار الحكومات العربية على دخول المفاوضات ككتلة واحدة واجرائها بصورة غير مباشرة بحيث تعمل اللجنة كوسيط بين الطرفين من جهة ثانية . وكان الموقف العربي ناتجا عن القرار الذي تم اتخاذه بالاجماع في اجتماعات الجامعة العربية التي انعقدت في القاهرة من ٢٥ آذار الى ١٣ نيسان ١٩٤٩ . ونص القرار على منع الدول العربية من اجراء مفاوضات منفردة مع اسرائيل او عقد أية معاهدات سلام منفصلة معها على أن تخضع الدولة المخالفة الى عقوبات مثل الطرد من الجامعة العربية وقطع العلاقات الدبلوماسية والمالية والاقتصادية والتجارية معها ، هذا بالاضافة الى اغلاق حدودها . وواضح ان هذا القرار كان محاولة أخيرة من قبل الطبقات الحاكمة يومها لانقاذ ما يمكن انقاذه بالنسبة لامكانية استمرارها بعد هزيمتها أمام اسرائيل ووقوفها عارية تماما أمام شعوبها ، وبعد تعرضها لضغط الغليان الجماهيري المتصاعد الذي زادته الهزيمة حدة وقوة .

للخروج من المأزق ، تقدمت لجنة التوفيق بمشروع تسوية الى الحكومة الاسرائيلية والحكومات العربية في ٢٩ آذار ١٩٥٠ اقترحت فيه انشاء لجان مشتركة تجتمع برئاسة ممثل عن اللجنة وتكون مؤلفة من ممثلين عن البلدان المعنية بالموضوع الذي يجري البحث فيه . وقد قام ممثلو اللجنة بزيارة كل من تل أبيب والعواصم العربية بين ٥ و١٥ نيسان ١٩٥٠ من أجل مناقشة الاقتراح . ومن الواضح ان مشروع اللجنة هو نوع من الحل الوسط بين المطلبين الاسرائيلي والعربي يمكن الحكومات العربية من الدخول في

المفاوضات مجتمعة بصورة جزئية ولكن بدون أن تشكل كتلة واحدة (هذا على افتراض انها كانت قادرة أصلا على تشكيل كتلة واحدة) .

هنا بدأ التأرجح العربي الرسمي المعهود بين الاغراءات التي يقدمها مشروع التسوية الطبقات الحاكمة من جهة ، وبين الضغط الجماهيري المعاكس والعواقب الشعبية التي سيؤدي اليها التطبيق الفعلي للمشروع من جهة ثانية .

في ١٢ نيسان ١٩٥٠ اجتمعت اللجنة السياسية للجامعة العربية في القاهرة وقررت قبول مقترحات اللجنة . الا ان عبد الرحمن عزام باشا ، أمين عام الجامعة يومها ، خفف من وقع القبول بقوله ان القرار العربي لا يعني فتح المفاوضات المباشرة مع اسرائيل وانه مشروط بقبول اسرائيل بقرارات هيئة الامم حول فلسطين (بما في ذلك قراري التقسيم وندويل القدس) وبضرورة اتمام اللجنة لمهمتها قبل انعقاد الدورة التالية للجمعية العامة لهيئة الامم . وفي تصريح لاحق لعزام باشا (١٣ نيسان ١٩٥٠) أعلن ان الدول العربية مستعدة للبحث في تسوية نهائية لقضية فلسطين ، بما في ذلك قضية الحدود ، شرط أن توافق اسرائيل على اعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين على أرضهم أو أن تدفع لهم التعويضات المستحقة .

أما اسرائيل فقد تقدمت بمذكرتين الى البعثة (في ١٣ نيسان و٨ أيار ١٩٥٠) عبرت فيهما عن « استعدادها للبدء مباشرة بالمفاوضات من خلال أي أسلوب فعال يمكن التوصل اليه من أجل تحقيق تسوية لكافة القضايا العالقة واحلال السلام الدائم » . الا انها وجهت النقد لشروط الجامعة العربية من أجل اجراء المفاوضات واتهمت الدول العربية بتنفيذ برنامج تسلح وحصار اقتصادي ضدها مما لا يتفق مع ميثاق هيئة الامم ومع روح اتفاقيات الهدنة . كما اتهمت الدول العربية بشن حملة دعائيـــة شعواء ضدها وذلك تحضيرا لحرب انتقامية جديدة .

وعلى اثر القبول العربي والاسرائيلي للمقترحات المذكورة ، أعلنت لجنة التوفيق في ١٥ أيار ١٩٥٠ أن الاجابات التي تلقتها تفتح امكانية لتنفيذ مشروع المصالحة المقترح وتمنت على الدول المعنية بأن يكون كافة ممثليها في المفاوضات متمتعين بالصلاحيات التي تمكنهم من التصرف باسم حكوماتهم . لكن فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة أصدرت في هذه الفترة البيان الثلاثي الشهير (٢٥ أيار ١٩٥٠) الذي تعهدت فيه بحماية حدود اسرائيل القائمة . وهنا اضطرت الدول العربية الى الاعتراف رسميا بعجزهـــا الكامل امـــام التحديات التي طرحتها المسألة الفلسطينية وبقبولها صراحة بوصاية الدول الاستعمارية الكبرى على المنطقة العربية . جاء هذا الاعتراف في البيان الذي أصدرته جامعة الدول العربية على اثر اجتماعها في ٢١ حزيران ١٩٥٠ للبحث في البيان الثلاثي . ذكر بيان الجامعة ان الحكومات العربية قررت التعبير عن نوايا العرب السلمية قبل أن تفكر الدول الكبرى الثلاث باصدار بيانها ، وتفنيد المزاعم الاسرائيلية القائـــلة بأن العرب يطلبون السلاح لاغراض عدوانية . أي ان بيان الجامعة أكد نوايا العرب السلمية وبيّن أن الدول العربية ترى ان «أفضل وسيلة وأضمنها لاعادة السلام والاستقرار الى الشرق الاوسط » هي حل مشكلاته على اساس « الحق والعدالة » .

بعد فضيحة البيان الثلاثي اضطرت الحكومة المصريـــة الى سحب ممثليها لدى لجنة التوفيق كما أعلنت حكومات سوريا ولبنان والاردن رفضها لمقترحات اللجنة باقامـــة لجان مشتركة مؤكدين على انه من المستحيل التفاوض مع اسرائيل في الوقت الحاضر تحت اشراف اللجنة .

بعد فشل محاولتها الاولى رفعت اللجنة تقريرا عن أعمالها الى الامين العام لهيئة الامم المتحدة اقترحت فيه ضرورة قيام اسرائيل باتخاذ الخطوة الاولى نحو تحقيق التسوية في

المنطقة بسبب الخلل الذي أدخله انشاؤها على العالم العربي، وضرورة تكيف السياسات العربية مع الامر الواقع الجديد في المنطقة . أما بالنسبة للاجئين الفلسطينيين فقد أوصت اللجنة باعادة قسم منهم الى « اسرائيل » بما لا يتعارض مع مصالحها ، وبالتعويض المباشر عن ممتلكات البقية ، وباتخاذ الاجراءات اللازمة من قبل الدول العربية وغيرها من أجل دمج الفلسطينيين في المجتمعات الموجودين فيها وذلك بمساعدة هيئة الامم ماليا وفنيـــا .

في ١٠ آب ١٩٥١ دعت لجنة التوفيق حكومات كل من اسرائيل ومصر والاردن ولبنان وسوريا الى ارسال ممثلين الى مؤتمر ينعقد في باريس بعد شهر من توجيه الدعوة . مرة أخرى أخذت الانظمة العربية تغازل امكانات التسوية فردت ردا مشتركا ، نشر في ٢٩ آب ١٩٥١ ، بقبول دعوة اللجنة شرط ألا يطلب من الممثلين العرب والاسرائيليين ان يجلسوا الى المائدة نفسها . كذلك وافقت اسرائيل على الدعوة عبر مذكرة موجهة الى لجنة التوفيق مؤرخة في ٩ أيلول حيث جاء أن البعثة الاسرائيلية ستتقدم « باقتراحات واسعة وعملية » من أجل احلال السلام ، ولكنها لن تناقش أيا من الاسباب المحددة للاحتكاك بين الطرفين ما لم تقبل الدول العربية بأن يكون هدف المؤتمر هو « التسوية النهائية لكل المشكلات العالقة » .

عند افتتاح المؤتمر في باريس في ١٣ أيلول ١٩٥١ تقدم رئيس اللجنة بمذكرة الى الوفود العربية والوفد الاسرائيلي (كل على حدة) شرح فيه أهداف اللجنة من مباحثات المؤتمر على النحو التالي :

(١) تسوية حقوق الاشخاص وأوضاعهم خاصة فيما يتعلق باعادة توطين اللاجئين ودفع التعويضات عن الخسائر الناجمة عن القتال .

(٢) حل المشكلات المتعلقة بحقوق وواجبات الدول المعنية وعلاقاتها ببعضها ، خاصة مسألة رسم الحدود واقامة المناطق المجردة من السلاح وأعادة المواصلات والاجراءات الجمركية .

(٣) الاتفاق بين الاطراف المعنية على احترام حق كل منها في التمتع بالامن ، والامتناع عن القيام بأية أعمال عدائية ، والعمل من أجل السلام الدائم في فلسطين .

وبعد أن تشاورت الوفود العربية مع حكوماتها وافقت ، في ١٧ أيلول، على مذكرة رئيس لجنة التوفيق كما عبرت عن رغبتها في التعاون مع اللجنة ، ولكنها أصرت على ضرورة موافقة اسرائيل على اعادة اللاجئين كشرط أساسي لاية تسوية . أما اسرائيل فقد بدأت باثارة المتاعب في المؤتمر باعتبار ان مصالحها الحيوية المستقبلية لا تنسجم أبدا مع تحقيق تسويات ورسم حدود مع دول ضعيفة وحكومات على حافة الانهيار . طالب الوفـــد الاسرائيلي في رده (٢١ أيلول) بفتح مفاوضات مباشرة مع الوفود العربية ، وبضرورة الاتفاق على جدول أعمال قبل البدء بالمباحثات التفصيلية ، كما اقترح عقد معاهدات عدم اعتداء بين اسرائيل والدول العربية كخطوة أولى نحو عقد معاهدة سلام رسمية .

على اثر ذلك تقدمت لجنة التوفيق بمشروع للتسوية تصدرته مقدمة تقول ان الفرقاء ، بحكم واجباتهم كأعضاء في هيئة الامم كموقعين على اتفاقيات الهدنة ، يتعهدون بتسوية كافة الخلافات الحالية أو المستقبلة باللجوء الى الاساليب السلمية فقط ، ويمتنعون عن اي استخدام للعنف أو للاعمال العدوانية ، كما يعترفون اعترافا كاملا بحق كل طرف من الاطراف بالامن والتحرر من الخوف من أي هجوم على حدوده ، كما يتعهدون بالعمل من اجل اعادة السلام الى فلسطين بهذه الاساليب . بعد هذه المقدمة اقترحت اللجنة ما يلي من أجل تسوية الخلافات العالقة بين الفريقين :

(١) الغاء كل المطالب الناتجة عن الاعمال الحربية في حرب ١٩٤٨ .

(٢) موافقة الحكومة الاسرائيلية على اعادة عدد محدد من اللاجئين وعلى أسس تمكنها من دمجهم في الاقتصاد الاسرائيلي .

(٣) قبول الحكومة الاسرائيلية دفع تعويضات عن الممتلكات التي يتركها اللاجئون الذين لا يعودون ويكون التعويض مبلغا يقدر على أساس القيمة التي توصل اليها مكتب اللجنة للاجئين ، وأن توضع خطة للدفع تأخذ بعين الاعتبار قدرات الحكومة الاسرائيلية على ذلك . توضع هذه الخطة من قبل لجنة خاصة من الخبـــراء الاقتصاديين والماليين يتم تعيينها من قبل هيئة الامم .

(٤) توافق حكومات كل من مصر والاردن وسوريا ولبنان واسرائيل على رفع الحجز عن كافة الحسابات المصرفية المجمدة وعن القدرة على دفعها بالجنيه الاسترليني .

(٥) تنظر الحكومات المذكورة ، تحت اشراف هيئة الامم ، بامكانية تعديـــل أو اعادة النظر في اتفاقات الهدنة ، وخاصة فيما يتعلق بالقضايا التالية : (أ) اجراء تعديلات اقليمية بما فيها انشاء مناطق منزوعة السلاح . (ب) انشاء وكالة دولية للمياه تعالج مشكلات استخدام مياه نهري الاردن واليرموك وروافدهما ، بالاضافة الى مياه بحيرة طبريا . (ج) مستقبل قطاع غزة الذي تديره حاليا مصر . (د) اقامة مرفأ حـــر في حيفا . (هـ) اجراء ترتيبات خاصة بالنسبة للحدود بين اسرائيل وجيرانها مع اهتمام خاص بمسألة العبور الحر الى الاماكن المقدسة في منطقة القدس بما في ذلك بيت لحم . (و) ضبط كل ما يتعلق بقضايا الصحة والمخدرات والمواد الممنوعة على خط الحدود . (ز) اجراء ترتيبات هدفها تسهيل النمو الاقتصادي للمنطقة واعادة الاتصالات والعلاقات الاقتصادية بين الطرفين .

استجابة لمقترحات لجنة التوفيق تقدم ممثلو اسرائيل بمسودة معاهدة عدم اعتداء تدعو الى احترام حق كل طرف في العيش بأمـــان وبدون أن يكون مهددا بالهجوم والاعمال العدوانية الصادرة عن الطرف الآخر .

أما الجانب العربي فقد وافق على اصدار بيان يؤكد من جديد نوايا الحكومات العربية باحترام التزاماتها المتضمنة في اتفاقيات الهدنة ، وعزمها على عدم اللجوء الـــى القوة العسكرية من أجل تسوية القضية الفلسطينية واحترامها لحق كل فريق في العيش بأمان متحررا من الخوف من أي هجوم عليه من جانب القوات المسلحة التابعة للفريق الآخر . على اثر هذا « التفاهم » وجهت لجنة التوفيق رسالة الى ممثلي الطرفين في المؤتمر ، مؤرخة في ٦ تشرين الاول ١٩٥١ ، قالت فيها ان مقترحات الطرفين تشكل خطوة الى الامام باتجاه خلق الاجواء الملائمة من أجل انجاح المباحثات الجارية ومن أجل التقدم نحو اعادة السلام الى فلسطين . كما ذكرت الرسالة ان اللجنة تعتبر المقترحات المذكورة أساسا للنظر في مشروعها الشامل . واستجابة لرسالة اللجنة عبرت الوفود العربية عن استعدادها للدخول في المباحثات التفصيلية لتسوية النزاع . الا انه في هذه اللحظة الحرجة حيث الانظمة العربية واقعة بين المطرقة الاسرائيلية وسندان الضغط الشعبي ، بدأت المناورات الاسرائيلية القيام بدورها في المؤتمـــر وهدفها عدم تمكين الحكومـــات العربية من الخروج بأي نوع من التسوية السلمية التي تمكنها من الرجوع الى شعوبها بشيء سوى الاستسلام والاذلال الكاملين . اذ أن عملية رسم الحدود وتسوية النزاعات لا يمكن أن تكون لمصلحة دولة ذات بنيان توسعي واضح مثل اسرائيل .

في ١٤ تشرين الاول ١٩٥١ بعث الوفد الاسرائيلي برسالة الى لجنة التوفيق أكد فيها رغبة حكومته في التعاون معها ، ثم أعلن انه لا يمكن ان يقبل بوجهة نظر اللجنة حول الموقف العربي لأن الاخير ألزم الدول العربية باعتبارها موقعة على اتفاقات الهدنة فقط ولانه لم يتضمن أي تعهد من قبل الجانب العربي بتسوية خلافاته بالاساليب السلمية

فقط ، ولانه حدد معنى الاعمال العدوانية بصورة لا تشمل الا عمليات القوات المسلحة. وفي ١٩ تشرين الاول أجابت اللجنة الوفد الاسرائيلي قائلة بأنها لا يمكن أن تقبل أي تفسير لموقفها يتضمن تقييما لمدى صلاحية اتفاقيات الهدنة ، أو قرار مجلس الامن ، أو بنود ميثاق هيئة الامم . كما أكدت الرسالة ان ما يعلنه أي من الطرفين لا يمكن ان يبدل شيئا من الالتزامات التي تعهدا بها على اساس اتفاقات الهدنة والميثاق ، ثم دعت الوفد الاسرائيلي للدخول في المباحثات حول الاقتراحات التي تقدمت بها اللجنة . وفي ٢٦ تشرين الاول رفض الوفد الاسرائيلي الاستمرار في المفاوضات وفشلت مهمة لجنة التوفيق . بعبارة أخرى دخلت اسرائيل المؤتمر كداعية للسلام والتصالح وخرجت منه مناورة تريد الاستفادة الكلية من حالة الحرب الباردة القائمة بينها وبين الحكومات العربية المجاورة الضعيفة والمهلهلة .

المشروع النرويجي

بعد فشل لجنة التوفيق تقدم المندوب النرويجي بمشروع قرار في هيئة الامم (٢٦ تشرين الثاني ١٩٥٢)من أجل تسوية الخلافات بين الدول العربية واسرائيل . وشاركت الدول التالية في تقديم مشروع القرار : كندا ، الدنمارك ، هولندا ، الاوروغواي ، كوبا ، بناما ، الايكوادور . وقد نص على ما يلي : (١) مناشدة الفريقين العربي والاسرائيلي الامتناع عن القيام بأية أعمال عدوانية ضد الفريق الآخر . (٢) التأكيد من جديد على المبدأ القائل ان المسؤولية الرئيسية في الوصول الى تسوية الخلافات تقع على الحكومات المعنية . (٣) حث تلك الحكومات على الدخول في مفاوضات مباشرة في أقرب فرصة ممكنة . (٤) دعوة لجنة التوفيق لتقديم خدماتها من أجل تحقيق التسوية .

وعادت المناقشات لتدور من جديد حول موقف الدول العربية الذي كان يصر على اجراء المفاوضات ضمن اطار القرارات السابقة للجمعية العامة لهيئة الامم (بما في ذلك تدويل القدس واعادة اللاجئين) من جهة واصرار اسرائيل على ان تبدأ المفاوضات على اسس جديدة بدون العودة الى القرارات السابقة لهيئة الامم . وبعد مناقشات طويلة ومحاولات « توفيقية » متعددة تبنت اللجنة السياسية التابعة للجمعية العامة مشروع حل وسط دعمته اسرائيل وعارضته الحكومات العربية . وبما ان المشروع لم يحظ في الجمعية العامة بثلثي الاصوات فقد طابعه الالزامي .

الدبلوماسية الامريكية الهادئة

بعد استلام الضباط الاحرار السلطة في مصر بقيادة جمال عبدالناصر في صيف ١٩٥٢ تركزت جهود النظام الجديد على التخلص من بقايا الاستعمار الانكليزي في البلاد . وكان هذا يعني تبادل الابتسامات مع الولايات المتحدة ولو من باب تحييدها مؤقتا من أجل انجاز المعركة مع الوجود البريطاني بنجاح . واستغلت امريكا هذه الفرصة لعرض وساطتها السرية لتسوية النزاع العربي الاسرائيلي وتصفية القضية الفلسطينية نهائيا. وفي ٣ آب ١٩٥٤ صرح عبدالناصر بأن مصر تحتاج الى السلام كي تتمكن من حل مشاكلها الداخلية واقترح ان تقوم الولايات المتحدة بدور الوسيط بين اسرائيل والدول العربية . ومع انه وصف اسرائيل بأنها دولة عدوانية قال بأن مصر تريد أن تنهي التوتر القائم شرط ان يتم تنفيذ قرارات هيئة الامم . وقد كتب مايلز كوبلاند (صحيفة « التايمز » اللندنية ، ٢٤ حزيران ١٩٧١) أن الرئيس عبدالناصر تبادل في هذه الفترة عددا من الرسائل مع موشيه شاريت رئيس الوزراء الاسرائيلي يومها ، وان اجتماعات سرية عقدت بين ممثلين عن مصر واسرائيل في احدى العواصم الاوروبية ، كل ذلك بتشجيع الدبلوماسية الامريكية ومساعدتها . أما موضوع الاتصالات الاولي فقد كان تخفيف حدة التوتر بين الطرفين . وفي المذكرات التي نشرها بن غوريون في صحيفة « معاريف » بتاريخ ٢ و٩

و١٦ و٢٣ تموز ١٩٧١* حديث عن الرسائل المتبادلة بين مصر واسرائيل في عام ١٩٥٣ (قبل ازاحة محمد نجيب من السلطة) وعن الاجتماعات التي تمت في باريس بين مبعوثين من الدولتين عام ١٩٥٤ بهدف تخفيف حدة التوتر على الحدود. وانقطعت هذه الاتصالات في أوائل ١٩٥٥ بعد عودة بن غوريون الى السلطة وقيام اسرائيل بهجومها الشهير على غزة . وكما هو معروف كان للغارة الاسرائيلية اثر كبير في اقناع الرئيس عبدالناصر بضرورة حصول مصر على السلاح من مصادر غير المصادر الغربية التقليدية مما جعله يتوجه نحو الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي من أجل تحقيق هدفه . وكانت النتيجة المباشرة لهذا التوجه صفقة السلاح مع تشيكوسلوفاكيا . وعلى اثر هذا الحدث الذي هز المنطقة يومها عادت الدبلوماسية الامريكية الى محاولاتهـــا لاحياء الاتصالات المصرية الاسرائيلية السرية على أعلى المستويات . وأوكلت الاجهزة الامريكية الى مايلز كوبلاند وكيرميت روزفلت مسؤولية احياء هذه الاتصالات والاشراف عليها .

في أيلول ١٩٥٥ أجرى روزفلت اتصالات سرية مع الرئيس عبدالناصر هدفها اقناعـــه باتخاذ اجراءات معينة هدفها موازنة صفقة السلاح مـــع تشيكوسلوفاكيا وذلك خدمة للسلام في المنطقة ، كأن يعلن ، مثلا ، أن أهداف الحصول على الاسلحة دفاعية محض وان مصر مستعدة لاتخاذ خطوات ايجابية نحو السلام اذا رأت ان الطرف الاسرائيلي سيستجيب بخطوات مماثلة . وبالرغم من تنديد وزير الخارجية الامريكي ، جون فوستر دالاس ، بصفقة الاسلحة والتأثير السلبي الذي تركه هذا التنديد في مصر ، استمرت الدبلوماسية الامريكية في مشروعها الرامي الى تحقيـــق اتصالات سرية بـــين مصر واسرائيل . واطلق اسم « جاما » على المشروع . وتكفل روزفلت (مع مايلز كوبلاند) بجانبه السري وروبرت اندرسون بجانبه العلني . أما تفاصيل مشروع جاما فهي كما يلي وفقا لرواية كوبلاند ومذكرات بن غوريون : يقوم كل من روزفلت ومايلز كوبلاند بسلسلة من المحادثات مع الرئيس عبدالناصر هدفها الوصول الى تحديد موقف اساسي تنطلق منه المفاوضات . كما يقوم أمريكيان آخران باجراء محادثات مماثلة مع بن غوريون من أجل الوصول الى تحديد موقف اسرائيلي أساسي مشابه . بعد ذلك يتنقل اندرسون بين القاهرة وتل ابيب من أجل تضييق شقة الخلاف بين الموقفين الى الحد الادنى الممكن. عندئذ يتم ترتيب اجتماع سري بين الرئيس عبدالناصر وبن غوريون في يخت خاص في البحر الابيض المتوسط لسد الفجوة نهائيا بين الطرفين . ويؤكد كوبلاند ان روزفلت حصل على موافقة كل من عبدالناصر وبن غوريون على هذه الترتيبات مع اصرار الرئيس المصري على نقطتين : أولا يجب أن تحصل مصر على أكثر من مجرد ممر (وسيتم تحديد عرض هذا الممر في المفاوضات مع اسرائيل) لربطها بالاردن . ثانيا ، على الاسرائيليين أن يوافقوا ، من حيث المبدأ ، على قبول الفلسطينيين الذيـــن يرغبون في العودة الى منازلهم . ويبدو انه لم تكن لدى عبدالناصر اية أوهام حول نوايا اسرائيل السلمية بدليل قوله لروزفلت وكوبلاند انه يتوقع أن تضع اسرائيل عراقيل ادارية في طريق المشروع . على هذا الاساس سافر اندرسون من القاهرة الى تل ابيب (٢٣ كانون الثاني ١٩٥٦) حيث عقد اجتماعات مطولة مع المسؤولين هناك بمن فيهم بن غوريون وبحضور ممثل عن دائرة الاستخبارات الامريكية لا يذكر بن غوريون اسمه الا اننا نعلم مما كتبه كوبلاند انه كيرميت روزفلت . وتنقل اندرسون أكثر من مرة بين القاهرة وتل أبيب (٣١ كانون الثاني ١٩٥٦ و٩ آذار ١٩٥٦) حيث عقد عدة اجتماعات على أعلى المستويات . ويستفاد من مذكرات بن غوريون ان المحادثات كانت تدور حول قضيتين رئيسيتين : السلام بين مصر واسرائيل ، وتخفيف حدة التوتر والاشتباكات على الحدود . ويؤكد بن غوريون ما قاله

---

* انظر الملخص الذي قدمه احمد خليفة لمذكرات بن غوريون في « **شؤون فلسطينية** » ، عدد ٥ ، تشرين الثاني ١٩٧١ ، ص ٢٢٠ — ٢٢١ .

مايلز كوبلاند حول اشتراط عبد الناصر لتحقيق السلام ان تقبل اسرائيل بحل مشكلة اللاجئين وفقا لقرارات هيئة الامم ، وبتأمين اتصال اقليمي بين افريقيا وآسيا العربيتين . ويلقي كوبلاند مسؤولية فشل مشروع جارنغ على اكتاف بن غوريون وتصلبه اذ يقول ان رئيس الوزراء الاسرائيلي رفض مناقشة التفاصيل المتعلقة بالتنازلات الاسرائيلية مع اندرسون وقال له « وظيفتك هي أن تعمل على عقد اجتماع بين عبدالناصر وبيني ، واذا كنت سأقدم أية تنازلات فانني سأقدمها له وليس لاي شخص آخر » ، أي مات مشروع جارنغ كغيره من المشاريع بسبب التصلب الاسرائيلي في اللحظة المناسبة مما جعل مهمة اندرسون في تضييق شقة الخلاف بين الموقفين الى حدها الادنى مستحيلة . وقد برر يعقوب هرتزوغ ، الذي حضر الاجتماعات الاسرائيلية مع اندرسون ، موقف اسرائيل بقوله في « معاريف » (٦ آب ١٩٧١) ان اسرائيل لم تكن تعتقد ان باستطاعة عبدالناصر عقد الصلح مع اسرائيل حتى لو أراد ذلك بسبب المعارضة الداخلية والعربية لمثل هذه الخطوة كما يقول بن غوريون في مذكراته بأنه كان يعتقد أن عبدالناصر كان يجري هذه الاتصالات على سبيل المناورة ومن أجل كسب الوقت كي يتيح الفرصة امام جيشه لاستيعاب السلاح السوفياتي الجديد . وفي هذه الاشارة أكثر من مغزى مهم يفسر اقدام اسرائيل على الاشتراك في العدوان الثلاثي على مصر في أواخر ١٩٥٦ .

مشروع دالاس

في ٢٦ آب ١٩٥٥ أدلى دالاس بتصريح مهم حول السياسة الامريكية في الشرق الاوسط عبر فيه عن رغبة الحكومة الامريكية في العمل على تحقيق تسوية سلمية بين اسرائيل والدول العربية. وطرح الوزير الامريكي مشروعه من خلال قوله ان هناك ثلاث مشكلات رئيسية يجب حلها من أجل تحقيق التسوية وهي :

(١) وضع حد لبؤس مليون اللاجيء من الفلسطينيين المقتلعين مما يستدعي تأمين حياة كريمة لهم عن طريق العودة الى وطنهم الاول ضمن حدود الممكن ، وتوطينهم في المناطق العربية المتواجدين فيها . ومن أجل تحقيق التوطين اقترح دالاس استصلاح المزيد من الاراضي من خلال مشاريع الري بحيث يتمكن اللاجئون من الاستقرار والعمل عليها . ومن أجل تحقيق هذه الافكار اقترح دالاس على اسرائيل دفع تعويضات للاجئين يتم تمويلها من خلال قرض دولي ستشارك فيه الولايات المتحدة بصورة أساسية . وأكد ان حكومة بلاده ستساهم في اقامة مشاريع الري وتحقيق التنمية المائية في المنطقة مما سيساعد مباشرة على اعادة توطين اللاجئين .

(٢) الخوف الذي يسيطر على دول المنطقة مما يجعلها عاجزة عن الشعور بالامان والاطمئنان . وشدد دالاس ان التغلب على هذا الخوف والوصول الى الشعور بالامان لا يمكن ان يتحققا بجهود دول المنطقة وحدها بل يتطلبان اجراءات جماعية هدفها ردع أي عدوان بشكل قوي وحاسم. على هذا الاساس عبر دالاس عن استعداد الولايات المتحدة للدخول في معاهدات رسمية هدفها منع أي عمل من قبل أي من الطرفين من شأنه تغيير الحدود بين اسرائيل وجيرانها بالقوة ، بالاضافة الى كبح مثل هذا العمل . كذلك عبر عن أمله في أن توافق دول أخرى على المساهمة مع امريكا في مثل هذه الضمانات الامنية، وأن يتم كل ذلك تحت اشراف الامم المتحدة .

(٣) من أجل ضمان الحدود يجب أن يكون هناك اتفاق مسبق حول طبيعة هذه الحدود. وبما أن الخطوط الحالية التي تفصل اسرائيل عن الدول العربية ناتجة عن اتفاقات لجنة الهدنة عام ١٩٤٩ ولا تشكل حدودا دائمة تصبح مسألة الحدود من أهم المسائل التي يجب حلها من أجل الوصول الى تسوية سلمية بين الدول العربية واسرائيل . وأعلن دالاس عن رغبة حكومته في المساهمة في عملية البحث عن حل لمشكلة الحدود . كما

اعتبر ان حل هذه المشكلات الاساسية سيمهد الطريق الى حل بقية القضايا العالقة بين العرب واسرائيل بما فيها قضية القدس .

من الضروري التنبه هنا الى أن التكتيك الامريكي البارز في مشروع دالاس هو النزع المفتعل للصبغة السياسية عن النزاع العربي الاسرائيلي والقضية الفلسطينية واعادة طرح المشكلة على أسس تكنوقراطية قابلة للحل بالوسائل الفنية المتقدمة . أي تحويل المشكلة وتجزئتها الى مشاكل « التنمية المائية في المنطقة » ، « توطين المقتلعين » ، « تأمين القروض المالية اللازمة » ، « رسم الحدود » ، « معاهدات لضمان هذه الحدود » ، الخ .

بعد فشل المحاولات السياسية الاولى (السرية منها والعلنية) لتسوية النزاع وتصفية القضية الفلسطينية تحولت الدبلوماسية الامريكية باتجاه آخر يتلخص في محاولة تصفية القضية عن طريق مشاريع ذات مظهر تقني خارجي براق تدعو الى تطوير ثروات المنطقة المائية وغير المائية ، وتركيز الجهود والاموال على « التنمية » بدلا من المواجهة مع العدو الى آخر دعوات هذا الخط المعروف ، والذي جاء مشروع دالاس كأول تعبير واضح ومتماسك عنه .

أيدت وزارة الخارجية البريطانية المبادرة الامريكية في تصريح صدر في ٢٧ آب ١٩٥٥ ، أعلن عن استعداد بريطانيا لضمان أية تسوية اقليمية يتم التوصل اليها عن طريق الدخول في معاهدات رسمية مع الاطراف المعنية ، وللمساهمة في القرض الدولي من أجل دفع تعويضات اللاجئين .

أما اسرائيل فقد حددت موقفها من مشروع دالاس في تصريح أدلى به رئيس وزرائها في ١١ أيلول ١٩٥٥ حين قال : (١) ان حكومته مستعدة لمناقشة موضوع ادخال بعض التعديلات المتبادلة على الحدود مع جيرانها العرب ولكنها غير مستعدة لتقديم اية تنازلات من طرف واحد فيما يتعلق بالارض وخاصة بالنقب . (٢) مع ان مشروع دالاس قد جعل تعيين الحدود شرطا يجب تحقيقه قبل عقد المعاهدات الدفاعية ترى اسرائيل ان عقد مثل هذه المعاهدات مسألة ملحة جدا . (٣) ان خطوط الهدنة الحالية ، مهما كانت نواقصها وسيئاتها ، قد تم الاتفاق عليها بين الطرفين ، في حين ان أية محاولة للوصول الى اتفاق حول تعديل هذه الخطوط في المستقبل القريب ستثير اشكالات كبيرة لا طائل منها . (٤) منطقة النقب مهمة جدا بالنسبة لاسرائيل بسبب ثرواتها المعدنية وبسبب الاهمية الكبرى لمرفأ ايلات الذي يعطي اسرائيل موطىء قدم على البحر الاحمر . وعاد السفير الاسرائيلي في واشنطن (أبا ايبان) الى تأكيد موقف حكومته من مشروع دالاس ولكن بشكل أكثر تفصيلا . وكما هو متوقع أصر الموقف الاسرائيلي على تثبيت الوضع القائم يومها على حاله مع عدم التورط في أية اتفاقات قد تضطر اسرائيل الى اعلان حدودها الاقليمية النهائية — هذه الحدود التي ما زالت غير معلنة او معروفة حتى اليوم . ويبدو ان مشروع روجرز (١٩٧٠) الداعي الى « ادخال تعديلات طفيفة » على الحدود بين الدول العربية المعنية واسرائيل مستوحى جزئيا من مشروع دالاس القديم والمناقشات التي دارت حوله وحول طبيعة التعديلات المتبادلة على الحدود التي يمكن أن تقبل بها اسرائيل .

أما على الجانب العربي فقد أعلن رئيس الوزراء السوري ، سعيد الغزي ، في المجلس النيابي في ٢٦ أيلول ١٩٥٥ رفض سوريا لكل الخطط او المحاولات الرامية الى عقد سلام مع اسرائيل بما في ذلك اقتراحات دالاس . ولم تحدد أية دولة عربية أخرى موقفها الرسمي من مشروع دالاس ، الا أن اذاعة القاهرة هاجمت المشروع واعتبرته محاولة لوضع العرب تحت رحمة اسرائيل .

مشروع انطوني ايدن للتسوية

في ٩ تشرين الثاني ١٩٥٥ أعلن رئيس الوزراء البريطاني ، انطوني ايدن ، بأنه على استعداد (مع مساهمة دول أخرى) لتقديم ضمانات رسمية الى اسرائيل والدول العربية اذا تم التوصل الى اتفاق هدفه تسوية موضوع الحدود بين الطرفين . من الضروري أن يذكر القارىء — بصدد المشروع البريطاني — أن التنافس بين الاستعمار القديم المتداعي ومصالح الاستعمار الامريكي الجديد حول منطقتنا كان شديدا في تلك الفترة . وهذا ما يفسر تقديم ايدن لمشروع تسوية من عنده على الرغم من وجود مشروع امريكي مطروح قيد التداول والدرس في الاوساط الدبلوماسية والدولية. مع العلم ان المشروع البريطاني لا يتعارض مع مقترحات دالاس ، لكنه يذكر فقط بآخر محاولة من قبل الاستعمار البريطاني للتأكيد على استقلاله السائر في طريق التلاشي . ووعد ايدن ، في حال تحقيق مثل هذه التسوية ، بتقديم مساعدات مالية وغير مالية هامة تساهم فيها دول اخرى لحل مشكلة اللاجئين . وشرح ايدن طبيعة النزاع العربي الاسرائيلي على النحو التالي : (١) تستند الدول العربية في موقفها على قرار هيئة الامم الصادر عام ١٩٤٧ وغيره من القرارات . وهم على استعداد ، كما أعلنوا مرارا ، للدخول في مباحثات مع اسرائيل على هذا الاساس . (٢) يستند الموقف الاسرائيلي على الواقع العسكري القائم في المنطقة الذي رسمته اتفاقيات الهدنة لعام ١٩٤٩ . (٣) ان الفجوة بين الطرفين ليست على درجة من الاتساع بحيث لا يمكن لأية مفاوضات أن تسدها ، اذ لا يمكن اهمال قرارات هيئة الامم من ناحية ، كما أنه لا يمكن تطبيقها على علاتها من ناحية ثانية . وبما ان الدول المعنية بالنزاع تريد السلاح لانه يخدم مصالحها ، لا بد اذن من أن يقدم كل من الطرفين بعض التنازلات لسد الفجوة بين الموقفين المتعارضين . وأكد ايدن ان حكومته على استعداد لتقديم كل الخدمات الممكنة لتحقيق هذا الهدف . كان ايدن يتقدم بهذا التحليل الشكلي والتجريدي لطبيعة الصراع العربي الاسرائيلي بدون أن يدرك أهمية المد الوطني الصاعد في صفوف الجماهير العربية في تلك الفترة ومدى ارتباطه الصميمي بالقضية الفلسطينية ، مما كلف ايدن منصبه الرئاسي ومستقبله السياسي. مع ذلك كانت اسرائيل السباقة الى رفض مشروع ايدن لانه أشار الى قرارات هيئة الامم ، وكان ذلك في خطاب القاه بن غوريون في الكنيست في ١٥ تشرين الثاني ١٩٥٥ حيث قال « ان غزو الدول العربية لارض اسرائيل في حرب ١٩٤٨ قد جعل كافة قرارات هيئة الامم حول فلسطين لاغية وباطلة بدون اية امكانية لاعادتها الى الحياة » .

أما على الجانب العربي فلم تصدر اية تعليقات رسمية على مشروع ايدن باستثناء تصريح صحفي أدلى به عبدالناصر (وكان يومها رئيسا للوزراء) في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٥٥ حيث قال ان عودة ايدن الى قرارات هيئة الامم لعام ١٩٤٧ تشير الى ان حقوق الفلسطينيين لم يتم التخلي عنها — كما كان يظن البعض — من قبل الدول الكبرى وان الوقت قد حان لاعادة احياء تلك القرارات التي أهملت لمدة ثماني سنوات . كما ذكر عبدالناصر في تصريحه أن ايدن لم يتقدم بأية مقترحات محددة تتطلب دعما مصريا ، بل عاد الى التقاط قرارات هيئة الامم من جديد مما يشكل في نظر مصر اعترافا بحقوق الشعب العربي الفلسطيني الذي اغتصب وطنه عندما كان خاضعا للانتداب البريطاني .

وساطة صحفية

في شهر أيار ١٩٥٦ قام الصحفي المصري ابراهيم عزت بزيارة لاسرائيل دامت ١١ يوما (انتهت في ١٦ أيار) كان أثناءها بضيافة الحكومة الاسرائيلية . وقد تم الكشف عن الزيارة في ١٩ أيار ١٩٥٦ عندما رفع ابراهيم عزت تقريره عن الرحلة الى الرئيس جمال عبدالناصر ثم نشر مقالا في « روز اليوسف » ضمنه عدة انطباعات ايجابية عن اسرائيل.

وفي عام ١٩٥٧ نشر كتابا عن رحلته ثم أعاد طبعه بشكل موسع عام ١٩٥٨ تحت عنوان « أنا عائد من اسرائيل »*. ذكر عزت في كتاباته عن الزيارة انه اجتمع الى بن غوريون وموشيه شاريت ، وزير الخارجية ، وجولدا مائير ، وزيرة العمل ، حيث شدد كل منهم على رغبة بلاده في السلام مع مصر بعد أن قالوا ان مصر هي العدو المحتمل الوحيد لاسرائيل وان السلام معها هو هدف كل انسان في اسرائيل وحلمه . وذكر الصحافي المصري ان الاسرائيليين مقتنعون انهم اذا حققوا السلام مع مصر فان بقية الدول العربية ستضطر الى سلوك الطريق نفسها**. ويبدو ان بن غوريون حمّل ابراهيم عزت رسالة من نوع ما الى الرئيس عبدالناصر بدليل قول الصحافي المصري : « قال لي بن غوريون بالحرف الواحد الذي أملى علي كلمة كلمة ، اذا ذهبت الى مصر واستطعت ان تقابل الرئيس جمال عبد الناصر ، قل لسيادته انني على استعداد لمقابلته في أي وقت ، وفي أي مكان يحدده هو لمناقشة أي مسألة يحب أن يثيرها سواء كانت هذه المسألة خاصة باللاجئين أو الحدود ، أو كانت مسألة اقتصادية او سياسية أو عسكرية ، بدون وسيط وبدون اذاعة أي شيء عن هذا الاجتماع أو نتائجه . قل له ، انني على استعداد لمقابلته ولو في القاهرة »***.

وفي ٢١ حزيران ١٩٥٦ أكد ناطق بلسان بن غوريون أن رئيس وزراء اسرائيل على استعداد لمقابلة عبدالناصر في اي مكان وأي زمان يختاره ، وانه على استعداد لان يذهب الى القاهرة « كالقذيفة » اذا كان ذلك ضروريا . كما ذكر الناطق ان بن غوريون لن يسمح للصحافيين المصريين بزيارة اسرائيل بعد اليوم ما لم يرد عبدالناصر المبادرة بالسماح للصحافيين الاسرائيليين بزيارة مصر . وبطبيعة الحال ماتت كل المشاريع المطروحة والوساطات العالقة على اثر تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي الذي تلاه.

المشروع الاسرائيلي

اثناء الزيارة التي قام بها موشيه شاريت للولايات المتحدة وبعد المحادثات التي أجراها مع دالاس (٢١ تشرين الثاني و٦ كانون الاول ١٩٥٦) طلب أسلحة امريكية وأعلن عن استعداد اسرائيل لتقديم تنازلات رئيسية مهمة منها تحقيق تسوية سلمية للنزاع في الشرق الاوسط . وتضمنت مقترحاته التفاصيل التالية كما نشرت في واشنطن في ١٩ كانون الاول ١٩٥٦ :

(١) موافقة اسرائيل على اجراء تعديلات متبادلة في خطوط الهدنة بهدف تحسين الاوضاع الامنية والمواصلات ، ورفضها للتفاوض على أساس خط التقسيم لعام ١٩٤٧ .

(٢) استعداد اسرائيل للنظر بموضوع منح الدول العربية حقوق ترانزيت تسهل حركة التجارة بين الشمال والجنوب (أي بين لبنان ومصر) وعبر النقب (أي بين مصر والاردن) شرط أن تمنح الدول العربية لاسرائيل حقوقا مشابهة . وتشمل هذه الحقوق النقل البري والجوي .

(٣) استعداد اسرائيل لمنح الاردن تسهيلات حرة في ميناء حيفا وحقوق الترانزيت الضرورية من أجل الوصول اليه عن طريق البر .

(٤) استعداد اسرائيل لجمع الاموال اللازمة من أجل التعويض على اللاجئين وقبولها بالقرض الذي عرضته الولايات المتحدة للمساهمة في اعادة اسكانهم وتوطينهم . الا ان اسرائيل مصرة على ضرورة توطين اللاجئين في الدول العربية .

---

* ابراهيم عزت ، **انا عائد من اسرائيل** ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٥٨ .

** راجع الصفحات التالية من كتابه « **انا عائد من اسرائيل** » : ٣٢ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٩٦.

*** « **انا عائد من اسرائيل** » ، ص ٩٤ — ٩٥ .

(٥) قبول اسرائيل بمشروع تطوير نهر الاردن الذي اقترحه جونستون بحيث تشترك مع الدول العربية في الاستفادة من مياه نهري الاردن واليرموك . وتعتبر اسرائيل هذه الخطوة تنازلا من طرفها لان ما يزيد عن نصف الموارد المائية سيذهب الى الدول العربية .

وأوضح المشروع ان اسرائيل لن تتراجع عن النقاط التالية في موقفها المعروف :

(١) لن توافق على اية تنازلات من جانب واحد (أي جانبها) كما انها تتوقع ان تجري التعديلات الطفيفة على خطوط الهدنة بصورة تترك أرض اسرائيل على ما هي عليه تقريبا .

(٢) لن تتنازل عن ميناء ايلات في العقبة .

(٣) عندما تعطي حقوق الترانزيت للاردن ومصر لن تسمح باقامة اية ممرات غير خاضعة للسيادة الاسرائيلية .

(٤) ستستمر اسرائيل في معارضة تدويل القدس .

ولم تصدر اية تصريحات أو تعليقات من قبل الحكومات العربية حول مشروع شاريت .

المشروع الكندي

في ٢٦ شباط ١٩٥٧ قال ليستر بيرسون وزير الخارجية الكندي في خطابه امام الجمعية العامة لهيئة الامم بأن المنظمة الدولية « وصلت الى نقطة اللارجوع » بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي لانه ليس بالامكان العودة الى الظروف التي كانت قائمة قبل تشرين الاول ١٩٥٦ (أي قبل العدوان الثلاثي) . وعلى هذا الاساس تقدم بالمشروع التالي لتثبيت الوضع في المنطقة وليس لتسويته على ما يبدو :

(١) تتعهد كل من اسرائيل ومصر بالتقيد بدقة بكافة بنود اتفاقيات الهدنة لعام ١٩٤٩ .

(٢) يقوم كل من الامين العام لهيئة الامم ، والمنظمة الدولية نفسها ، وقائد قوات الطوارىء التابعة لها بوضع الترتيبات اللازمة مع الحكومات المعنية من أجل وضع قوات الطوارىء على خطوط الهدنة . أما الهدف من هذه الخطوة فيتلخص بثلاث نقاط : (أ) ان تأخذ على عاتقها بعض واجبات هيئة رقابة الهدنة ، (ب) المساعدة في منع الحملات والهجمات عبر خطوط الهدنة ، (ج) المحافظة على السلام على طرفي الخط .

(٣) الالتزام بعدم التدخل في حق العبور البريء في مضائق تيران . ويتبع انسحاب القوات الاسرائيلية من شرم الشيخ دخول قوات الطوارىء الدولية اليها للمساعدة في الحفاظ على السلام ومنع حدوث أي صدامات وفقا للاهداف التي عينتها الجمعية العامة لهذه القوات .

(٤) اقامة ادارة مدنية تابعة لهيئة الامم في غزة بالتعاون مع مصر واسرائيل .

ولم تعلق أي من الحكومات العربية أو اسرائيل على المشروع الكندي كما انه لم يشر اليه في مناقشات الجمعية العامة .

المشروع الاسترالي

في ٢١ تشرين الاول ١٩٥٧ قال الرئيس الاسترالي (السيد منزيس) في خطابه السنوي أمام الحزب الليبرالي الحاكم انه ينبغي القيام بمحاولة جديدة من أجل الخروج من الحلقة المفرغة التي تلف النزاع في الشرق الاوسط . ودعا هيئة الرقابة للدفع باتجاه مباحثات على مستوى رفيع من أجل استكشاف امكانيات الوصول الى اتفاقية جديدة مضمونة دولية هدفها ازالة أسباب التوتر في المنطقة من جذورها . ثم اقترح النقاط التالية كأساس لتسوية النزاع العربي الاسرائيلي :

(١) تسوية نهائية ومضمونة للحدود العربية الاسرائيلية .

(٢) تسوية لقضية اللاجئين .

(٣) تقديم مساعدات اقتصادية دولية غير مشروطة عسكريا الى الدول التي تحتاجها في الشرق الاوسط .

(٤) تشجيع التبادل التجاري السلمي الذي يستفيد منه البائع والشاري .

(٥) الاعتراف بالجوانب المدنية والاقتصادية لحلف بغداد وتوسيعها .

(٦) النظر الى مشكلة البترول وتموينه على أساس التعاون والضمانات الدولية وليس على أساس التنافس الدولي فقط .

(٧) اقامة هيئة استشارية دولية تقدم النصائح الى دول الشرق الاوسط حول مشاكلها المالية والاقتصادية .

واعتبر رئيس الوزراء مقترحاته الاساس الذي تسير عليه سياسة حكومته بالنسبة للنزاع في الشرق الاوسط . ولم تصدر أية تعليقات رسمية حول المقترحات من اسرائيل أو من الدول العربية .

مشروع جونسون

شهدت السنوات القليلة التي تلت العدوان الثلاثي على مصر معارك عنيفة بين القوى التقدمية العربية الصاعدة يومها وبين الاستعمار كان من أهم نتائجها قيام الجمهورية العربية المتحدة وسقوط حلف بغداد والانزال العسكري الامريكي في لبنان . لذلك لم تتقدم اي من الجهات المعهودة بأية مشاريع جديدة بالمعنى الدقيق للعبارة في تلك الفترة لتسوية النزاع العربي الاسرائيلي وتصفية القضية الفلسطينية . وأخذت المجهودات الامريكية في هذه الفترة طابع تقديم المشاريع الاقتصادية العامة « لتنمية » المنطقة وحل مشكلات « التخلف » فيها . وكان أحد الاهداف الكامنة وراء تقديم مثل هذه المشاريع العمل على تصفية القضية الفلسطينية عن طريق استيعاب اللاجئين الفلسطينيين في المجتمعات العربية المقيمين فيها وذلك بواسطة خلق مشاريع اقتصادية تحت اشراف امريكا وبرعايتها وتمويلها لتحقيق هذا الهدف . ويجب أن نذكر هنا ان الامبريالية الامريكية كانت يومها في سبيلها الى الحلول محل الاستعمار الكلاسيكي في المشرق العربي مما دعاها الى عرض أغراءاتها على دول المنطقة بشكل مشاريع تنمية اقتصادية ومائية للمنطقة . ونذكر بالتحديد مشروع ايزنهاور الذي تم اعلانه في ٥ كانون الثاني ١٩٥٧ والداعي الى قيام امريكا بتقديم المساعدات المالية الى الدول العربية المشرقية من أجل التنمية الاقتصادية مع الربط بين هذه المساعدات ومقاومة الشيوعية . عاد ايزنهاور الى طرح مشروعه من جديد في النصف الاول من عام ١٩٥٨ في الدورة الاستثنائية الخاصة التي عقدتها الجمعية العامة التابعة لهيئة الامم بشأن الشرق الاوسط . دعا ايزنهاور في مشروعه الى انشاء مؤسسة تنمية عربية على اساس اقليمي بالتشاور مع هيئة الامم ومساعدتها وذلك للاسراع في التنمية الصناعية والزراعية والمائية الخ ... وذلك بدعم من الدول والمنظمات المستعدة لتأييد هذه المؤسسة . وأعلن عن استعداد الولايات المتحدة للمساهمة في اقامة هذه المؤسسة وتأييدها. ومع ان ايزنهاور لم يشر في مشروعه الى القضية الفلسطينية الا أن الامين العام لهيئة الامم يومها ، داغ هامرشولد ، ربط بوضوح بين مقترحات ايزنهاور والقضية الفلسطينية بقوله ان التقدم في انجاز هذه المقترحات سيخلق الاساس المناسب لمعالجة مشكلة خطيرة من مشاكل المنطقة هي مشكلة اللاجئين الفلسطينيين .

واستمرارا في هذا الخط تقدم هامرشولد في ١٥ حزيران ١٩٥٩ بوثيقة الى الجمعية

العامة لهيئة الامم عنوانها « مقترحات بشأن استمرار الامم المتحدة في مساعدة اللاجئين الفلسطينيين : وثيقة صادرة عن الامين العام » . ركز هامرشولد في مقترحاته على توسيع البرامج التي من شأنها تأهيل اللاجئين وتعزيز قدرتهم على اعالة انفسهم وعلى الاستغناء عن المساعدات التي تقدمها لهم الوكالة الدولية ، وبالتالي توطينهم في الواقع ان لم يكن بصورة رسمية علنية . ان مختلف مشاريع التأهيل وتيسير الهجرة والشغل واعالة النفس بين اللاجئين — تلك المشاريع التي كانت وكالة الاغاثة تقوم بها على نطاق محدود — هي المشاريع التي جاء هامرشولد يدعو الى اعلانها سياسة رسمية للوكالة ، والى توسيع نطاقها الى أبعد حد ممكن .

بعبارة أخرى نظر هامرشولد الى هذه المشاريع كتمهيد لعملية الاذابة والاستيعاب والادماج التي جعلها محور تقريره فيما يتصل باللاجئين . وهو لذلك يدعو الى المزيد منها ، ويناشد الدول العربية المضيفة بالتعاون مع الوكالة فيها .

ومع ان مقترحات هامرشولد لم تتطرق بصورة مباشرة الى مسألة تسوية الصراع العربي الاسرائيلي الا انه واضح من مضمونها انها تهدف الى دمج الشعب الفلسطيني في المجتمعات العربية المتواجد فيها عن طريق مشاريع التنمية الاقتصادية وعن طريق اعتبار « اللاجئين » طاقة بشرية واقتصادية تحتاجها هذه المجتمعات في عملية التنمية هذه . أي أمامنا هنا نموذج عن الاسلوب غير المباشر لتصفية قضية الشعب الفلسطيني .

كان رد الفعل الفلسطيني ضد مشروع هامرشولد قويا كما ظهر من المؤتمر الفلسطيني الذي انعقد في بيروت في ٢٦ حزيران ١٩٥٩ وحضره مندوبون وممثلون عن جميع مخيمات الفلسطينيين ومختلف أماكن اقامتهم في الاراضي اللبنانية وجميع هيئاتهم ومنظماتهم . وصدر بيان هام عن المؤتمر رفض مشروع هامرشولد ودعوته لتذويب الشعب الفلسطيني في اقتصاديات الشرق الاوسط وكل مشروع آخر من شأنه ان يحول دون حقه الطبيعي في وطنه . وفي ١٢ تموز ١٩٥٩ انعقد مؤتمر عربي فلسطيني ثان في بيروت أصدر بيانا أكد فيه الموقف الذي تم تحديده في المؤتمر الاول ، كما استنكر موقف وكالة الاغاثة وحذرها من تبنيها لمشروع هامرشولد وتنفيذها لتوصياته .

مع استنفاد النهوض الوطني الجماهيري العربي بقيادة مصر لزخمه واندفاعه ، عادت الدبلوماسية الامريكية لطرح مشاريعها المتعلقة بالصلح مع اسرائيل ، واتجهت هذه المرة ايضا باتجاه نزع الصفة السياسية عن القضية في محاولة لاظهارها بمظهر المشكلة التي تتطلب حلولا ذات طابع فني أو تقني يتقدم بها أختصاصيون بعد أن يكونوا قد درسوا « المعضلة » بشكل « موضوعي » و« مجرد » من أجل الوصول الى الحل المناسب لها . انطلاقا من هذا التصور كلفت حكومة الولايات المتحدة في سنة ١٩٦١ الدكتور جوزيف جونسون ، رئيس مؤسسة كارنجي للسلام العالمي ، القيام بدراسة جديدة عن مشكلة اللاجئين . ولاعطاء مهمة جونسون الطابع الدولي المناسب تم تكليفه من خلال لجنة التوفيق الدولية .

اعتبر جونسون ان استمرار مشكلة اللاجئين يعود الى التناقض القائم بين موقف الحكومات العربية وموقف اسرائيل من المشكلة . كانت اسرائيل تصر على ان الاعتبارات الامنية تمنعها من الموافقة على اعداد كبيرة من اللاجئين ، بينما كانت الدول العربية ترفض مناقشة أية تفاصيل تتعلق بالتسوية ما لم توافق اسرائيل على قرارات هيئة الامم الداعية الى السماح « للاجئين الذين يريدون العودة الى منازلهم والعيش بسلام مع جيرانهم » بالرجوع الى اسرائيل في أقرب وقت ممكن ، والى التعويض عن ممتلكات الذين يختارون عدم الرجوع . انطلاقا من هذين الموقفين حاول جونسون في محادثاته ايجاد صيغة حل وسط يأخذ بعين الاعتبار الناحية « الانسانية » (وليس السياسية والوطنية) من مشكلة اللاجئين من جهة، ولا يهدد أمن اسرائيل من جهة ثانية .

وفي ٢ تشرين الاول ١٩٦٢ اقترح جونسون حلا قائما على الاجراءات التالية :

(١) يعطى كل رب اسرة من اللاجئين فرصة للاختيار الحر ــ بمعزل عن اي ضغط من أي مصدر كان ــ بين العودة الى فلسطين والتعويض .

(٢) ينبغي ان يكون كل لاجيء على علم تام (أ) بطبيعة الفرص المتاحة له للاندماج في حياة المجتمع الاسرائيلي ان هو اختار العودة و(ب) كمية التعويضات التي سيتلقاها كبديل ان هو اختار البقاء حيث هو .

(٣) يتم حساب التعويضات على أساس قيمة الممتلكات كما كانت في فلسطين عام ١٩٤٧ ــ ١٩٤٨ مضافة اليها الفوائد المستحقة .

(٤) تقوم الولايات المتحدة وغيرها من الدول الاعضاء في هيئة الامم ــ بما فيها اسرائيل ــ بالاسهام في توفير الاموال اللازمة لدفع التعويضات .

(٥) من حق اسرائيل أن تجري كشفا أمنيا على كل لاجيء يختار العودة .

(٦) يستفيد اللاجئون الذين لم يكن لهم أية ممتلكات في فلسطين من تعويض مالي مقطوع لمساعدتهم على الاندماج في المجتمع الذي يختارون التوطن فيه . ويتم دفع هذه التعويضات من خلال هيئة الامم التي ستقوم بدور الوسيط والعازل بين الاطراف المعنية الى أن تنتهي عملية التوطين .

(٧) يحق لاية حكومة الانسحاب من هذا المشروع اذا اعتبرت ان فيه تهديدا لمصالحها الحيوية .

(٨) يتم تطبيق المشروع بصورة تدريجية ، كما ان التخلي عنه في منتصف الطريق لن يترك اللاجئين في وضع أسوأ مما كانوا عليه قبل الشروع بتنفيذه .

رفضت اسرائيل مقترحات جونسون في تشرين الثاني ١٩٦٢ على لسان وزيرة الخارجية يومها (جولدا مائير) التي أكدت من جديد القرار الذي اتخذه الكنيست في تشرين الثاني ١٩٦١ القائل باستحالة عودة اللاجئين الى اسرائيل لان الحل الوحيد لمشكلتهم هو توطينهم في الدول العربية .

لم ترفض الحكومات العربية مقترحات جونسون صراحة ، انما استمرت في اصرارها على ضرورة موافقة اسرائيل على قرارات هيئة الامم المتعلقة بقضية اللاجئين قبل الدخول في بحث اية تفاصيل أخرى مرتبطة بهذا الموضوع . وعلى أثر فشل مشروعه استقال جونسون في مطلع عام ١٩٦٣ من عمله في هيئة الامم .

بعد مضي بضعة اشهر على فشل مهمة جونسون تحركت الدبلوماسية الامريكية من جديد ولكن بدون ان تتقدم بأية مشاريع او مبادرات جديدة للسلام ، بل عادت للعمل هذه المرة من خلال لجنة التوفيق الدولية . ففي ٢٠ تشرين الثاني ١٩٦٣ تقدمت الولايات المتحدة بمشروع قرار أمام اللجنة السياسية الخاصة التابعة للجمعية العامة لهيئة الامم يدعو لجنة التوفيق للاستمرار في مساعيها من أجل تنفيذ نص الفقرة ١١ من قرار الجمعية العامة رقم ١٩٤/٣ (وهي الفقرة التي تعطي الخيار للاجئين بين العودة والتعويض) . وقد تبنت اللجنة السياسية مشروع القرار الذي رفضه المندوب الاسرائيلي رفضا كليا ومباشرا .

أما لجنة التوفيق فقد رفعت تقريرا الى الجمعية العامة في ٣ كانون الاول ١٩٦٣ قالت فيه ان الولايات المتحدة اخذت تجري منذ بداية عام ١٩٦٣ سلسلة من الاتصالات الهادئة على أعلى المستويات مع كل من اسرائيل والاردن ولبنان وسوريا والجمهورية العربية المتحدة حول تسوية النزاع العربي الاسرائيلي . كما ذكر التقرير ان جميع الاطراف ابدت

استعدادا حسنا ورغبة صادقة في تحقيق تقدم بالنسبة لحل مشكلة اللاجئين ، وهي تريد الاستمرار في هذه المحادثات التي لم تكتمل بعد . ويبدو ان هذا التقرير وضع الحكومات العربية في موقف محرج أمام شعوبها مما دعا ممثليها في هيئة الامم الى اصدار بيان مشترك نفى وجود مثل هذه الاتصالات واكد ان الحكومات العربية غير مستعدة للدخول في أية محادثات مهما كان نوعها مع لجنة التوفيق ، وان الحل الوحيد لمشكلة اللاجئين هو اعادة توطينهم في فلسطين . لا بد من الاشارة هنا الى انه مع مجيء عام ١٩٦٣ كانت الوحدة بين مصر وسوريا قد انحلت ، والنهوض الوطني الجماهيري الذي شهدته المنطقة ابتداء بمنتصف الخمسينات قد استنفد طاقته وقوته وأخذ بالانحدار البطيء ، وكانت الهجمة الامبريالية على أنظمة الحياد الايجابي وعدم الانحياز في العالم الثالث قد اشتدت، وفي هذه الاجواء المتراجعة ، على الصعيدين الوطني والتحرري ، طرح الرئيس التونسي، الحبيب بورقيبة ، في سنة ١٩٦٥ مشروعه لتصفية القضية الفلسطينية ولتسوية النزاع مع اسرائيل .

كان بورقيبة يقوم بجولة في المشرق العربي (آذار ونيسان ١٩٦٥) حيث أدلى بتصريحات تحدت الموقف العربي الرسمي المعلن والقائل بأن التعايش مع اسرائيل غير ممكن وانه لا بد من الدخول في حرب من أجل تحرير فلسطين . واقترح الرئيس التونسي العمل على « حل » المشكلة الفلسطينية خطوة بعد خطوة بحيث يتمكن العرب والاسرائيليون من العيش بسلام جنبا الى جنب ، وكانت هذه هي المرة الاولى التي يقوم بها رئيس دولة عربي بالاعلان صراحة ان المطلوب للقضية الفلسطينية هو حل وسط . وكانت هذه المرة الاولى أيضا التي يدخل فيها مثل هذا الموقف ميدان المناقشات السياسية بين الزعماء العرب .

بعد عودته الى تونس القى بورقيبة خطابا في ٢١ نيسان ١٩٦٥ دعا فيه الى تسوية النزاع العربي الاسرائيلي على أساس قرار التقسيم ، وشرح معناه على النحو التالي :

(١) تعيد اسرائيل الى العرب ثلث المساحة التي احتلتها منذ انشائها لتقوم عليها دولة فلسطينية عربية .

(٢) يعود اللاجئون الفلسطينيون الى دولتهم الجديدة .

(٣) تتم مصالحة بين الدول العربية واسرائيل تنهي حالة الحرب الباردة بينهما .

وعبر الرئيس التونسي عن اعتقاده بامكانية التوصل الى صلح عربي اسرائيلي على المدى البعيد ، واقترح أن تبدأ المفاوضات بين الفلسطينيين واسرائيل على أن يتبعها اجتماع بين اسرائيل والحكومات العربية في روما أو في أية عاصمة أخرى . كما وعد بورقيبة باثارة هذا الموضوع في مؤتمر القمة العربي القادم في الرباط وان يتصل شخصيا بالرئيس عبدالناصر حوله ، اذا أخذت اسرائيل موقفا ايجابيا من مقترحاته .

يبدو ان الرئيس التونسي لم تكن لديه أية أوهام حول قبول اسرائيل بالرجوع الى قرار التقسيم أو حول مقدرة البلاد العربية مجتمعة على العمل لتنفيذ مثل هذا المشروع . أي انه ليس بالامكان أخذ مقترحات بورقيبة بعين الجد كمشروع حقيقي صادر عن جهة قادرة على تصفية القضية الفلسطينية . مع ذلك حققت تصريحات بورقيبة هدفها في كسر اجماع الموقف العربي الرسمي المعلن أمام الجماهير حول القضية الفلسطينية والموقف من اسرائيل ، وذلك في فترة تراجع القوى التحررية العربية بقيادة مصر وعبدالناصر ، وسيادة سياسة مؤتمرات القمة والمصالحة مع الرجعية العربية وانظمتها . لقد طرح بورقيبة مشروعه على اساس العودة الى قرار التقسيم (وهو يعلم ان اسرائيل لا يمكن أن تقبل بمثل هذا الاجراء على الاطلاق) لكي يخفف من وقع مقترحاته على الصعيد العربي الداخلي وكخطوة أولى للدخول في مساومات يصبح من الاسهل التحكم بها وبردود

فعلها داخليا اذا أخذت طابع المرحلية والتدرج الممتدتين على مدى فترة زمنية طويلة نسبيا بحيث لا تولد صدمة قوية تستفز المشاعر الوطنية الجماهيرية دفعة واحدة . وبما أن مشروع بورقيبة لم يصدر عن أية جهة دولية قادرة ويحسب لها حساب فقد تعرض الى نقد عنيف من قبل عدد من الحكومات العربية لم تتعرض له أي من مشاريع التسوية الاخرى المقترحة من جانب الدول الكبرى مثلا ، حيث كانت تقف الانظمة العربية أمام تلك المشاريع وقفة حائرة مترددة بين الاغراءات التي تقدمها من ناحية وبين الاحراج الجماهيري الذي كانت تخلقه من ناحية ثانية .

ولم تعلق حكومات كل من ليبيا السنوسية والمغرب والمملكة العربية السعودية على مقترحات بورقيبة . وفي مقابل ذلك أعلن محمود رياض وزير خارجية مصر أمام مجلس الامة في ٢٧ نيسان ١٩٦٥ ان بلاده ترفض اقتراحات الرئيس بورقيبة وتستنكر بشدة صدورها عن رئيس دولة عربية . وشدد على انه لا يمكن ان يكون هناك اي توسط أو مفاوضات أو حلول وسط بالنسبة للقضية الفلسطينية . واتخذ مجلس الامة قرارا بادانة الرئيس التونسي باعتباره خرق اجماع ملايين العرب ورجع عن توقيعه على قرارات مؤتمر القمة الاول التي دعت الى العمل العربي الموحد ضد اسرائيل .

أما رد الفعل الاسرائيلي على مقترحات بورقيبة فقد جاء على لسان ايبان في ٢٨ نيسان ١٩٦٥ حيث اعتبرها ظاهرة مهمة ، ولكنه رفض فكرة التسوية على أساس قرار التقسيم . وفي ٢ أيار رفض رئيس الوزراء ليفي اشكول مشروع بورقيبة ، لكنه رحب بالحدث باعتباره يشكل أول مبادرة لزعيم عربي بارز باتجاه اتخاذ موقف لصالح « السلام والمصالحة » بين الدول العربية واسرائيل .

مشروع اشكول

في ١٧ أيار ١٩٦٥ عرض اشكول في خطابه الافتتاحي في الكنيست مشروعا لتحقيق السلام العربي الاسرائيلي اعتبر يومها ردا على مقترحات بورقيبة . وتلخص المشروع الاسرائيلي بالنقاط التالية :

(١) تنطلق اسرائيل من التزامين : الاول ، الواجب العام الذي تخضع له جميع الدول الاعضاء في هيئة الامم في العيش بسلام مع بعضها بعضا . الثاني ، الالتزام باتفاقيات الهدنة لعام ١٩٤٩ التي تنص على ان الهدنة هي مرحلة انتقالية نحو السلام الدائم .

(٢) تقترح اسرائيل اجراء مفاوضات مباشرة بينها وبين البلدان التي وقعت اتفاقات الهدنة من أجل احلال اتفاقية السلام محل اتفاقات الهدنة .

(٣) تتم التسوية السلمية على أساس وضع اسرائيل القائم باستثناء بعض التعديلات الطفيفة — المتبادلة والمتفق عليها — عند نقاط معينة على الحدود بهدف تسهيل الحياة اليومية للسكان .

(٤) يعني السلام حرية الدول العربية واسرائيل في الاستفادة من نتائجه مثل : النقل البري عبر الطرقات وبالقطارات ، حرية المرور عبر المطارات ، الراديو والتلفون والاتصالات البريدية ، الوصول الى المرافىء الاسرائيلية على البحر الابيض المتوسط حيث تقام مناطق حرة بشروط مناسبة لمصلحة الاردن ، تسهيلات من أجل مبيع البترول عن طريق اعادة تشغيل أنبوب حيفا وبناء أنابيب جديدة أكبر منه ، تشجيع السياحة الى جميع بلدان المنطقة ، حرية الوصول الى الاماكن المقدسة وتقديم كافة التسهيلات من أجل الحج الى المراكز المقدسة لجميع الديانات .

(٥) عمل عربي — اسرائيلي مشترك من أجل كبح جماح سباق التسلح وتوجيه الطاقات

المالية والبشرية لكافة دول المنطقة نحو تطوير امكانياتها الاقتصادية والعلمية والتقليل من حاجاتها للمساعدات الخارجية .

(٦) توجيه جزء من الموارد الضخمة للمنطقة باتجاه اعادة توطين اللاجئين ودمجهم في بيئتهم الوطنية الطبيعية ، أي في الدول العربية . واسرائيل على استعداد للمساهمة المالية — مع الدول الكبرى — في عملية توطينهم باعتبارها الحل الوحيد الذي يناسب مصالحهم الاساسية والحقيقية ويناسب المصالح الاسرائيلية أيضا .

ان النقاط الواردة في مشروع اشكول على قدر كبير من الاهمية لانها تعبر عن المطالب الاساسية التي تريدها اسرائيل من جيرانها العرب مثل المفاوضات المباشرة واسقاط كل الحواجز والموانع بينهم وبين اسرائيل ، وفتح الاسواق العربية لها وتمكينها من الاستفادة من المواد الخام العربية والمنتجات الزراعية العربية والممرات المائية والبرية العربية ، وتصفية القضية الفلسطينية نهائيا بتذويب الشعب الفلسطيني وانهاء وجوده المستقل وشخصيته المتميزة والتنازل كليا عن حقوقه الوطنية . وكل هذه المطالب أصبحت جزءا لا يتجزأ من شروط الاستسلام التي تريد أن تفرضها اسرائيل على العرب بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ .

القسم الثاني : بعد ١٩٦٧

جاء القسم الاهم من مشاريع التسوية للصراع العربي الاسرائيلي بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ ونتائجها. وتشبه المشاريع الجديدة سابقتها من حيث قيامها على فرضية أساسية هي التسليم الكامل بالعجز العربي في مواجهة القوة الاسرائيلية ، وتختلف عنها من حيث دخول أطراف عربية رسمية دخولا فعالا في رسمها أو الموافقة عليها أو مناقشتها أو مناشدة الاطراف المعنية تطبيقها والعمل على تنفيذها . أي تعليق الامل العربي الرسمي للخروج من المأزق الخطير الذي انتجته الهزيمة على احتمال تنفيذ مشروع من مشاريع التسوية المطروحة أو التي يمكن طرحها في المستقبل .

مشروع الرئيس جونسون

في ٧ حزيران ١٩٦٧ شكل الرئيس الامريكي جونسون لجنة خاصة تابعة لمجلس الامن القومي هدفها تنسيق جهود السلام الامريكية في الشرق الاوسط . وفي ١٩ حزيران ألقى جونسون خطابا تناول فيه السياسة الخارجية الامريكية وحدد خمسة مبادىء كبرى للسلام في الشرق الاوسط :

(١) لكل دولة في المنطقة حق أساسي في الحياة ينبغي احترامه من قبل جيرانها .

(٢) يجب حل مشكلة اللاجئين حلا عادلا ، خاصة وأن النزاع الجديد اقتلع المزيد من الناس من موطنهم الاصلي . وينبغي على دول الشرق الاوسط توجيه جهودها نحو رفع الظلم الذي وقع على هؤلاء .

(٣) ينبغي احترام حرية الملاحة البريئة في الممرات المائية الدولية ، لان العمل الطائش الاساسي الذي كان وراء تفجير الحرب هو القرار التعسفي باغلاق مضائق تيران .

(٤) يجب وضع حد لسباق التسلح في الشرق الاوسط لان الحرب بينت خطورته وتقع المسؤولية في ذلك ليس على دول المنطقة المعنية فقط بل على الدول الكبرى ايضا . وستعمل الولايات المتحدة على استخدام كل طاقاتها الدبلوماسية لايجاد السبل للحد من سباق التسلح ، وهنا اقترح جونسون أن تدعو هيئة الامم جميع أعضائها باعلامها عن جميع شحنات الاسلحة المرسلة الى الشرق الاوسط .

(٥) من الضروري احترام الاستقلال السياسي والسلام الاقليمي لجميع الدول في

المنطقة . ان ما تحتاج اليه الدول المعنية بالنزاع الان هو حدود معترف بها بدلا من خطوط الهدنة الهشة والمخترقة باستمرار ، بالاضافة الى ترتيبات اخرى تجعل الحدود آمنة من الارهاب والتدمير والحرب ، وترتيبات تعترف بالمصالح الخاصة لثلاثة من الاديان الكبرى في الاماكن المقدسة في القدس .

مع ان الرئيس جونسون حدد الخطوط العامة لاحلال السلام الامريكي في الشرق الاوسط لكنه لم يقل شيئا حول كيفية تنفيذ هذه المبادىء وتطبيقها ، خاصة انه رفض في خطابه المطلب العربي والسوفياتي بانسحاب اسرائيل الفوري الى خطوط ٤ حزيران ١٩٦٧ ، وبين ان اسرائيل لا يمكن أن تقبل بالتنازل عن كل المكاسب الاقليمية التي جنتها نتيجة انتصارها في الحرب . وكان الاصرار الاسرائيلي على الاحتفاظ بالمكاسب الاقليمية (التوسع) هو الصخرة التي تحطمت عليها كافة مشاريع التسويات السلمية اللاحقة (لحسن حظ الشعب الفلسطيني وقضيته) .

وفي الاجتماع الذي تم بين كوسيغين وجونسون في ١٧ حزيران ١٩٦٧ في غلاسبورو حاول الزعيم السوفياتي الحصول على مساعدة جونسون لارغام اسرائيل على الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة ولكن بدون جدوى . وقد عرض جونسون النقاط التالية أمام كوسيغين كأساس لاحلال السلام الامريكي في الشرق الاوسط :

(١) انسحاب كافة القوات العسكرية وانهاء حالة الحرب .

(٢) الاتفاق بين كافة الإطراف على الاعلان عن احترام حقوق كل طرف بالمحافظة على دولته القومية المستقلة بذاتها .

(٣) ضمان السلامة الاقليمية والاستقلال السياسي لكافة الدول في الشرق الاوسط .

(٤) ضمان المصالح الحيوية لجميع الدول في المنطقة وحمايتها .

(٥) التخلي عن العنف في العلاقات بين دول الشرق الاوسط .

(٦) ضمان حقوق جميع الدول في المرور الحر والبريء في جميع الممرات المائية الدولية.

(٧) تسوية عادلة ودائمة لمشكلة اللاجئين .

(٨) اتفاق على أن تعطى الاولوية لتحسين الاقتصاد الوطني ومستوى المعيشة قبل سباق التسلح .

(٩) حماية الاماكن المقدسة مع ضمانات دولية لحرية الوصول اليها من قبل الجميع .

(١٠) نظام دولي تساهم فيه هيئة الامم لمساعدة الدول المعنية على تحقيق الاهداف المعلنة أعلاه .

ويبدو ان طرح هذه المبادىء العامة بدون تحديد أية اساليب عملية لتنفيذها هو كسب المزيد من الوقت لتمكين اسرائيل من توطيد مواقعها في المناطق المحتلة وخلق أوضاع تضع العرب والعالم أمام وقائع جديدة لا مفر منها .

مشروع الرئيس تيتو

جاء مشروع التسوية الثاني من قبل الرئيس تيتو الذي قام بجولة شملت مصر وسوريا والعراق في آب ١٩٦٧ . وبعد انتهاء زياراته بعث الرئيس اليوغوسلافي برسائل الى عدد كبير من رؤساء الدول (السيدة انديره غاندي في الهند ، الجنرال ديغول ، والرئيس جونسون ، ورئيس الوزراء البريطاني ويلسون ، والزعيم السوفياتي بودغورني ، والامبراطور هيلاسيلاسي ، الخ) والامين العام لهيئة الامم يوثانت . وفي ١٨ أيلول ١٩٦٧ أوضح وزير الخارجية اليوغوسلافي في باريس الفكرة الرئيسية التي تضمنتها

رسائل تيتو من اجل الوصول الى تسوية سياسية في الشرق الاوسط . وتتلخص هذه الفكرة بضرورة اعلان الاسرة الدولية عن عدم جواز ضم الاراضي بالقوة والاصرار على ضرورة عيش كل دولة داخل حدودها الاقليمية كما كانت قبل حرب ١٩٦٧ مع تقديم ضمانات لامن هذه الحدود من قبل الدول الكبرى . اما بالنسبة للقضايا الاخرى مثل الملاحة في قناة السويس ومسألة اللاجئين الفلسطينيين فيجب التفاوض حولها بصورة مباشرة بين الفرقاء المعنيين . وواضح ان مقترحات تيتو تعكس الموقف العربي غير المعلن يومها بالنسبة لطبيعة التسوية المطلوبة : الانسحاب الاسرائيلي الى حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ في مقابل الاعتراف العربي النهائي بشرعية هذه الحدود تحت مظلة ضمانات الدول الكبرى لها .

رفضت اسرائيل مقترحات الرئيس تيتو وافكاره وشدد أبا ايبان في معرض رفضه على ان اسرائيل لن تعود بأي شكل من الاشكال الى حدودها القديمة لان فيها تهديدا لامن بلاده ووجودها . وطالب بعقد معاهدة سلام واضحة وملزمة مع الدول العربية باعتبارها الحل الوحيد الممكن للازمة . بعبارة اخرى طرح ايبان جوهر الموقف الاسرائيلي الذي لم يتغير حتى اليوم من قضية الانسحاب والعلاقات مع الدول العربية .

مع ان الانظمة العربية المعنية كانت قد حددت موقفها بالنسبة لنوعية التسوية التي تعتبرها ممكنة ومناسبة لها كما تبين مقترحات الرئيس تيتو ، لم تكن هذه الانظمة قادرة على مواجهة جماهيرها وشعوبها ، بعد الهزيمة بفترة قصيرة جدا ، بحقيقة موقفها التراجعي والعاجز . لذلك خرج مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في الخرطوم في أواخر آب ١٩٦٧ بلاآته الثلاث : لا اعتراف ، لا مفاوضات ، لا سلام ، كل ذلك تحت شعار « عدم التصرف بالقضية الفلسطينية » . ومعروف ان ممثل منظمة التحرير الفلسطينية (أحمد الشقيري) في اجتماعات القمة اضطر للانسحاب من المؤتمر احتجاجا على الخط الاستسلامي الذي بدأت السياسة العربية الرسمية تسير عليه في صراعها مع اسرائيل . هذا على الرغم من القرارات القوية التي خرج بها المؤتمر أمام الجماهير العربية المفجوعة . ولا لزوم لتذكير القارىء انه مع مرور الايام واتجاه السياسة العربية الرسمية كليا نحو البحث عن الحلول السلمية والتسويات السياسية سقطت لاآت مؤتمر الخرطوم واحدة بعد الاخرى ولم يعد أحد يأتي على ذكرها الان .

قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢

في ٧ تشرين الاول ١٩٦٧ طلبت مصر اجتماع مجلس الامن في جلسة عاجلة للنظر في الوضع الخطير في الشرق الاوسط نتيجة رفض اسرائيل سحب قواتها المسلحة من جميع المناطق المحتلة بعد عدوانها على الجمهورية العربية المتحدة . واجتمع مجلس الامن في ٩ تشرين الاول وشاركت وفود الاردن وسوريا واسرائيل في المناقشات ولكن بدون حق التصويت . وتقدمت عدة دول بمشاريع قرارات كان اهمها مشروع الولايات المتحدة ومشروع بريطانيا الذي صاغه اللورد كارادون . ولم يكن المشروع الامريكي الا اعادة للنقاط التي عرضها الرئيس جونسون كما مر معنا سابقا . وكانت اسرائيل موافقة على المشروع الامريكي لانه يحقق لها كل اغراضها بدون ان يأخذ بعين الاعتبار المطالب العربية . وقد رفض المندوب السوفياتي المشروع الامريكي لانه يسمح لاسرائيل بالاحتفاظ بالاراضي العربية المحتلة لاية مدة تريدها ، وبحق اقامة حدود جديدة لنفسها وبسحب جيوشها الى المسافة التي تريدها هي فقط . كما ان المشروع الامريكي لم يتضمن اي اشارة الى عدم جواز احتلال أية أراض او ضمها عن طريق الغزو العسكري .

وافق مجلس الامن على المشروع البريطاني بالاجماع « لانه متوازن ومنصف لكلا

الطرفين » على حد تعبير اللورد كارادون ، واصبح مشهورا تحت اسم قرار مجلس الامن رقم ٢٢/٢٤٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ . نص القرار على ما يلي :

« ان مجلس الامن اذ يعبر عن قلقه المستمر للموقف الخطير في الشرق الاوسط واذ يؤكد عدم شرعية الاستيلاء على الاراضي عن طريق الحرب والحاجة الى سلام دائم ، تستطيع أن تعيش فيه كل دولة في المنطقة.

« واذ يؤكد أيضا أن جميع الدول الاعضاء عندما قبلت ميثاق الامم المتحدة قد التزمت بالتصرف وفقا للمادة الثانية من الميثاق .

« ١ يعلن أن تطبيق مبادىء الميثاق يتطلب اقامة سلام دائم وعادل في الشرق الاوسط وهذا يقتضي تطبيق المبدءين التاليين :

« (أ) انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها في النزاع الاخير .

« (ب) أن تنهي كل الدول حالة الحرب وأن تحترم وتقر الاستقلال والسيادة الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وحقها في ان تعيش في سلام في نطاق حدود مأمونة ومعترف بها متحررة من اعمال القوة أو التهديد بها .

« ٢ — ويؤكد المجلس الحاجة الى :

« (أ) ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة .

« (ب) تحقيق تسوية عاجلة لمشكلة اللاجئين .

« (ج) ضمان حدود كل دولة في المنطقة واستقلالها السياسي عن طريق اجراءات من بينها انشاء مناطق منزوعة السلاح .

« ٣ — يطلب المجلس من السكرتير العام أن يعين ممثلا خاصا الى الشرق الاوسط لاقامة اتصالات مع الدول المعنية بهدف المساعدة في الجهود للوصول الى تسوية سلمية ومقبولة على أساس النصوص والمبادىء الواردة في هذا القرار .

« ٤ — يطلب من السكرتير العام أن يبلغ المجلس بمدى تقدم جهود المبعوث الخاص في أقرب وقت ممكن » .

وكانت موافقة مصر على قرار مجلس الامن هي الخطوة الاولى والحاسمة على طريق التراجعات العربية الرسمية عن مقررات مؤتمر الخرطوم العلنية (اللاآت الثلاث) . وقد تم تبرير هذه الموافقة يومها عن طريق القول بأنها خطوة تكتيكية من قبل مصر هدفها كسب الوقت من أجل اعادة بناء القوات المسلحة العربية . الا انه لم تمض فترة قصيرة حتى تلت هذه الخطوة تنازلات مهمة عن الموقف العربي الاساسي الرافض تقليديا للوجود الاسرائيلي والقائم على مبدأ عدم التصرف بالقضية الفلسطينية ، كل ذلك من اجل التوصل الى تسوية سياسية مع اسرائيل . وقد تم تبرير التنازلات اللاحقة باسنادها الى القبول العربي الاصلي بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . بعبارة أخرى تحول هذا القرار الى المحور الاساسي الذي تدور حوله السياسة العربية في مواجهة اسرائيل والذي تسعى بكل قواها لتنفيذه . وبما أن تنفيذ القرار يعني تصفية القضية الفلسطينية تصفية نهائية (لم يذكر القرار شيئا عن الشعب الفلسطيني أو حقوقه أو مصيره) فقد عارضته الثورة الفلسطينية معارضة عنيدة وهي ما زالت عند موقفها منه .

في ٢٣ تشرين الثاني عين الامين العام لهيئة الامم يوثانت الدكتور جونار يارينج ممثلا خاصا له ليذهب الى الشرق الاوسط عملا ببنود القرار ٢٤٢ . وعلى اثر ذلك بدأت التنازلات العربية الرسمية تتوالى لجعل الموقف العربي منسجما مع متطلبات قرار مجلس الامن . فبينما كان الموقف المصري يقول انه لا يمكن تسوية النزاع في المنطقة قبل قيام اسرائيل بتنفيذ الفقرة الاولى من القرار الداعية الى انسحاب قواتها المسلحة من أراض احتلتها في الحرب الاخيرة ، اخذت مصر تقول بعد دخول يارينج الى الساحة ان المطلوب هو اعلان اسرائيلي بقبول قرار مجلس الامن يتلوه وضع جدول زمني يضعه يارينج لتنفيذ بنود القرار بالتدريج . على سبيل المثال اعلن الناطق الرسمي المصري في ٢ نيسان ١٩٦٩ ، محمد حسن الزيات يومها ، ان مصر لا تشترط الانسحاب المسبق أو

الجلاء الكامل كخطوة اولى من أجل تنفيذ قرار مجلس الامن . كانت مصر قد قدمت قبل هذا التاريخ تنازلات هامة لهذه الغاية اعلنها وزير خارجيتها في ١١ أيار ١٩٦٨ وتلخصت بالموافقة على مرور السفن الاسرائيلية في قناة السويس واقامة مناطق منزوعة السلاح على طرفي الحدود بين البلدين وعدم وضع أية شروط مسبقة على عملية تنفيذ قرار مجلس الامن .

لكن اسرائيل ظلت عند موقفها المطالب بضرورة عقد معاهدة سلام رسمية مع مصر يتم التوصل اليها على مائدة المفاوضات .

مشروع اخر للرئيس تيتو

في أوائل عام ١٩٦٨ حاول الرئيس تيتو مرة أخرى حل مشكلة الشرق الاوسط عن طريق تقديم مقترحات جديدة بعد ان قام بزيارات لبلدان افريقية وآسيوية بما فيها مصر حيث اجتمع بالرئيس عبد الناصر حول مشكلة الشرق الاوسط . وصدرت انباء عن بلغراد في ٨ شباط تقول ان الرئيس تيتو حصل على موافقة الرئيس عبد الناصر وغيره من زعماء العالم الثالث على مشروع لتسوية الازمة في المنطقة . وكان الرئيس تيتو قد عقد مؤتمرا صحفيا في القاهرة في ٧ شباط شرح فيه بعض افكاره حول الموضوع . وتلخص مشروع الرئيس اليوغوسلافي بالنقاط التالية :

(١) ان حل مشكلة الشرق الاوسط في ايدي الولايات المتحدة ، كما انه لا يمكن ان تحل الازمة الا بانسحاب القوات الاسرائيلية من المناطق المحتلة . من الصعب ان نعتقد ان اسرائيل لن تطيع الولايات المتحدة اذا قررت واشنطن ان تضغط على تل ابيب من أجل الوصول الى تسوية سلمية ولمصلحة الطرفين وليس على حساب البلدان العربية فقط .

(٢) على القوات الاسرائيلية الانسحاب من المناطق المحتلة على ان يتبع ذلك اعلان بانهاء حالة الحرب بين الطرفين والبدء بالمفاوضات والاتفاق على المرور الحر للسفن الاسرائيلية في خليج العقبة . بعد ذلك يتم التوصل تدريجيا الى تسوية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ومسألة الملاحة في قناة السويس .

(٣) اقامة مناطق منزوعة السلاح على الحدود العربية الاسرائيلية .

وقد مات هذا المشروع لتصفية القضية الفلسطينية كغيره من المشاريع .

مشروع اسرائيلي آخر

في الخطاب الذي القاه ابا ايبان امام الجمعية العامة لهيئة الامم في ٨ تشرين الاول ١٩٦٨ ، قال ان حكومته تعتزم بذل جهود جديدة في الاسابيع المقبلة مع الوسيط الدولي يارينج من أجل احلال السلام في المنطقة ، ثم حدد المبادىء التالية التي تريد اسرائيل تحقيق السلام من خلالها وعلى أساسها .

(١) يجب ان يكون السلام الذي يلي وقف اطلاق النار عادلا ودائما ومتفاوضا عليه ومعبرا عنه بشكل تعاقدي وفقا للاصول المرعية في هذه الميادين . وبما انه يترتب على هذا السلام نتائج عملية وسياسية وحقوقية بعيدة المدى تقترح اسرائيل ان تأخذ التسوية شكل معاهدة تحدد بدقة شروط تعايش اسرائيل مع جيرانها وتحدد خريطة متفق عليها للحدود الآمنة والمعترف بها .

(٢) يتم الاستعاضة عن خطوط وقف اطلاق النار (اي وقف اطلاق النار الذي تلا حرب حزيران ١٩٦٧) بحدود دائمة ، آمنة ومعترف بها بين اسرائيل وكل دولة عربية من جيرانها ، وتوزع القوات العسكرية على الحدود كما يتم الاتفاق عليها في نصوص السلام النهائية .

(٣) بالاضافة الى رسم حدود اقليمية متفق عليها يجب اجراء محادثات لوضع ترتيبات أمنية هدفها تجنب الوضع الذي سبب انهيار السلام في ١٩٦٧ .

(٤) عندما يتم الوصول الى اتفاق حول اقامة السلام مع حدود دائمة يجب المحافظة على حرية التحرك المتوفرة الان وخاصة في القطاعات الاسرائيلية ــ الاردنية .

(٥) يجب الا يكون هناك أية تحفظات حول الترتيبات المتعلقة بضمان حرية الملاحة التي ينبغي ان تكون بدورها دقيقة وملموسة وقائمة على المساواة المطلقة في الحقوق والواجبات بين اسرائيل والدول البحرية الاخرى .

(٦) تنبغي الدعوة لعقد مؤتمر تحضره الدول الشرق أوسطية والدول المساهمة في اعانة اللاجئين والاجهزة المختصة في هيئة الامم من أجل رسم خطة خمسية هدفها حل مشكلة اللاجئين ضمن اطار السلام الدائم وعن طريق دمجهم في الدورة الانتاجية للمجتمعات الموجودين فيها . وبالامكان الدعوة لهذا المؤتمر قبل بدء مفاوضات السلام .

(٧) لا تعمل اسرائيل على ممارسة اي تشريع بالنسبة للاماكن المقدسة التابعة للمسيحية والاسلام . ان رغبة اسرائيل هي التوصل الى وضع محدد يعطي هذه الاماكن طابعها العالمي عن طريق التوصل الى الاتفاقات المناسبة مع الاطراف المعنية تقليديا . وتتلخص سياسة اسرائيل حول هذا الموضوع بالقول ان الاماكن المقدسة المسيحية والاسلامية يجب ان تقع ضمن اطار مسؤولية الذين يقدسون هذه الاماكن .

(٨) تثبيت مبدأ حق الحياة القومية وسيادتها وسلامتها ، وهو المبدأ المتضمن في ميثاق هيئة الامم والذي تم التعبير عنه في قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ولا يمكن تطبيق هذا المبدأ الا من خلال التزامات تعاقدية محددة تدخل فيها حكومة اسرائيل والحكومات العربية . ويستتبع هذا انه على الحكومات العربية ان تسحب تحفظاتها الماضية بالنسبة لوجود اسرائيل وبالنسبة للالتزام بالمعاهدات الدولية المتعلقة باسرائيل .

(٩) يجب ان تشمل محادثات السلام توجيه الاهتمام المشترك الى موارد المنطقة ووسائل الاتصال فيها في محاولة لارساء دعائم مجموعة شرق أوسطية مؤلفة من دول مستقلة وذات سيادة .

(١٠) لا يمكن تصفية النزاع والانتقال من حالة الحرب الى حالة السلم الا على طاولة المفاوضات .

رفضت الحكومة المصرية المشروع الاسرائيلي في ١٠ تشرين الاول ١٩٦٨ على لسان وزير خارجيتها محمود رياض الذي وصف محتويات المشروع « بانها جزء من حملة خداع دولية » . وفي خطابه امام الجمعية العامة قال رياض بأن اسرائيل تحاول تفشيل مهمة يارينج في التوسط ، بينما هي تغطي هذه المحاولة « بمناورات لفظية وعبارات خداعة » ، وطالب بانسحاب اسرائيل من كل شبر من المناطق العربية المحتلة ، كما اعلن انه ما كان باستطاعة اسرائيل الاستمرار بسياستها العدوانية وبتحدي هيئة الامم وقراراتها لو لم تكن مدعومة ماديا وسياسيا ومعنويا من قبل الولايات المتحدة .

وساطة الدول الاربع الكبرى

في ١٧ كانون الثاني ١٩٦٩ أعلنت الحكومة الفرنسية انها اقترحت عقد اجتماع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا بالتعاون مع الامين العام لهيئة الامم بهدف البحث عن الطرق المناسبة التي تمكن هذه الدول من المساهمة في احلال سلام دائم وعادل في الشرق الاوسط . في ٥ شباط ١٩٦٩ وافقت الحكومة الامريكية على الاقتراح الفرنسي لكن شرط ان تسبق اجتماعات الدول الاربع محادثات ثنائية تمهيدية بين ممثليها الدائمين في هيئة الامم بهدف التوصل الى حد أدنى من التفاهم المشترك حول

الموضوع المطروح . وكان واضحا منذ البداية ان الولايات المتحدة ستعمل كل مـا في وسعها لعرقلة اجتماعات الدول الكبرى وابقائها عقيمة لانها تريد فرض السلام الامريكي الاسرائيلي على الوطن العربي بدون مشاركة احد .

في ٤ نيسان ١٩٦٩ ، عقدت الدول الاربع الكبرى اجتماعهـا المشترك الاول واصدرت بيانا مختصرا قالت فيه انها (أ) متفقة على خطورة الوضع في الشرق الاوسط والحاحه، ويجب الا يسمح له بتهديد الامن الدولي . (ب) انهـا اجرت مباحثات حول قضايـا جوهرية وبدأت بتحديد مجـالات الاتفاق بينهـا وهي مهتمة بتحقيق تقدم سريـع في مساعيها . (ج) انها موافقة على قـرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وتدعمه كما تؤكد من جديد دعمها لمهمة يارينج . وعقد ممثلو الدول الاربـع الكبرى اجتماعهم الثاني في ٨ نيسان ورفعوا تقارير الى حكوماتهم ، والى الامين العام لهيئة الامم يوثانت ، والى كل من الحكومة الاسرائيلية وحكومات الدول العربية .

كان رد فعل اسرائيل سلبيا بالنسبة لمحادثات الدول الاربع الكبرى باعتبارها محـاولة لفرض تسوية على المنطقة من الخارج ، ولا تريد اسرائيل الا فرض تسويتها كمـا هو معروف . لذلك طـالب ايبان اثناء زيارتـه للرئيس نيكسون في ١٤ اذار ١٩٦٩ تخلي الولايات المتحدة عن هذه المحادثات . وبعد عودة ايبان من واشنطن اعلنت الحكومـة الاسرائيلية في ٣٠ اذار ١٩٦٩ انها لن توافق على أية توصيات من قبل أية دولة تتعارض مع مصالحها الحيوية ومع حقوقها وأمنها . كما انها تعارض كليا الخطة الرامية الى جمع ممثلي الدول الواقعة خارج الشرق الاوسط كي تعد توصيات حول مستقبل المنطقة ، لان في ذلك تأثيرا سلبيا على الدول المعنية مباشرة بالنسبة لمسؤولياتها في التوصل الى السلام فيما بينها . كذلك أكدت الحكومة الاسرائيلية انها تعارض أية تسوية لا تتوصل اليها الحكومات المعنية بالنزاع مباشرة على اساس معاهدات يتم الاتفاق عليهـا عبر مفاوضات مباشرة ترسم الحدود الآمنة والمعترف بها وتحدد اسس التعاون وتبـادل المساعدات بين الاطراف المعنية وحل المشكلات العالقة بينها بالطرق السلمية . والى ان تحقق اسرائيل هذه الاهداف ستستمر في المحافظة على الوضع القائم كما حدده اتفاق وقف اطلاق النار الناتج عن حرب ٥ حزيران ١٩٦٧ وستعزز وضعها وفقا للمصالـح الحيوية لامنها ونموها .

وفي ١٣ نيسان ، اعلن ايبان في مؤتمر صحفي اجراه في القدس ان تدخل الدول الاربع الكبرى قد شل مهمة يارينج ، كما ان محادثاتها لا طائل منها لانها لا تشمل الاطـراف المعنية بالنزاع مباشرة . واكد ايبان ان اسرائيل ما زالت عند موقفها الوارد في مشروع السلام الذي تقدمت به الى الجمعية العامة لهيئة الامم في تشرين الاول ١٩٦٨ . ومع ان الدول العربية كانت تأمل في ان تؤدي محادثات الدول الاربع الكبرى الى بعض النتائج الايجابية بالنسبة لتطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وتعزيز مهمة يارينج الا ان واقع الحال خيب هذه الامال ، اذ ان المعارضة الاسرائيلية والعرقلة الامريكية قتلت المحادثات بعد ان ابقتها عقيمة كل فترة انعقادها .

مشروع الملك حسين

في احدى زياراته العديدة الى واشنطن طرح الملك حسين المشروع التالي (١٠ نيسان ١٩٦٩) لتسوية النزاع العربي الاسرائيلي بعد ان أوضح ان مقترحاته تحظى بموافقة الرئيس عبد الناصر :

(١) انهاء كل حالات العداء بين الطرفين .

(٢) الاعتراف بالاستقلال السياسي لكل الدول في المنطقة واحترام سلامتها وسيادتها الاقليمية .

(٣) الاعتراف بحق جميع هذه الدول في العيش بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بهـا وبدون التعرض لاية تهديدات او أعمال حربية .

(٤) ضمان حرية الملاحة في خليج العقبة وقناة السويس للجميع .

(٥) اجراءات تضمن عدم جواز خرق الحدود الاقليمية لكل الدول في المنطقة علـى ان تشمل اقامة مناطق منزوعة السلاح .

(٦) تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .

(٧) في مقابل كل ذلك على اسرائيل ان تلبي مطلبا عربيا واحدا هو انسحاب قواتهـا المسلحة من جميع المناطق المحتلة في حرب حزيران ١٩٦٧ وتنفيذ جميع البنود الاخرى لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

بطبيعة الحال رفضت اسرائيل المشروع على لسان ابا ايبان الذي تحدى الملك حسين في ١٣ نيسان ان يجلس الى مائدة المفاوضات لتسوية المشكلة اذا كان العرب يرغبون حقا في احلال السلام . ولم يسفر مشروع الملك عن أية نتائج تذكر باستثناء المعارضة القوية التي تعرض لها من قبل الثورة الفلسطينية .

روجرز ومشاريعه

في منتصف عام ١٩٦٩ كانت حرب الاستنزاف على جبهة القناة تجري على أشدها كما كانت حركة المقاومة الفلسطينية تتصاعد بسرعة ان كان من حيث فاعليتها ضد العدو الاسرائيلي أو من حيث امتدادها الجماهيري الذي يهدد سلطة النظام الملكي في الاردن بصورة لم يسبق لها مثيل . ونتيجة لهذا التهديد الجدي للمصالـح الامبريالية تحركت الدبلوماسية الامريكية ، وهي متلبسة بلباس « الاعتدال » و « الاتزان » ، لتضع حدا لتصاعد الوضع الكفاحي العربي في المنطقة . وجاءت اول خطوة في هذا التحرك عـلى شكل مقترحات عرضتها الحكومة الامريكية على الاتحاد السوفياتي في ٢٨ تشرين الاول ١٩٦٩ . وفي خطاب القاه وزير الخارجية الامريكي وليم روجرز في ٩ كانون الاول ١٩٦٩ لخص فحوى المقترحات الامريكية بقوله أنها تدعو الى انسحـاب اسرائيل من أراض عربية محتلة في حرب حزيران ١٩٦٧ في مقابل ضمانات عربية للوصول الى التزام مبرم بالسلام ، خاصة وان الولايات المتحدة مرتبطة بعلاقات صداقة مع اسرائيـل والدول العربية معا . وشدد روجرز على الطابع « المتوازن والمنصف » لمقترحات بلاده بقوله ان الدعوة الى الانسحاب الاسرائيلي بدون تحقيق اتفاق حول السلام هي تحيز للجـانب العربي كما ان دعوة العرب الى القبول بالسلام بدون انسحـاب اسرائيلي هي تحيز لاسرائيل . لذلك تستند سياستنا الى تشجيع العرب على القبول بسلام دائم قائم على اتفاق ملزم ، وحث اسرائيل على الانسحاب من أراض محتلة عندما تصبح سلامتهـا الاقليمية مضمونة . واشار روجرز بالروحية نفسها الى موضوع الحدود بكلام اصبح معروفا حول ادخال تعديلات طفيفة عليها لا تعكس ثقل الانتصار الاسرائيلي علـى ان يتم الاتفاق على ذلك من خلال المفاوضات . يضاف الى ذلك الاتفاق على ضمانات أمنية تشمل شرم الشيخ واقامة مناطق منزوعـة السلاح في سيناء ووضع ترتيبات نهـائية بالنسبة لقطاع غزة ، كي تتمكن القوات الاسرائيلية من الانسحاب من الاراضي المصرية. أما بالنسبة للقدس فقـد اعتبرهـا روجرز مسألة ذات طابع خـاص لان العودة الى تقسيمها لا تجوز من ناحية كما انه لا يجوز لاسرائيل ضمهـا من ناحية ثانية . وشدد روجرز على ضرورة تأمين العبور الحر الى الاماكن المقدسة والاخذ بعين الاعتبار المصالح المدنية لجميع السكان ومصالح جالياتها الاسلامية والمسيحية واليهودية من قبل ادارتها كمدينة موحدة ، وهذا يعني أن يكون هناك دور لكل من اسرائيـل والاردن في الحياة المدنية والاقتصادية والدينية للمدينة . وطرح روجرز ايضا فكرة التوصل الى التسوية

عبر مفاوضات تجري على طريقة المفاوضات العربية الاسرائيلية التي تمت في رودوس عام ١٩٤٩ ، يقوم فيها يارينج بدور الوسيط بين الطرفين . كما ذكر أن هدف محادثات الدول الاربع الكبرى هو مساعدة يارينج على جمع الفرقاء المعنيين للتفاوض وفقا للصيغة الواردة في المقترحات الامريكية . أما بالنسبة للاجئين فقد دعا الى اعطائهم حق الاختيار بين العودة على أساس كوتا سنوية متفق عليها وبين التوطين خارج اسرائيل مع التعويض .

أعلنت الحكومة الاسرائيلية في ٢٢ كانون الاول ١٩٦٩ رفضها لمقترحات روجرز ، واعتبرتها غولدا مائير محاولة لاسترضاء العرب على حساب المبادىء (appeasement). وفي خطاب القته مائير أمام الكنيست في ٢٩ كانون الأول ١٩٦٩ قالت ان المقترحات الامريكية الاخيرة تشكل خطرا كبيرا جدا على وجود اسرائيل لان ما جاء فيها بخصوص الحدود وعودة اللاجئين يهدد أمن البلاد،كما انها تتناقض مع مبدأ المفاوضات بين الاطراف المعنية بالنزاع مباشرة والتوصل الى اتفاق فيما بينها . وظهرت الخطوة الثانية من المخطط الامريكي لاخماد القتال المشتعل على جبهة السويس وجبهة الثورة الفلسطينية في دفاع روجرز عن مقترحاته ورده على انتقادات مائير وفي تقربه من الانظمة العربية . رفض روجرز في مؤتمر صحفي عقده في ٢٣ كانون الاول ١٩٦٩ اتهامات غولدا مائير وانتقد وصفها للمقترحات الامريكية بأنها استرضاء للعرب على حساب المبادىء بقوله ان العرب ليسوا اعداء لامريكا كما يوحي وصف مائير للموضوع ، بل الواقع هو ان علاقات صداقة قد ربطت امريكا والدول العربية لفترة طويلة . كذلك رفض روجرز تلميحات اسرائيل بأن حكومة بلاده تحاول ان تفرض تسوية على المنطقة من الخارج وشدد على ان المقترحات الامريكية منصفة او شاملة ومنسجمة مع قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وهدفها ، بكل بساطة ، هو تقديم اطار مناسب من أجل الوصول الى اجراء مفاوضات مباشرة بين الطرفين . ولم تصدر أية بيانات رسمية عربية حول المقترحات الامريكية .

وفي ١٢ كانون الثاني ١٩٧٠ كشف النقاب عن ان الاتحاد السوفياتي رفض المقترحات الامريكية لانها متحيزة لاسرائيل . وقدم السوفيات اعتراضات دقيقة على المقترحات الامريكية يمكن اعتبارها مشروعا مضادا ترضى عنه الانظمة العربية المعنية . وفيما يلي الاعتراضات السوفياتية كما نشرتها صحيفة «النيويورك تايمز» في التاريخ المذكور اعلاه.

(١) ان تكون مدة الجدول الزمني المقترح لانسحاب القوات الاسرائيلية من أراض احتلتها في ١٩٦٧ ، ٦٠ يوما بدلا من ٩٠ يوما كما اقترحت الولايات المتحدة .

(٢) ان تنتهي حالة الحرب كأمر واقع (de facto) مع شروع القوات الاسرائيلية بالانسحاب وان تنتهي بصورة قانونية (de jure) عند انتهاء الانسحاب الاسرائيلي . هذا بدلا عن الاقتراح الامريكي الداعي لاعتبار حالة الحرب منتهية عند ايداع وثائق الاتفاق النهائي بين الطرفين العربي والاسرائيلي لدى هيئة الامم .

(٣) ان يؤكد اي اتفاق بين الطرفين حول رسم الحدود سيادة مصر على شرم الشيخ ، بدلا من الاقتراح الامريكي الداعي لان يتفق الطرفان على موضوع السلام ثم يرسمان حدودهما المشتركة فيما بينهما .

(٤) قطاع غزة أرض عربية ينبغي اعادتها الى وضعها السابق قبل حرب حزيران ١٩٦٧ ، هذا بدلا من الاقتراح الامريكي الداعي لاجراء محادثات بين مصر واسرائيل والاردن تحت اشراف يارينج لتقرير مستقبل القطاع .

(٥) ان تقام مناطق منزوعة من السلاح على طرفي الحدود بين اسرائيل والدول

العربية ، بدلا من الاقتراح الامريكي القائل بنزع السلاح عن كل المناطق التي تنسحب منها اسرائيل .

(٦) ان تتقيد اسرائيل بكل قرارات هيئة الامم بالنسبة لقضية اللاجئين الفلسطينيين ، بدلا من الدعوة الامريكية لاعطائهم حق الاختيار بين العودة على اساس كوتا سنوية متفق عليها وبين التوطين خارج اسرائيل مع التعويض .

(٧) ان يكون من حق مصر اغلاق قناة السويس في وجه أية دولة في حالة حرب معها بدلا من الاقتراح الامريكي الداعي لضمان حق المرور المطلق في القناة لجميع السفن بما فيها السفن الاسرائيلية .

(٨) ان يتم تحديد طبيعة الملاحة في مضائق تيران وخليج العقبة وفقا للمبادىء العامة للقانون الدولي التي تنطوي على ضمانات كافية لتأمين العبور الحر لجميع السفن . هذا بدلا عن الاقتراح الامريكي الداعي الى اعلان المضائق والخليج ممرات مائية دولية مما يضمن حق المرور البريء فيها لجميع السفن في جميع الاوقات .

بالرغم عن الخلافات الاساسية بين تفسير الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي لنوعية السلام المطلوب في منطقتنا ، استمرت مجهودات الدبلوماسية الامريكية لتهدئة الجبهات العربية من ناحية واحتواء الثورة الفلسطينية بسرعة من ناحية ثانية . اذ مع مجيء ربيع عام ١٩٧٠ كانت الثورة الفلسطينية قد وصلت الى الذروة ان كان من حيث التأييد الشعبي الساحق لها أو من حيث قوتها العسكرية وفاعليتها ضد العدو الاسرائيلي مما وضع ليس الاردن فقط بل المنطقة المحيطة كلها على حافة تبدل ثوري جذري في موازين القوى بقيادة حركة شعبية مسلحة . أي خرجت المقاومة الفلسطينية عن الحدود المرسومة لها والموضوعة على فاعليتها والمتوقعة بالنسبة لحجمها الجماهيري فكان لا بد للطبقات الحاكمة المحلية وللمصالح الامبريالية من معالجة هذا الوضع المتفجر بسرعة . اما على جبهة حرب الاستنزاف فقد اخذت اسرائيل تضرب اعماق مصر المكشوفة كليا بدون ان يتمكن الجانب العربي من الرد على المستوى نفسه . أي كانت الحشود العسكرية العربية تشن حرب الاستنزاف على جبهة القناة بينما كانت الجبهة الداخلية مكشوفة ومتصدعة مما أعطى اسرائيل فرصة استغلال نقطة الضعف هذه والنفاذ منها لتوجيه ضربات موجعة الى مصر حدّت من فاعلية حرب الاستنزاف واهميتها . ونتيجة لهذه العوامل توجه الرئيس عبد الناصر في ١ أيار ١٩٧٠ بندائه الشهير للرئيس نيكسون مناشدا اياه ان يصدر أوامر الانسحاب الى اسرائيل وان يكف عن مساعدتها ليتمكن العرب من تصفية آثار العدوان .

برزت الخطوة الثالثة في المخطط الامريكي لاخماد نيران القتال المشتعلة مع اسرائيل في تلك الفترة تحت عنوان مشروع روجرز الذي جاء كرد على نداء الرئيس عبد الناصر . أعلن وزير الخارجية الامريكي في ٢٥ حزيران ١٩٧٠ أن بلاده اطلقت مبادرة سياسية جديدة في الشرق الاوسط هدفها تشجيع الدول العربية واسرائيل للتوقف عن اطلاق النار والبدء في المحادثات تحت اشراف الدكتور يارينج وفقا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وجدير بالاشارة هنا ان زعماء ١٤ دولة عربية كانوا مجتمعين في ليبيا بين ٢٠ — ٢٢ حزيران ١٩٧٠ للاحتفال بالجلاء الامريكي عن قاعدة ويلاس وقاموا بمناقشة مشروع روجرز قبل تسريب محتوياته الى الرأي العام العربي والعالمي . اما المشروع نفسه فقد جاء على شكل رسالة موجهة من روجرز الى محمود رياض ، وزير خارجية مصر ، نصت على ما يلي :

« في رأينا ان أكثر الوسائل فعالية من اجل الوصول الى تسوية هي تمكين الفرقاء ان يبدأوا العمل تحت اشراف الدكتور يارينج بهدف ايجاد الخطوات التفصيلية اللازمة لتنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وعلى

اساس هذه الافكار فان الحكومة الامريكية تضع امامكم الاقتراحات التالية لتاخذها الجمهورية العربية المتحدة بعين الاعتبار :

« (١) ان توافق كل من الاردن والجمهورية العربية المتحدة واسرائيل على اعادة وقف اطلاق النار لمدة محددة على أقل تعديل .

« (٢) ان توافق كل من الاردن وأسرائيل وكذلك الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل على البيان الذي سيصدر بشكل تقرير يقدمه السفير يارينج الى السكرتير العام يوثانت والذي ينص على ما يلي :

« ان الاردن واسرائيل وكذلك الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل قد افادتا بانهما توافقان :

« (أ) بانهما بعد ان قبلتا قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ واشارتا لاستعدادهما لتنفيذ ذلك القرار بكل اجزائه توافقان على تعيين ممثلين الى مباحثات تعقد تحت اشرافي حسب الاصول وفي الزمان والمكان الذي احـــدده أخذا بعين الاعتبار الطريقة والشكل اللتين يفضلهما كل من الفرقاء على أساس تجربته السابقة .

« (ب) ان غاية هذه المباحثات المشار اليها هي التوصل الى اتفاق على اقامة سلام عادل ودائم بين الفرقاء قائما على اساس :

ـــ اعتراف متبادل بين الاردن واسرائيل (وبين الجمهورية وبين اسرائيل) بسيادة كل منهما وسلامة كيانهـــا الاقليمي واستقلالها السياسي .

ـــ انسحاب اسرائيل من أراض محتلة في عام ١٩٦٧ عملا بما جاء في قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

« (ج) في سبيل تسهيل مهمتي في التوصل الى اتفاق حسبما جاء في القرار رقم ٢٤٢ فان الفرقـــاء يراعـــون بدقة قرار وقف اطلاق النار الصادر عن مجلس الامن وذلك ابتداء من اول تموز حتى اول تشرين الاول على أقل تعديل » .

في ٥ آب ١٩٧٠ أعرب الاتحاد السوفياتي عن دعمه لمبادرة السلام الجديدة ، كما وافق عليها ممثلو الدول الاربع الكبرى في مجلس الامن . وفي ٧ آب تم الاعلان في واشنطن عن موافقة مصر والاردن واسرائيل على وقف اطلاق النار لمدة ٩٠ يوما عمـــلا بمقتضيات مشروع روجرز . ومعروف ان نتائج قبول مصر بمشروع روجرز كانت وخيمة جدا على المواجهة العربية مع اسرائيل وعلى الوضع العربي عامة . انشق الصف العربي على أثر اعلان العراق وسوريا وحركـــة المقاومة رفضها القاطـــع لمشروع روجرز ولما يعنيه بالنسبة لتصفية القضية الفلسطينية . وشنت المقاومة الفلسطينية حملة عنيفة وقوية ضد المشروع الامريكي ورفضت التقيد باتفاق وقف اطلاق النار لانها شعرت بوضوح بالاخطار الجسيمة التي تحملهـــا خطة روجرز بالنسبة لمستقبـــل الثورة الفلسطينية ومستقبل الحركة الوطنية العربية عموما . وقد اثبتت الوقائع اللاحقة كم كانت مخاوف المقاومة من مشروع روجرز في محلها .

أما اسرائيل فلم تقبل بمشروع روجرز الا بعد الحصول على ضمانات وتأكيدات امريكية تؤمن لها مصالحها الحيوية والتوسعية تأمينا كاملا . في الواقع كانت الموافقة الاسرائيلية جزءا من تحقيق اهـــداف المخطط الامريكي « لتهدئة » المنطقة وما ان هـــدأت حـــرب الاستنزاف وضربت الثورة الفلسطينية في الاردن تخلت امريكا بسرعة عن مشروع روجرز والقته في سلة المهملات . حصلت اسرائيل على ضمانات باستمرار المساعدة العسكرية الامريكية من أجل الحفاظ على « توازن القوى » في المنطقة واوضحت بأنها لا تنوي في أي حال من الاحوال الانسحاب من كل الاراضي العربية المحتلة . وحددت برنامجهـــا للسلام على النحو التالي :

(١) انهاء كل حـــالات العداء بين مصر والاردن من جهة واسرائيل من جهة اخرى ، واحترام الاستقلال السياسي والسلامة الاقليمية لكل دولة من هذه الدول والاعتراف بحقها في الحياة بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها بـــدون الخوف من أية تهديدات وأعمال عنف .

(٢) كل فريق مسؤول عن منع أي أعمال عدوانية تصدر من القوات العسكرية النظامية أو شبه النظامية ، بما فيها القوات غير النظامية ، داخل أراضيه ضد القوات المسلحة أو المدنيين في بلد الفريق الاخر .

(٣) تنسحب القوات الاسرائيلية المسلحة من أراض احتلتها في نزاع ١٩٦٧ الى حدود آمنة ومعترف بها ومتفق عليها في اتفاقات السلام .

بعد بدء وقف اطلاق النار (٧ آب ١٩٧٠) بدأت محادثات السلام بين يارينج وممثلي كل من مصر واسرائيل والاردن في هيئة الامم في ٢٤ آب الا ان اسرائيل قدمت منذ البداية عددا من الشكاوى الى لجنة مراقبة الهدنة التابعة لهيئة الامم موضوعها خرق مصر لاتفاقية وقف اطلاق النار باقامة بطاريات صواريخ سام ٢ على الضفة الغربية للقناة بعد بدء العمل بوقف اطلاق النار . وفي ٣ ايلول ١٩٧٠ أيدت وزارة الخارجية الامريكية دعوى اسرائيل . على أثر ذلك تعطلت المحادثات الجارية تحت اشراف يارينج عندما اعلنت اسرائيل في ٦ ايلول تعليق مشاركتها في محادثات السلام الى أن تنفذ مصر اتفاقية وقف اطلاق النار . وجاء تعليق المحادثات وكأنه اشارة للبدء بالمعركة ضد الثورة الفلسطينية بعد ان تم ايقاف حرب الاستنزاف على جبهة القناة واخراج الجبهة الاردنية من أي نوع من المشاركة في المواجهة ضد اسرائيل . وفي الواقع لم تمض عشرة ايام على تعليق المحادثات في هيئة الامم الا وكانت قوات الملك حسين تخوض معركة شرسة لتصفية حركة المقاومة في الاردن والقضاء على مكاسبها ومرتكزاتها المادية والشعبية . ونتائج شهر ايلول معروفة للجميع وليس هنا مجال مناقشتها . وعندما شارف هذا الشهر على الانتهاء توفي الرئيس عبد الناصر تاركا وراءه فراغا قياديا هائلا ليس بالامكان ملؤه بسهولة .

وساطة جولدمان

اثناء الاتصالات الامريكية المذكورة وتفاعلاتها جرت محاولة لترتيب اجتماع بين الرئيس عبد الناصر وناحوم جولدمان ، رئيس المجلس اليهودي العالمي والرئيس السابق للمنظمة الصهيونية العالمية ، على يد وسطاء اهمهم الرئيس تيتو وملك المغرب . في ٦ نيسان ١٩٧٠ أعلن جولدمان في بيان صحفي ان ممثلي حكومة عربية (المغرب) اتصلوا به في باريس واخبروه ان الرئيس عبد الناصر على استعداد لدعوته للاجتماع به في القاهرة (باعتباره رئيسا للمجلس اليهودي العالمي) شرط ان تكون الدعوة علنية وان تتم بمعرفة رئيسة الحكومة الاسرائيلية . وتبعا لذلك قابل جولدمان مائير ودايان لمناقشة موضوع الزيارة . الا ان الحكومة الاسرائيلية اصدرت بيانا في ٥ نيسان ١٩٧٠ قالت فيه انها رفضت تلبية طلب جولدمان بالسماح له بالسفر الى مصر لمناقشة موضوع النزاع العربي الاسرائيلي مع الرئيس عبد الناصر . وعلى أثر صدور البيان اعلن جولدمان عن أسفه الشديد لقرار الحكومة الاسرائيلية . وشرح موقفه بالقول انه يتوجب عليه الحصول على أذن حكومة اسرائيل لزيارة القاهرة لان القانون الاسرائيلي يمنع المواطنين من السفر الى بلدان هي في حالة حرب مع اسرائيل (يحمل جولدمان الجنسية السويسرية بالاضافة للاسرائيلية) . وفي بيان القاه ايبان في الكنيست في ٧ نيسان قال ان الحكومة رفضت طلب جولدمان لانها لم تر فيه المبعوث المناسب لهذه المهمة . وأضاف قائلا ان اسرائيل مستعدة لمقابلة ممثلين عن العرب في أي وقت وفي أي مكان يتم الاتفاق عليه وعلى أي مستوى من مستويات التمثيل المطلوبة ، الا ان اسرائيل تحتفظ بحقها في اختيار الناطقين باسمها والمعبرين عن وجهة نظرها . ومعروف ان جولدمان قام بزيارة ملك المغرب في وقت لاحق ، على الرغم من تفشيل الحكومة الاسرائيلية لمحاولته .

مشروع الرئيس السادات

انتهت مدة وقف اطلاق النار الاول في ٥ تشرين الثاني ١٩٧٠ ، ومددت لثلاثة اشهر اخرى (اي حتى بداية شباط ١٩٧١) على أثر قرار أتخذته الجمعية العامة لهيئة الامم في ٤ تشرين الثاني دعت فيه الى تمديد وقف اطلاق النار والى اعادة احياء محادثات السلام تحت اشراف يارينج . وكانت مصر تعمل من اجل هذا القرار بمساعدة الدول الافرو ــ آسيوية بينما كانت تعارضه اسرائيل . وفي ٢٨ كانون الاول ١٩٧٠ طرح الرئيس السادات المشروع التالي لتسوية النزاع في مقابلة مع الصحافي جيمس رستون من « النيويورك تايمز » :

(١) على اسرائيل ان تنسحب من كل شبر من الاراضي العربية المحتلة .

(٢) عندما يتم الانسحاب ستعترف مصر باسرائيل كدولة مستقلة ذات سيادة ضمن حدودها التي كانت قائمة عام ١٩٦٧ ، وسترحب بضمان هذه الحدود وحدود غيرها من الدول في الشرق الاوسط من قبل الدول الاربع الكبرى .

(٣) ستكون مصر مستعدة للتفاوض حول حق اسرائيل بالملاحة في مضائق تيران وخليج العقبة .

(٤) ستمنح مصر حق المرور لاسرائيل في قناة السويس حالما يتم التوصل الى تسوية لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين .

(٥) لن تقيم مصر علاقات دبلوماسية طبيعية مع اسرائيل .

الموقف الامريكي :

وفي الوقت الذي طرح فيه السادات مشروعه كانت اسرائيل توافق على العودة الى محادثات السلام تحت اشراف يارينج أثر المحادثات التي اجراها دايان وايبان ومائير في خريف ذلك العام مع نيكسون ووليم روجرز وميلفين ليرد وزير الدفاع الامريكي . وعلى اثر هذه المحادثات قررت الولايات المتحدة منح اسرائيل قروضا قيمتها ٥٠٠ مليون دولار بشروط ممتازة من اجل شراء معدات حربية وتخفيف الضغط على اقتصادها بسبب احتياجاتها العسكرية . كذلك اكدت الحكومة الامريكية لاسرائيل :

(١) بأنها ستقف في وجه اي محاولة من قبل مجلس الامن لتقديم حلول للمشاكل التي ينطوي عليها الصراع في الشرق الاوسط مثل المشاكل الاقليمية وقضايا الحدود ومشكلة اللاجئين لان تسوية هذه القضايا يجب ان تخضع للمفاوضات والاتفاق بين الاطراف المعنية .

(٢) انها لن تدع اسرائيل تدخل في اية مفاوضات من موقع ضعف .

(٣) انها تعتقد ان من حق اسرائيل الحصول على حدود يمكن الدفاع عنها وان المطلب العربي الداعي الى انسحاب اسرائيل الى حدود ما قبل حزيران ١٩٦٧ مرفوض . هذا مع التأكيد على بقاء القدس موحدة .

(٤) انها لا تقبل المشاريع العربية لحل مشكلة اللاجئين .

بعبارة اخرى ، بعد الضربة التي وجهتها ادوات القمع الهاشمية للمقاومة في الاردن وبعد تحقيق الهدوء الكلي على الجبهات العربية تراجعت الولايات المتحدة كليا عن الموقف الاكثر « اعتدالا » و « اتزانا » الذي عبر عنه مشروع روجرز . بعد ان قام مشروع روجرز بمهمته وأسدى خدماته لقوى الثورة المضادة تم الاستغناء عنه بسرعة باعتباره اداة حققت اغراضها ولم تعد السياسة الامريكية في المنطقة بحاجة اليها .

مشروع اسرائيلي آخر

على أثر تراجع امريكا كليا عن مشروع روجرز عادت اسرائيل الى محادثات السلام تحت اشراف يارينج . وفي ٥ كانون الثاني ١٩٧١ اجتمع الوسيط الدولي في هيئة الامم بممثلي كل من الاردن ومصر واسرائيل . وفي ٨ كانون الثاني قام بزيارة اسرائيل بدعوة من الحكومة حيث تلقى مشروعا للسلام مؤلفا من ١٤ نقطة :

(١) اتخاذ قرار معلن وصريح بانتهاء النزاع كليا .

(٢) الاعتراف المتبادل والواضح من قبل الطرفين بالاستقلال السياسي للطرف الاخر وسلامته الاقليمية وسيادته .

(٣) اقامة حدود آمنة ومعترف بها ومتفق عليها .

(٤) اجراءات اضافية من أجل ضمان الامن .

(٥) سحب القوات العسكرية من الاراضي المحتلة وفقا للحدود التي تعينها معاهدة السلام .

(٦) انهاء كل حالات العداء والحرب .

(٧) التزام كل الاطراف بضمان عدم قيام اية اعمال عنف أو أعمال حربية على اراضيها أو انطلاقا منها ، من قبل اية فئة او تنظيم او شخص ، ضد شعب الطرف الآخر ومواطنيه وممتلكاته .

(٨) انهاء حالة الحرب الاقتصادية بكافة مظاهرها بما في ذلك المقاطعة .

(٩) تفصيل للالتزامات التي تتحملها الاطراف من اجل تسوية مشكلة اللاجئين . على أثر ذلك لن يكون لاي طرف من الاطراف مطالب لدى الطرف الاخر لا تنسجم مع سيادته .

(١٠) اتفاقات بالنسبة للاماكن ذات الاهمية الدينية أو التاريخية .

(١١) اتفاقات حول الميناء الحر وتسهيلات المرور .

(١٢) عدم المشاركة في أية احلاف عدوانية ومنع كل طرف من الاطراف من وضع قوات تابعة له في أي بلد ثالث في حالة عداء مع الاطراف الاخرى .

(١٣) عدم التدخل في الشؤون الداخلية والعلاقات الخارجية الطبيعية للطرف الاخر .

(١٤) اقامة السلام على اساس معاهدة ملزمة لجميع الاطراف .

المشروع المصري المضاد

تسلم يارينج مشروعا مصريا مضادا في ١٨ كانون الثاني ١٩٧١ مؤلفا من ٦ نقاط :

(١) انسحاب القوات الاسرائيلية الى المواقع التي كانت فيها قبل حزيران ١٩٦٧ .

(٢) نبذ اسرائيل للتوسع الاقليمي .

(٣) تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين .

(٤) انهاء حالة العداء وجعل حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في متناول الجميع .

(٥) الاعتراف بالاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وسيادتها وسلامتها الاقليمية .

(٦) ضمان الاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وسلامها عن طريق قوات طوارىء دولية تشارك فيها قوات من الدول الاربع الكبرى ، واقامة مناطق منزوعة السلاح على طرفي الحدود .

المشروع الاردني

وفي ٢٥ كانون الثاني اعلن الاردن مشروعه للسلام الذي جاء قريبا من المشروع المصري ويتألف من ٧ نقاط :

(١) انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضي المحتلة بدون استثناء وقبول اسرائيل بمبدأ عدم جواز الحصول على مكاسب اقليمية عن طريق الحرب .

(٢) حق كل دولة من دول المنطقة بالحياة في سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها وبدون ان تكون معرضة للتهديد بالعنف أو لاعمال عنف .

(٣) يضمن الاردن حرية الوصول الى جميع الاماكن التاريخية والدينية في مدينة القدس العربية كما يضمن حرية العبادة .

(٤) تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين .

(٥) انهاء حالة العداء وضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية .

(٦) على الدول الاربع الكبرى ان تشارك من خلال مجلس الامن في الاشراف على اتفاقية السلام .

(٧) امكانية اقامة مناطق منزوعة من السلاح على أساس متبادل .

مشروع التسوية الجزئية

عندما قارب موعد انتهاء اتفاقية وقف اطلاق النار في ٥ شباط ١٩٧١ اعلن الرئيس السادات في ٤ شباط ، أمام مجلس الامة ، ان مصر مستعدة لتمديد وقف اطلاق النار ٣٠ يوما ، أي الى ٧ آذار . واقترح انه خلال هذه الفترة ينبغي على اسرائيل ان تبدأ في سحب قواتها الى مسافة ما من الضفة الشرقية للقناة كخطوة أولى نحو وضع الجدول الزمني المطلوب من أجل انسحابها الكامل وفقا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . واذا نفذت اسرائيل هذا الاجراء ستكون مصر على استعداد لتنظيف القناة فورا وجعلها صالحة للملاحة من جديد .

وفي ٩ شباط ١٩٧١ ردت مائير على اقتراح السادات في كلمة القتها في الكنيست بقولها ان موضوع تنظيف قناة السويس وفتحها للملاحة الدولية قابل للتفاوض قبل التوصل الى تسوية شاملة للنزاع ، الا انه لا يمكن اجراء مثل هذه المفاوضات على أساس الشروط التي حددها السادات .

وفي ٩ شباط اعلن الناطق الرسمي في القاهرة ، منير حافظ ، في تعليق على ما قالته مائير ان قرار مجلس الامن يشكل صفقة متكاملة بمعنى انه يرتبط فتح قناة السويس امام الملاحة الاسرائيلية بتسوية مشكلة اللاجئين . وعاد الى موضوع التسوية الجزئية بقوله ان مصر ستعتبر الانسحاب الاسرائيلي الجزئي من الضفة الشرقية للقناة خطوة أولى في الجدول الزمني لتنفيذ كافة بنود قرار مجلس الامن .

بعد مرور سبعة اشهر على بدء العمل باتفاقية وقف اطلاق النار انتهت هذه الاتفاقية رسميا في ٧ اذار ١٩٧١ عندما اعلن الرئيس السادات بأن مصر لن توافق على أية تمديدات اخرى للاتفاقية . الا انه اوضح ايضا ان هذا لا يعني ان الجهود الدبلوماسية ستتوقف لتتكلم المدافع وحدها . وكشف النقاب عن انه قام بزيارة سرية للاتحاد السوفياتي في أوائل شهر اذار ١٩٧١ لاجراء مشاورات مع القادة السوفيات وقال انه عاد راضيا كل الرضى ومطمئنا بالنسبة لدعم الاتحاد السوفياتي للنضال العربي .

مشروع يارينج

بعد الاتصالات الكثيرة والجولات العديدة التي قام بها يارينج توصل الى طرح مجموعة من المقترحات هدفها البحث عن اسلوب يمكن ان يؤدي الى انجاح المفاوضات العربية الاسرائيلية غير المباشرة الجارية تحت اشرافه في هيئة الامم .

في ٨ شباط ١٩٧١ تقدم يارينج بمقترحاته عبر مـــذكرات متشابهة وجههـــا الى مصر واسرائيل من اجل الحصول على التزامات وايضاحات تسهل عليه مهمته (نشرتهـــا صحيفة « التايمز » اللندنية في ١١ اذار ١٩٧١) . وقـــد طلب يارينج من مصر الالتزام والتعهد بالدخول في اتفاقية سلام مع اسرائيل تبين بكل وضوح الاعتراف المصري بالامور التالية :

(١) انهاء كل ادعاء حول حالات العداء بين الطرفين .

(٢) الاعتراف باستقلال كل فريق واحترامه .

(٣) الاعتراف بحق كل فريق في الحياة بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها واحترام هذا الحق .

(٤) قبول كل فريق مسؤولية القيام بكل ما في وسعه لضمان عدم انطلاق اية أعمـــال عدوانية من أراضيه ضد دولة الفريق الاخر وشعبها وممتلكاتها .

(٥) التعهد من قبل الفريقين بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للفريق الاخر .

وقد وافقت مصر ، في مـــذكرة جوابية الى يارينج ، بدون تحفظ او شروط على كـــافة المطالب التي تقدم بها يارينج والتزمت بها رسمياً . وبالاضافة الى ذلك تعهدت المذكرة المصرية بتنفيذ الامور التالية :

(١) ضمان حرية الملاحة في قناة السويس وفقا لميثاق القسطنطينية الصادر في عام ١٨٨٨ .

(٢) ضمان حرية الملاحة في مضائق تيران وفقا لمبادىء القانون الدولي .

(٣) القبول بوضع قوة سلام دولية في شرم الشيخ .

كما نصت المذكرة الجوابية المصرية على انه بغية ضمان التسوية السلمية والسيـــادة الاقليمية لكل دول المنطقة فان مصر تقبل بما يلي :

(١) اقامة مناطق مجردة من السلاح على طرفي الحدود .

(٢) انشاء قوة سلام تابعة للامم المتحدة تسهم فيها الدول الدائمة العضوية في مجلس الامن .

وطالبت المذكرة اسرائيل بالمقابل الالتزام بسحب قواتها المسلحة من سيناء وقطاع غزة وتحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين وفقا لقرارات هيئة الامم المتحدة .

وطلب يارينج من اسرائيل الالتزام بسحب قواتها من أراض محتلة تابعة لمصر وذلك الى خط الحدود الدولية السابقة بين مصر وفلسطين في عهـــد الانتداب البريطاني على ان يرافق الانسحاب الاجراءات التالية :

(١) اقامة مناطق مجردة من السلاح .

(٢) ترتيبات أمن عملية في منطقة شرم الشيخ تضمن حرية الملاحة في مضائق تيران .

(٣) حرية الملاحة (الاسرائيلية) في قناة السويس .

وقد ردت اسرائيل على مذكرة يارينج بالترحيب باستعداد مصر للدخول في اتفاق سلام

مع اسرائيل ، وبالاعلان مجددا عن استعدادها لاجـراء مفاوضات جدية حول كـافة المواضيع المتعلقة بالتسوية السلمية بين الطـرفين . وذكـرت ان اتفاقية السلام بين البلدين يجب ان تتضمن ما يلي بالنسبة للجانب الاسرائيلي :

(١) قرار صريح ومعلن باعتبار النزاع بين اسرائيـل ومصر منتهيا تماما وانهاء كـل ادعاءات الحرب وحالاتها ، وكل الاعمال العدوانية بين اسرائيل ومصر .

(٢) احترام سيادة مصر وحصانة اراضيها واستقلالها السياسي والاعتراف بكل ذلك .

(٣) احترام حق مصر في العيش بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها والاعتراف بذلك .

(٤) انسحاب القوات الاسرائيلية المسلحة من على خط وقف اطلاق النار بين اسرائيل ومصر الى الحدود الآمنة والمعترف بها التي ستقام في اتفاق السلام . ان اسرائيل لن تنسحب الى خطوط ما قبل ٥ حزيران ١٩٦٧ .

(٥) فيما يتعلق بمسألة اللاجئين ودعاوى الطرفين بالنسبة لهـذا الامر فان اسرائيل مستعدة للتفاوض مع الحكومات المعنية مباشرة حول : (أ) دفع تعويضات مقـابل الاراضي والممتلكـات المهجورة . (ب) المشاركة في وضع خطـة لتأهيل اللاجئين في المنطقة . عندما يتم الاتفاق على واجبات الطرفين نحو قضية اللاجئين لن يكون اي طرف من الطرفين مرتبطا بأية التزامات تجاه الطرف الاخر تتعارض مع سيادته .

(٦) حمل مسؤولية ضمان عدم قيام او انطلاق اية اعمال حربية أو اعمال عنف من قبل اي تنظيم أو جماعة أو فرد في أرض اسرائيل ضد شعب مصر أو قواتها المسلحـة أو ممتلكاتها .

(٧) عدم التدخل في الشؤون الداخلية لمصر .

(٨) عدم اشتراك اسرائيل في اية احلاف معادية لمصر وحظر وجود اية قوات عسكرية لطرف ثالث في حالة عداء مع مصر .

وحددت اسرائيل التعهدات المطلوبة من مصر من أجل الوصول الى التسوية على النحو التالي :

(١) قرار صريح ومعلن باعتبار النزاع بين مصر واسرائيـل منتهيا تماما وانهاء كـل ادعاءات الحرب وحالاتها وكل الاعمال العدوانية بين مصر واسرائيل .

(٢) احترام سيادة اسرائيل وحصانة اراضيهـا واستقلالهـا السياسي والاعتراف بكل ذلك .

(٣) احترام حق اسرائيل في العيش بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها تعينها اتفاقية السلام .

(٤) حمل مسؤولية عدم قيام أو انطلاق اية اعمال حربية أو اعمال عنف من قبل أي تنظيم أو جماعة أو فـرد في أراضي مصر ضد شعب اسرائيـل أو قواتها المسلحة أو ممتلكاتها .

(٥) عدم التدخل في الشؤون الداخلية لاسرائيل .

(٦) تعهد صريح بضمان حرية المرور للسفن والبضائع الاسرائيلية في قناة السويس .

(٧) انهاء الحرب الاقتصادية في كل مظاهرها بما في ذلك المقاطعة ، وانهاء كل تدخل في علاقات اسرائيل الدولية الطبيعية .

(٨) عدم اشتراك مصر في أية أحلاف معادية لاسرائيل وحظر وجود اية قوات عسكرية لطرف ثالث في حالة عداء مع اسرائيل . وعلى كل من مصر واسرائيل الدخول في اتفاقية

سلام يتم التعبير عنها بمعاهدة ملزمة وفقا للقوانين والسوابق الدولية العادية وتحوي المعاهدة التعهدات المذكورة اعلاه .

لكن على الرغم من الترحيب الذي لقيه الرد المصري « الايجابي » على مذكرة يارينج في أوساط الرأي العام الدولي ، ماتت مهمته على أثر تقديمه المقترحات المذكورة واستلامه الردين المصري والاسرائيلي عليها . ماتت مهمة الوسيط الدولي مع ان مصر تقدمت بتنازلات مهمة في اجابتها على يارينج وفي قبولها بالتجزئة التي ادخلتها مقترحاته على مصير الاراضي العربية المحتلة كما هو واضح من التركيز على الانسحاب الاسرائيلي الى خط الحدود الدولي بين مصر وفلسطين في عهد الانتداب البريطاني مما يبقي قطاع غزة خارج اطار التسوية المصرية الاسرائيلية المقترحة من طرفه . ولا شك ان السبب الرئيسي في فشل مهمة يارينج هو الاستراتيجية الامريكية ـ الاسرائيلية الرامية على المدى الابعد لتحقيق استسلام عربي كامل للوضع الامبريالي الذي استجد في المنطقة على اعقاب حرب ١٩٦٧ .

مشروع التسوية الجزئية مجددا

في مقابلة مع مجلة « نيوزويك » الاسبوعية الامريكية (جرت في ٤ شباط ونشرت في عدد ١٥ شباط ١٩٧١) عاد الرئيس السادات الى طرح فكرة التسوية الجزئية كخطوة اولى نحو السلام العربي الاسرائيلي . اقترح السادات ان تنسحب اسرائيل في سيناء الى خط يقع عند العريش ، وبالمقابل تضمن مصر اعادة فتح قناة السويس للتجارة الدولية خلال ستة أشهر ، وتمدد وقف اطلاق النار مهلة تعطي يارينج ما يكفي من الوقت لاتمام مهمته، كما ستضمن حرية الملاحة في مضائق تيران عن طريق وضع قوة طوارىء دولية في شرم الشيخ . كذلك أكد السادات مجددا انه اذا انسحبت اسرائيل من كافة المناطق العربية المحتلة فان مصر ستعقد معها معاهدة سلام تتضمن اعترافا بالسلامة الاقليمية لكل دولة في المنطقة بما فيها اسرائيل .

مشروع جولدا مائير المضاد

ردت مائير على السادات في بيان القته أمام الكنيست في ٩ شباط ١٩٧١ رفضت فيه مقترحات الرئيس السادات وعادت للتأكيد على استعداد اسرائيل للبحث في أية اجراءات خارج اطار محادثات السلام ، من شأنها اعادة فتح قناة السويس لسفن جميع الدول بما فيها اسرائيل . وتبعت ذلك بطرح مشروع اسرائيلي مضاد عبر مقابلة نشرتها صحيفة « التايمز » اللندنية في ١٢ اذار ١٩٧١ حددت فيها مطالب اسرائيل على النحو التالي :

(١) جعل سيناء منطقة منزوعة السلاح لا يسمح لمصر بادخال الدبابات أو المدفعية أو الصواريخ اليها . ويتم ضمان هذا الترتيب عن طريق قوة مشتركة يمكن ان تضم في صفوفها قوات اسرائيلية ومصرية .

(٢) ستستمر اسرائيل في الاحتفاظ بشرم الشيخ لان مضائق تيران حيوية بالنسبة لمرفأ ايلات ، مرفأ اسرائيل الوحيد على البحر الاحمر ومخرجها الى آسيا وشرقي افريقيا .

(٣) لا اعادة لقطاع غزة لاشراف مصر . ستعتني اسرائيل باللاجئين وبامكان غزة ان تصبح مرفأ اردنيا .

(٤) تبقى القدس موحدة وجزءا من اسرائيل .

(٥) لن تتراجع اسرائيل من مرتفعات الجولان .

(٦) يجب اجراء مفاوضات حول خط الحدود في الضفة الغربية ، على ان لا تعبر أية قوات عربية الى الضفة الغربية لنهر الاردن . وينبغي الا تشكل الحدود النهائية بين

اسرائيل والضفة الغربية مصدرا للتفرقة بل يجب ان تكـــون عاملا فعالا في الربط بين العرب والاسرائيليين . كما انه يجب ضمـــان حق الطرفين في الوصول الى الامـــاكن المقدسة الواقعة في أراضي الطرف الاخر . وسيكون بامكان الأردن الوصول الى مينائي حيفا وغزة ولكن بدون خلق ممرات عبر الاراضي الاسرائيلية .

(٧) تعارض اسرائيل فكرة الدولة الفلسطينية المستقلة في الضفة الغربية لانها لن تكون كبيرة بما فيه الكفاية لتتمتـــع بأسباب الحياة وقد تشكـــل خطرا عسكريا حقيقيا على اسرائيل .

رد مصر :

في ١ نيسان ١٩٧١ ردت مصر باعلان استعدادها للعودة الى اتفاقية وقف اطلاق النار بصورة رسمية ولمدة محدودة اذا وافقت اسرائيل على اقتراح الرئيس السادات الداعي لانسحاب جزئي للقوات الاسرائيلية من على ضفة قناة السويس واعادة فتحها للملاحة الدولية . كما أشار البيان المصري الى اقامة منطقة محايدة في سيناء بين الجيشين بعد عبور القوات المصرية الى المواقع التي اخلاها الاسرائيليون . ورفض رفضا قاطعا فكرة جعل سيناء منطقة منزوعة السلاح .

رد الفعل الاسرائيلي :

في ٤ نيسان ١٩٧١ رفضت مائير من جديد مقترحات الرئيس السادات معتبرة اياها غير صالحة كأساس للاتفاق . ثم عادت لتحديد موقف اسرائيـــل من التسوية على النحو التالي :

(١) نهر الاردن هو الحد الآمن لاسرائيل ولا يجوز لاية قوات عسكرية عبوره . أمـــا الحدود النهائية بين اسرائيل والاردن فهي خاضعة للمفاوضات .

(٢) يجب بقاء مرتفعات الجولان وقطاع غزة تحت السيطرة الاسرائيلية .

(٣) تبقى شرم الشيخ تحت السيطرة الإسرائيلية لضمان حرية الملاحـــة الى ايلات . وسيتم الربط البري بين شرم الشيخ واسرائيل وفقا لحاجاتها الأمنية .

(٤) تبقى القدس مدينة موحدة ، واسرائيـــل على استعداد للدخول في اتفاقات مـــع السلطات الاسلامية والمسيحية من أجل ترتيبات مناسبة لضمان المركز الديني والعالمي للاماكن المقدسة في القدس .

(٥) فكرة الضمانات الدولية وقوات الطوارىء على الحدود مرفوضة . كذلك الامـــر بالنسبة لفكرة مشاركة قوات سوفياتية في قوة الطوارىء المقترحة لان الاتحاد السوفياتي حليف فعال لمصر في حالة الحرب القائمة .

(٦) لا بد من اجراء مفاوضات مباشرة لتسوية الخلافات العربية الاسرائيلية الهامة .

مشروع « حكماء افريقيا »

مع استفحال المأزق الـــذي توصلت اليه مساعي التسوية السياسية ، خـــاصة بعد استغناء الولايات المتحدة عن مشروع روجرز ومهمة يارينج ، حاولت منظمة الوحـــدة الافريقية اخذ زمام المبادرة لتقريب وجهات النظر بين مصر واسرائيل . وبدأت جهـــود المنظمة الافريقية في اجتماع القمة الذي انعقد في ٢٢ حزيران ١٩٧١ حيث تم اتخاذ قرار يعتبر من اقوى القرارات التي تبنتها المنظمة في دعم مصر وفي ادانة اسرائيل منذ ١٩٦٧ . طالب القرار :

(١) بالانسحاب الفوري للقوات الاسرائيلية المسلحة من جميع المناطق العربية المحتلة الى حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ وذلك تنفيذا لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

(٢) عبر عن الدعم الكامل لمهمة يارينج عامة ولمقترحات السلام التي تقدم بها في شباط ١٩٧١ خاصة والتي وافقت عليها مصر ورفضتها اسرائيل .

(٣) أكد من جديد تضامن المنظمة مع مصر وترحيبها بموقف مصر الايجابي المتضمن في جوابها على مقترحات يارينج للسلام معتبرا اياها خطوة عملية من أجل اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط .

(٤) ندد بتحدي اسرائيل لمبادرة يارينج وطالبها بان تقدم جوابا ايجابيا على مقترحاته شبيها بجواب مصر .

وكان الشعور السائد في مؤتمر القمة الافريقي ان اسرائيل تتصلب باستمرار في موقفها ومن الضروري شن حملة ضغط متزايدة عليها . لذلك اختار اجتماع القمة لجنة مؤلفة من عشرة زعماء افارقة من اجل حث اسرائيل على تقديم بعض التنازلات . واختارت لجنة العشرة اربعة رؤساء من بينها ليقوموا بزيارة مصر واسرائيل حيث سيقومون بتوجيه أسئلة دقيقة وبتقديم مقترحات محددة للسادات وجولدا مائير حول مستقبل محادثات السلام . وتألفت اللجنة الرباعية من رؤساء السنغال وزائير (كونغو كينشاسا) والكاميرون ونيجيريا برئاسة سنغور (السنغال) .

رفعت اللجنة تقريرا بنتائج مساعيها الى يوثانت والدول الخمس الكبرى والدول الافريقية المعنية . وتألفت محتويات التقرير من ٦ نقاط محددة مع تبيان موقف كل من مصر واسرائيل بالنسبة لكل نقطة على حدة . وجدير بالذكر هنا ان المحور الذي دار حوله التقرير (ودارت حوله مهمة حكماء افريقيا) ليس الا مجموعة المسائل المتنازع عليها بين مصر واسرائيل بالنسبة للحل السلمي عامة وقضية التسوية الجزئية على وجه التخصيص ، وكلها مسائل اصبحت معروفة بوضوح من خلال الوساطة الامريكية ومضاعفاتها . وفيما يلي المسائل التي تطرق اليها التقرير :

(١) استئناف مهمة يارينج على أساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وبما ان هذه النقطة هي من المطالب المصرية المتكررة فقد وافقت مصر عليها بدون تحفظ . اما اسرائيل فقد وافقت شريطة عدم فرض أية شروط مسبقة على استئناف المهمة . وهذا يعني ، بعبارة أخرى ، عدم مطالبتها بتبديل ردها السلبي على مذكرة يارينج التي طلب فيها من اسرائيل الالتزام بمبدأ الانسحاب الى ما وراء حدود ٥ حزيران ١٩٦٧ .

(٢) التوصل الى اتفاق مؤقت لاعادة فتح القناة على أساس انسحاب اسرائيلي جزئي مع حلول قوات دولية على ضفة القناة الشرقية محل القوات المنسحبة . وافقت مصر على هذا الترتيب شرط ان تلتزم اسرائيل بالانسحاب الكامل من الاراضي المحتلة . بعبارة اخرى ، شرط ان تكون التسوية الجزئية خطوة أولى نحو التسوية الشاملة للنزاع وهذا مطلب أساسي من المطالب المصرية . الا ان قبول مصر بهذا الترتيب يعني، من ناحية أخرى ، تراجعها عن مطلب عبور القوات المصرية والاستعاضة عن ذلك بقوات دولية . وافقت اسرائيل ايضا على هذا الترتيب شرط ان يتم التفاوض بين الطرفين حول شروط الانسحاب الاسرائيلي الجزئي . أي ان اسرائيل تحاول ، كلما سنحت لها الفرصة ، الضغط بكافة الطرق لجر الطرف العربي الى مائدة المفاوضات .

(٣) قضية الحدود الآمنة والمعترف بها . موقف مصر هو أن تنص التسوية النهائية على الحدود الآمنة والمعترف بها بما يتفق مع قرار منظمة الوحدة الافريقية الذي يطالب اسرائيل بالانسحاب الكامل من الاراضي العربية المحتلة . اما موقف اسرائيل فقد تلخص بالتعبير عن استعدادها للتفاوض على شروط قيام هذه الحدود .

(٤) الضمانات التي تقدمها هيئة الامم لتدعيم أية تسوية بين طرفي النزاع بما في ذلك وجود قوات دولية في المناطق الستراتيجية . وافقت مصر على تمركز القوات الدولية على

جانبي الحدود من هذه المناطق . اما اسرائيل فقد عبرت عن استعدادها للتفاوض حول هذه النقطة وذكرت أن لديها شروطا وتحفظات بشأنها .

(٥) ورود نص في التسوية النهائية حول اجراءات الانسحاب الكامل . بطبيعة الحال وافقت مصر وشددت على ان يكون الانسحاب كاملا الى ما قبل خطوط ٥ حزيران ١٩٦٧ بحيث تعود كل الاراضي العربية المحتلة . اما اسرائيل فقد عبرت عن استعدادهـا للتفاوض بشأن الحدود التي سيتم الانسحاب اليها .

(٦) مسألة حرية الملاحة في مضائق تيران ووجود قوات دولية في شرم الشيخ . وافقت مصر بدون تحفظ . اما اسرائيل فقد عبرت عن استعدادها للتفاوض حول شروط تحقيق مثل هذا الترتيب .

ويتبين من هذا التقرير ان الطرف العربي ما زال يبذل أقصى جهوده (وبالرغم من قرع طبول الحرب) للحصول على تسوية سلمية تحفظ ماء الوجه أي لا تبقى أيا من الاراضي العربية بيد اسرائيل حتى لو تطلب ذلك تسليم اجزاء استراتيجية من هذه الاراضي الى القوات الدولية مما يعني عمليا نزع السيادة العربية عنها . أما الجانب الاسرائيلي فقد أبدى بعض « الليونة » التكتيكية المعروفـة في مواقفه بمعنى انه اخضع هذه النقاط الحساسة الى « التفاوض » بدلا من ان يحدد منها مواقف متصلبة مسبقة .

أما فشل مهمة حكماء افريقيا فيعـود الى التصلب الاسرائيلي ، كما بين ذلك مندوب السنغال في خطابه امام الجمعية العامة لهيئة الامم (كانون الاول ١٩٧٢) ، حيث وجه نقدا شديدا لاسرائيل بسبب موقفها من مهمة البعثة الافريقية للسلام وانعدام رغبتهـا الجدية في تحقيق تسوية سياسية للنزاع .

بعد ان نجح مشروع روجرز في تهدئة الجبهات العربية وضرب المقاومة الفلسطينية في الاردن وصل الموقف الامريكي الى نتائجه المنطقية التي عبرت عن نفسها صراحة باعلان وزارة الخـارجية الامريكية في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧١ عن تعليق الحكومة الامريكية جهودها للوصول الى تسوية جزئية في الشرق الاوسط تسمح باعادة فتح قناة السويس. وقد جاء هذا الاعلان بعد خطـاب القاه الرئيس السادات عـلى جبهة القناة اتهم فيه الحكومة الامريكية بالمناورة واسرائيل بالعجرفة . كما أعلن ان جميع اتصالات مصر مع امريكا من أجـل تحقيق التسوية السلمية قد توقفت . لكن عـلى الرغم من تصريح السادات واعلان الولايات المتحدة عن تعليق مبادراتها السلمية في الشرق الاوسط لم تنقطع الاتصالات كليا بين البلدين . وفي هذه الاتصالات المستمرة ظلت امريكا متمسكة بمشروع التسوية الجزئيـة عن طـريق المفاوضات . ولتحقيق ذلـك اقترحت صيغة « محادثات الجوار » حيث ينزل المبعوث الاسرائيلي والمبعوث المصري في فندق واحد في نيويورك ويقوم جوزيف سيسكو (أو غيره) بدور الوسيط بينهما . وقد وافقت اسرائيل على هذه الصيغة بعد ان ضمنت موافقة امريكا على القيام بدور شكلي في « محادثات الجوار » والا تتبنى وجهة نظر معينة وتحاول فرضها على الطرفين المتفاوضين . وعلى الرغم من ان مصدرا حكوميا مصريا رفيعا اعلن في ٣ شباط ١٩٧٢ ان مصر لا تستثني كليا امكانية المشاركة في « محادثات الجوار » شرط ان تجري على اساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لم تسفر هذه الصيغة الامريكية في التفاوض عن أية نتائج ملموسة حتى الان .

مشروع المملكة العربية المتحدة

ان آخر مشروع للتسوية السياسية مع اسرائيل سنتعرض له في هذا التقرير هو المشروع الذي تقدم به الملك حسين في ١٥ اذار ١٩٧٢ في محاولة لشق الصف الفلسطيني واظهار

نفسه بمظهر الممثل الشرعي الاوحد للشعب الفلسطيني بدلا من حركة المقاومة . نص مشروع الملك على ما يلي :

« (١) تصبح المملكة الاردنية الهاشمية مملكة عربية متحدة وتسمى بهذا الاسم .

« (٢) تتكون المملكة العربية المتحدة من قطرين : (أ) قطر فلسطين ويتكون من الضفة الغربية واي اراض فلسطينية اخرى يتم تحريرها ويرغب اهلها في الانضمام اليها . (ب) قطر الاردن ويتكون من الضفة الشرقية .

« (٣) تكون عمان العاصمة المركزية للمملكة وفي الوقت نفسه تكون عاصمة لقطر الاردن .

« (٤) تكون القدس عاصمة لقطر فلسطين .

« (٥) رئيس الدولة هو الملك ويتولى السلطة التنفيذية المركزية ومعه مجلس وزراء مركزي . أما السلطة التشريعية المركزية فتناط بالملك وبمجلس يعرف باسم مجلس الامة . ويجري انتخاب اعضاء هذا المجلس بطريقة الاقتراع السري المباشر وبعدد متساو من الاعضاء لكل من القطرين .

« (٦) تكون السلطة القضائية المركزية منوطة بمحكمة عليا مركزية .

« (٧) للمملكة قوات مسلحة واحدة قائدها الاعلى الملك .

« (٨) تنحصر مسؤوليات السلطة التنفيذية المركزية في الشؤون ذات العلاقة بالمملكة كشخصية دولية واحدة وبما يضمن سلامة المملكة واستقرارها وازدهارها .

« (٩) يتولى السلطة التنفيذية في كل قطر حاكم عام من ابنائه ومجلس وزراء قطري من ابنائه ايضا .

« (١٠) يتولى السلطة التشريعية في كل قطر مجلس يعرف باسم مجلس الشعب يتم انتخابه بطريقة الاقتراع السري المباشر . وهذا المجلس هو الذي ينتخب الحاكم العام للقطر .

« (١١) السلطة القضائية في القطر هي لمحاكم القطر ولا سلطان لاحد عليها .

« (١٢) تتولى السلطة التنفيذية في كل قطر كل شؤون القطر باستثناء ما يحدده الدستور للسلطة التنفيذية المركزية .

« ومن الطبيعي ان تصير في تنفيذ هذه الصيغة ومرتكزاتها الاصول الدستورية المتبعة حيث تحال على مجلس الامة ليتولى اتخاذ الاجراءات لوضع الدستور الجديد في البلاد» .

وقبل ان يعلن الملك حسين مشروعه اجتمع بعدد من الشخصيات الفلسطينية المعروفة، من بينها عبد المجيد شومان وابراهيم بكر وبهجت ابو غربية وعبد الحميد السائح وياسر عمرو ويحي حمودة ، واخبرها بما يلي :

(١) أنه لا يطرح مشروعه للمناقشة بل للتنفيذ المباشر .

(٢) ان الملك فيصل مؤيد للمشروع بموافقة الحكومة الامريكية .

(٣) ان معظم الحكومات العربية على علم بالمشروع وهي موافقة عليه . أما الاتحاد السوفياتي ، صديق العرب ، فليس لديه أي اعتراض عليه .

(٤) بما ان قادة المقاومة يعملون (على حد زعم الملك حسين) من أجل تأسيس دولة فلسطينية في الضفة الغربية لا بد لاجهاض مشروعهم بتقديم مشروع بديل .

(٥) سيتم رفع العلم الاردني فوق الاماكن الاسلامية المقدسة في القدس وعلم الفاتيكان فوق الاماكن المقدسة المسيحية .

(٦) سيكون للقدس مكانة شبه دولية وسيكون فيها وجود دولي رمزي .

(٧) ستقوم حكومة جديدة بتأسيس المؤسسات الفدرالية الجديدة .

وذكرت مصادر امريكية رسمية ان الملك حسين سيناقش تفاصيل مشروعه الجديد مع الرئيس نيكسون اثناء زيارته لواشنطن في اواخر شهر اذار ١٩٧٢ . ومع ان المسؤولين الامريكيين اعترفوا بان امكانات تنفيذ المشروع في المستقبل القريب ضعيفة الا انهم ابدوا رضاهم بمبادرة الملك . وقد وصف احدهم المشروع بقوله انه « خطوة في الاتجاه الصحيح » ، مع انه اعترف بأن اسرائيل لن تنسحب من الضفة الغربية الا بعد ابرام اتفاقية سلام . ولم تصدر اية تعليقات رسمية عن البيت الابيض أو وزارة الخارجية كي لا يتولد انطباع بأن المشروع أمريكي ويخلق احراجات للملك هو بغنى عنها .

أما اسرائيل فقد رفضت مشروع الملك حسين واستهزأت به واعتبرته غير صالح كأساس لاتفاقية سلام معها . واصرت جولدا مائير أمام الكنيست في ١٦ اذار ١٩٧٢ على ضرورة المفاوضات للتوصل الى اتفاقية مع الدول العربية ، وسخرت من الملك حسين ووصفته بالمدعي الذي « توج نفسه ملكا على القدس وتصور نفسه حاكما لمناطق أكبر بكثير مما كان يحكم قبل هزيمة ١٩٦٧ ، معتبرا مناطق كاملة على انها من ممتلكاته في حين انها لا تقع حتى تحت سيطرته . وفي نشوة حماسته كمحرر للمناطق وكصانع للممالك شط الى درجة اعتبار القدس ــ عاصمة اسرائيل الابدية ــ عاصمة للفلسطينيين » .

كان العراق اول دولة عربية ادانت مشروع الملك حسين (١٥ آذار ١٩٧٢) معتبرة اياه فكرة انهزامية تقدم بها نظام عميل . وتبعت مصر بقولها ان المشروع يشكل مؤامرة لشق الصف العربي ، كما أعتبرته « الاهرام » تواطؤا جديدا مع اسرائيل سيؤدي في النهاية الى تصفية القضية الفلسطينية . وفي ١٦ اذار ١٩٧٢ اصدرت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بيانا رفضت فيه المشروع وأكدت ان الشعب الفلسطيني هو الذي يقرر مستقبله ومستقبل قضيته . وفي ١٨ اذار اعلنت دول الاتحاد الثلاثي رفضها القاطع للمشروع قائلة ان الولايات المتحدة هي وراءه .

من النتائج الهامة التي لا بد ان نخرج بها من هذه المراجعة لمشاريع التسويات السياسية الرامية الى تصفية القضية الفلسطينية صواب الموقف المبدئي والاساسي للجماهير الفلسطينية (كما عبرت عنه حركاتها السياسية عامة وحركة المقاومة على وجه التخصيص) في رفض كل انواع التسويات والمساومات والتنازلات التي تمس جوهر قضيتها الوطنية والتي لا يمكن ان تتحقق الا على حساب هذه القضية . ان صواب هذا الموقف واضح من خلال استخدام التحالف الامريكي ــ الاسرائيلي لمشاريع التسوية لاجل ابقاء الوضع الامبريالي القائم في المنطقة على حاله قدر الامكان . كما انه واضح ايضا من التصعيد المستمر وغير المحدود للمطالب الإسرائيلية ــ الامبريالية كلما قدمت الدول العربية تنازلا مهما بقبولها مشروعا من مشاريع السلام المطروحة . لقد ادركت الثورة الفلسطينية منذ البداية ان اختيار طريق التسويات والمساومات في عصرنا لا يمكن ان يؤدي الا الى نتيجة منطقية واحدة هي الاستسلام الكامل أمام اسرائيل والولايات المتحدة وان الامبريالية لن تتوقف عن التلاعب « بمشاريع التسويات السلمية » حتى تحقق هذا الهدف الحيوي لمصالحها في الوطن العربي .

النفط العربي سلاح في خدمة قضايانا القومية (٢)

الدكتور عاطف سليمان

هذا هو القسم الثاني من دراسة الدكتور عاطف سليمان التي كنا قد نشرنا القسم الاول منها في العدد رقم ٢٠ من شؤون فلسطينية تاريخ نيسان ١٩٧٣ . وقد تركز القسم الاول في دراسة اهمية النفط العربي الاستراتيجية والاقتصادية بشكل خاص للولايات المتحدة واوروبه . أما هذا القسم فيعالج بالتفصيل مسألة تأميم النفط العربي .

الحل الجذري الحاسم : التأميم

لقد تبين لنا ان جميع الاجراءات الجزئية والمؤقتة التي تم اللجوء اليها حتى الان لاتخاذ النفط العربي سلاحا في معاركنا ، وعلى راسها اجراء منع النفط عن الدول المعادية الذي طبق عام ١٩٦٧ ، لم تؤد النتائج المطلوبة منها وكانت محدودة الفعاليـــة وليست على مستوى اهمية سلاح النفط . ومثل هذا القول يصدق على الاجراءات الجزئية الاخرى التي تقترح من وقت لآخر أو يتجه اليها التفكير ، والتي استعرضنا فيما تقدم نماذج منها. كما رأينا أن اجراء حجب النفط العربي حتى لو اتخذت كافة التدابير ونفذت كافة الشروط لجعل تطبيقه شاملا للعالم الغربي ومستمرا أطول مدة ممكنة ، فان من المشكوك فيه ان يضمن لنا تحقيق النتائج الايجابية المطلوبة لصالح قضايانا عن طريق ما يفرضه من ضغط على العالم الغربي ، كما ان من محاذير هذا الاجراء كما رأينا انه أيضا اجراء مؤقت محدود من حيث زمان تطبيقه ولا يمس المصالح الاجنبية في نفطنا بشكل جذري بل تبقى هذه المصالح قائمة وموجودة وتتمتع بلداننا بالميزة الاستراتيجية الهامة التي تترتب على وجودها كما أن هذه الشركات تبقى تجني الارباح من عمليات تصدير النفط للبلدان غير المقاطعة ، اذا لم يكن المنع شاملا ، أو تعود لجني الارباح ومواصلة نشاطها الكامل بعد أن يوقف اجراء المنع .

والاجراءات المتقدمة كلها تجمعها خاصية مشتركة وهي انها ترمي الى اتخـــاذ النفط سلاحا عن طريق ممارسة الضغط على العالم الغربي وتهديده بالحاق الاذى في مصالحه لحمله على تغيير مواقفه المعادية لنا والمساندة لاسرائيل . فهي تصدر مـــن افتراض امكانية حمل الغرب على تغيير مواقفه المؤيدة لاسرائيل . ولقد فشلت كلها في احداث الضغط المطلوب على الدول المعادية وفي حملها على تغيير سياستها واتباع سياسة ودية والتخلي عن تأييدها الشامل لاسرائيل . بل ان تأييدها هذا قد تزايد في السنوات الاخيرة كما يشهد بذلك التأييد الامريكي غير المشروط لاسرائيل والعداء المطلق للقضية العربية . وفي اعتقادنـــا ان فشل هذه الاجراءات في احـــداث آثارهـــا مرده سببان رئيسيان :

السبب الاول : ان جميع تلك الاجراءات الجزئية والمؤقتة لا تلحـــق الضرر الجذري بالمصالح الاساسية التي تربط البلدان الغربية المعادية (الولايات المتحدة وبريطانيـــا خاصة) بنفطنا . فلقد سبق ان بينا أن هذه المصالح الاساسية من نوعين مترابطين : أولهما ، الارباح الضخمة التي تجنيها الشركات النفطية الامريكيـــة والبريطانية مـــن

استغلال نفطنا والتي تساهم مساهمة كبيرة في ميزان مدفوعات بلديهما . وثانيهما ، الميزة الاستراتيجية التي تتمثل في بقاء سيطرة شركاتها على هذه المصادر الهامة للطاقة التي تعتبر مصادر لا بديل لها بالنسبة لهذين البلدين وللعالم الغربي بصورة عامة . ولقد رأينا الاعتماد شبه الكلي للغرب على نفطنا سواء في الحاضر أو في المستقبل كما رأينا الاحتياجات المتزايدة في الولايات المتحدة لنفطنا . فهذه البلدان تحرص اذن كما هو واضح ، على أن تبقى هذه المصادر تحت يد شركاتها لتضمن على الدوام الحصول على موارد نفطية مأمونة في الوقت المناسب وبأسعار مقبولة لها . هذه المصالح الاساسية لم تمس بأي شكل من جراء تطبيق الاجراءات الجزئية والمؤقتة، ولذا فان أثر هذه الاجراءات على الغرب كان وسيبقى دون المستوى المطلوب . وعلى ذلك ، فان أي اجراء يتقرر اللجوء اليه في المستقبل ينبغي ، اذا أردناه فعالا ، ان يلحق الضرر الجذري بهذه المصالح الاساسية ويلغيها من أساسها ، بحرمان تلك الشركات النفطية الغربية من امتيازاتها النفطية وما تمثله من قيمة اقتصادية ومالية واستراتيجية . لقد هددنا على الدوام بالحاق الضرر بالمصالح النفطية الغربية في بلادنا ، ولكن تهديدنا لم يثمر لان أحدا لم يعد يصدقنا ، وعلينا الآن ان ننفذ بالفعل هذا التهديد وان نلحق بتلك المصالح ضربة جذرية قاسية .

أما **السبب الثاني** لفشل جميع تلك الاجراءات الجزئية والمؤقتة في تحقيق آثارها فهي انها تصدر جميعها من افتراض امكانية حمل العالم الغربي على تغيير موقفه المؤيد لاسرائيل تغييرا جذريا . ولكن التجارب الطويلة للامة العربية في هذا الحقل ، والتحليل العملي الموضوعي للاسباب التي حملت الغرب على تبني انشاء اسرائيل ومواصلة الحفاظ على كيانها ، تفرض علينا الاقتناع باستحالة حمل الدول الغربية المعادية على تغيير مواقفها المساندة لاسرائيل تغييرا أساسيا ، عن طريق الضغط عليها ، وذلك نظرا للترابط التام والاندماج الكامل للمصالح الامبريالية والصهيونية . ولذا فلا بد لنا أن نستخلص من ذلك النتائج التي تفرضها الاعتبارات المنطقية والواقعية ، وان نغير من مواقفنا تبعا لذلك وان نكيف استخدام سلاح النفط وفقا لهذه الحقائق . واذا كانت أساليب الضغط لم تجد ولن تجدي ، فعلينا أن نلحق ضربة جذرية ساحقة بالمصالح الاساسية للغرب في نفطنا بأن نحرمه من هذه المصالح بعد أن تمادى في استهتاره بنا وفي عدائه المطلق لقضايانا. ونحن عندما ندعو الى حرمان الغرب من مصالحه النفطية ، وتجريده منها ، كوسيلة فعالة لاستخدام ثروتنا النفطية كسلاح ضد الامبريالية والصهيونية ، بدلا من الاكتفاء بالاجراءات الجزئية والمؤقتة التي تستهدف الضغط ، فان ذلك يمثل تغيرا جذريا في طبيعة سلاح النفط وطريقة استخدامه والآثار المتوخاة منه . وهو تغير يفرضه علينا التقييم الواقعي لتجاربنا مع الغرب والتحليل العلمي الموضوعي لسياسة الغرب نحو اسرائيل والاسباب العميقة التي تملي هذه السياسة والاستحالة شبه المطلقة لحمله على تغيير مواقفه الاساسية من اسرائيل تغييرا جذريا لصالحنا .

لقد سبق أن بينا كيف ان الشركات النفطية الاجنبية المنتمية الى البلدان المعادية هي التي ما تزال تسيطر على استغلال النفط العربي (وان الشركات الامريكية والبريطانية لوحدها تسيطر على حوالي ٨٠٪ من احتياطي النفط العربي وانتاجه) ، وهي التي تقوم بعمليات انتاج النفط وتصديره للبلدان المستهلكة واقامة العلاقات مع هذه البلدان ونحن غرباء عن هذه العلاقات . هذه السيطرة الاجنبية منعتنا من أن نستخدم نفطنا في اقامة العلاقات المباشرة مع العالم الخارجي ، مع مختلف البلدان المستهلكة ، وهي العلاقات التي قد تخلق الصداقات والتفاهم والاحترام المتبادل على أساس المصالح المشتركة ، وهي احدى الوسائل التي يمكن فيها استخدام النفط لتحسين مركزنا على المسرح الدولي ودعم وزننا في العلاقات الدولية . ولقد رأينا عند الحديث عن اجراء منع

النفط عن الدول المعادية ان هذا الاجراء عندما طبق عام ١٩٦٧ حصل في تطبيقه كثير من التلاعب نظرا لان الشركات الاجنبية هي التي تتولى عمليات الانتاج والتصدير ولا بد أن تتلاعب لصالح بلدانها . وكل ذلك يؤكد ان سلاح النفط لا يمكن أن يكون سلاحا فعالا في أيدينا طالما اننا لا نملك السيطرة على عمليات الانتاج والتصدير بل تسيطر عليها شركات نفطية معادية ، وان من العبث الكلام عن استخدام سلاح النفط قبل أن نحقق السيطرة على استثمار نفطنا بحيث يمكننا استخدامه بما يحقق مصالح أمتنا .

وهكذا يتضح لنا أن الحاق الضرر الحقيقي بالمصالح النفطية لامريكا والغرب في بلادنا يقتضي حرمانها أساسا من هذه المصالح وتجريدها من امتيازاتهـا ، كما ان الطريقة الفعالة التي تمكننا من استخدام سلاح النفط ، بمختلف صور وأشكال الاستخدام التي تبدو لنا مناسبة ومجدية، تقتضي نزع سيطرة الشركات النفطية الاجنبية وتأمين السيطرة والرقابة الحقيقية لنا على استثمار نفطنا .

قد يقال في الرد على هذا الرأي : ان حرمان الشركات النفطية الامريكية والغربية مـن امتيازاتها سيحرمنا من وسيلة الضغط المستمدة من النفط طالما ان المصالح النفطية الغربية يكون قد قضي عليها فلا تعود البلدان التي تنتمي اليها تلك الشركات تخشى على هذه المصالح ولا تعود لها أية مصلحة أو مبرر في تخفيف عدائها نحونا وأخذ مصالحنا بعين الاعتبار ولو ضمن أضيق الحدود وتنطلق ضدنا في عداء من غير حدود .

وجوابنا على ذلك انه فيما يتعلق بعداء الغرب لنا ولقضايانا فان هذا العداء قائم ومنصب علينا بشكل متواصل منذ نشوء القضية الفلسطينية، وأية دفعة جديدة من العداء لن تغير من الوضع شيئا . أما القول بأننا ، بتجريد الشركات الغربية النفطية من مصالحهـا ، نكون قد حرمنا أنفسنا من سلاح النفط وما يعنيه من أداة ضغط على الغرب ، فليس ذلك بصحيح . اننا بتحقيق سيطرتنا على نفطنا نكون قد بدأنا السير على الطريق الصحيح لاستخدام سلاح النفط وهيأنا الظروف المواتية لهذا الاستخـدام . فعندما تتحقق لنـا السيطرة على استثمار نفطنا والتصرف فيه نستطيع ان نمارس الاستخدام الواسع المتعدد الجوانب لسلاح النفط بكل حرية ودون أية قيود . فنستطيع عن طريق صادراته التي لا غنى للعالم عنها ان نقيم العلاقات المباشرة مـع مختلف دول العالم المستوردة والمستهلكة لنفطنا على أساس المصالح المشتركة المتبادلة وما يتبع هذه العلاقات من نشوء الصداقة وحسن التفاهم . كما نستطيع اذا أردنا ان نحجب نفطنا عمن نشاء ، اذا قررنا أن ذلك يخدم مصالحنا أو ان نرفع أسعار هذا النفط أو نقلل من انتاجه أو نتخذ ، بكل حرية وطبقا لما تمليه علينا مصالحنا ومقتضيات سيادتنا ، أي اجراء آخر يبدو لنا مناسبا . وبذلك نكون عن طريق تحقيق سيطرتنا على نفطنا قد هيأنا لانفسنا الاداة لممارسة أقصى درجات الضغط الفعال .

ثم ان الغرب في حاجة ماسة لنفطنا من أجل تلبية احتياجات استهلاكه ، كما سبق أن بينا ، ولن يكون له غنى عن هذا النفط . ولذا فان من المؤكد اننا لو جردنا الشركات النفطية من امتيازاتها فان الغرب سيعود الينا ، بعد فترة من رد الفعل الفوري العنيف ، ليقيم علاقات جديدة معنا على أساس المصالح المشتركة لتأمين وصول امـدادات النفط التي هو بأمس الحاجة اليها بموجب ترتيبات مقبولة . بل اننا لا نستبعد قيام الغرب ، بعد تجريد شركاته النفطية من امتيازاتها ، بالمراجعة التدريجية لمواقفه من اسرائيل على أساس تناقص أهميتها بانقضاء أحد الادوار الاساسية المرسومة لها وهو دورها في حماية الشركات النفطية الغربية طالما ان هذه المصالح قد انتهت ، وان يكيف مواقفه على ضوء هذا الواقع الجديد فيتجه الى اقامة الترتيبات الجديدة اللازمة مع العالم العربي لتأمين وصول امدادات نفطنا اليه .

الاسلوب الفعال اذن في نظرنا لامكان استخدام سلاح النفط هو توجيه ضربة جذرية للمصالح النفطية الغربية وحرمان الشركات النفطية الامريكية والبريطانية على الخصوص من امتيازاتها النفطية وما تمثله لها من أرباح طائلة وميزات استراتيجية هامة . فكيف يتحقق حرمان هذه الشركات من امتيازاتها وكيف تتحقق لنا السيطرة والرقابة الحقيقية على استثمار نفطنا ؟

ان الطريقة المثلى لتحقيق كل ذلك تتمثل في تأميم النفط العربي ، أو تأميم الشركات الاجنبية التي تستغل نفطنا ، تأميما كاملا شاملا بحيث تصبح هذه الثروات كلها تحت أيد عربية وتحت سيطرتها ورقابتها فتوجهها حسب مقتضيات المصلحة العربية . على انه في حالة ما اذا رؤي عدم اللجوء في الوقت الحاضر الى التأميم الكامل فان السيطرة والرقابة الحقيقية على ثرواتنا النفطية يمكن أن تتحقق لنا اذا ما فرضنا بقرار تشريعي تأميما جزئيا على الشركات النفطية الاجنبية وذلك بنسبة ٥١ ٪ على الاقل من راسمال هذه الشركات ، كما فعلت الجزائر منذ القرارات التاريخية التي أصدرتها في ٢٤ فبراير ١٩٧١ . فاذا ما أممنا ٥١ ٪ على الاقل من أسهم الشركات الاجنبية أصبحت لنا أغلبية راس المال وانعكست هذه الاغلبية على اجهزة ادارة وتسيير الشركة المؤممة جزئيا بحيث يكون لحكومة البلد المنتج أغلبية الاعضاء في مجلس الادارة مما سيتيح لتلك الحكومة اتخاذ كافة القرارات الهامة في حياة الشركة وتوجيه نشاطاتها ، على أن يكمل هذا التأميم الجزئي باشتراط أن يكون دور المنفذ للعمليات في يد الجانب الوطني ، كما فعلت الجزائر ، حتى نضمن أن يكون التنفيذ الفعلي للعمليات النفطية وتحديد برنامج الاستثمار وتوجيه النشاط النفطي تحت اشرافنا الحقيقي .

هذا التأميم اذا تم لن تقتصر آثاره على الحاق ضربة جذرية لاسس الاستعمار النفطي الغربي وحرمانه من هذا المصدر الغزير للارباح الطائلة وحرمان بلدان العالم الغربي من الميزة الاستراتيجية التي تمثلها سيطرة شركاتها على نفطنا ، ولكن من آثاره الهامة التي سيحققها لنا أن يكون أداة لا بديل لها لتحقيق التنمية الاقتصادية الشاملة للبلدان المنتجة وللعالم العربي بأسره وضمان النجاح في معركة التنمية الاقتصادية التي نخوضها ضد الفقر والتخلف . فالارباح الضخمة التي كانت تجنيها الشركات الاجنبية ستصبح من حق البلدان العربية المنتجة وهي مبالغ كبيرة يمكن أن ترصد للمعركة المصيرية بجوانبها العسكرية والسياسية ولمعركة التنمية الاقتصادية في العالم العربي وهما معركتان مترابطتان كما هو واضح . فمعركة التنمية هي التي من شأنها ان تخلق مجتمعا قويا متقدما قادرا على خوض معركة المصير المفروضة على الامة العربية . وبذا يصبح النفط العربي فعلا في خدمة قضايانا المصيرية ومعاركنا الحاسمة .

وهكذا يتضح ان اجراء التأميم ، على عكس الاجراءات الجزئية والمؤقتة التي اشرنا اليها من قبل ، هو الذي يمكن النفط من أن يلعب دورا جذريا متكاملا في خدمة القضايا العربية من جوانبها المختلفة السياسية والاقتصادية والعسكرية ، على اعتبار ان مختلف هذه الجوانب هي جوانب مترابطة متكاملة وان الدور الذي يلعبه النفط في خدمة أحد هذه الجوانب اذا تم على الوجه السليم فانه لا بد وأن ينعكس على الجوانب الاخرى ويعمل لصالحها . ونحن نعتقد أن النظرة الجزئية التي سادت حتى الان على صعيد العمل العربي بالنسبة لبحث استخدام النفط في خدمة القضية الفلسطينية وتمثلت في اجراءات جزئية مؤقتة دون التعمق في دور النفط في الخدمة الشاملة لاغراض هذه الامة وقضاياها القومية — هذه النظرة الجزئية أثبتت قصورها وضعف فاعليتها وعدم جدواها . والاتجاه نحو التأميم هو الذي يمثل في نظرنا التفهم السليم لمختلف الجوانب المتعددة المتكاملة لدور النفط العربي ويبرز ضرورة سيطرتنا الحقيقية على نفطنا كنقطة البداية الصحيحة لاي عمل عربي مثمر في هذا المجال .

على ان هنالك تساؤلا قد يثيره البعض هنا حول دور النفط في التنمية الاقتصادية العربية وهو : هل من المحتم اللجوء الى تأميم ثرواتنا النفطية لتحقيق هذه التنمية الاقتصادية أم أنه يكفي ، كما يرى بعض المسؤولين في بعض البلدان العربية المنتجة ، ان نسير في طريق الحصول على تحسينات تدريجية متصاعدة في الشروط المالية للامتيازات بما يضمن لنا زيادة تصاعدية في الدخل وفي طريق المشاركة التدريجية (في رأسمال الشركات) التي تسعى لتحقيقها بعض البلدان العربية المنتجة في الخليج والتي تم بالفعل اتفاق عام بشأنها في شهر اكتوبر ١٩٧٢ ؟

لقد ثبت بالدليل القاطع من استقراء التجارب الطويلة للدول النامية ومحاولاتها للخروج من اطار التخلف والانطلاق نحو آفاق التطور والازدهار ان التنمية الاقتصادية الحقيقية لا يمكن أن تتم دون سيطرة حقيقية على الثروات الطبيعية الوطنية ووسائل الانتاج الرئيسية . ان مثل هذه التنمية لا يمكن أن تتحقق في ظل امتيازات اجنبية لا سيما اذا كانت تنصب على ثروة وطنية رئيسية لانها تكون قيودا شديدة على حرية الحركة الاقتصادية وامكانيات الانطلاق الاقتصادي للبلد الذي تعمل فيه. ذلك ان هذه الامتيازات الاجنبية — وعلى رأسها الامتيازات البترولية الاحتكارية — ليست الا أدوات للاستعمار الجديد . فكيف تساهم في التنمية الاقتصادية للبلاد النامية أو تقبل بتطورها الاقتصادي والصناعي مع ان ذلك يتنافى ويتناقض مع طبيعتها وأهدافها المستمدة من طبيعة الاستعمار وأهدافه في المحافظة على التخلف وابقاء الدول المتخلفة والنامية مصدرا للمواد الخام وسوقا للمنتجات المصنعة التي تصدرها البلدان الصناعية المتطورة ؟

وفي اعتقادنا ان عملية ترقيع الامتيازات بتعديل هذا البند المالي أو ذاك لن تجدي ولن تكون الحل الصحيح . ذلك ان نقطة البداية في هذه الامتيازات والظروف التي منحت فيها والفكرة الاساسية التي بنيت عليها تجعلها غير صالحة لان تكون نقطة انطلاق حقيقية لسيادة الدول على نفطها وتسخيره في خدمة تنميتها الاقتصادية طالما أن الرقابة الحقيقية والتوجيه في تلك الامتيازات هما في يد المصالح النفطية الاجنبية . ان المنطلق الحقيقي للتنمية لن يتحقق الا بنقل الرقابة الحقيقية والتوجيه الى البلد المنتج ليقوم بتسخير النفط للتنمية والتطور والتصنيع ضمن اطار خطة اقتصادية وطنية شاملة .

ولا شك ان تلك التعديلات او التحسينات على البنود المالية للامتيازات ستؤدي الى زيادة ايرادات الدولة من النفط . ولكن زيادة واردات صناعة النفط اذا بقيت هذه الصناعة تحت سيطرة شركات أجنبية سيكون من شأنها خلق خطر كبير على الدولة المنتجة التي يكون النفط مصدرا رئيسيا للدخل فيها . هذا الخطر هو خطر الاعتماد المخيف على مصدر واحد للدخل — يتمثل في تصدير النفط الخام — يسيطر عليه عنصر أجنبي غريب بحيث يبقى الاقتصاد الوطني ومشاريع التنمية والتطوير الوطنية تحت رحمة الغريب ويكون الاستقلال الاقتصادي وهما ، كما ان أي تطور سليم للاقتصاد لن يتحقق اذ سيبقى هذا الاقتصاد هشا غير قائم على أسس متينة ويتأثر من أية هزة أو ضغوط خارجية .

لقد أثبتت تجارب كثير من البلدان المنتجة للنفط ان زيادة الواردات من الامتيازات النفطية ، حتى لو رافقها قيام الدولة بتطبيق برامج للتنمية تعتمد في تمويلها على ما تقدمه هذه الامتيازات من دخل لم تحقق التنمية الاقتصادية المرجوة لانه لم يكن ممكنا في ظل الامتيازات الاجنبية دمج صناعة النفط في الاقتصاد الوطني وهو الشرط الذي لا غنى عنه لتحقيق التنمية الاقتصادية الحقيقية انطلاقا من موارد النفط .

ان التنمية الاقتصادية الجذرية لن تتوفر للبلدان النامية المنتجة للنفط الا بسيطرة الدولة حقيقة على ثرواتها النفطية واستثمارها ضمن اطار خطة شاملة للتنمية وبدمج القطاع

النفطي في اقتصاديات البلد المنتج وازالة الموانع التي تحول بينه وبين التأثير في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية . وبذا يمكن للصناعة النفطية أن تصبح بمثابة المحرك للاقتصاد الوطني عن طريق خلق الصناعات المتفرعة عن انتاج النفط والغاز وكذلك الصناعات وشركات الخدمات التي تقدم لصناعة النفط ما تحتاج اليه من أدوات ومعدات وخدمات . وبذا تنشأ نهضة صناعية عامة مرتبطة بصناعة النفط تؤدي بدورها وبتفاعلها مع القطاعات الاخرى الى خلق عدد من الصناعات والنشاطات الأخرى وبث الحياة والحركة في جسم الاقتصاد الوطني . وستؤدي مثل هذه النهضة الاقتصادية الشاملة المتوازنة الى زيادة كبيرة في الدخل القومي وتقلل من الاعتماد الخطير على مصدر واحد للدخل هو تصدير النفط الخام .

وان عملية المشاركة التي تسعى اليها في هذه الايام بعض البلدان العربية المنتجة في الخليج والتي أبرم بشأنها اتفاق عام في شهر اكتوبر الماضي تقرر بموجبه ان تحصل هذه البلدان على حصة من رأسمال الشركات النفطية العاملة تبدأ بنسبة ٢٥ ٪ عام ١٩٧٣ ثم ترتفع بالتدريج لتصل الى ٥١ ٪ عام ١٩٨٢ ــ هذه المشاركة لم تعد كافية الآن لانه ليس من شأنها أن تحقق لنا في الوقت الحاضر السيادة والسيطرة الحقيقية والرقابة الفعالة على استثمار ثرواتنا النفطية وامكانية استخدامها أداة مجدية للتنمية الاقتصادية. ذلك ان هذه المشاركة اذا تحققت الآن بهذه النسبة الضئيلة (٢٥ ٪) فان الشركات الاجنبية ستبقى هي سيدة الموقف وهي المسيطرة الحقيقية على استثمار ثرواتنا واتخاذ القرارات الرئيسية بشأنها ويبقى الشريك العربي ، بحكم ضآلة نسبة مشاركته ، بمثابة الشريك المتفرج وبذا يبقى الوضع السيىء الحالي الذي نشكو منه ونريد تغييره . وحتى عندما ترتفع نسبة المشاركة بعد سنوات طويلة الى ٥١ ٪ فان دور المنفذ للعمليات البترولية سيبقى ، بموجب الشروط المتفق عليها ، في يد الشركات الاجنبية فتبقى هي المسيطرة الحقيقية على النشاط النفطي . ان فكرة المشاركة هذه ، بنسبها المذكورة ، كان من الممكن اعتبارها مطلبا معقولا في بداية الخمسينات بحيث كان من الممكن لها ان تكون نقطة انطلاق نحو ازدياد نسبة المشاركة بالتدريج فتكون الآن قد وصلت الى مشاركة في أغلبية رأسمال الشركات بل الى السيطرة الحقيقية عليها . أما السعي وراء ذلك الآن والانتظار حتى عام ١٩٨٢ للحصول على نسبة ٥١ ٪ بشروط لا تؤمن لنا السيطرة الحقيقية ــ فقد جاء متأخرا كثيرا عن أوانه. انه يمثل على الاكثر خطوة معقولة على طريق تطوير بطيء للامتيازات النفطية الاجنبية بينما الشيء الذي تحتاج اليه الامة العربية الآن هو التطور الجذري السريع ، هو الثورة على الاوضاع الحالية غير المقبولة. وان أقل نسبة للمشاركة يمكن أن تكون مقبولة كنقطة بداية هي نسبة ٥١ ٪ ، بالشروط التي سبق أن بيناها وأهمها تخصيص دور منفذ العمليات للجانب الوطني ، بحيث يكون للجانب العربي الدور الفعلي في الانتاج والتوجيه الحقيقي للاستثمار الى أن تتحقق لنا السيطرة الكاملة . اننا في سباق مع الزمن ضد التخلف الاقتصادي والاجتماعي وثرواتنا النفطية هي ثروات تنفد ولا تعود وكل سنة تمر وثرواتنا تحت السيطرة الاجنبية ولم تتحقق لنا السيطرة الحقيقية على استثمارها وتكريسها بأقصى درجة من الفعالية لخدمة التنمية الاقتصادية ــ كل سنة تمر ونحن في هذه الظروف انما هي سنة ضائعة من حياة هذه الامة ومن مسيرتها نحو التنمية والازدهار واللحاق بركب التقدم وهي اهمال جسيم في حق شعوبنا .

وهكذا يتضح ان اعتبارات التنمية الاقتصادية الشاملة والسريعة للعالم العربي وتحقيق الاستقلال الاقتصادي الحقيقي وضرورات المعركة الاقتصادية التي نخوضها ضد التخلف تحتم علينا اللجوء الى تأميم ثرواتنا النفطية .

الاعتبارات الاساسية المتقدمة تكفي لوحدها الى دفع الامة العربية الى التأميم ، حتى

لو لم نكن أمام معركة مصيرية ، سياسية وعسكرية ، ضد الصهيونية والامبريالية ، لانه يمثل ردنا على تحدي الفقر والتخلف الاقتصادي وانتفاضتنا لازالة الاستغلال الاجنبي البشع وتأمين الاستقلال الاقتصادي والرفاهية الاجتماعية لشعوبنا والانطلاق على الطريق الصحيح نحو تحقيق الوحدة الاقتصادية والسياسية لامتنا . ولكننا في هذه الايام نواجه معركة مصيرية ضد الامبريالية والصهيونية ولذا فانه بالاضافة الى الاعتبارات المتقدمة ، جدت اعتبارات أخرى ملحة نابعة من قلب المعركة ومقتضياتها ومن ضرورة تسخير كافة الطاقات العربية واستخدام جميع الاسلحة والموارد المتوفرة لدينا لكسب المعركة مهما كان الثمن وتسديد ضربة قوية حاسمة لصالح الاعداء في بلادنا ، وعلى رأسها المصالح النفطية التي تمثل قيمة اقتصادية ومالية واستراتيجية هامة للغرب .

واذا كان تأميمنا لثرواتنا النفطية هو اجراء محتم ، ان آجلا أو عاجلا ، فلماذا لا نقوم به الآن وفي أسرع وقت ممكن ليكون الرد الحاسم السريع على الامبريالية والصهيونية ؟ أليس من العجيب ومن الضعف الشائن الذي ليس له حدود أن نرى الولايات المتحدة تتكالب على عدائنا السافر بقسوة متزايدة وشراسة غريبة ثم نترك مصالحها البترولية ترتع في بلادنا آمنة مطمئنة وتجني الارباح الطائلة وتحقق لبلدانها المزايا الاستراتيجية الهامة التي تمثلها لها سيطرتها على هذه الثروات الضخمة؟ ومما يزيد في مرارة السخرية أن أشد البلدان عداوة لنا هي أكبرها مصالح في نفطنا . ومما لا شك فيه ان احد الاسباب الرئيسية التي جعلت أمريكا لا تحرص حتى على قدر ضئيل من الاعتدال في سياستها ضدنا انها لم تشعر حتى الآن ان مصالحها الرئيسية في المنطقة مهددة بشكل جدي . ولذا فان أبسط اعتبارات الكرامة تفرض علينا ان ننتقل الان من مجرد التهديد الذي لم يعد يصدقه أحد الى تنفيذ هذا التهديد وتجريد الشركات النفطية من امتيازاتها لا سيما وان وجود هذه الشركات في بلادنا لم يعد له مبرر ولم يعد ضروريا لاستثمار ثرواتنا ، كما سنبين فيما بعد .

ثم أننا أمام معركة تفرض الظروف بأن تكون معركة شاملة ضد الصهيونية والامبريالية ولا بد لها بحكم طبيعتها أن تكون طويلة . فكيف نستطيع أن نشن هذه المعركة الشاملة الطويلة وبين ظهرانينا هذه الجيوب المعادية التي تسيطر على اقتصادنا ودخلنا الرئيسي وخططنا الانمائية والتي هي مستعدة لان تطعننا من الخلف عند أول فرصة حفاظا على مصالح بلدانها الاستعمارية وان تشيع الاضطراب في اقتصادنا وخططنا الانمائية. ويكفي أن نورد نموذجا لما يمكن أن تقدم عليه هذه الشركات في هذا الصدد ما قامت به شركة نفط العراق (آي. بي. سي) في مواجهة الحكومة العراقية قبل صدور قرار تأميمها في أول يونيو (حزيران) ١٩٧٢ . اذ من المعروف ان هذه الشركة عمدت فجأة في ربيع عام ١٩٧٢ ، ومن أجل الضغط على الحكومة العراقية — عمدت الى تخفيض انتاجها بنسب كبيرة وصلت الى حوالي نصف انتاجها السابق مما ترتب عليه نقص دخل الحكومة العراقية بهذه النسبة ومما كان سيؤدي الى بث الاضطراب في جسم الاقتصاد الوطني العراقي وفي تنفيذ المشاريع الانمائية العراقية . ان من الواضح اذن اننا لا يمكن ان نخوض معركة شاملة طويلة الا بعد أن نكون قد أمنا السيطرة والرقابة الحقيقية على هذه الثروة الوطنية الرئيسية ووضعناها تحت أيد وطنية تعمل للصالح العربي فحسب .

ونود أن نبين هنا بأن من السذاجة القول ، كما يدعي البعض، بأن هذه الشركات النفطية ليست سوى شركات تجارية وانه لا دخل أو ارتباط لها بالسياسة الامريكية الرسمية . فالحقيقة ان هذه الشركات ليست سوى أدوات للاستعمار الجديد وهي تنسق مواقفها مع السياسة الامريكية المستوحاة من المصالح العليا للولايات المتحدة وتخدم أغراض هذه السياسة . ولقد سبق أن أشرنا الى تصريحات بعض المسؤولين الامريكيين التي تكشف صراحة عن ذلك (مثل تصريح Rubottom الذي كان مساعدا لوزير الخارجية الامريكي

لشؤون العلاقات بين الدول الامريكية ، والذي ذكر فيه بأن أية سياسة من طرف بلد منتج مخالفة لمصالح شركة بترولية امريكية هي أوتوماتيكيا مخالفة لمصلحة الولايات المتحدة او مخالفة للمصلحة الوطنية) . ولقد كانت هذه الشركات في الماضي تحاول ، ذرا للرماد في العيون، أن تصدر بعض التصريحات التي تنتقد فيها السياسة الامريكية المعادية للعرب وتدعو الى مواقف أكثر اعتدالا من القضايا العربية . ولكنها بعد عدوان ١٩٦٧ لم تعد حتى تتمسك بهذا القناع ولم نسمع عن أية شركة انها اتخذت موقفا واحدا مواليا للعرب ومنتقدا للسياسة الامريكية . وهذا شيء مفهوم ، فبالاضافة الى كون هذه الشركات جزءا لا يتجزأ من النظام الرأسمالي الامبريالي فانها شعرت برضى كبير بعد عدوان ١٩٦٧ واحتلال الاراضي العربية من قبل اسرائيل لان معنى ذلك بالنسبة لها ان يركز العالم العربي قواه على دحر العدوان واستعادة أراضيه وبذلك ينصرف عن كفاحه لاسترجاع ثرواته النفطية وتأمين حقوقه المشروعة عليها وتستمر الشركات في جني أرباحها آمنة مطمئنة . بل ان من الحقائق المعروفة ان الشركات النفطية حققت في الفترة التالية للعدوان معدلات أرباح تزيد عن معدلاتها قبل العدوان نتيجة استغلالها للاضطراب الذي حدث في عمليات نقل النفط والارتفاع الكبير في أجور الشحن بالناقلات التي تسيطر شركات النفط نفسها على الجزء الاكبر منها سواء عن طريق ملكيتها الخالصة لها أو عن طريق استئجارها لآجال طويلة (عشر سنين ، عشرين سنة .. الخ) . وقد ذكرت مجلة بتروليوم انتليجنس ويكلي الناطقة بلسان شركات النفط أن أرباح هذه الشركات قد ازدادت ١٠ ٪ في عام ١٩٦٨ بالنسبة لعام ١٩٦٧ . وخلال الشهور الستة الاولى من عام ١٩٦٩ كانت أرباح الشركات النفطية تزيد ١٥ ٪ عما حققته خلال الفترة نفسها من عام ١٩٦٨ . وينسب المراقبون ذلك الى آثار العدوان الاسرائيلي ضد البلاد العربية لا سيما اقفال قناة السويس وارتفاع أجور الشحن .

ثم ان من المعروف ان الشركات البترولية مرتبطة بكثير من الروابط المالية مع الرأسمال الصهيوني العالمي . فمن الحقائق المعروفة مثلا ان عائلة روتشيلد الصهيونية تملك جزءا كبيرا من أسهم شركة شل وقد تبرعت هذه العائلة ببضعة ملايين من الدولارات للمجهود الحربي الاسرائيلي . كما تملك هذه العائلة أسهما في شركة البترول الفرنسية وكذلك في شركة جلف (Gulf) أويل(١). كما ان من المعروف ان عائلة روكفلر هي من أغنى العائلات الامريكية التي تسيطر على شركات نفطية كبرى تعمل في مختلف البلاد العربية، وهي شركة ستاندارد نيوجرسي ، وستاندارد كاليفورنيا ، وموبيل أويل ، ويشغل دافيد روكفلر شخصيا منصب رئيس بنك « تشيز مانهاتن » التابع لآل روكفلر والذي له مصالح كبرى في البلدان العربية . هذا البنك يتولى توزيع سندات القرض الاسرائيلية في الولايات المتحدة وقد اشترت الشركات البترولية التابعة لآل روكفلر وشركات كثيرة غيرها الكثير من هذه السندات . ولذا فان من المؤكد ان جزءا من الارباح المتحققة من استغلال النفط العربي يوجه على هذا النحو الى اسرائيل من أجل دعم سياستها العدوانية .

وبالاضافة الى العوامل والاعتبارات والمبررات المتقدمة التي تحفز على التأميم فان هنالك عوامل واعتبارات يصح أن نطلق عليها اعتبارات نفسية أو بسيكولوجية : ان تأميم النفط العربي لو تحقق فانه لا يمثل مجرد زيادة مئات الملايين من الدولارات سنويا في دخلنا ، مع انها ليست بالشيء القليل ، ولكنه سيمثل نوعا من الثورة على أنفسنا ، على أسلوبنا الاتكالي في التفكير والتصرف والاعتماد على الغير في استثمار ثرواتنا وعلى قبولنا لهذا الامر الواقع السيىء وهذا الاستعمار الاقتصادي الذي تمثله الامتيازات النفطية . انه سيمثل تغييرا جذريا في العقلية العربية وبداية خوض كفاح ايجابي نشيط لتحقيق مستقبل أفضل . ان العالم العربي يعيش في هذه الايام تحت وقع الهزائم المتواصلة التي ثبطت العزائم واضعفت المعنويات وهو بحاجة الى شحنة قوية من التفاؤل تأتيه هذه المرة من

انتصار يرفع من معنوياته ويعيد له قدرا كبيرا من الثقة بالنفس ويقضي على مركبات النقص وروح الانهزامية والتشاؤم ويمثل انطلاقته نحو الكفاح والنضال ويدفعه في طريق يؤدي بتدافعاته وحلقاته المتصلة الى النصر الكامل في كافة قضايانا . أوليست استعادة السيطرة العربية على هذه الثروات الوطنية الهامة من أيدي شركات معادية تمثل انتصارا باهرا ونجاحا عظيما ؟ ان استخدام سلاح النفط بهذه الكيفية ، وما لا بد ان يستتبعه التأميم من رد فعل فوري عنيف لدى الشركات المؤممة ودولها ، سيفرض على شعوبنا الكفاح والتضحية والبذل . ان جماهيرنا بحاجة الى أن تتحرك وتتحمل مسؤولياتها وانها بتحملها أعباء التقشف التي قد تفرضها معركة التأميم ستبدأ بالشعور بانها تشارك بشيء من عبء المعركة المصيرية ولا بد ان تستيقظ طاقاتها الكامنة وروح الاقدام والنصر لديها مدفوعة بالشحنة الروحية التي لا بد ان يولدها الانتصار في معركة التأميم . ان التأميم سيكون بمثابة امتحان لنا ، لدولنا وشعوبنا ، من حيث الحزم والجدية وروح التضحية الحقيقية والوحدة من وراء هدف واحد ، والارتفاع الى مستوى المسؤولية ، وسيكون له عندما يتحقق نجاحه تأثير السحر على شعوبنا فتنطلق في معركة شاملة لا بد ان يتحقق لها فيها النصر الكامل . ثم ان الاجراءات الحازمة ، من نوع اجراء التأميم وما يمثله من استردادنا لحقوقنا المشروعة وتوجيه ضربة شديدة لاعدائنا ، لا بد ان تعيد لنا الاحترام في نظر العالم وتفرض عليه ان يتجاوب بالقدر المعقول مع مصالحنا وقضايانا وتزيد من وزننا الدولي ولا بد ان ينعكس كل ذلك على نفسية الفرد العربي فتدفعه الى مزيد من الكفاح الفعال مدفوعا بالحماس الثوري المدعوم بالوعي السليم .

امكانية تحقيق التأميم والنجاح فيه :

يتبين من الصفحات المتقدمة ان هنالك مبررات قوية واعتبارات وجيهة تدفع الامة العربية للمبادرة الى تأميم ثروتها النفطية . ولكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو : هل التأميم ممكن ؟ هل تستطيع البلاد العربية المنتجة بوضعها الحالي ان تؤمم نفطها وتنجح في عملية التأميم ، ام يصبح التأميم سلاحا ضدنا ، كما تدعي بعض المصادر الغربية ، فنخسر دخلنا الحالي من النفط ونضطر الى ان « نشرب نفطنا » ؟!

الدوائر الاستعمارية الغربية ، وعلى رأسها الشركات النفطية الاحتكارية وعملاؤها ، تردد باستمرار بان البلدان العربية لا تتوفر لديها الطاقات والامكانيات الفنية والاقتصادية لاستثمار نفطها بنفسها ولتحقيق عملية التأميم بنجاح ، وبان الشركات النفطية الاجنبية ، العاملة الان في البلاد العربية المنتجة ، لا غنى عنها لاستمرار استثمار النفط العربي بشكل منتظم ومربح . وهذا الادعاء مفهوم ودوافعه معروفة اذ الغرض الاساسي منه هو ابقاء سيطرة هذه الاحتكارات على النفط العربي وتشكيكنا في قدرتنا على الفكاك من سيطرتها والتحرر من قبضتها .

ولكن هنالك أصواتا تتشكك ، عن حسن نية وعن جهل بحقائق الامور ، في امكانية قيام الامة العربية بتأميم نفطها في الوقت الحاضر . وهي ترى ان التأميم وان كانت له مبرراته وموجباته ، الا ان الوقت لم يحن له بعد وان الظروف ليست مهيأة للاقدام عليه وباننا يجب ان نستمر في الوقت الحاضر في الاحتفاظ بالشركات النفطية العاملة لدينا مع محاولة ادخال بعض التحسينات على الاتفاقيات التي تربطنا بهذه الشركات بما اننا لا نستطيع الاستغناء عن الدور الذي تقوم به .

فهل تأميم النفط العربي ممكن لنا من النواحي الاقتصادية والفنية والسياسية وغيرها ، وهل الظروف مواتية لنا للاقدام على هذه الخطوة ؟

لعل من المناسب كتمهيد للاجابة على هذه التساؤلات ان نحدد العمليات التي تقوم بها

الشركات النفطية في بلادنا من ضمن المراحل المتشابكة للصناعة النفطية وان نحلل الدور الذي تمارسه الشركات وهي تقوم بتنفيذ هذه العمليات .

وفيما يتعلق اولا بالعمليات التي تباشرها الشركات النفطية في بلادنا ، فان من المعروف ان صناعة النفط تتكون من عدة مراحل متتالية هي : عملية التنقيب عن النفط ، وتطوير الحقول المكتشفة وانتاج النفط الخام وتصديره ، وتكرير النفط ونقله وتسويقه وتوزيعه في أسواق الاستهلاك . والعمليات التي تتم داخل نطاق الوطن العربي وتمارسها الشركات صاحبة الامتيازات هي عمليات التنقيب عن النفط ثم انتاجه وتصدير الجزء الاكبر منه من موانئنا النفطية على شكل نفط خام . وفي بلادنا عدد محدود من معامل التكرير التي تملكها الشركات والتي تكرر جزءا بسيطا من انتاجنا النفطي ، كما ان هنالك خطين رئيسيين من الانابيب ينقلان النفط من شمال العراق ومن حقول السعودية على شواطىء الخليج العربي الى موانىء شرقي البحر الابيض المتوسط في سوريا ولبنان . ومن المعروف انه تم تأميم خط شركة نفط العراق في اجزائه المارة بالعراق وسوريا من طرف كل من الحكومة العراقية والسورية في أول شهر يونيو ١٩٧٢ . اما العمليات الاخرى وهي عمليات نقل النفط في الناقلات وعمليات تكرير الجزء الاكبر من انتاجنا وعمليات تسويقه وتوزيعه في اسواق الاستهلاك الرئيسية فانها تتم خارج حدود الوطن العربي ولا تباشرها ، بصورة عامة ، نفس الشركات الحاصلة على امتيازات من الدول العربية المنتجة وانما شركات اخرى متميزة عنها من الناحية القانونية (وهي قد تكون الشركات الام للشركات العاملة في بلادنا او شركات منتسبة اليها او متفرعة عنها او شركات مستقلة تماما) ، ولذا فان الدول العربية المنتجة لم تستطع ان تفرض عليها ولايتها القانونية او قوانينها الضرائبية او تشارك في ارباحها . فهي شركات اذن ليس لدولنا اي ارتباط قانوني بها . ومن الواضح تماما أن العمليات والمنشآت التي سنؤممها ونسيطر عليها ونملكها ونديرها هي العمليات التي تتم داخل نطاق حدودنا والمنشآت الموجودة فوق أراضينا لان هذه العمليات والمنشآت هي التي نستطيع بحكم سيادتنا الاقليمية ان نباشر عليها حق التأميم اي نقل ملكيتها والسيطرة عليها الى الدولة . هذه العمليات هي : عمليات انتاج النفط الخام وايصاله الى موانئنا البترولية لتصديره ثم عمليات التكرير في بعض معامل التكرير القليلة الموجودة فوق أراضينا ، وعمليات نقل النفط في خط أنابيب شركة نفط العراق (وقد تم تأميمها كما ذكرنا بالنسبة للجزء الاكبر منه الذي يخترق الاراضي العراقية والسورية) وخط أنابيب التابلاين . ولكن هذا لا يعني بالطبع أن عمليات تسويق نفطنا في الخارج ونقله في الناقلات لايصاله الى اسواقه الرئيسية في الخارج مسألة لا تعنينا بل على العكس من ذلك تماما فانها احدى المسائل الرئيسية التي لا بد ان نواجهها وان نوليها القسط الاكبر من عنايتنا كما سنبين .

ولدى تحليل الدور الذي تقوم به الشركات النفطية وهي تمارس العمليات المذكورة يتبين لنا انه ذو ثلاثة جوانب : **جانب فني** ، يتمثل في كون الشركات النفطية تستخدم خبرتها وتجربتها الفنية وخبرائها واجهزتها ومعداتها الفنية للقيام بعمليات التنقيب والتطوير والانتاج على افضل وجه وطبقا لاحدث الاساليب الفنية ، **وجانب مالي** ، يتمثل في استثمار رؤوس الاموال اللازمة للقيام بالعمليات المذكورة ، **وجانب اقتصادي** ، يتمثل في تأمين تسويق النفط المنتج في اسواق استهلاكه الرئيسية في الخارج والتوازن بين العرض والطلب في الاسواق الدولية .

فهل الشركات النفطية لا غنى عنها حقا للقيام بمختلف هذه الجوانب ؟ وهل تعجز البلدان المنتجة عن القيام بذلك ؟

فمن الناحية الفنية : عمليات انتاج النفط في بلادنا عمليات سهلة نسبيا في الوقت الحاضر بعد ان تم اكتشاف كميات كبيرة من احتياطي النفط في معظم بلداننا المنتجة ،

لا سيما وان النفط في الغالبية الساحقة من حقولنا يرتفع ذاتيا من باطن الارض الى السطح وانه تتوفر حاليا كافة مرافق ومنشآت الانتاج الضرورية لتأمين معدل الانتاج الحالي بل وزيادته بنسب معقولة . ولذا فانه يمكن للمهندسين والفنيين العرب القيام بها بالتعاون مع بعض الفنيين الاجانب الذين يفضلون البقاء معنا او الذين يمكن استئجار خدماتهم . ومن المعروف في ميدان صناعة النفط العالمية ان المعرفة البترولية لم تعد مقصورة على الشركات البترولية الكبرى وان هنالك شركات من مختلف الجنسيات ، متخصصة في مختلف جوانب العمليات البترولية وتلجأ اليها نفس الشركات النفطية الكبرى لاستئجار خدماتها فتستأجر الفرق الفنية للمسح الجيوفيزيائي والحفر وعمليات التنقيب وغيرها من العمليات ، ويمكننا نحن كذلك استئجار مثل هذه الشركات المتخصصة بعقود خدمة عادية لا سيما في البداية وفي المرحلة التالية مباشرة للتأميم . على ان من الافضل بعد ذلك ان ننشيء في بلادنا شركات الخدمات النفطية المتخصصة بالتعاون مع بعض الهيئات الفنية الاجنبية ، كلما اقتضى الامر ذلك . كما فعلت الجزائر مثلا التي انشأت أكثر من عشر شركات للخدمات البترولية المتخصصة تشمل كافة جوانب النشاط البترولي وذلك بالمشاركة مع بعض الشركات الاجنبية ولكن على أساس ان يكون للجزائر دائما ٥١٪ من اسهم هذه الشركات . وبعض البلدان العربية المنتجة يتوفر لديها اعداد كبيرة من المهندسين والفنيين ذوي الخبرة الكبيرة في كافة جوانب النشاط البترولي وهم قادرون على تسيير الصناعة النفطية عند تأميمها ربما بالاستعانة بعدد قليل من الفنيين الاجانب الذين يمكن استئجارهم بسهولة والذين ينتمون الى بلدان صديقة او محايدة ، كما يمكن بنفس الطريقة تأمين المعدات وقطع الغيار اللازمة اذ لم تعد المعرفة البترولية والتكنولوجيا والاجهزة البترولية مقصورة على امريكا او بعض البلدان الغربية المعادية لنا .

ولا شك ان البعض الاخر من البلدان العربية المنتجة لا تستطيع في وضعها الحالي القيام بهذا الدور وحدها وبكفاءاتها الوطنية فقط الا أن تعاون الدول العربية مع بعضها ومع اصدقائها في العالم يمكنها بسهولة من تحقيق ذلك . وينبغي من اجل ذلك القيام بعمل جرد الكفاءات البترولية في البلدان العربية وتوزيعها بين البلدان التي تقوم بالتأميم حسب احتياجاتها وتبادل هذه الكفاءات بين مختلف البلدان . ومن الممكن منذ الان تخطيط عملية تدريب واعداد الكفاءات البترولية العربية على مستوى البلدان العربية كلها وذلك على أساس الاحتياجات ولتأمين الاعداد الناقصة في مختلف مجالات النشاط البترولي من اجل الاستغناء ضمن أقصى الحدود الممكنة عن استئجار الخبرات الاجنبية.

ومثل هذا القول ينطبق على عمليات التكرير والنقل بخطوط الانابيب حيث تتوفر لدينا الكفاءات اللازمة من المهندسين والفنيين ومن الممكن اكمالها بعدد قليل من الخبرات الاجنبية المتخصصة . وهنالك عدد من معامل التكرير في بعض البلدان المنتجة يتولى تسييرها بالفعل في الوقت الحاضر فنيون عرب ، وكذلك بعض خطوط الانابيب كما هي الحال في الجزائر مثلا . وعلى كل حال فان الخبرات الفنية متوفرة للاستئجار في السوق العالمية .

ومن الناحية المالية ، فيما يتعلق بالاستثمارات ورؤوس الاموال اللازمة للعمليات النفطية : فانه اذا كان صحيحا ان الصناعة النفطية تحتاج الى رؤوس أموال كبيرة واستثمارات ضخمة لا سيما في المراحل الاولى وهي عمليات التنقيب عن البترول ، بما تحمله من مخاطر ، وعمليات تطوير الحقول المكتشفة واعدادها للانتاج مع كافة المرافق والمنشآت اللازمة للانتاج والتصدير ، فاننا يجب ان لا ننسى بهذا الصدد ان نسبة الارباح على الاموال المستثمرة في صناعة النفط العالمية ، ولا سيما في الشرق الاوسط وشمال افريقيا ، حيث غزارة الانتاج وانخفاض التكاليف ، تعد من أعلى نسب الارباح

في اية صناعة اخرى ان لم تكن اعلاها جميعا . ونظرا لذلك فان من المعروف ان شركات النفط العاملة في بلادنا قد غطت بعد سنوات قليلة من بدء انتاجها جميع رؤوس الاموال الموظفة فيها ، ومن المؤكد ان بعض الشركات النفطية الكبرى في بلادنا قد غطت حتى الان رؤوس اموالها المستثمرة عدة مرات . وذلك يعني ان صناعة النفط هي من الصناعات التي تغذي نفسها بنفسها دون حاجة لرؤوس اموال خارجية جديدة . ومعدلات الارباح المرتفعة بشكل خارق للعادة التي حققتها الشركات النفطية العاملة في بلادنا اصبحت امرا معروفا وان كانت الاراء تختلف فقط في مدى هذا الارتفاع غير العادي . وحتى لو اخذنا هنا بالمعدلات التي اوردتها بعض المصادر الامريكية المقربة من الشركات او التي لا يمكن ان تتهم بمحاباة العرب او البلاد المنتجة لتبين لنا انها تفوق بكثير نسب الارباح المعتادة في اية صناعة اخرى . ويكفي كنموذج لذلك ان نذكر بأن احد المكاتب الاستشارية الامريكية (وهي مؤسسة آرثردي ليتل) قد بينت في تقرير لها اصبح مشهورا وكانت قد قدمته الى منظمة البلدان المصدرة للبترول (منظمة اوبيك) بأن معدل النسبة المئوية للارباح التي حققتها الشركات في مرحلة الانتاج على رأس المال الموظف بين عامي ١٩٥٦ الى ١٩٦٠ كان ، ٦٢٪ في العراق ، ١١٤٪ في قطر ، ٦١٪ في المملكة العربية السعودية (بينما كانت هذه النسبة في فنزويلا مثلا ٢٠ ٪ وفي صناعة النفط في اوروبا الغربية ٧،٢٪) . كما ان مجلة اويل آند غاز جورنال ، الامريكية المقربة من الشركات البترولية والمدافعة عن مصالحها ، قد اوردت في عددها المؤرخ في ٣ نوفمبر ١٩٦٩ جدولا يبين الارباح الصافية الناتجة عن الاموال الموظفة في صناعة النفط في البلاد المختلفة عام ١٩٦٨ فذكرت بان معدل الارباح الصافية كان ٦٤،٥٪ في الشرق الاوسط بينما كان هذا المعدل في امريكا اللاتينية ١٥،٢٪ وفي الشرق الاقصى ٦،٥٪ وفي كندا ٣،٩٪ .

ومن ناحية اخرى ، فان من المعروف ان عملية البحث والتنقيب عن البترول هي العملية التي تكتنفها المخاطر وتحتاج الى رؤوس اموال كبيرة ، ولكننا نعرف انه تم في بلادنا اكتشاف كميات ضخمة من الاحتياطي البترولي مما نستطيع معه ان نتوقف بضع سنوات عن القيام بالصرف على عمليات تنقيب جديدة حتى تتوفر لدينا رؤوس اموال فائضة لاجراء عمليات تنقيب جديدة . ولذا فان الاستثمارات ورؤوس الاموال التي ستلزمنا بعد التأميم مباشرة ستكون من اجل تسيير وادارة المرافق والمنشآت البترولية المؤممة ، وهي مرافق الانتاج وشبكات التجميع وخطوط الانابيب بين الحقل وميناء التصدير ومرافق الشحن والتحميل ، وهذه كلها مرافق ومنشآت موجودة اقامتها الشركات ونفقات تشغيلها محدودة ولن يلزمنا في الفترة التالية للتأميم انشاء اي من مثل هذه المرافق اذ هي تكفي لزيادة الانتاج زيادة معقولة لعدة سنوات بدون الحاجة الى توظيف اموال جديدة . ومما لا شك فيه انه سيلزمنا فيما بعد القيام بعمليات استكشاف جديدة لتعويض الاحتياطي المستنفد واقامة مرافق انتاج جديدة لتلبية التوسع في الانتاج ولكن ذلك لن يكون محتما في الحال او في المدى القصير وانما سيكون في المدى الطويل وبعد اجتياز المرحلة الحرجة على الاقل ، ويمكن تأمين الاموال اللازمة لذلك حينذاك من الارباح المتأتية من بيع النفط .

ويجب ان لا ننسى بالاضافة الى ما تقدم ، ان لدى معظم البلدان العربية المنتجة ارصدة مالية كبيرة مودعة في مصارف اجنبية ، ولذا فان من الممكن والواجب كذلك ان نوجه هذه الارصدة لتلبية حاجات الاستثمار في الصناعة النفطية المؤممة فنحقق ، بالاضافة الى تلبية اعتبارات الواجب الوطني ، معدلات من الارباح تتمشى مع المعدلات التي تحققها الشركات الاجنبية والتي اوردنا فيما سبق نماذج منها ، تفوق بكثير نسبة الفوائد المتواضعة التي نحصل عليها في الوقت الحاضر .

لكل ذلك فان تأمين رؤوس الاموال والاستثمارات اللازمة لصناعة النفط العربية لـو أمناها وتخلصنا من شركات النفط الاجنبية ليست مشكلة او عائقا على الاطلاق ويمكن بكل سهولة الاستمرار في تأمين هذه الاستثمارات وما تحتاج اليه الصناعة المؤممة من توظيفات جديدة .

اما من الناحية الاقتصادية ، وفيما يتعلق بصورة خـاصة بتسويق نفطنـا في الاسواق الرئيسية الاستهلاكية ، فمما لا شك فيه ان هذه المشكلة تبدو لاول وهلة اكثر تعقيدا من غيرها من المشاكل التي يمكن ان تواجهنا عند تأميم النفط العربي . وذلك بالنظر الى ان شركات الكارتيـل العالمي للبترول تسيطر على اغلـب أسواق النفط في العالم غـير الاشتراكي ولذا فلربما حاولت هذه الشركات عند تأميمها مقاطعة النفط العربي وغلق الاسواق التي تسيطر عليها في وجهنا .

فهل هنالك بالفعل مشكلة حقيقية لا يمكن التغلب عليها ستواجهنا بهذا الصدد في حـالة تأميم نفطنا ؟

لنحاول ان ندرس هذه المشكلة بهدوء وموضوعية ، ولو بايجاز ، في ضوء تحليل رصين لمعطيات السوق العالمية للبترول ومدى اهمية البترول العربي في هذه السوق العالمية . ان صادرات النفط العربي من جميع اقطاره المنتجة قد تجـاوزت ، حسب معدل عـام ١٩٧١ ، (١٥) مليون برميل يوميا وقد وصل معدلها في الاشهر الستة الاولى من عـام ١٩٧٢ : (١٦) مليون برميل يوميا ، وهي تتزايد باستمرار ومن المقدر ان تتضاعف في بداية الثمانينات فتصل الى (٣٠) مليون برميل يوميا . وان من المؤكد ، ومن الحقائق التي لا يمكن ان يتطرق اليها اي شك ان البلدان العربية المنتجة للنفط لو قامت كلهـا بتأميم النفط لاضطرت البلدان المستهلكة الى شراء نفطنا المؤمم ، بعد نفاد كميات المخزون لديها منه والذي لا يزيد عن مقدار احتياجاتها لثلاثة الى ستة اشهر على الاكثر ، نظرا لان اغلب هذه البلدان لا سيما اكبر البلدان المستهلكة لنفطنـا (بلدان اوروبا الغربيـة واليابان) ، لا تملك اي احتياطي من النفط او ان ما تملكـه لا يكفي لسد احتياجاتهـا المحلية ، وليست هنالك أية مصادر اخرى لتصدير النفط في العالم تكفي للحلول محـل صادرات النفط العربي بكمياتها الهائلة التي ذكرناها ، فالولايات المتحدة الامريكية ، أكبر بلد منتج للنفط في العالم قد اصبحت بلدا مستوردا وهي لن تستطيع بكل تأكيـد تزويد البلدان المستهلكة الكبرى لبترولنا — وهي حليفاتهـا الغربية — باحتياجاتها الضخمة والحلول محل صادرات نفطنا . وتصريحات بعض المسؤولين الامريكيين في المدة الاخيرة بينت صراحة بانه لو حدث توقف في تدفق نفط الشرق الاوسط لاوروبا الغربية فـان الولايات المتحدة لن تستطيع ان تمدها بالنفط اللازم (وكنموذج على ذلك تصريحات جون ايروين ، نائب وزير الخارجية الامريكي ، في شهر مايو ١٩٧٢ ، امام المجلس الوزاري السنوي لمنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية OECD والتي سبق ان اشرنا اليهـا ، حيث كرر الحقيقة المعروفة من ان الولايات المتحدة قـد اصبحت منذ الخمسينات بلدا مستوردا للنفط . واضاف بان وارداتها من النفط ستصل حوالي عام ١٩٨٠ الى حوالي ١٢ مليون برميل يوميا اي ما يعادل نصف احتياجاتها تقريبا ، والقسم الاكبر مـن هذه الواردات كما صرح ايروين لا يمكن ان يأتي الا من الشرق الاوسط ، ولذا فان اقتصادها سيتعرض للخطر لو توقفت هـذه الواردات ، حسب كـلام ايروين . فكيف بها تصدر كميات كبيرة للخارج ؟) . ان أكثر ما يمكن توقعه هو أن تبـادر الولايات المتحدة لنجدة اوروبا الغربية في حالة طوارىء ولفترة محدودة وقصيرة لتلافي آثـار الانقطاع العام والمفاجيء ، ولكن امريكا لا تستطيع أن تصدر كميات كبيرة ولفترة طويلة . وقد رأينا كيف انها هي نفسها قد أصبحت بلدا مستوردا وبكميات كبيرة متزايدة . ويجب ان لا ننسى هنا بان النفط الامريكي مرتفع السعر جدا بالنسبة للنفط العربي ، والبلدان المستهلكة

لن تقبل في المدى المتوسط والطويل الاستمرار في استيراده ، حتى لو كان ذلك ممكنا ، بدل النفط العربي الرخيص نسبيا حتى بعد زيادة اسعاره وستضغط على الشركات للعودة لتزويدها بالنفط العربي او تجري اتصالات مباشرة مع بلداننا المنتجة لتأمين اختياجاتها النفطية .

وفنزويلا اكبر بلد مصدر للنفط خارج الشرق الاوسط (فقد بلغ معدل انتاجها عام ١٩٧١ حوالي ٣،٥ مليون برميل يوميا يذهب معظمه لامريكا الشمالية) لن تستطيع بأي حال ان تزيد من انتاجها ليحل محل صادرات النفط العربي . وقد لوحظ ان فنزويلا أيام عدوان يونيو ١٩٦٧ لم تزد انتاجها باكثر من ١٠٪ عن معدله السابق ومثل هذه الزيادة لا تكفي لتعويض جزء بسيط جدا من النفط العربي لا سيما في المدى الطويل . وفنزويلا حتى لو ارادت زيادة انتاجها فلن تستطيع باكثر من نسبة محدودة حتى لا تضر بحقولها عن طريق ارهاقها وتسبيب الضعف في المكامن مما يحملها خسارة كبيرة في المدى الطويل . وفنزويلا مطلعة على هذه المسائل ولديها من مدة طويلة نظام للمحافظة على الحقول وصيانتها وهي لن تفرط في احتياطيها المحدود من النفط مقابل مكاسب آنية .

وكذلك **ايران** ، اكبر بلد غير عربي مصدر للنفط في الشرق الاوسط (وقد بلغ معدل صادراتها عام ١٩٧١ حوالي ٤،٥ مليون برميل يوميا) لن تستطيع ، حتى لو أرادت ، أن تزيد انتاجها بما يعادل الانتاج العربي أو جزءا كبيرا منه فهذا شيء مستحيل فنيا واقتصاديا ، والنسبة المحدودة التي يمكنها أن تزيد بها انتاجها (والتي لا يمكن مثلا ان تتجاوز عشرين بالمائة على الاكثر سنويا) لن تستطيع ان تغطي الا جزءا بسيطا من احتياجات البلدان المستهلكة التي كانت تستورد النفط العربي .

وينطبق هذا القول بالطبع على البلدان المنتجة الاخرى الاقل أهمية من البلدان المذكورة أعلاه وكذلك بالنسبة للمصادر الجديدة للانتاج مثل بحر الشمال والاسكا التي احيطت بكثير من الدعاية المبالغة للضغط نفسيا على منتجي النفط العربي : فاحتياطي بحر الشمال من النفط مثلا ، حسب ما ذكره السيد دافيد بران ، رئيس شركة شل(٢) لا يزيد عن ٣ بلايين برميل مقابل ٣٤٠ بليون برميل في الشرق الاوسط ، وهذا لن يمكن حقول بحر الشمال من أن تنتج بعد سنوات ، حين يتم تطوير الحقول ، ما يزيد مثلا عن مليوني برميل يوميا أي ما يكفي لان يسد جزءا بسيطا من احتياجات أوروبا في ذلك الوقت مع العلم بأن تكلفة البحث عن النفط في بحر الشمال تزيد بنسبة ٣ الى ٦ مرات عن كلفة التنقيب في منطقة الشرق الاوسط (من تصريح باران ، السابق) . أما حقول الاسكا فليس لديها في الوقت الحاضر انتاج يذكر ولكن هذا الانتاج ، حتى عندما يتم تطوير الحقول لن يزيد في عام ١٩٨٠ عن ٣ ملايين برميل يوميا (من تصريح جون ايروين ، الذي سبقت الاشارة اليه) ، وذلك عندما تكون احتياجات البلدان المستهلكة الكبرى في أوروبا الغربية واليابان قد تضاعفت عن رقمها الحالي وتكون واردات أمريكا قد بلغت حوالي نصف احتياجاتها حينذاك (أي ما لا يقل عن ١٢ مليون برميل يوميا) .

ويتبين من ذلك ان البلدان المنتجة الاخرى (غير العربية) كلها مجتمعة لا تسد عن انتاج النفط العربي الذي بلغ معدله في النصف الاول من عام ١٩٧٢ حوالي ١٦ مليون برميل يوميا ويتزايد كل سنة ومن المقدر ان يبلغ ٣٠ مليون برميل يوميا في الثمانينات .

كل ما تقدم يثبت بكل تأكيد ان البلدان المستهلكة الكبرى لنفطنا لا يمكن ان تستغني عنه في حال تأميمه وهي مضطرة لان تعود لاستيراده لانه ليس لها بديل عن ذلك . بل ان من المؤكد ان الشركات النفطية المؤممة نفسها ستحاول بعد حين أن تعرض خدماتها على حكومات البلدان المنتجة بعد التأميم لانها مضطرة لشراء النفط لعملياتها في البلدان الاخرى وكذلك لتشغيل ناقلاتها ومعامل تكريرها . ومن الملاحظ بهذا الصدد ان احتياجات هذه

الشركات لنفطنا ليست متماثلة بالنسبة لجميع الشركات وذلك تبعا لما تملكه كل منها من مصادر بديلة في مناطق انتاج أخرى . ووضع الشركات بالنسبة للسيطرة على مصادر بديلة ليس متماثلا بل انه متباين بشكل كبير ، ولذا فان من المؤكد ان هذه الشركات لن تستطيع مواصلة اتحادها في مقاطعة النفط العربي مدة طويلة . ومن هنا يمكننا استغلال الحاجة الماسة لبعض الشركات لنفطنا أكثر من غيرها لتفريق صفوفها والعمل على أن ترضخ لشروطنا وعودة الشركات الاكبر حاجة لنفطنا الى شراء هذا النفط ويكون ذلك بمثابة بداية النهاية لجبهة الشركات ، كما حدث مثلا في المكسيك بعد تأميم نفطها عام ١٩٣٨ اذ استطاعت حكومة المكسيك أن تغري بعض الشركات المؤممة بتعويض مجز فوافقت على ابرام اتفاق منفصل مع المكسيك ، رغم معارضة الشركات الاخرى ، وكانت تلك هي بداية تفكك جبهة الشركات ضد المكسيك فجاءت الواحدة بعد الاخرى الى الحكومة المكسيكية لابرام اتفاق تسوي به خلافها على اثر تأميم مصالحها هناك .

وعلينا أن نستبعد من أذهاننا نهائيا امكانية استغناء الشركات عن النفط العربي المؤمم بشكل نهائي واستبداله بغيره كما فعلت مثلا شركة البترول البريطانية بالنسبة للنفط الايراني عندما تم تأميمه عام ١٩٥١ على يد الدكتور مصدق فتلك كانت حالة خاصة لها ظروفها الخاصة : فالبترول الايراني كانت تملكه شركة واحدة هي شركة البترول البريطانية وهذه الشركة كانت تسيطر على احتياطي ضخم في العراق والكويت ونظرا للكمية المحدودة للانتاج الايراني (الذي كان حينذاك حوالي ١٫٥ مليون برميل يوميا) ولان الشركة البريطانية كانت لها الحرية التامة في التصرف في امتيازاتها في العراق والكويت بزيادة انتاجها كما تشاء وعدم وجود حكومات حرة في البلدين حينذاك تتدخل وتفرض آراءها — استطاعت الشركة البريطانية بعد فترة وجيزة ان تتخلص من المشكلة بأن زادت انتاجها في العراق والكويت بما عوضها عن النفط الايراني المؤمم . الظروف الآن قد تغيرت كلية ، وأهمية النفط العربي لا تجعل من الممكن استبداله بأي مصادر أخرى حتى لو وافقت البلدان المنتجة الاخرى على ذلك ، كما سبق ان بينا .

ان من المعروف ان استهلاك النفط في العالم يتزايد باضطراد وان المشكلة التي ستواجه العالم في مستقبل قريب ليست مشكلة تصريف النفط وانما هي مشكلة العثور على نفط كاف لسد احتياجات الاستهلاك في العالم . وكنموذج لتصريحات الرسميين الغربيين التي تؤكد ذلك نشير الى تصريح جون ايروين ، الذي سبقت الاشارة اليه ، والذي يذكر فيه بأن البلدان الغربية تواجه مخاطر مؤداها ان تجد نفسها ، قبل عام ١٩٨٠ ، أمام عجز كبير في النفط قد يكون له آثار قاسية في المجال الاقتصادي ، وان الولايات المتحدة تدرس هذه المسألة بقلق متزايد نظرا لقوله بأن « استهلاك العالم غير الشيوعي من النفط سيتضاعف خلال السنوات العشر القادمة وان الجزء الاكبر من هذا الاستهلاك لن يأتي الا من مصدر واحد هو: الشرق الاوسط» . ومن ذلك ما ذكرته نشرة الصناعة البترولية Bulletin de Industrie Petrolière ، عدد أول مارس ١٩٧٢ من أن « البلدان المنتجة للنفط أمام طلب قوي على النفط ولو انه يتضاعف الآن كل عشر سنوات بدلا من كل ست سنوات ، فهو يمثل كمية ضخمة نحن في أمس الحاجة اليها » . وما ذكره نائب رئيس شركة موبيل ، ج. د. مودي ، من انه لمواجهة الطلب المتزايد فانه ينبغي اضافة ٢٥٠ الى ٤٥٠ مليار برميل الى الاحتياطي الثابت في الوقت الحاضر وذلك ما بين الآن وعام ١٩٩٠(٢). وكذلك الدراسات الكثيرة للخبراء البتروليين الغربيين الذين أكدوا **ان تجارة النفط العالمية قد تحولت من سوق الشاري الى سوق البائع** بمعنى انه نتيجة لازدياد الطلب على النفط فان البائع وهو البلدان المنتجة هو الذي يتحكم في السوق (أنظر بهذا المعنى مجلة بتروليوم برس سرفيس ، عدد كانون الثاني ١٩٧١ ، وكذلك تحليل لفرانك جاردنر ، محرر الشؤون الدولية في مجلة أويل آند غاز جورنال ، مشار

اليه في « عالم النفط » ، عدد ٢٨ يوليو ١٩٧١) . وكذلك ما ذكره البروفيسور ادلمان ، استاذ الاقتصاد في معهد التكنولوجيا في ماستشوستس ، وهو بصدد عرض آرائه عن وضع النفط في العالم اذ قال : « اذا كان علي ان اذكر اهم تغيير حصل في الستينات أقول انه انتقال السلطة من الشركات الى الحكومات (حكومات البلدان المنتجة) . والسؤال الذي أطرحه والذي ليست لدي الاجابة عنه ، هو فيما اذا كانت الحكومات تدرك ان السلطة هي في يدها فعلا ، وفيما اذا كانت مهيأة لممارسة هذه السلطة لما فيه مصلحتها »(٤).

ان من المؤكد على ضوء ما تقدم انه في حال تأميم النفط العربي فان البلدان المستهلكة ستأتي الينا للحصول على احتياجاتها من النفط . ان قوة الكارتيل ، كما ذكر أحد المحللين الغربيين ، هي أيضا مصدر ضعفه . فقوته تؤكد عزم الدول المستهلكة (التي لا تنتمي الى منطقة النفوذ الانجلو سكسونية) على التخلص من سيطرة الكارتيل التي تفرض قيودا على استقلالها وتعرضها لالحاق الضرر بمصالحها الاقتصادية والسياسية في العالم العربي . وهذه مثلا هي حالة : فرنسا ، ايطاليا ، المانيا الغربية ، اليابان ، وكنموذج على التباين في المصالح بين بلدان أوروبا الغربية من ناحية وبين الشركات الامريكية الكبرى وحكومتها من ناحية أخرى نشير الى الافتتاحية التي أوردتها النشرة الصادرة عن شركة ايراب الحكومية الفرنسية(٥). تعليقا على ما نشر حول النية في ابرام اتفاق تفضيلي بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية بشأن صادرات النفط السعودي الى امريكا . فبعد أن تلفت شركة ايراب النظر الى الخطر الذي يمثله بالنسبة للمستهلك الاوروبي واليابان قدوم منافس خطير على أسواق النفط العربي وهو المستهلك الامريكي تضيف « اذا تم ابرام هذا الاتفاق التفضيلي بين الولايات المتحدة والسعودية على مستوى الحكومتين فانه يكون حدثا حاسما بالنسبة للتموينات العالمية من الطاقة وهذا الاتفاق يمكن تحليله بأنه يعني استحواذ الولايات المتحدة على اكبر جزء من الاحتياطي النفطي الثابت وجوده في فترة تندر فيها مصادر النفط ذات السعر الرخيص . ومثل هذا الترتيب سيكون حافزا للارتفاع الكبير في أسعار النفط الخام (الوارد للمستهلك الاوروبي) اذا كانت الاموال التي تدفعها القارة الاوروبية واليابان الى الشركات المنتجة ستعود عن طريق الدولة المنتجة للاستثمار في البلد الام لهذه الشركات وتعمل على تقوية قدراتها ونفوذها » . وهذه الافتتاحية تمثل دليلا آخر على أن المشكلة التي تقلق بال البلدان المستهلكة للنفط في المستقبل هي مشكلة تأمين واردات النفط اللازمة لها بأسعار مقبولة.

وبالاضافة الى هذا التباين في المصالح بين بلدان أوروبا الغربية واليابان وبين الشركات الانجلو أمريكية وحكوماتها ، فان هنالك مصالح متبادلة بين تلك البلدان وبين العالم العربي توجب ابرام ترتيبات مباشرة بين الفريقين : فأوروبا الغربية واليابان هي من الموردين الرئيسيين لنا للبضائع والمنتجات المصنعة وهي المستورد الرئيسي لنفطنا كما ان لنا المصلحة في استمرار تصدير نفطنا اليها . ومن المنطقي تماما على ضوء ذلك أن تنشأ علاقات مباشرة ، دون وساطة الشركات ، بين العالم العربي وبلدان أوروبا الغربية واليابان : فهي تستورد نفطنا الذي لا غنى لها عنه وتصدر لنا منتجاتها المصنعة التي لا بد لها أن تصدرها ، ونحن نبيع لها نفطنا بالاسعار والشروط التي تناسبنا كدول ذات سيادة ونشتري منها البضائع المصنعة . هذه المصالح المتبادلة المترابطة تصلح منطقيا كأفضل أساس لقيام علاقات اقتصادية سليمة ، علاقات الند بالند . هذا الوضع غير قائم الآن نظرا لان الشركات الاجنبية (الامريكية والبريطانية أساسا) تبيع نفطنا لمستهلكيه ونحن غرباء عن العملية ، لسنا طرفا مباشرا فيها . فاذا كانت هذه البلدان كما بينا في حاجة لنفطنا وليس لها غنى عنه فما الذي يمنعها ، بل ان من المحتم عليها ، ان تقيم معنا اتصالات وعلاقات مباشرة لشراء ما يلزمها من نفطنا . وقيام مثل هذه

العلاقات يضعف من مقاطعة الشركات لنفطنا بعد التأميم ويعمل على تفكيك جبهتها المعارضة لنا .

يتضح من كل ما تقدم ان اقدام جميع البلدان العربية المنتجة على تأميم نفطها في وقت واحد يجعل من المستحيل مقاطعة النفط العربي أو الاستغناء عنه أو استبداله بمصادر أخرى . وهذا الموقف الموحد هو الوضع المثالي كما هو واضح . على اننا يجب أن لا ننتظر حتى يتحقق الاجماع ، فهو انتظار قد يطول . وفي اعتقادنا ان قيام بعض البلدان المنتجة التي لديها الاستعداد لذلك وتتوفر لديها أفضل الشروط للتأميم — بتطبيق خطوة التأميم والنجاح المبدئي فيها سيؤدي الى ضغط شعبي كبير على مستوى الرأي العام العربي كله لاجبار الحكومات المتقاعسة على السير في طريق التأميم .

فاذا افترضنا ان بعض البلدان العربية المنتجة لن يقدم على التأميم في الظروف الحالية نظرا لاوضاعها الخاصة مثل بعض مشيخات الخليج ، فان اقدام البلدان المنتجة الاخرى التي تتوفر لديها الشروط السياسية والفنية اللازمة ، على تنفيذ التأميم يكفي لانجاحه شريطة أن تقوم البلدان التي لم تؤمم بتحديد الانتاج فيها بحيث يكون من المستحيل اقدام الشركات المؤممة والدول التي تنتمي اليها على مقاطعة النفط المؤمم عن طريق تعويض انتاج الشركات المؤممة من البلدان العربية الاخرى التي لم تؤمم . وكلما ازداد عدد البلدان العربية المنتجة التي تقدم على خطوة التأميم معا كلما ازدادت فرص النجاح وضعفت مقاومة الدول المعادية للاجراء ومحاولة فرض المقاطعة على النفط المؤمم .

ولكن حتى في حالة التأميم من قبل دولة منتجة واحدة أو عدد قليل من الدول المنتجة فان قضية التسويق ليست بتلك الصعوبة التي تدعيها شركات الامتياز ، لا سيما اذا ما تضامنت البلدان العربية الاخرى فحددت انتاجها . فبالرغم من سيطرة الكارتيل العالمي للبترول على أغلب أسواق العالم غير الاشتراكي فان هذه السيطرة لا تتعدى في الوقت الحاضر حوالي ٧٠ ٪ من هذه الاسواق وما تبقى (أي حوالي ٣٠ ٪ منها) تتولى تزويده مؤسسات وشركات مستقلة عن الشركات الاحتكارية الكبرى ، بل اننا اذا استثنينا السوق الامريكية فان الكارتيل لا يسيطر في الوقت الحاضر الا على ٥٤ ٪ من أسواق النفط (حسبما ورد في جريدة لوموند ، عدد ١٩٧٢/٧/١٤ ، حيث تذكر بأن الكارتيل رغم انه ضعف فانه ما يزال يسيطر في « العالم الحر » باستثناء امريكا على ٧٦ ٪ من الانتاج ، ٥٩ ٪ من التكرير و٥٤ ٪ من أسواق النفط) . ففي حدود هذه النسب غير الخاضعة لسيطرة الكارتيل يمكن تصريف كميات من النفط تفوق كثيرا امكانيات البلد او البلدان القليلة التي تؤمم . كما ان هنالك أسواق البلدان الاشتراكية التي تزداد حاجاتها للنفط .

وتقدم لنا تجربة الجزائر ، بعد تأميم شركات الانتاج الفرنسية فيها في شهر فبراير ١٩٧١ ، دليلا قاطعا على صدق ما تقدم : فلقد قامت الشركات الفرنسية بحملة واسعة لمقاطعة النفط الجزائري في الاسواق العالمية وتخويف المشترين المحتملين لهذا النفط على أساس انه نفط « أحمر » وانه ما زال ملكا لتلك الشركات . ورغم ذلك فقد استطاعت شركة النفط الجزائرية الوطنية سوناطراك ، بفضل الاسواق التي كانت قد أمنتها لنفسها وبفضل الخبرة التي كانت قد اكتسبتها في ميدان التسويق الخارجي — استطاعت أن تواصل تصدير النفط الجزائري وبيعه في الأسواق الخارجية . وقد استطاعت سوناطراك ، رغم محاولات فرض المقاطعة على النفط الجزائري ، أن تسوق في عام ١٩٧١ حوالي ٢٤ مليون طن ، وهي تمثل مجموع كمية الانتاج العائدة لها على اثر قرارات التأميم ، مع انها لم تكن قد سوقت في عام ١٩٧٠ الا حوالي ١٠ ملايين طن ، أي ان سوناطراك استطاعت عام ١٩٧١ أن تضاعف مبيعاتها في الاسواق الخارجية مرتين ونصف المرة بالنسبة للعام السابق رغم كل اجراءات التهديد ، مما يثبت ان مثل هذه الاجراءات لم تعد

فعالة أو مقبولة في المجتمع الدولي . كما يبين بمنتهى الوضوح ان السبعينات ليست مثل الخمسينات وان الدنيا قد تغيرت منذ تأميم مصدق وان معطيات قضية التأميم والافكار المتعلقة بها والراي العام العالمي والظروف البترولية الدولية قد تغيرت جذريا وأصبحت كلها مؤاتية للتأميم . ويكفي أن نقارن بين فعالية اجراءات مقاطعة النفط الايراني ، عام ١٩٥١ من طرف الشركة البريطانية والشركات المتضامنة معها ، وبين الفشل الذريع الذي منيت به محاولات مقاطعة النفط الجزائري في الاسواق العالمية من طرف الشركة الفرنسية لنتبين مدى الشوط الذي قطعته أفكار التأميم واستعادة السيطرة على الثروات الطبيعية الوطنية في الضمير العالمي بحيث أصبحت حقائق لا يمكن التشكيك أو المنازعة الجدية فيها .

ولا بأس من أن نضيف هنا بأن التأميم الذي يقدم عليه بلد واحد أو عدد قليل من الدول العربية المنتجة لن يؤدي الى كارثة ، كما تدعي بعض المصادر الغربية ، مهما تكن شراسة الاجراءات المضادة التي تقدم عليها الشركات المؤممة والبلدان التي تنتمي اليها اذ لو ان البلدان التي تقوم بالتاميم باعت نصف انتاجها السابق على التأميم فانها تحقق تقريبا نفس دخلها السابق على التاميم لان بيع النفط المؤمم يعني تقريبا مضاعفة الدخل من البرميل المؤمم الذي كانت الشركات تحصل على نصف دخله تقريبا او أقل من ذلك بقليل . بل ان التصدير لو توقف كلية خلال فترة قصيرة تالية للتأميم فيجب ان لا ننسى ان لدى كثير من بلداننا المنتجة أرصدة مالية كبيرة ويكفي ان تقدم هذه الدول للبلدان الاخرى قروضا أو مساعدات لسد احتياجاتها الفورية (مثلما فعلت بعض البلدان المنتجة مع العراق بعد التأميم ومثل السلفة التي وضعتها ليبيا تحت تصرف الجزائر بعد تأميم الشركات الفرنسية) حتى تخف حدة الازمة الى أن يعود النفط للتصدير .

ومن المؤكد ان أية مقاطعة للنفط المؤمم لا يمكن أن تمتد لاكثر من أشهر قليلة ثم يعود المستهلكون لاستيراده . وفي خلال ذلك لا يكون نفطنا قد ضاع وانما يبقى مؤقتا في مكامنه الى أن يحين وقت استخراجه وتصديره . ولا بأس من أن تتحمل شعوب البلدان التي تقوم بالتأميم بعض التضحيات وتتحمل بعض اجراءات التقشف خلال بعض الفترات القصيرة .

وقد يبدو من المناسب ، لاعتبارات سياسية واضحة ومن أجل حصر ردود الفعل المتوقعة وضمان صادرات النفط المؤمم دون أي توقف ، أن لا يشمل التأميم ، في مرحلة أولى ، جميع المصالح النفطية الاجنبية في البلد أو البلدان العربية المنتجة بل ينصب على مصالح البلدان المعادية وحدها ، وعلى رأسها الولايات المتحدة وبريطانيا (وهذه المصالح تغطي على كل حال الجزء الاكبر من انتاجنا) ، ولا يشمل التأميم مصالح الدول المحايدة مثل المصالح الفرنسية أو اليابانية وبذلك يضمن البلد المنتج استمرار تصدير نفطه عن طريق هذه المصالح غير المؤممة الى بلدانها وأسواقها . ونحن من رأينا ، لاعتبارات التنمية الاقتصادية العاجلة التي تفرض نفسها على العالم العربي ، أن يكون التأميم شاملا لجميع المصالح الاجنبية ولكن المسؤولين السياسيين قد يرون، من باب المرونة السياسية وكحل مرحلي ، استثناء بعض المصالح الاجنبية المحايدة . كما أن من الممكن ، لاعتبارات مماثلة ، أن يقتصر التأميم على ٥١ ٪ من المصالح النفطية الاجنبية ، في مرحلة أولى ، بالشروط التي بيناها سابقا والتي تضمن سيطرتنا الحقيقية وتوجيهنا للنشاط النفطي . أو أن ينصب التأميم على الامتيازات النفطية الكلاسيكية ، بالمعنى الدقيق لهذا التعبير ، ولا يشمل مثلا اتفاقيات المشاركة (التي يكون البلد المنتج فيها ٥٠ ٪ من رأسمال المشروع) أو عقود المقاولة لا سيما وان هذه الاتفاقيات والعقود الاخيرة قد أبرمت الغالبية الكبرى منها مع شركات حكومية (مثل شركة ايني الايطالية وشركة ايراب

الفرنسية) او مع بعض الشركات المستقلة اي غير المنتسبة الـــى الشركات النفطية الكبرى الاعضاء في الكارتيل العالمي للنفط .

ومن المسائل المرتبطة بعملية تسويق النفط المؤمم ، **مسألة تأمين نقله بالناقلات الى الاسواق العالمية** . ذلك ان النفط العربي لا بد أن ينقل بالناقلات لايصاله الى مراكز الاستهلاك وأهمها أوروبا الغربية واليابان . ومن المعروف أن اسطول الناقلات العالمي يخضع في الجزء الاكبر منه لسيطرة الشركات البترولية العالمية اما عن طريق ملكيتها للناقلات أو عن طريق استئجارها لهذه الناقلات بعقود ايجار طويلة المدة (١٥ سنة ، ٢٠ سنة ... الخ) . فماذا يحدث لو أن هذه الناقلات قاطعت نقل نفطنا المؤمم الى أسواق استهلاكه ؟؟

ان البلدان العربية المنتجة ليست لديها للاسف اساطيل ناقلات كافية تستطيع تأمين نقل نفطنا للاسواق العالمية وما تملكه أو تستأجره حاليا لآجال طويلة لا يكفي الا لنقل جزء بسيط جدا من صادراتنا النفطية . ولذا فان أحد الحلول المعقولة هو ان يقوم مشتري النفط المؤمم باحضار ناقلاته والقيام بعملية النقل على حسابه . ولكن من المتوقع أن تقوم الشركات النفطية المؤممة وحليفاتها، من أجل عرقلة نجاح عملية التأميم الى منع الناقلات الخاضعة لسيطرتها من أن تنقل النفط المؤمم حتى لحساب المشترين الآخرين . الا أن هذه المشكلة ليست مما يستعصي على الحل : ان من المعروف عن سوق الناقلات الدولية أنه يوجد بها عدد كبير من صغار الملاك المستقلين الذين لا يتبعون للشركات النفطية الكبرى ولا يخضعون لسيطرتها والذين تعتبر ناقلاتهم قابلة للاستئجار الفوري . وتقدر المراجع المختصة بهذا الصدد ان عدد هذه الناقلات المتوفرة دائما للاستئجار الفوري يقدر ما بين ٢٠ ٪ في حالة ركود سوق الناقلات الدولية الى ٨ ٪ في حالة ازدهار هذه السوق أي ما معدله ١٥ ٪ من مجموع اسطول الناقلات الدولي(٦).

واذا أخذنا بعين الاعتبار ان مجموع حمولـــة أسطول الناقلات العالمي يبلـــغ في الوقت الحاضر (تقديرات منتصف عام ١٩٧٢) حوالي ٢٠٠ مليون طن ، فمعنى ذلك ان هنالك ناقلات حمولتها ما بين ٣٠ مليون طن الى ٤٠ مليون طن متوفرة للاستئجار الفوري على الدوام . ومعنى ذلك ان نقل النفط العربي المؤمم لا يمكن ان يتوقف حتى في ذروة مقاطعة الشركات النفطية لنا في الفترة التالية للتاميم لا سيما اذا أضفنا لذلك عدد الناقلات التي تملكها البلدان الاشتراكية والعدد القليل من الناقلات التي تملكها في الوقت الحاضر أو ستملكها في وقت قريب بعض البلدان العربية ، وأن مقاطعة نقل نفطنا لا يمكن أن تكون تامة . وهذا ما أثبتته تجربة كوبا حينما أممت ، في يوليو ١٩٦٠ ، معامل التكرير التي كانت تملكها هناك شركات اسو وشل وتكساكو . فان هذه الشركات المؤممة عمدت الى مقاطعة نقل النفط السوفياتي الى كوبا فلم تكن بالطبع تسمح لناقلاتها بنقل هذا النفط بل انها ضغطت على بعض المالكين المستقلين للناقلات لمنعهم من نقل النفط السوفياتي عن طريق تهديدهم بوضع أسمائهم في القائمة السوداء . ولكن رغم ذلك فان عددا كافيا من هذه الناقلات ، ربما في مقابل أجور تزيد قليلا عن معدل الاجور السارية في السوق ، وافق على نقل النفط السوفياتي لكوبا ولم تحدث المقاطعة المطلوبة . (ومما يذكر بهذا الصدد ان نياركوس ، احد كبار الملاك اليونانيين للناقـــلات وافق على ابرام عقد لنقل النفط السوفياتي على ناقلاته لكوبا بينما احجم الثري اليوناني الاخر المشهور اوناسيس عن ابرام مثل هذه العقود) . وذلك يبين ان المقاطعة لا يمكن ان تكون حاسمة حتى في الفترة التالية مباشرة للتأميم والتي لا بد ان تقوم فيها الشركات الكبرى برد فعل عنيف احد مظاهره مقاطعة عمليات نقل نفطنا . ومن المؤكـــد ان هذه الشركات ستعود بعد اشهر قليلة عن قرار مقاطعة النقل لانها لا تستطيع ابقاء ناقلاتها مجمدة مدة طويلة دون

عمل مذلك يسبب لها خسائر فادحة . ولا بد ان تعود بالتدريج للسماح لناقلاتها بنقل بترولنا سواء لحسابها عندما تعود لشرائه او لحساب المشترين الاخرين .

التأميم ممكن اذن ، من النواحي الفنية والمالية والاقتصادية ، وليست هنالك في هذه المجالات عقبات لا يمكن التغلب عليها . والتأميم ممكن بالطبع من **الناحية القانونية** ، بمعنى ان التأميم قد اصبح دون اي جدال عملا مشروعا لاي بلد يريد ان يستعيد السيطرة على ثرواته الطبيعية . ونحن اذن لن نتوقف عند مناقشة هذه المسألة التي أصبح مسلما بها في القانون والعرف الدوليين ، لا سيما بعد قرارات الامم المتحدة حول السيادة الدائمة للدول على ثرواتها الطبيعية (واهمها القرار الصادر عن الجمعية العامة في ٢٤ ديسمبر ١٩٦٢ وقرارها الصادر في ٢٥ نوفمبر ١٩٦٦) . ولكننا سنتوقف قليلا عند مسألة التعويض اذ ما زال دفع تعويض مناسب احد الشروط التي يشترطها غالبية الفقه الدولي لنفاذ اجراءات التأميم في مواجهة الجميع . ولكن مسألة دفع تعويض مناسب يجب ان لا تخيفنا لا سيما وان مقياس تحديد هذا التعويض واسس احتسابه قد دخل عليها تطور كبير لصالح البلدان التي تؤمم ثرواتها الطبيعية ، فلم يعد هذا التعويض كاملا وفوريا او سريعا ، كما كانت تصر على ذلك البلدان الغربية الرأسمالية ، وانما تبلور عرف دولي جديد في اعقاب الحرب العالمية الثانية يجعل هذا التعويض مجرد تعويض جزئي يدفع مقسطا على بضع سنوات وهذا ما استقر عليه العمل عند تسوية المنازعات التي نشأت عن جميع عمليات التأميم — سواء منها تأميم الثروات الطبيعية ومن بينها النفط او غيرها من التأميمات — التي اقدمت عليها مختلف البلدان بعد الحرب العالمية الثانية(٧) . ومن الممكن في حالة تأميم الثروات النفطية ان يتم دفع التعويض على شكل دفعات من النفط للشركات التي تم تأميمها .

ما بعد التأميم

تأميم النفط العربي ليس مجرد ضربة قاسية نلحقها بالمصالح الاستعمارية المسيطرة على نفطنا وليس مجرد عقوبة انتقامية نفرضها على البلدان الغربية المعادية لنا بحرمانها من امتيازات شركاتها مع ما تمثله من أهمية اقتصادية ومالية واستراتيجية . فليس ذلك سوى احد جوانب هذه القضية ، وهو بكل تأكيد ليس اهم هذه الجوانب عندما تؤخذ بعين الاعتبار مصالح العالم العربي ومستقبله . ان التأميم حينما يتم ستكون له آثار ضخمة على المستقبل السياسي والاقتصادي لهذه الامة وعلى مختلف قضايانا المصيرية . فالتأميم ليس هدفا في حد ذاته ، ليس خاتمة المطاف ، انه في الحقيقة ليس سوى البداية ، ليس سوى الوسيلة او الاداة لتحقيق مستقبل افضل : انه يضع هذه الثروات النفطية الهامة تحت تصرفنا لنستخدمها بكل حرية ودون اي عائق طبقا لما تفرضه المصالح العليا لهذه الامة ، وتعتمد آثار هذه الخطوة وابعادها ومداها على ما نستطيع انجازه وتحقيقه من استخدام هذه الثروة بعد ان تصبح ملكا خالصا لنا واقعا تحت سيطرتنا التامة واشرافنا الكامل . فكيف نستخدم هذه الثروة ونستفيد منها على افضل وجه من جميع الجوانب وفي كافة المجالات : في التنمية الاقتصادية لكل بلد وللعالم العربي باسره وكعامل نحو الوحدة الاقتصادية ثم السياسية للعالم العربي ، ومن اجل التطوير الاجتماعي لشعوبنا وخلق المجتمع القوي العادل المزدهر ، وفي السياسة الخارجية كعامل فعال منشط لكسب الاصدقاء والضغط على الاعداء ، ثم كسلاح في خدمة قضايانا ومعاركنا الموضوع بجميع جوانبه طويل ومتشعب وليس هنا موضع معالجته .

ولا شك ان من اهم الآثار التي ستترتب على التأميم وابعدها اثرا ما يتعلق باستخدامه اداة للتنمية الاقتصادية الشاملة في البلدان المنتجة وعلى مستوى العالم العربي بأسره وما يعنيه ذلك من خلق المجتمع القوي المتطور القادر على مواجهة تحديات العصر والمعارك المصيرية المفروضة علينا ، واعتباره عاملا فعالا في السير نحو تحقيق الوحدة

الاقتصادية والسياسية في العالم العربي نظرا لان التخلص من الامتيازات النفطية ، التي ليست سوى ادوات للاستعمار الجديد ولقرض التبعية الاقتصادية يعني كسر القيود التي تكون عائقا حقيقيا امام الممارسة الحرة للارادة الوطنية السياسية والاقتصادية(٨). وهذا موضوع هام يستحق كل دراسة عميقة وتخطيط شامل ويجب ان لا يخل عليه خبراؤنا بما يستحقه من بحث واع عميق بحيث تكون لدينا ، في انتظار حلول لحظة التأميم ، دراسات كاملة وافكار متبلورة ومشاريع ومخططات جاهزة ومدروسة لفترة ما بعد التأميم(٩).

وسنكتفي بان نوجز هنا ما سبق ان اشرنا اليه خلال البحث حول كيفية استخدام النفط في المدى القصير ، بعد ان يتم تأميمه كسلاح في معاركنا المصيرية .

وأول ما يخطر على البال بالبداهة استخدام فائض الدخل الذي كان يذهب للشركات الاجنبية من اجل الصرف على المعركة بتقديم العون الحقيقي الفعال للثورة الفلسطينية والصرف على اكتساب وسائل التسليح الحديث وكافة وسائل كسب المعركة . وزيادة الموارد العربية نتيجة التأميم يمكن البلدان المنتجة بان تسهم بقدر اكبر في متطلبات المعركة دون تعطيل مشاريع التنمية الحيوية او حتى فرض سياسات تقشف صارمة على شعوب هذه البلدان . وينبغي لهذا الغرض انشاء صندوق مشترك للمعركة تساهم فيه البلدان المنتجة بمبالغ كبيرة هامة تفوق كثيرا المساهمات الرمزية التي تقدمها الان بالشكل الذي يتناسب مع اهمية مصادرها النفطية ويعكس مشاركتها الحقيقية في اعباء المعركة. ومن الممكن بالطبع السير مع انصار اجراء حجب النفط عن الدول المعادية والمجندين له الذين يعتبرون ان هذا الاجراء هو اكثر اجراءات الضغط على الاعداء فعالية واكبرها اثرا . فتأميم النفط لا يحول دون الاقدام على حجب النفط بل على العكس من ذلك فان اجراء الحجب يصبح اكثر فعالية لان بامكاننا حينذاك ان نمارس الاشراف الكامل على تنفيذ هذا الاجراء ومنع التلاعب فيه . فمسألة حجب النفط لا تتعارض مع الاقدام على التأميم وهي تبقى مسألة منفصلة بمعنى ان لها مزاياها ومساوئها الخاصة . ولقد سبق ان بينا رأينا الشخصي في هذا الاجراء والشروط التي نعتقد انه لا بد من توافرها ، لو تقرر اتخاذ هذا الاجراء ، من اجل ضمان فعاليته . ولن نعود هنا لمناقشة هذه المسألة.

ومن الممكن كذلك اللجوء الى بعض الاجراءات الجزئية ، التي اشرنا اليها سابقا ، وذلك كوسائل تكميلية للضغط : فمن الممكن مثلا بحث اللجوء الى تخفيض الانتاج العربي لفرض المضايقات على الدول المستهلكة المعادية وفرض المجاعات النفطية الجزئية عليها، كما يمكننا السعي لرفع اسعار نفطنا ، عن طريق جبهة عربية موحدة وبالتنسيق مع بلدان منظمة الاوبيك وباستغلال اهمية نفطنا ، وذلك لالحاق الضرر المادي بالبلدان المعادية المستهلكة له وتحقيق المزيد من الموارد لنا للصرف على معركتنا العسكرية وعلى معركة التنمية الاقتصادية والاجتماعية . ومن الممكن ايضا النظر في اقتراح فرض ضريبة على تصدير نفطنا ، يمكن ان تسمى ضريبة تحرير مثلا ، الى اخر ذلك من الاجراءات التي نرى من المناسب اللجوء اليها والتي تمكننا سيطرتنا على النفط من تنفيذها بحرية وفعالية .

خاتمة

يتبين من خلال هذا البحث ان تأميم النفط العربي هو الطريق الصحيح لاستخدام سلاح النفط استخداما شاملا متكاملا ووضعه في خدمة قضايانا ومعاركنا المترابطة والمتداخلة. وعلى ضوء جميع ما تقدم فان باعتقادنا ان تأميم النفط العربي عملية ممكنة تماما ، سواء من الناحية الفنية او المالية او الاقتصادية او القانونية ، وتتوفر كافة العناصر اللازمة لنجاحها . ولكن ذلك لا يعني ان العملية لا بد ان تتم بسهولة ودون تضحيات او عقبات او دون اعداد وحذر : ان تأميم ثرواتنا النفطية الهامة هو خطوة ضخمة جبارة ستكون

لها آثارها الجذرية الكبيرة ليس فقط بالنسبة للبلدان العربية المنتجة والعالم العربي باسره ولكن كذلك بالنسبة للشركات العالمية صاحبة النفوذ الضخم التي ستفقد بذلك كثيرا من نفوذها وسيطرتها مما يستتبع تغيير معطيات السوق العالمية للنفط وتعديل هيكل صناعة النفط العالمية من أساسه ، كما ستكون لها آثار كبيرة بالنسبة للبلدان التي تنتمي اليها هذه الشركات الكبرى المؤممة والتي هي على رأس العالم الغربي الامبريالي اذ ستفقد المزايا المالية — بالنسبة لميزان مدفوعاتها والمزايا الاستراتيجية الكبيرة التي اشرنا اليها خلال هذا البحث . وعلى ذلك فان عملية بمثل هذه الضخامة من المتوقع منطقيا ان يقابلها رد فعل عنيف من قبل الشركات النفطية الكبرى المؤممة والشركات المتضامنة معها والبلدان الرأسمالية الكبيرة التي تنتمي اليها هذه الشركات . وسيكون رد الفعل هذا أعنف ما يكون في الفترة التالية مباشرة للتأميم : اذ من المتوقع ان تحجم الشركات عن شراء نفطنا المؤمم وان تقوم بحملة كبيرة لفرض مقاطعة تامة عليه في الاسواق العالمية للاستهلاك . وقد ينتج عن ذلك توقف مؤقت للصادرات بنسبة كبيرة وانخفاض في دخل البلدان التي تقوم بالتأميم . ولذا فان من الضروري ان تتخذ مقدما التدابير والاحتياطات والترتيبات اللازمة لتلافي تأثير هذا الانقطاع والانخفاض في الدخل، وأفضل طريقة لذلك تكون بالقيام ، مقدما ومن الافضل قبل وضع خطوة التأميم موضع التنفيذ ، بانشاء صندوق مشترك من البلاد التي تقدم على التأميم والمتضامنة معها تغذيه البلدان صاحبة الارصدة الكبيرة ويقدم القروض لمختلف البلدان التي باشرت التأميم حسب احتياجاتها (ولدينا سابقتان سارتان ومشجعتان بهذا الصدد : فقد وضعت الحكومة الليبية سلفة مقدارها مائة مليون دولار تحت تصرف الحكومة الجزائرية عندما قامت هذه الاخيرة بتأميم الشركات الفرنسية في ربيع عام ١٩٧١ . وعندما اقدمت العراق على تأميم شركة الاي. بي. سي. وأممت سوريا جزء خط انابيب الشركة المار في أراضيها — قررت كل من الكويت والسعودية وليبيا تقديم قروض عاجلة للعراق وسوريا لتعويضهما عن الانخفاض في دخلهما اثر تأميم الشركة المذكورة وخط انابيبها المار عبر العراق وسوريا ولسد احتياجاتهما الفورية) . كما ينبغي ان تقام اتصالات مسبقة مع البلدان الصديقة في العالم الاشتراكي والعالم الثالث وكذلك البلدان المحايدة غير الخاضعة لسيطرة الشركات لابرام ترتيبات لتصدير النفط المؤمم مباشرة اليها ، والعمل على تأمين تضامن بلدان منظمة الاوبيك ضمن الحدود المعقولة . وينبغي كذلك ان تقوم البلدان العربية التي تنفذ التأميم بحملة ديبلوماسية كبيرة تبرز فيها حقها المشروع العادل في استعادة سيطرتها على ثرواتها النفطية طبقا لمبادىء القانون الدولي وقرارات الامم المتحدة حول السيطرة الدائمة للدول على ثرواتها الطبيعية ، كما تعلن استعدادها التام لدفع التعويض المناسب وفقا لتقاليد القانون الدولي وما يجري او جرى عليه العمل مؤخرا في المجتمع الدولي في الحالات المماثلة التي قامت بها بعض البلدان بتأميم ثرواتها الطبيعية واستعادة السيطرة عليها . وينبغي التركيز على ان خطوة التأميم ليست موجهة للبلدان المستهلكة بل اننا على استعداد لمواصلة تزويد هذه البلدان باحتياجاتها من النفط بموجب ترتيبات بيع مباشرة مع التعهد بمواصلة تزويدها بالنفط بالاسعار السارية اذا ما أصرت الشركات المؤممة على عدم شراء النفط وتصديره بمقتضى عقود بيع تبرمها معها البلدان التي قامت بالتأميم . ونحن بكل ذلك نقطع الطريق على الشركات الاحتكارية المؤممة والاوساط الاستعمارية التي تنتمي اليها ونحبط جهودها ومساعيها لتشويه خطوة التأميم العربية وفرض مقاطعة نفطنا في الاسواق في الفترات التالية مباشرة للتأميم . ويجب ان لا تقتصر اجراءاتنا في هذا المجال على الجانب السلبي الدفاعي فقط وانما ينبغي النظر في اتخاذ الاجراءات المضادة ضد البلدان الاجنبية المالكة للشركات او المتضامنة معها لا سيما في مقاطعة نفطنا ، ومن الافضل ان تدرس هذه الاجراءات مقدما وبصورة عملية دقيقة لتكون جاهزة للتطبيق في اللحظة المناسبة ، على

ان تشمل هذه الاجراءات مقاطعة بضائع تلك البلدان المعادية وسحب ودائعنا الكبيرة من مصارفها وغير ذلك من الاجراءات المضادة الاقتصادية والسياسية .

ومما لا شك فيه ان مما يسهل تنفيذ خطوة التأميم ويضمن كل اسباب النجاح لها ان يتم اعدادها في كل بلد بتخطيط مسبق ومحكم وان يهيأ الاقتصاد الوطني في كل بلد من البلدان التي ستقدم على التأميم للصدمات وردود الفعل التي ستواجه بها خطوة التأميم . وتقدم لنا الجزائر نموذجا رائعا للاعداد المحكم الذي سبق قيامها ، في فبراير ١٩٧١ ، بتأميم الشركات الفرنسية التي كانت تسيطر على ثلثي الانتاج النفطي في البلاد وضمن خطوة التأميم الناجح التام السريع بأقل قدر من التضحيات والصعوبات . فلقد كانت الجزائر قد انشأت بخطوات تدريجية متصاعدة قطاعا نفطيا وطنيا متكاملا وهاما استطاع ان يتحمل الاعباء الاستثنائية التي القيت على عاتقه اثر التأميمات وان ينهض على افضل وجه بالمسئوليات الكبيرة التي عهدت اليها . اذ كانت الجزائر قبل ان تقدم على تلك التأميمات الهامة لشركات الانتاج الفرنسية (التي كانت تسيطر لوحدها على ثلثي انتاج البلاد من النفط) قد اكملت تأميم قطاع التوزيع المحلي للمنتجات النفطية وفرضت سيطرتها على ٨٠٪ من عمليات التكرير كما كانت قد فرضت سيطرتها بتأميمات جزئية متتالية خلال بضع سنوات ، على جميع الشركات الاجنبية غير الفرنسية العاملة في الانتاج . وكانت شركة النفط الوطنية الجزائرية سوناطراك تقوم بنفسها بحوالي ٦٠٪ من عمليات التنقيب وثلث الانتاج النفطي (وكانت قد خصصت استثمارات هامة لاقتناء المعدات الفنية المتنوعة والغالية الثمن التي يحتاجها القيام بهذه العمليات على احسن مستوى) وأكثر من نصف عمليات النقل بخطوط الانابيب وبجميع العمليات البتروكيماوية والمجموع شبه الكلي لعمليات تسويق الغاز الطبيعي في الخارج . كما كانت الجزائر قد تبنت حملة مركزة لاعداد مختلف الاطارات الجزائرية اللازمة لتسيير صناعتها بكل كفاءة وفعالية واعطائهم التكوين الفني اللازم والخبرة العملية والعلمية المطلوبة . وكانت الجزائر كذلك قد انشأت العديد من شركات الخدمات المتخصصة التي شملت مختلف جوانب الصناعة النفطية وبذلك اصبحت كل الخدمات النفطية مؤمنة في الجزائر ولم تعد بحاجة للجوء الى شركات اجنبية ودفع أموال باهظة بالعملات الصعبة لتوفير مثل هذه الاعمال ، بحيث تستطيع الجزائر بذلك ان تؤمن تسيير الصناعة النفطية الوطنية في مختلف مراحلها وجوانبها الفنية فيما لو توقفت الشركات الفرنسية والخبراء الفرنسيون عن ممارسة اعمالهم . كما ان الجزائر كانت قد حققت نجاحا واضحا في ميدان التسويق الخارجي وأمنت لنفسها موطىء قدم في الاسواق الدولية سواء فيما يتعلق بتسويق النفط او الغاز بحيث تستطيع ان تضمن تسويق كميات كبيرة من نفطها فيما لو تعرضت لمقاطعة الجانب الفرنسي وقد عملت كذلك على التقليل من الاعتماد الخطير على مصدر واحد للدخل هو تصدير النفط الخام وذلك بزيادة صادرات الغاز وبانشاء عدد من الصناعات المرتبطة بالنفط التي أدت الى زيادة كبيرة في الدخل القومي وخلق اقتصاد متين متوازن .

وبالاضافة الى الاعداد المحكم والتخطيط على مستوى كل بلد منتج على حدة فان من الواجب ان تقوم البلدان العربية المنتجة التي ستقدم على التأميم بعمل نوع من التخطيط المشترك والتنسيق اللازم لمواقفها وخطواتها : ومن الممكن ان يتم ذلك عن طريق قيام هذه الدول بتشكيل لجنة دائمة على مستوى عال لدراسة التخطيط المتقن للعملية ومراحل تنفيذها وتخيل كافة الصعوبات التي يمكن ان تطرأ واعداد الحلول لها واتخاذ كافة الاحتياطات والاجراءات الكفيلة بتحقيق النجاح في اسرع وقت ممكن وباقل قدر ممكن من التضحيات . ويمكن لمثل هذه اللجنة ان تستعين بالخبراء والمتخصصين من كافة البلدان العربية الاخرى او البلدان الصديقة . وتستطيع هذه اللجنة ان تتبنى نوعا من التخطيط الدبلوماسي ، حسب الخطوط العريضة التي سبق ان اشرنا اليها ، وامكانية ابرام عقود

بيع مع مختلف البلدان ، وشراء ناقلات او استئجارها لآماد طويلة للتغلب جزئيا على المقاطعة الآنية التي لا بد في الغالب ان تلجأ اليها الشركات وانصارها ، دراسة انشاء صندوق مشترك وتزويده بالارصدة اللازمة ليكون عونا للبلدان المؤممة كل حسب احتياجاته ، والنظر في اتخاذ جميع الاجراءات المضادة ضد البلدان التي تنتمي اليها الشركات والبلدان المتضامنة معها ، جرد الكفاءات الفنية العربية في ميدان النفط وتوجيه التدريب نحو الكفاءات الناقصة وتوزيع هذه الكفاءات على مختلف البلدان حسب حاجة كل منها ، دراسة نوع من نظام تقنين الانتاج لمنع عملية اغراق الاسواق واخلال التوازن بين العرض والطلب ، واقامة نوع من التنسيق لعمليات التسويق وعدم المنافسة في الاسواق حسب وضعها الحالي والمحافظة على المستوى اللازم من الاسعار ... الى غير ذلك من الاجراءات والاحتياطات التي تضمن للخطوة كل اسباب النجاح .

على ان الاعداد لخطوة التأميم مهما يكن محكما فان ذلك لا يعني ان البلدان المؤممة لن تكون امامها أية صعوبات أو عقبات أو أنها لن تكون مضطرة لتقديم بعض التضحيات ، ولا سيما في المرحلة التالية مباشرة للتأميم اذ لا بد للبلد المؤمم ان يتبع سياسة تقشف اقتصادي لمواجهة الانخفاض في الدخل الذي لا بد ان يعقب التأميم مباشرة وخلال فترة قد تطول او تقصر حسب الظروف . ولكن أي جهد يقوم به البلد المؤمم والامة العربية بأسرها في سبيل هذه القضية الهامة ، قضية استعادة السيطرة على ثرواتنا النفطية الوطنية ، لن يكون جهدا ضائعا وأية تضحية تبذل في هذا السبيل ستهون في مقابل تحقيق النجاح لهذه الخطوة التي ستكون لها آثار لا حدود لها على نهضة هذه الامة وتحقيق الاستقلال الاقتصادي لها والتحرر من التبعية الاجنبية وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والحاق ضربة قاسية بمصالح البلدان المعادية والسير الحثيث على طريق النصر . ونحن متأكدون بانه لن تمر سوى اشهر قليلة حتى تأتي الينا البلدان المستهلكة بل والشركات النفطية لشراء نفطنا الذي لا غنى لها عنه في الحاضر والمستقبل .

وفيما يتعلق **بتوقيت خطوة التأميم** ، فان من رأينا ان الاعتبارات الهامة التي بيناها خلال هذا البحث ، سواء منها اعتبارات المعركة المصيرية التي تواجهنا ضد الصهيونية والامبريالية او المعارك الاقتصادية ضد التخلف ومن اجل تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية — كلها تدعونا الى التأميم في اقرب الآجال .

اننا بالطبع لا ننسى الواقع العربي الحالي وتلكؤ معظم البلدان المنتجة واحجامها امام خطوة التأميم ، ولكننا اذا استطعنا اقناع الرأي العام العربي والجماهير العربية العريضة بضرورة التأميم والحجج والاعتبارات والمبررات الوجيهة التي تمليه ونشأ تيار شعبي قوي ومطلب جماعي يطالب بالتأميم ، فان الحكومات المعنية لا تستطيع ان تقاوم هذه الرغبة الجماعية العارمة ولا بد ان تستجيب لها .

من أجل تهيئة الرأي العام العربي لمثل هذه الخطوة يجب منذ الان ، اعداده ليكون اداة ضغط على حكومات البلدان المعنية المتلكئة ليدفعها نحو التأميم تجاوبا مع الرغبات العميقة للجماهير العربية وتحضيره لما يمكن ان يواجهه من مصاعب ومن كفاح شاق وبعض التضحيات . اننا نقترح ان يعقد مؤتمر عربي عام من كافة المنظمات الشعبية والمهنية والاحزاب التقدمية والخبراء المعنيين بشؤون النفط على مستوى العالم العربي يكون موضوعه الوحيد « تأميم النفط العربي » « ومن الممكن مثلا ان تتولى الدعوة لمثل هذا المؤتمر الامانة العامة للجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية » . ويقوم عن طريق لجان من المتخصصين في كافة جوانب القضية ، فنية واقتصادية وقانونية وسياسية ، باجراء دراسة شاملة لكافة الجوانب ونشر دراساتها على مستوى واسع . ويمكن ان تنبثق عنه لجنة دائمة تتولى القيام بحملة دعائية واسعة ومستمرة للرأي العام العربي ، بمختلف الوسائل الاعلامية ، لحشده وتوعيته وتعبئته وابقائه مشحوذا

عن استنارة ومعرفة تامة بالحقائق ، واثارة الحماس الثوري الذي يشد الجماهير ويحملها على الكفاح والتضحية . ويجب ان تعرض القضية ضمن الاطار السياسي العام على أساس أنها قضية قومية : ان ايراد الحجج الفنية والارقام لا يكفي في هذا المجال وكأنها عملية حسابية او مشروع تجاري تدرس جدواه ومدى ربحيته . هذه الجوانب الفنية والاحصائية ضرورية لكنها غير كافية .

ان الطريق واضح لاستخدام سلاح النفط الاستخدام الفعال والامكانيات مفتوحة أمام البلدان المنتجة للسير على هذا الطريق اذا صدق العزم على الكفاح وخلصت النيات . ان على البلدان العربية المنتجة للنفط ان تثبت بانها على مستوى الاحداث الجسيمة التي تواجه الامة العربية وانها لن تتردد في استخدام هذا السلاح ، اسوة بكافة الاسلحة والطاقات المتوفرة لديها ، مهما تكن جسامة التضحية وضخامة الاعباء . فان لم تفعل وتلكأت او احجمت فعلى الجماهير الشعبية يدفعها الحماس الثوري المدعوم بالوعي السليم ان تضغط على الحكومات لحملها على انتهاج الطريق الصحيح ونحن لا نشك في ان شعبنا العربي بأسره سيقف بكل صمود من وراء خطوة التأميم عندما تتحقق لمؤازرتها وتحمل اية تضحيات قد تبدو مطلوبة . وشعوب الامة العربية على كل حال في حاجة ماسة الى ان تتخلى عن سلبيتها وتتحمل مسؤولياتها ، انها في حاجة الى شحنة قوية من الثقة بالنفس تهزها طاقاتها المبدعة وتجعلها تسير في طريق الكفاح الشاق لتحقيق كافة أهداف هذه الامة . وستكون عملية التأميم فرصة نادرة لشعوبنا لمواجهة القوى الاستعمارية مواجهة مباشرة صريحة ونحن لا نشك في ان الانتصار في هذه المواجهة ، وهو أمر حتمي ، ستكون له آثار بعيدة المدى على معنويات هذا الشعب وتدفعه دفعا — عبر جميع السبل — نحو النصر في كافة قضايانا المصيرية .

---

١ — انظر بهذا الصدد : F. Morton, *The Rothschilds*, p. 227
J. Bouvier, *Les Rotschilds*, Edition Fayard, Paris 1967, p. 324.

٢ — *Petroleum Intelligence Weekly*, 28-2-1972.

٣ — مشار اليه في **عالم النفط**، عدد ١٩٧٠/٨/١

٤ — مشار اليه في **المرجع السابق** ، عدد ١٩٧١/١/١٦ .

٥ — مشار اليه في جريدة **لوموند** ، بتاريخ ٢٠ — ١٩٧٢/١٠/٣٠ .

٦ — Zenos Zanetos, *The Theory of Oil-Tankship Rates*, 1966, p. 154.

٧ — انظر البحث المقدم منا الى مؤتمر البترول العربي الثامن ، بالجزائر ١٩٧٢ ، بعنوان **أضواء على بعض الجوانب القانونية والاقتصادية لتأميمات البترول والغاز في الجزائر**، حيث افردنا فصلا لمعالجة مشروعية التأميم وجوانبه القانونية بما فيها مسألة التعويض .

٨ — الاستاذ عبد اللطيف الشواف في بحثه القيم : « تأميم نفط العراق — المعاني والمهام » في مجلة **نفط العرب** ، عدد نوفمبر ١٩٧٢ .

٩ — تراجع بهذا الصدد : المقالات الرائدة للاستاذ عبد الله الطريقي حول تأميم النفط العربي ووضعه في خدمة تطوير العالم العربي ، والمنشورة في مختلف اعداد مجلتي **البترول والغاز العربي ونفط العرب** . وابحاث الدكتور نقولا سركيس حول دمج النفط في الاقتصاد الوطني واتخاذ النفط العربي أداة للتعاون الاقتصادي العربي ، في مجلة **البترول والغاز العربي** ومجلته بالفرنسية
Le Pétrole et le Gaz Arabes
وكذلك بحث الاستاذ عبد اللطيف الشواف الذي سبقت الاشارة اليه اعلاه .

المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون

الدكتور اسعد رزوق

هذا هو الجزء الثاني من البحث الذي نشرته شؤون فلسطينية في العدد رقم ٢٠ (تاريخ نيسان ١٩٧٣) . ويتركز هذا البحث على المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين ، المؤتمر الصهيوني الاول الذي تم عقده بعد قيام اسرائيل . وننشره بمناسبة مرور ٢٥ سنة على اغتصاب فلسطين .

٥ ــ المؤتمر بين التأجيل والتوقيت :

كان على الحركة الصهيونية ، عملا بنص المادة ١٦ من دستور المنظمة ، ان تبادر الى عقد مؤتمرها الصهيوني العالمي بعد انقضاء عامين على المؤتمر السابق ــ أي ان موعد المؤتمر الثالث والعشرين يحين في اواخر ١٩٤٨ . وفي الدورة التي عقدها المجلس الصهيوني العام قبيل اعلان الدولة (نيسان ، ١٩٤٨) جرى اتخاذ قرار بتفويض اللجنة التنفيذية مع البرزيديوم صلاحية تحديد المكان والزمان لانعقاد المؤتمر المذكور . لكن المجلس عاد واستند الى المادة الدستورية اياها في اصدار قراره الثاني (ايلول ١٩٤٨) بتأجيل موعد المؤتمر الى « صيف ١٩٤٩ في فلسطين » ، ليطلب الى اللجنة التنفيذية تعيين الموعد . وتقول التقارير الرسمية ان الظروف السائدة في البلاد والجهود المطلوبة من الصهيونيين في الخارج حالت دون عقد المؤتمر بعد انتهاء الحرب (١٩٤٨) مباشرة . ثم يصدر التأجيل التالي عن محكمة المؤتمر على صورة « قانون للطوارىء » في ٤٩/٤/١٠ ، فيخول المجلس الصهيوني العام صلاحية تأجيل المؤتمر العتيد سنة اخرى ــ اي الى ١٩٥٠ . ومما جاء عن سبب التأجيل في حيثيات القرار الصادر عن محكمة المؤتمر : « نظرا لتصفية جاليات يهودية بكاملها ومعسكرات للمرحلين اليهود في اوروبا ، ونظرا للهجرة الجماعية الى اسرائيل ، والظروف التي لم يسبق لها مثيل في اوروبا الشرقية والشرق الاوسط ... » .

غير ان المؤتمر لم ينعقد في صيف ١٩٥٠ . فالتقرير المرفوع من دائرة التنظيم في الوكالة اليهودية ــ المنظمة الصهيونية يذكر جملة من الاسباب التي دعت في ايلول (سبتمبر) ١٩٥٠ الى تأجيل المؤتمر الصهيوني حتى صيف ١٩٥١ . انه يتحدث عن « الظروف غير العادية في هذه البلاد وداخل الحركة العالمية » ، لكي يكتفي بذكر اسباب من هذا القبيل : « الحاجة الى القيام بنشاط مضاعف لصالح اسرائيل في كافة انحاء العالم ، ولا سيما في الولايات المتحدة ، والحاجة الى متابعة النظر في المشاكل الاساسية من داخل الحركة ، والاستعدادات لجدول اعمال المؤتمر وقراراته ، والرغبة في اكمال مبنى المؤتمر في القدس ، الخ ... » .

وفي مكان اخر من التقرير تطالعنا اسباب اخرى وراء التأجيل : « ان الوضع الاقتصادي والمالي لدولة اسرائيل تدهور الى درجة في صيف ١٩٥٠ اصبح معها من الضروري البحث عن طرق ووسائل جديدة للتغلب على الصعوبات ، مما استدعى بدوره اتخاذ ترتيبات جديدة ... وجرت مشاورات مع ممثلي اليهود من اميركا وانجلترا وجنوب

افريقيا في القدس عند بداية شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٥٠ ، فتقرر تنظيم حملة مالية كبرى لصالح اسرائيل في الشتات ، ولا سيما في الولايات المتحدة بشكل رئيسي » . ثم يمضي التبرير الى القول : « لقد نشأ الادراك بان نجاح هذه النشاطات يعتمد الى حد كبير على تعبئة جميع قطاعات الحركة الصهيونية في سبيل هذا المشروع الضخم . وبناء عليه ، تقدم الصهيونيون الاميركيون من اللجنة التنفيذية بطلب يدعوها لاتخاذ الخطوات اللازمة لتأجيل المؤتمر مرة اخرى » .

ربما كانت هذه الاسباب مجتمعة هي التي حالت بالفعل دون انعقاد المؤتمر الصهيوني العالمي في موعده المقرر بموجب دستور المنظمة . والنظر اليها من زاوية التقارير الرسمية ، المكتوبة بلغة التعميم والمستترة وراء كثير من الشكليات ، لا يتيح للمرء تكوين فكرة صحيحة عن الظروف والملابسات الحقيقية التي أحاطت بتأجيل موعد المؤتمر ، كذلك العوامل التي أملت توقيته وتعيين مكان انعقاده وزمانه .

على الصعيد السياسي ، كانت الدولة اليهودية طيلة العام الاول منذ قيامها شديدة الانهماك بحمل الدول الاخرى في العالم على الاعتراف بها ، ولا سيما الدول الغربية (باستثناء الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي) . ثم كانت اجتماعات رودس للتوقيع على اتفاقيات الهدنة مع الدول العربية ، وتلتها المحاولات الاسرائيلية الرامية الى الدخول في عضوية الامم المتحدة (١١/٥/١٩٤٩) . وفي الرابع عشر من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٩ اعلنت اسرائيل ان برلمانها (الكنيست) سوف يتخذ من القدس مقرا له : « العاصمة الوحيدة للدولة » .

وعلى الصعيد الصهيوني شهدت الحركة خلال السنوات الفاصلة بين اعلان قيام الدولة وعقد المؤتمر الثالث والعشرين (١٩٤٨ — ١٩٥١) سلسلة من الازمات الداخلية التي فرضت على المسؤولين موقف التريث والارجاء . فالتصريحات التي أدلى بها بن غوريون في صيف ١٩٤٩ أمام أحد الوفود الصهيونية الاميركية اثارت جدلا عنيفا بين الاوساط الصهيونية في الولايات المتحدة وتسببت في احراج الكثيرين وحملهم على ابداء شتى التحفظات والاراء ، واثارة العديد من التساؤلات .

قال بن غوريون (رئيس الحكومة) مخاطبا الوفد الصهيوني الاميركي : « رغم ان حلمنا قد تحقق في انشاء دولة يهودية ، نحن ما زلنا في البداية . فلا يوجد اليوم سوى ٩٠٠ الف يهودي في اسرائيل ، بينما القسم الاعظم من الشعب اليهودي ما زال خارج اسرائيل . ان مهمتنا التالية لن تكون اسهل من خلق الدولة اليهودية . وهي تتألف من استقدام جميع اليهود الى اسرائيل . لقد رأيتم مقدار الصعوبة في جلب ٢٠٠ الف مهاجر واستيعابهم . لكننا مصممون على استقدام ملايين اضافية ، وأنا متأكد من نجاحنا في استقدامهم . نحن نتوجه بالمناشدة الرئيسية الى الشباب في الولايات المتحدة وفي البلدان الاخرى لكي يقوموا بمساعدتنا على تحقيق هذه الرسالة الكبرى . ونناشد الآباء مساعدتنا على استقدام أبنائهم الى هنا . وحتى لو تمنعوا عن تقديم المساعدة ، فاننا سوف نجلب الشباب الى اسرائيل . لكني آمل الا تدعو الضرورة الى مثل هذا الامر » .

ويبدو أن أقوال بن غوريون وتحدياته عززت المخاوف لدى بعض الاوساط النافذة داخل الصهيونية الاميركية التي اعتبرت بان صهيونيتها تتوقف عند تقديم الدعم المادي والمعنوي للدولة اليهودية ، ولم يخطر ببالها ان قادة اسرائيل يريدون قياس الصهيونية بخطوة الهجرة الفعلية الى الدولة اليهودية . فالموقف الذي أعلنه رئيس الحكومة آنذاك ، ولم يترك مناسبة دون اعلانه من جديد ، أثار حفيظة الصهيونيين من دعاة المشاركة بين المنظمة الصهيونية والدولة اليهودية . ومنذ ذلك الحين اقترن اسم بن غوريون داخل الحركة الصهيونية بالدعوة القائلة بان كل فرد صهيوني يحتم عليه الواجب ان يستوطن في اسرائيل .

لكن رئيس الحكومة الاسرائيلية تنبه لمضاعفات موقفه على الصعيد اليهودي الاميركي ، فلجأ الى الاستدراك وتخفيف اللهجة ، وذلك عند زيارة جاكوب بلاوشتاين ، رئيس اللجنة اليهودية الاميركية ، الى اسرائيل ، حتى انه توصل الى اتفاق مع بلاوشتاين في ٢٣ آب (اغسطس) ١٩٥٠ حول العلاقة بين سكان اسرائيل ويهود العالم . هذا الاتفاق المعروف بـ « اتفاق بن غوريون بلاوشتاين » ينطوي على أمرين : أولا ، هناك تكرار من جانب بن غوريون على حاجة اسرائيل الى المهاجرين ولا سيما من الولايات المتحدة ، اذ يستطيع هؤلاء الاسهام في بناء الدولة بما يملكونه من روح المبادرة الاقتصادية والمعرفة التقنية . وثانيا ، يستدرك بن غوريون موقفه السابق من خلال اعلانه بان « القرار المتعلق برغبة الاميركيين في المجيء او عدمه — سواء كان مجيئهم بصورة دائمة أم مؤقتة — يعود اتخاذه الى الاستنساب والاختيار الحر من جانب كل يهودي اميركي في ذاته » .

وليست قصة الخلاف الذي انتهى الى اتفاق هي الظاهرة الوحيدة للازمة التي نشبت داخل الحركة الصهيونية وعصفت بالاوساط الصهيونية في اميركا . بل سبقتها ازمة داخلية تعرضت لها الحركة الصهيونية الاميركية في مطلع ١٩٤٩ وأدت الى اقصاء الحاخام ابا هيلل سيلفر عن رئاسة اللجنة التنفيذية (الفرع الاميركي) وعضويتها، والى ابعاد عمانوئيل نويمان (رئيس المنظمة الصهيونية الاميركية) (١٩٤٧ — ١٩٤٩) عن رئاسة الجباية اليهودية الموحدة في اميركا . وفي ذلك تقول مذكرات غولدمان — الذي احتل منصب سيلفر بعد الاطاحة به — : « كنا نخاف من مجيء سيلفر الى رئاسة « الجباية اليهودية الموحدة » ، لئلا تتأثر حملات جمع الاموال من جراء ذلك ، وبما ان كبار الاداريين في الصناديق الخيرية لم يوافقوا على أساليبه . وفضلا عن ذلك ، لم نكن على استعداد لتسليمه أداة ضغط ممكنة على اللجنة التنفيذية باعطائه السيطرة على صناديق الاموال التي يعتمد عليها وجود اللجنة بالذات . لقد اتخذ النزاع أبعادا دراماتيكية . ورغم الشعبية الكبرى التي تمتع بها سيلفر لدى السكان اليهود في اميركا ، فقد نلت أنا تأييد الهداسا (منظمة النساء الصهيونيات) وتأييد زملائي اعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية ، ومن جملتهم بن غوريون . لذا نجحت ، عن طريق اللجوء الى مناورة تكتيكية معقدة ، في الاطاحة بسيلفر من مركزه القوي في الجباية اليهودية الموحدة، ونتيجة لذلك استقال من رئاسة الفرع الاميركي التابع للجنة التنفيذية الصهيونية » .

ان هذه الامثلة الواردة أعلاه تلقي بعض الضوء على التأجيلات التي خضع لها موعد انعقاد المؤتمر الصهيوني ، مثلما انها تنطوي على تلميحات الى مختلف التيارات والاتجاهات البارزة داخل الحركة الصهيونية في ذلك الحين . ومما ينبغي تذكره في هذا المجال هو ان « قانون العودة » الاسرائيلي ، مثلا ، كان قد صدر عن الكنيست قبل اتفاق بن غوريون — بلاوشتاين ، أي في السابع من تموز (يوليو) ، ١٩٥٠ . كما ان رئيس الحكومة بالذات أدلى ببيان أمام الكنيست في ١٥ أيار (مايو) ١٩٥٠ ، حول انشاء لجنة التنسيق المشتركة بين حكومة اسرائيل واللجنة التنفيذية الصهيونية — لتوثيق التعاون بين الحركة الصهيونية والدولة اليهودية في مجالات الهجرة والاستيعاب والاستيطان الاستعماري .

ولم تمض بضعة اسابيع على اتفاقه مع الصهيونيين الاميركيين حتى كان بن غوريون قد عاد الى قواعده الثابتة ومواقفه الاصلية . ففي الثامن من شهر تشرين الاول (اكتوبر)، ١٩٥٠ — مثلا — نقلت صحيفة « النيويورك تايمز » تصريحا لرئيس الحكومة الاسرائيلية ناشد فيه الشباب اليهودي الاميركي أن « يكرس عمله الريادي لاستصلاح الاراضي الخراب » في اسرائيل .

٤ ــ **المؤسسات الصهيونية وتركيب الوكالة اليهودية** : ثمة مقترحات ترمي الى زيادة الفعالية لدى مختلف المؤسسات الصهيونية في ضوء الظروف المتغيرة . هذا بالاضافة الى مسألة قيام اسرائيل بمنح الوكالة اليهودية وضعا قانونيا .

٥ ــ **مستقبل الصناديق المالية** : ماذا سيحل بكل من الكيرين هايسود (الصندوق التأسيسي لفلسطين) والصندوق القومي اليهودي (أو الكيرين كاييمت) ؟ يقول الكراس : يجب على المؤتمر الصهيوني ان يتوصل الى قرار واضح بشأن مستقبل هذه الصناديق . وهناك تغييرات اساسية طرأت على نطاق العمل الصهيوني وطبيعته . كما يوجد الان موقفان اثنان من حل هذه المشكلة : **الفصل** بين النشاطات ، بحيث يستمر كل صندوق قائما بصورة منفصلة وله دوائر عمل محددة تماما ، او تحقيق **الدمج** بين الصناديق القومية .

ان الخلاصة الواردة اعلاه كانت معدة لاغراض الدعاية الصهيونية بين صفوف المندوبين العاديين الى المؤتمر ــ على ما يبدو . والقصد منها تهيئة المناخ الصهيوني الملائم لتسهيل اعمال المؤتمر الثالث والعشرين ، وتأمين التأييد الكافي لقراراته الجاهزة ، بالاضافة الى تحصيل المزيد من أموال الجباية والتبرعات . وسوف يتضح ذلك كله من خلال معالجتنا لامرين : تركيب المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين ، والقضايا الاساسية الصهيونية التي ناقشها المؤتمر لكي ينتهي الى اصدار قراراته الايديولوجية ومن جملتها « برنامج القدس » (١٩٥١) . على ان يشمل تناولنا لتركيب المؤتمر عرضا سريعا للمواقف التي تجلت في خطب كل من : بيرل لوكر (رئيس اللجنة التنفيذية ــ فرع القدس) ، ودافيد بن غوريون (رئيس حكومة اسرائيل) ، والدكتور ناحوم غولدمان (رئيس اللجنة التنفيذية ــ فرع نيويورك) . ثم ننتقل الى الناحية الايديولوجية الصهيونية من خلال تقارير وتوصيات اللجنة التي جرى تكليفها بدراسة « القضايا الاساسية » لكي ترفع الى المؤتمر الصهيوني مقرراتها ، وتوصياتها بهذا الشأن .

٧ ــ توزيع الشاقل وتركيب المؤتمر :

انعقد المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون في القدس من ١٤ الى ٣٠ آب (اغسطس) ، ١٩٥١ . وبلغ مجموع المندوبين الصهيونيين ٤٤٦ مندوبا (مقابل ٣٨٥ مندوبا في المؤتمر السابق عام ١٩٤٦) . أما توزيع المندوبين على الاحزاب والكتل فقد تم على أساس دفع الشواقل او رسوم العضوية عن السنوات الممتدة من ١٩٤٦ الى ١٩٥٠ . والمعروف ان تسديد الشاقل يخول صاحبه ، على صعيد الفدراليات والجمعيات الصهيونية ، حق التصويت في الانتخابات الجارية للمؤتمر الصهيوني وحق الحصول على بطاقة عضوية في المنظمة العالمية . هذا بالاضافة الى استخدام « محصلة الشواقل » كأساس لتعيين العدد النسبي من المندوبين الى المؤتمرات الصهيونية . فقد درجت الادارة الصهيونية حتى المؤتمر الثاني والعشرين (١٩٤٦) على استيفاء الشاقل فقط عن السنة التي يعقد خلالها المؤتمر الصهيوني . والرجوع الى جداول بيع الشاقل في التقارير الرسمية منذ ١٩٢١ يظهر التفاوت البارز بين مبيعات الشاقل في سنوات انعقاد المؤتمر وبين مبيعاته في السنوات العادية . لكن الامر الذي يجب التنبه له يتعلق بعدم الخلط بين مجموع الشواقل المبيعة وبين ارقام العضوية في الهيئات والاتحادات والجمعيات الصهيونية . ولا بد من توضيح قضية الشاقل وتوزيعه .

خلال الفترة الممتدة من ١٩٢١ الى ١٩٢٥ ــ كما تقول الموسوعة الصهيونية والتقارير الرسمية ــ كانت اللجنة التنفيذية الصهيونية فيلندن هي التي تقوم بطبع بطاقات الشاقل وتوزيعها على المنظمات الصهيونية الاقليمية (الفدراليات والاتحادات) ، لكي تعمد هذه بدورها الى توزيع الشواقل على اعضائها . ثم بوشر العمل بنظام « الشاقل

الموحد» (من ١٩٢٥ الى ١٩٦٤) ، حيث ترسل البطاقات الى البلدان المختلفة لكي تقوم « مجالس الشاقل الوطنية » — وهـذه تضم ممثلين عن جميـع الفئات والاحزاب — بتوزيعها على الاعضاء . واخذت بعض المنظمات الصهيونية الكبرى تعمل بنظام «التوزيع الآلي» ، اذ صار العضو يتلقى بطاقة الشاقل بحكم عضويته في التنظيم الصهيوني .

وابتداء من سنة ١٩٣٣ لم يعـد بيع الشاقل وقفا على الصهيونيين « المنتظمين » في الفدراليات الاقليمية والاتحادات المستقلة . بل صار يشمل جميـع الافراد المكتتبين في البرنامج الصهيوني المطبوع على بطاقة الشاقل والموقعين على « بند الانضباط » . وعليه فقد نشأ التباين في الارقام ، لجهة العضوية النظامية او مبيعات الشاقل . كما يستفاد من التقارير الرسمية ان نظام الشاقل المعمول به أتاح أمام التنظيمات الصهيونية مجالا واسعا لاساءة استعماله وادعاء عضوية وهمية . بينما ادعت بعض الاوساط ، مثلا ، ان النظام المعروف بنظام « الشاقل الموحد » لم يفسح المجال أمام التعبير الصحيح عن نسبة القوى والاتجاهـات داخـل الحركة الصهيونية . وفي ذلـك تقول « موسوعة الصهيونية واسرائيل » : « مع ذلك ، حدثت بعض الاساءات : فحملة بيع الشاقـل ، التي كانت تنطوي في السابق على استقطاب الافـراد ، تحولت الى عملية من التبادل اللاشخصي . والاحزاب الصهيونية قامت على شراء الشواقل بالجملة لكي ترفع عدد المقاعد المخصصة لها . ثم عمدت الى توزيع هذه الشواقل مجانا ، او الى املاء بطاقات الشاقل بمساعدة دليل للاسماء فلم تقم بتوزيع الشواقل على الاطلاق » .

وتتابع « الموسوعة » سردها لقصة الشاقل الصهيوني وارقامه الخيالية بالنسبة لعضوية المنظمة الفعلية ، فتقول : « وعلاوة على ذلك ، فان « شاقل العضوية » غالبا ما جرى الاستحصال عليه بصورة آلية ومن جانب افراد لم يكن لديهـم أي تصور عن أهـداف الصهيونية » .

أما بالنسبة للمؤتمر الثالث والعشرين فقد جرى بيع الشاقل في كل سنة من السنوات التي انقضت منذ عام ١٩٤٦ . ثم اجتمعت الاجهزة المسؤولة لتقرير «محصلة الشاقل» ، أي العدد المحدد من الشواقل لايفاد مندوب واحد الى المؤتمر . وفي ٣١ اب (اغسطس)، ١٩٥٠ تقرر اعتبار المحصلة للمندوب الواحد من مجموعه ١٠ الاف شاقل ، وللثاني ١٣ الف شاقل . كما لجأت الهيئات التنظيمية الى انشاء ٣٦ « دائرة انتخابية مستقلـة » : منها ١٣ دائرة في اوروبا ، و ٣ في اسيا و ٦ دوائر في افريقيا ، و ١٢ في اميركا ، ودائرتان في استراليا . والبلدان التي تعذر على احداها الحصول على الحد الادنى من الشواقل اللازمة للتمثيل المستقل ، جرى ادماجها في « وحدات انتخابية » لكي يتسنى لها ايفاد مندوب مشترك .

هذا هو « النظام الانتخابي » الذي جرى اتباعه في تعيين المندوبين للمؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين . ومن الصعب هنا الحديث عن « انتخابات » بالمعنى الديمقراطي ، لان نظام الشاقل يتيح الفرصة امام تضخيم القوة العددية للاتجاهات والاحزاب المختلفة، ويسمح لها بادعاء عضوية وهمية على النحو المتقـدم ذكره . اما توزيع المقاعد علـى المندوبين فجاء كما يلي : الاتحاد العالمي لعمال صهيون ١٦١ ، الصهيونيون العموميون ١١٨ ، المزراحي وجناحه العمالي ٦٩ ، المابام ٦٠ ، التحريفيون ٣٣ ، غير حزبيين ٥ ، وبذلك يكون المجموع ٤٤٦ مندوبا .

٨ — المشاركة : صيغتها وشروطها :

ان الخطب الرئيسية التي القيت في المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين يمكنها تزويدنا بفكرة واضحة عن المواقف السائدة من أوضاع الحركـة الصهيونية بالنسبة لدولـة اسرائيل ، والعكس بالعكس . فالسيد بيرل لوكر ، رئيس اللجنة التنفيذية في القدس ،

كان موضوع خطابه « من بازل الى القدس » . ورئيس حكومة اسرائيل ــ دافيد بن غوريون ــ ارتأى التحدث عن « رسالة الدولة الى الحركة الصهيونية » . بينما تكلم ناحوم غولدمان ــ رئيس الفرع الاميركي في اللجنة التنفيذية ، ورئيس المؤتمر اليهودي العالمي بالوكالة منذ ١٩٤٩ ــ عن « الشعب اليهودي ودولة اسرائيل » . وتحدث الياهو دوبكين في الموضوع التالي : « وضع الحركة الصهيونية وتنظيمها ، مشاكل الشباب والريادة » ، تاركا للسيدة روز هالبرين ان تتحدث بدورها من الزاوية الصهيونية الاميركية عن « مشاكل الريادة والشباب » . لكي تأتي الخطبة الاخيرة من حاييم غرينبرغ (عضو اللجنة التنفيذية ورئيس دائرة التربية والثقافة في الشتات) حول موضوع « التربية والثقافة اليهودية في الشتات » .

ثمة قاسم مشترك لجميع هذه الخطب ، فهي تتحدث عن الحركة والعقيدة الصهيونية في ظل الدولة ، وتحاول تصوير العلاقة القائمة أو المرجوة بين المنظمة الصهيونية العالمية واسرائيل . لذا يجدر بنا التوقف قليلا عند الاراء والافكار التي وردت في الخطب الثلاثة الاولى منها ــ اي ما ورد على لسان كل من بيرل لوكر وبن غوريون وناحوم غولدمان . ومن خلال تلك الآراء والافكار تتجلى أمامنا معظم التيارات السائدة داخل الحركة الصهيونية ، مثلما تطالعنا حقيقة العلاقة العضوية بين المنظمة والدولة ، ونتعرف الى طبيعة المهمات التي « القتها » الدولة اليهودية على عاتق أداتها التنفيذية في المجالين ، الداخلي والخارجي ، تحت ستار «المشاركة» بينها وبين هذه الاداة : المنظمة الصهيونية العالمية ــ وبحجة قيام المنظمة المذكورة بدور همزة الوصل بين اسرائيل ويهود العالم . ان تنوع الآراء واختلاف المواقف ، وتباين وجهات النظر الصهيونية ، ليس معناه تعريض الجوهر الصهيوني وهدفه النهائي للتجزئة أو التصدع . والتحديات الصادرة عن بن غوريون ، مثلا ، لا ترمي بصورة جدية الى تصفية الحركة الصهيونية ونقل « ممتلكاتها » وأعمالها الى دائرة سيطرة الدولة ، لان التنسيق التام بين الطرفين هو حقيقة قائمة . بل ان رئيس حكومة اسرائيل يريد مطالبة الصهيونية العالمية بالمزيد من الدعم على كافة المستويات : البشرية والمادية والمعنوية والسياسية . وليس اصراره على مساواة الصهيونية بالهجرة الى اسرائيل سوى محاولة للاحراج ، لكي يحصل على الممكن عن طريق المطالبة بالمحال او ما يبدو محالا حتى الان .

أ ــ لوكر : المشاركة التامة : يؤكد رئيس اللجنة التنفيذية ان المسألة ذات الاهمية القصوى في كل من الدولة والحركة الصهيونية هي « تجميع المنفيين » واستيعابهم ودمجهم الكامل في البلاد . فالدولة اليهودية قامت « لاجل الشعب اليهودي كله » ، ولا تستطيع بمفردها انجاز هذه المهمة الضخمة . وعليه ، يصبح من الضروري قيام شراكة بين عاملين اثنين : « دولة اسرائيل السيدة » و « الحركة الحرة للشعب اليهودي في الشتات » . هذه الشراكة التامة تتطلب الى الحركة الصهيونية ان تتعاون مع الدولة بدون قيد او شرط ، لقاء اعتراف الدولة بها ومنح المنظمة العالمية وضعا قانونيا يؤهلها لتأدية مهماتها الخاصة في حقول الهجرة والاستيعاب والاستيطان . والوضع القانوني الخاص ليس غاية في حد ذاتها ، بل هو مجرد وسيلة لتسهيل مهمة المنظمة الصهيونية في تعبئة يهود العالم وتأمين الفعالية القصوى لنشاطاتها . لقد انتهى عهد الصهيونية « الاعلانية » ــ يقول بيرل لوكر ــ وتوجب على الصهيونية اليوم ان تحقق تعاليمها الراهنة عبر كل فرد صهيوني . ومن زاوية تعبئة الموارد المالية ، « يجب علينا تحرير اليهود من الموقف غير المستحب والقائم على التبرع والاحسان وعمل الخير وتقديم العون للمحرومين ، لكي نغرس مكانه الوجدان الاعتزازي بكون (يهود العالم) ، على صعيد الامتياز والواجب ، شريكا كاملا لدولة اسرائيل في تنفيذ العودة الى صهيون واعادة دمج الشعب في أرضه » .

فالمشاركة ، اذن ، تعني دعوة يهود العالم الى تعبئة مواردهم المالية وتسخيرها لخدمة اسرائيل . انها مشاركة لا يحدها قيد ولا تخضع لشروط . والاقلاع عن الصهيونية « الاعلانية » يحمل النظرة التالية الى يهود العالم : « ان يهود العالم أجمع ، كما لا يقل عنهم مواطنو اسرائيل ، عليهم اعتبار انفسهم مسؤولين عن تحقيق « جمع الشمل » اليهودي في دولة اسرائيل . ولا مجال للتشكيك في ان ولاء كل فرد يهودي يذهب الى البلد الذي يعيش فيه وينتفع من مواطنيته . وفي الوقت ذاته ، من وجهة نظر « تجميع المنفيين » ..... كل يهودي ، حيثما وجد ، يجب ان يعتبر نفسه وكأنه من مواطني اسرائيل » .

فالصهيونية التي ينشدها بيرل لوكر تتوسل المفاهيم الهرتزلية عن « الشعب اليهودي الواحد »، لكي تطالب يهود العالم باعتبار انفسهم مواطنين اسرائيليين دون أن يساورهم أدنى شك بصدق ولائهم المزدوج : لكل من بلدانهم الاصلية والمستوطن الصهيوني — الاسرائيلي بفلسطين . هذا ما يشدد عليه بن غوريون ايضا .

ب — **بن غوريون : رسالة الدولة** : يقول رئيس حكومة اسرائيل ان ما أنجزته الدولة حتى الآن ما كانت تستطيع انجازه بمواردها الذاتية ولولا مساعدة « الشعب بكامله » . والحركة الصهيونية هي صاحبة الدور الاول في تعبئة الموارد اليهودية ، ونتيجة لجهودها المنظمة . أما الصعوبات التي واجهت اسرائيل في السنوات الثلاث الماضية (١٩٤٨ — ١٩٥١) فانها مجرد جزء يسير مما ينتظرها في السنوات الاربع القادمة .

ثم يتحدث بن غوريون عن « الشراكة بين دولة اسرائيل والشعب اليهودي » ، فيرى بأن الدولة تضطلع بثلاث مهمات رئيسية وحيوية ، كما يضطلع بها الشعب اليهودي : (١) أمن الدولة ، (٢) تجميع اليهود وادماجهم ، (٣) تطوير البلاد وبناؤها السريع . وهذه المهمات يتعذر تنفيذها دون الشراكة المخلصة ، مثلما ان رسالة الحركة الصهيونية تقوم على تشجيع تلك الشراكة وايجادها . ان اسرائيل بنظر رئيس حكومتها هي دولة تشبه سائر الدول الاخرى ، ومع ذلك تختلف عنها . فالدولة اليهودية ، « اسرائيل ليست دولة لمواطنيها وحدهم ، بل هي مفتوحة امام الشعب اليهودي بأسره ، وأمام كل يهودي حيثما كان موجودا — ومتى اختار هذا اليهودي ان يعيش في وطنه مفضلا الاستقلال الاسرائيلي على الحياة في الشتات . والعلامة الفارقة التي تميز دولة اسرائيل وتحدد رسالتها اليهودية — الصهيونية والمحورية هي « قانون العودة » : حجر الاساس في حق الشعب اليهودي في اسرائيل » .

أما « اليهود في الشتات » ، فانهم ، بخلاف دولة اسرائيل ، لا يؤلفون كيانا دوليا يتمتع بالسلطة والسيادة ، ويمتلك الحقوق التشريعية او التمثيل المعترف به عالميا . هكذا يتابع بن غوريون تعليله لرسالة الدولة ، لكي يصل الى القول ان المنظمة الصهيونية هي التي « أوجدت للشعب اليهودي ذلك التمثيل الرسمي » . لكنه يستدرك فجأة بان المنظمة لم تتمتع باعتراف دولي ولا هي حازت الاساس القانوني (الحقوقي) بل انبثقت قوة الحركة الصهيونية وسلطانها عن الارادة الحرة لاعضاء المنظمة في تحمل عبء المسؤولية والتقيد بأحكام الحركة وتعاليمها . اي ان رئيس حكومة اسرائيل يريد جعل سلطان الحركة الصهيونية وقفا على رغبة اعضائها واستعدادهم لتحمل العبء واتباع التعاليم . والسؤال الذي ينبغي طرحه الان هو : الى ماذا يرمي بن غوريون من وراء هذه المقدمات ؟

يمكن القول انه يسعى للتشديد على ضرورة الفصل بين دولة اسرائيل والمنظمة الصهيونية العالمية . فهو يؤكد ، مثلا ، ان الدولة لا تستطيع القيام بعمل المنظمة الصهيونية ، والعكس بالعكس . والواحدة منهما تختلف عن الاخرى في ناحيتين ، بنظر

رئيس حكومة اسرائيل . الناحية الاولى هي ان المنظمة لا تحدها القيود الاقليمية او الحكومية ، بل تمتد حدودها على امتداد « الشعب اليهودي حيثما يوجد » . والثانية هي ان السلطة التي تمارسها المنظمة على اعضائها تتسم بطابع اختياري طوعي ، وليست سلطة الزامية او اكراهية .

ان بن غوريون يحذر أعضاء المؤتمر الصهيوني من الخلط بين المجالات والدوائر العائدة لنشاط كل من الدولة والمنظمة . ورغم امعانه في التشديد على « هذا الفارق الاساسي والجوهري ، الذي يتعذر الغاؤه او طمسه » ، فهو يعود في النهاية الى الاقرار بوجود « شراكة تاريخية » بين الدولة اليهودية والمنظمة الصهيونية . هذه الشراكة تقوم بفضل وحدة الرؤيا والهدف .

ج ــ **غولدمان : الصهيونية الناقصة** : يرى ناحوم غولدمان (رئيس اللجنة التنفيذية ــ فرع نيويورك) بان الصهيونية قد نذرت نفسها لتحقيق اربعة اهداف : اقامة دولة يهودية ، واستخدام هذه الدولة كأداة لتجميع يهود العالم كلهم ــ وان لم يكن اليهود كلهم ، بضعة ملايين منهم ــ في دولة اسرائيل ، وجعلها دولة يهودية بالمعنى العميق ، بالاضافة الى « ضمان وحدة الشعب اليهودي بأسره والحفاظ على هذه الوحدة » . ثم يتساءل غولدمان : لو صح قولي بان واحدا من هذه الاهداف الاربعة للصهيونية لم يتم تنفيذه بكليته حتى الان ، لثار السؤال عمن يقوم بتنفيذها . والجواب هو بالطبع ان دولة اسرائيل بمفردها لا تقدر على ذلك . فالمسألة ، كما يريدنا غولدمان ان نعتقد ، لا تتوقف على الموارد المالية ليهود العالم فحسب ــ على ما لهذه الموارد من أهمية بالغة في الانجاز الاقتصادي للمهمة . بل هناك قضية مبدأ يتعلق بالواجب الاخلاقي والمعنوي ويحتم على « الشعب اليهودي » ان يبقى طرفا وشريكا في بناء اسرائيل ــ حتى ولو تسنى لدولة اسرائيل ان تستغني عن المساعدات المالية من يهود العالم !

ان غولدمان ، وهو من دعاة عدم الفصل في الصلاحيات بين المنظمة والدولة ، لا يريد للحركة الصهيونية ان تنظر الى شراكتها وتعاونها مع اسرائيل بعين الاحسان والعمل الخيري . بل يأسف لشيوع هذه النظرة في اميركا . والشراكة المعنية بين اسرائيل ويهود العالم هي « مسؤولية مشتركة » ، وتحقيق مصير مشترك . لذا يتوجب على الحركة الصهيونية ان تقوم « بتنسيق جهود الشعب اليهودي في شراكته مع اسرائيل » . هذا التنسيق معناه تعبئة يهود العالم « لاجل تحقيق الرؤيا الصهيونية بكليتها » .

لكن الحركة تحتاج الى مساعدة الدولة في تأدية مهمتها ، مثلما ينبغي على الحركة ان تتعهد بتقديم المساعدة غير المشروطة الى الدولة . وبناء عليه ، فان الدولة مطالبة بمنح الحركة الصهيونية ، وضعا قانونيا وسلطة معنوية بحكم الضرورة . هذا لا يعني بان « الصهيونيين خارج اسرائيل لا يجوز لهم الاعراب عن رايهم او توجيه انتقاداتهم لتطور اسرائيل ، والانحياز الى جانب او اخر ، ومساعدة الجماعات التي تشاطرهم تفكيرهم داخل اسرائيل » . ان غولدمان يرسم صورة مختلفة للمشاركة . فهو يقول ، مثلا ، ربما قامت في يوم من الايام ــ على الصعيد النظري المجرد ــ حكومة في اسرائيل لا ترغب اكثرية اليهود او الحركة الصهيونية في التعاون معها . ثم يجيب : عند ذاك سوف تعمد الحركة الصهيونية الى تعليق نشاطاتها ، لان النزاع حتى مع حكومة من هذا النوع لا يمكن التفكير به . ويذهب غولدمان الى حد تخطئة الذين يقولون « اذا وجب على الصهيونيين في الشتات عدم التدخل في سياسة اسرائيل الداخلية ، فيجب على اسرائيل اذن الا تتدخل في سياسات الحركة الصهيونية » . لكن الاسرائيليين من اعضاء الحركة الصهيونية يتساوون في عضويتهم مع الصهيونيين من خارج اسرائيل ، ولهم الحق اياه في التدخل بسياسة الحركة !

ثم يخلص غولدمان الى هذا التعميم : لا توجد موازاة بين اسرائيل والحركة الصهيونية من هذه الناحية . فالصهيونية تشمل الصهيونيين في الخارج وفي اسرائيل . اما دولة اسرائيل فلا تضم سوى مواطنيها . بيد ان هذا الشمول الصهيوني لا يعني مطلقا الخروج عن ارادة اسرائيل او الابتعاد عن التعاون بلا قيد او شرط مع الدولة والحكومة . وهنا يؤكد غولدمان من جديد على ما يلي : « قبل ان تأمل الحركة الصهيونية في الحصول من دولة اسرائيل على اعتراف خاص باعتبارها ممثلة للشعب اليهودي في معاملاته مع اسرائيل ، يجب على هذا المؤتمر ان يعلن ، بكل مهابة وجلال ودون تحفظات ، تمسكه بالمبدأ الاساسي القائل بان سياسات الحركة الصهيونية ونشاطاتها ، مهما كان تركيب زعامة هذه الحركة ، سوف ترتكز على اساس التعاون غير المشروط مع دولة اسرائيل وحكومتها » .

بيد ان تحقيق ذلك يتطلب في نظر غولدمان اعادة تنظيم للحركة الصهيونية . والفكرة التي ينادي بها غولدمان ترمي الى اخراج الحياة الصهيونية في الشتات عن احتكار الاحزاب وانتزاع المبادرة من ايديها ، لكي يصار الى انشاء تركيب تنظيمي جديد « يوحد بين جميع الصهيونيين في كل بلد لاجل تحقيق المهمة المشتركة في قيادة الشعب اليهودي وتعبئته لصالح اسرائيل » . فالمشاركة التي يتطلع اليها رئيس اللجنة التنفيذية تقضي بتوسيع الاطار التنظيمي للحركة الصهيونية وابعاد المنظمة العالمية عن سيطرة الاحزاب وطغيانها ، لكي يتسنى بالتالي تجنيد المزيد من يهود العالم في خدمة اسرائيل والصهيونية .

العقيدة الصهيونية في ظل الدولة

٩ ــ تحديد القضايا الاساسية :

أشرنا فيما سبق الى كون المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين أول مؤتمر تعقده الحركة الصهيونية العالمية منذ قيام الدولة اليهودية وفي داخل اسرائيل بالذات . والمحنا الى التوقعات والامال المعقودة في حينه على هذا المؤتمر ، مثلما جئنا على ذكر وظيفة المؤتمر الصهيوني ودوره في رسم السياسة العامة للحركة على مستوى العالم كله . فما هي النتائج التي أسفر عنها المؤتمر والقرارات التي اتخذها في صيف ١٩٥١ ؟ وكيف خرجت الحركة الصهيونية العالمية على الصعيد العقائدي من أول مؤتمر لها في ظل الدولة اليهودية ؟

ان القضايا الاساسية التي كانت مطروحة على المؤتمر جرى الاعداد لها بواسطة اللجنة الخاصة لوضع مسودة القرارات المعتمدة . ويستفاد من نصوص القرارات الصادرة عن المؤتمر ان هناك عدة لجان توزعت فيما بينها مهمات القيام بدراسة مشاريع القرارات ومناقشتها لكي ترفع توصياتها الى هيئة المؤتمر الصهيوني بكامل عضويته . فاللجنة الخاصة بـ « المشاكل الاساسية » ،مثلا ، نظرت في مسألتين على جانب كبير من الاهمية : المسألة الاولى هي « الواقع القانوني للمنظمة الصهيونية العالمية » ، والثانية تتعلق بـ « برنامج القدس » . وفي التقرير الذي رفعته اللجنة الى المؤتمر وضمنته توصياتها نتبين ان مسألة الوضع القانوني حظيت على درجة ملحوظة من الاتفاق في الرأي ، كما أظهرت وجود الاحترام التام لسيادة دولة اسرائيل . بينما اختلف الوضع تماما بالنسبة لبرنامج القدس ، وبرزت « فروقات في الرأي عميقة الجذور وعلى نحو لا يستهان به » .

لنبدأ بالتركيز ، اذن ، على « برنامج القدس » والملابسات التي أحاطت بصياغته ورافقت عملية اقراره النهائي في المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين . ولقد اثبتنا النص الكامل

لبرنامج القدس في ملحق خاص لكي يسهل الرجوع اليه واجراء المفارقات اللازمة . على أن نكتفي هنا بايراد القسم المتنازع عليه من البرنامج المذكور .

برنامج القدس (١٩٥١) : يقول التقرير المرفوع الى المؤتمر من « لجنة القضايا الاساسية » ان اللجنة توصلت الى اقرار صيغة للبرنامج تحظى بقبوله أكثرية اعضائها، وذلك من خلال ادراكها « للحاجة الى الحفاظ على وحدة الحركة وقوتها ، وبروح من التسوية » . فالاكثرية الساحقة بين أعضاء اللجنة أقرت ما يلي : اولا ــ اعلان عن وظيفة الصهيونية ، ثانيا ــ برنامج لنشاطات المنظمة الصهيونية العالمية ، ثالثا ــ نداء الى اليهود في كافة انحاء العالم يناشدهم ان ينذروا أنفسهم لهذه المهمات .

أما اقتراح الاكثرية بشأن الاعلان عن مهمة الصهيونية فهو الذي تحول الى قرار المؤتمر على النحو التالي : « ان مهمة الصهيونية هي : ــ توطيد دعائم دولة اسرائيل ــ تجميع المنفيين في أرض اسرائيل ــ وتنمية وحدة الشعب اليهودي » .

ويؤخذ من تقرير اللجنة ــ كما يستفاد من مناقشات المؤتمر لتوصياتها ــ ان الصيغة المدرجة أعلاه لبرنامج القدس هي وليدة التسوية . يقول رئيس اللجنة ، عزرا شابيرو ، امام المؤتمر الصهيوني : « لقد تصارعنا مع مسألة الهدف النهائي للصهيونية وما تعنيه كل من لفظتي « الصهيونية » و« الصهيوني » » . ثم يتابع قوله : « اتضح لدينا انه اذا كان المؤتمر والحركة الصهيونية يرغبان في الحفاظ على وحدتهما ، فلا يوجد هناك من بديل حاليا غير صياغة **مهمة** الصهيونية ، وليس **هدفها** » . وسوف تتضح لنا طبيعة الخلافات الصهيونية حول « المهمة » و « الهدف » من خلال الاطلاع على نصوص مشاريع القرارات الاخرى والاراء التي عبر عنها كل طرف من الاطراف المتنازعة حول تعيين مهمة الحركة الصهيونية العالمية وتحديد هدفها .

بيد أن استقطاب المواقف بصورة جدية حصل ، على ما يبدو من تقرير اللجنة ، أثناء مناقشة التصور الصهيوني ــ الاسرائيلي لعقيدة أساسية في البرنامج هي عقيدة « تجميع المنفيين » . والصيغة التي اثارت خلافات في الرأي جاءت كما يلي أصلا : « خلاص اسرائيل وافتداؤها عن طريق تجميع المنفيين » . فالتقرير الذي رفعته اللجنة يشير الى حدوث انقسام في الاراء وتباين شديد في المواقف بين « المندوبين الاميركيين والانجلو ــ سكسون وغيرهم » من جهة ، وبين « مندوبي اسرائيل والبلدان الاخرى » من جهة ثانية . ولكي نقف على طبيعة هذا الخلاف وأسبابه يجدر بنا الانتقال الى مناقشة التوصيات في المؤتمر الصهيوني ، حيث اتيح لاصحاب « الاقتراحات الاقلية » أن يعرضوا وجهات نظرهم ويقدموا للمؤتمر اقتراحاتهم او مشاريع قراراتهم . فالملاحظ ان قضية استبدال « الاهداف » بـ « المهمات » استأثرت بقسط كبير من الجدل والنقاش ، ولم يتم التوصل الى اتخاذ القرار الا بعد اتفاق الجميع على « اننا لا نقوم الان بتحديد الاهداف النهائية للصهيونية » (رئيس لجنة القضايا الاساسية ــ شابيرو) .

سوف نتناول مواقف الاحزاب والكتل الصهيونية أثناء مناقشة برنامج القدس بشيء من التفصيل الدقيق ، نظرا للاعتبارات التي أملت على الحركة الصهيونية آنذاك فكرة الاكتفاء بصيغة مخففة لبرنامجها المرحلي .

(أ) ــ **مئير غروسمان** : يتساءل غروسمان ــ عضو اللجنة التنفيذية وأحد زعماء التحريفيين ــ عن الاسباب التي دفعت باللجنة التنفيذية الصهيونية الى تغيير موقفها بصورة مفاجئة ، « بعد أن أبلغت الشعب اليهودي في سلسلة من البيانات انها تنوي استبدال برنامج بازل ببرنامج القدس » . ويعلن أسفه لتراجع اللجنة عن موقفها الاصلي ، اذ « بدلا من صياغة الاهداف النهائية للحركة الصهيونية ، نجدها الان تقترح علينا شيئا يختلف تمام الاختلاف » . لماذا « المهمات » وليس « الاهداف » ؟ ربما كانت

للحركة الصهيونية أعذارها ابان عهد الانتداب لكي تلجأ الى التحفظ وتفضل تأجيل الصياغة النهائية لاهدافها لكن الاوضاع تغيرت كليا بعد قيام الدولة ، وأصبحت الحركة الصهيونية بحاجة الى بيان واضح يعلن « اهدافها » وليس الى تحديد غامض ومبهم « للمهمات » .

ثم ينتقل غروسمان الى القول بأن « استجابة الشعب اليهودي سوف تكون متكافئة مع عظمة أهدافنا » . والفكرة الصهيونية لم تتحقق بعد : « عندما نعلن بأن البرنامج الصهيوني لم يتحقق بعد ، وان البرنامج الصهيوني هو لحل المسألة اليهودية ، فذلك يعني انه يجب نقل أكثرية الشعب اليهودي الى أرض اسرائيل ... وبناء عليه يجب الحفاظ على الوحدة الجوهرية للشعب اليهودي . هذا معناه اننا ننوي تحقيق هذه الغاية عن طريق تركيز أكثرية الشعب اليهودي داخل الحدود التاريخية لدولة اسرائيل، واننا بذلك نرغب في تقوية دولة اسرائيل السيدة » .

وينتهي الزعيم التحريفي الى مخاطبة أعضاء المؤتمر الصهيوني بقوله : «ممن تخافون ؟» و« هل ينطوي اعلان يناشد العودة الى صهيون على اخلال بالولاء للمواطنية الاميركية او البريطانية ؟ » ان الصهيونية بنظر غروسمان هي حركة ثورية للتحرر القومي اليهودي .

(ب) ــ **يتسحاق غرونباوم** : ان هذا الزعيم الصهيوني الراديكالي سابقا ، والصهيوني العمومي لاحقا ، ينتمي ايضا الى عضوية اللجنة التنفيذية للوكالة والمنظمة ، فضلا عن اشتراكه في حكومة اسرائيل . والبرنامج الذي يقترحه غرونباوم لمؤتمر القدس يتضمن « هدف » الصهيونية : « ان هدف الصهيونية هو افتداء الشعب اليهودي وخلاصه عن طريق تجميع المنفيين من أبنائه في أرض اسرائيل . وتقوية دولة اسرائيل وتنمية وحدة هذا الشعب في كل مكان » .

يقول غرونباوم ان تحقيق المثال الاعلى ينطوي دوما على الخطر بالنسبة لشعب او حركة تسعى نحو تحقيقه . وهناك خطر اعظم يكمن في التحقق الجزئي للمثال الاعلى . فالصهيونية لم تبلغ بعد « هدفنا النهائي » ، لان الدولة لم تتوطد دعائمها حتى الان ، ولان بلوغ الهدف النهائي لم يتم بعد بالمعنى السياسي او بمعناه الاقليمي .

اما السبب الكامن وراء تفضيل التصورات المسيائية عن « الخلاص » و« الافتداء » فانه يرجع الى « رغبتنا في تجنب التعريفات الاقليمية والسياسية » . التصور المسيائي ينطوي على مزيد من التعميم ، وقد أخذت دولة اسرائيل غداة انشائها تتحدث بعبارات مسيائية عن « تجميع المنفيين » بدلا من الهجرة الجماعية ، فالمعروف ان عبارة « تجميع المنفيين » هي احدى العبارات المسيائية للدلالة على حلول الخلاص واقتراب مجيئه . لكن غرونباوم يؤكد للمؤتمر الصهيوني ان بعض الناس يغشى عليهم من الخوف لدى ترجمة هذه العبارة الى اللغة الانجليزية . فالصهيوني المقيم في اميركا سوف يتساءل : « انني أعيش في بلد حر واتمتع بكافة الحريات المدنية . هل أنا لاجىء ؟ هل أنا هارب ؟ حتى يصار الى اعتباري من المنفيين ؟ » .

وخلاصة القول ، انه « عندما يدور النقاش عن الصهيونية ووظائفها يجب التصريح بوضوح ان الغاية القصوى هي الخلاص القومي ، وان تجميع المنفيين هو وسيلة نحو تلك الغاية » .

(ج) ــ **الدكتور س. يونيتشمان** : عضو المجلس الصهيوني العام وممثل عن الصهيونية التحريفية ، يطالب المنظمة الصهيونية العالمية بأن تعلن أهدافها الصريحة بوضوح تام ، وعلى النحو الاتي : « ان هدف الصهيونية هو تحويل اسرائيل بكاملها وضمن حدودها

التاريخية الى دولة يهودية تتمتع بنظام حكم ديمقراطي وحر . والغرض الرئيسي من وجودها هو تأمين العودة الى صهيون لجميع الساعين نحو صهيون » .

والملاحظ ان صاحب هذا الاقتراح يخاطب أعضاء المؤتمر الصهيوني من الاميركيين بعبارات تنم عن الاستخفاف بموقفهم ومقارنته بموقف « الحاخامين المحتجين » من دعوة هرتزل في مطلع عهدها . فهو يقول ، مثلا ، وبكثير من المرارة : « في مطلع عهد الصهيونية رفضنا الخضوع لـ « الحاخامين المحتجين » ، واليوم خضعنا لـ « الصهيونيين المحتجين » » .

(د) ـ **براعي : ممثل المابام ـ اسرائيل** : يتقدم باقتراح مضمنا اياه مسحة من « العمالية » ، في قوله : « تهدف الصهيونية الى حل المشكلة اليهودية بواسطة تجميع المنفيين في ارض اسرائيل وتحويلهم الى شعب عامل ، وعن طريق تقوية دولة اسرائيل » .

وينتقل مندوب المابام الى اتهام اقتراح الاكثرية بانه يعني القبول بما يدعوه « أبدية المنفى » . هذا القبول الصهيوني بالوجود المستمر للشتات اليهودي سوف يؤدي ، بنظره ، وفي نهاية المطاف ، الى « تصديع وحدة الشعب اليهودي » . يجب على الحركة الصهيونية أن تأخذ بعين الاعتبار يهود الشرق والبلدان العربية « هؤلاء اليهود يحتاجون الى دعامة واساس ... ويجب تقوية الاساس الصهيوني وتوسيعه » .

ثم يلتفت الى المندوبين الاميركيين ، دون ان ينسى التلميح الى دورهم المالي ، فيخاطبهم قائلا : « أنتم الصهيونيون الاميركيون ، كيف تريدون تنفيذ هذه المهمة ؟ بواسطة «افتداء الاسرى» ؟ (Ransoming the captives) ان عملية تجميع المنفيين لن تسير الى الامام بدونكم » . وينتهي الى التأكيد التالي ، على محمل التحدي والوعيد : « لن نجاري اقتراح الاكثرية في اعطائكم شرعة للتحرر من المشاركة الشخصية في تجميع المنفيين » . فالصهيونية الاميركية تقف هنا أمام التحدي الذي يطالبها بتقديم المال والالتزام بمبدأ الهجرة الشخصية الى اسرائيل .

(هـ) ـ **الدكتور كوبل شفارتز** : يقول هذا العضو الاسرائيلي في الاتحاد العالمي لعمال صهيون أن اللجنة « قررت الاكتفاء بتحديد أكثر تواضعا » . ويبرر موقف المابای من خلال تأكيده : « نحن اقترحنا في اللجنة برنامجا يحدد هدف الصهيونية بوضوح ، وبذلنا الجهد لاحراز قبوله . وبعد شتى التحفظات والتأخيرات، رأينا انه لا مجال هناك لحصول تعريفنا على الاكثرية المطلوبة وفقا لدستور المنظمة » . اي أن اوساط اللجنة المكلفة بدراسة «القضايا الاساسية» ورفع التوصيات بشأنها قررت الاستغناء مؤقتا عن تحديد شامل مانع لاهداف الصهيونية ومطامعها ، وذلك حفاظا منها على وحدة الحركة ـ أو لضمان شيء من الاجماع . فالاكتفاء بتحديد مؤقت لمهمة الصهيونية في السنوات القادمة جعل هذه المهمة تقوم على « تجميع المنفيين » و« تقوية دولة اسرائيل » . والاعلان المنشود عن أهداف الصهيونية القصوى « سوف يأتي في حينه » . هذا ما يقوله مندوب المابای على سبيل التطمين ولتهدئة « الناقمين » . فهو يبرر التحول في الموقف الاصلي على النحو الاتي : « قررنا الاكتفاء بتحديد أكثر تواضعا يمكنه انتزاع التأييد من أكثرية حاسمة في المؤتمر . وارتأينا ترك التحديد للاهداف النهائية الى ذلك الوقت الذي تصبح عنده الحركة الصهيونية على درجة من القوة ويتعمق وجدانها الروحي والايديولوجي بحيث تغدو اكثر استعدادا لتقبل تعريفنا بملء ارادتها وبدون احقاد وضغائن ... هذه هي الاسباب التي حملتنا على رص الصفوف في هذا المؤتمر وعدم الاصرار على اقتراحنا الاصلي ... »

(و) ـ **موقف المزراحي** : تقدم مندوب المزراحي وجناحه العمالي في اسرائيل ـ افراهام

ملاميد ــ بالاقتراح التالي للبرنامج الصهيوني : « تسعى الصهيونية نحو خلاص الشعب اليهودي ، وتقوية دولة اسرائيل ، وتجميع المنفيين ، وضمان وحدة الشعب اليهودي » .

وجرى افهام المؤتمر الصهيوني ان هذا الاقتراح « يشكل في رأينا أقصى تنازل يمكننا القيام به » . لان برنامج التسوية في نظر المزراحي ــ وهو البرنامج الذي « يستطيع الحصول على تأييد معظم المندوبين في المؤتمر » ــ يجب عليه أن يتضمن بعض العناصر الاساسية التي « لا يجوز اخضاعها للتسويات » .

لكن المزراحي وافق بدوره على قرار التسوية ، وصرح مندوبه أمام المؤتمر بتبرير من هذا القبيل : « بيد أننا سررنا اذ رأينا بأن هذه المعارضة كانت موجهة فقط ضد تلك التعابير والمفاهيم التي بدت في رأي قطاع واحد ــ وهو قطاع هام في المنظمة الصهيونية ــ سابقة لاوان اعلانها على الملأ ، خوفا من الاحتمال الجدي بانها قد تعرقل جهود المنظمة الصهيونية في اميركا وغيرها من البلدان » .

فالقبول لم يصدر عن قناعة بالتسوية ، اذن ، بقدر صدوره عن الرغبة في مماشاة الجناح الصهيوني الاميركي داخل الحركة ومسايرة موقفه المتحفظ . وهنا يمضي مندوب المزراحي الى القول بان حزبه وجد نفسه امام احتمالين : اما القبول ببرنامج نهائي رغم «عدم اشتماله على المبادىء الجوهرية وتطلعات الاجيال نحو خلاص الشعب والارض»، أو الاكتفاء بتعيين المهمات التي « تواجه المنظمة الصهيونية في المستقبل القريب والى ان يتمكن المؤتمر القادم من تقرير البرنامج النهائي » للحركة الصهيونية . ازاء هذين الامرين ، ارتأى المزراحي اختيار الاحتمال الثاني معتبرا اياه « يرسم المهمات الفورية للصهيونية دون التعبير عن هدفها الاساسي » .

(ز) ــ **الرد على النقاش** : بعد الاستماع الى مختلف وجهات النظر التي أعربت عن معارضتها للقرار المخفف على سبيل التسوية وطمعا بالحصول على شبه اجماع ، جاء دور رئيس « لجنة القضايا الاساسية » لكي يرد في معرض الدفاع عن الموقف الصهيوني الاميركي . قال عزرا شابيرو : « شعرت اللجنة بأنه من الحكمة تأخير الاعلان عن الاهداف النهائية للصهيونية في مثل هذه الظروف » . واعترف بان اللجنة ابتعدت عن « الشعور السائد قبل عام أو عامين ونصف » ــ أي الشعور بأن الحركة الصهيونية على استعداد لتبني مثل هذا الاعلان النهائي للاهداف .

فما هي الاسباب التي أدت الى التراجع والاكتفاء بصيغة التسوية ؟ ان شابيرو يشدد على ما يسميه بـ « الاهتمام المشروع » ، ويؤكد لزملائه خطورة الامر بالنسبة لحملات الجباية وجمع الاموال والتبرعات : « دعوني أقولها بصراحة ان الكثيرين منا أبدوا اهتماما عميقا طيلة سنوات عديدة بالمهمات الكبرى لجمع الاموال وبيع سندات اسرائيل » . وهناك خوف لئلا تتأثر حملات التعبئة المالية في اميركا من جراء الاصرار على برنامج نهائي ينطوي على الاحراج للصهيونيين خارج اسرائيل . لذا يلجأ شابيرو الى مصارحة المطالبين بكشف النوايا والاهداف دونما تردد . فيقول لهم : « انتم تقولون أنكم تريدون منا اكثر من اموالنا . أنتم تريدون طاقتنا البشرية (وهنا أيضا نحن نتكلم بواقعية) . لقد اتضح مما حدث في السنوات الثلاث الماضية انكم لن تحصلوا على مئات الالاف من اليهود الاميركيين ... »

ثم يناشدهم التذرع بالصبر والتفهم الصحيح للمشكلة ، على أن يترك الامر للتربية الصهيونية في المستقبل . ويؤكد لهم ان التوصل الى صيغة التسوية هو عمل يتصف

بحسن التدبير وحكمة التفهم ، لا سيما وان « الجميع اتفقوا على اننا لسنا الان في معرض تحديد الاهداف النهائية الصهيونية » .

وقبل انتقال المؤتمر الصهيوني الى التصويت على مشروع قرار التسوية رأى شابيرو أن يناشد المندوبين « باسم عظمة هذه الساعة وروحها » لحملهم على تبني الاقتراح بأغلبية ساحقة .

(ح) — **غولدمان والانتظار** : عقب تبني المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين لمشروع القرار عن « مهمة الحركة الصهيونية » وقف الدكتور ناحوم غولدمان متسائلا في خطابه: هل تخلى المؤتمر عن اصدار بيان بالهدف النهائي للصهيونية ؟ فعمد الى التنويه باحترام يكنه اليهود للصيغ ، ثم استدرك بقوله : « ليس هناك ما يدعونا الى الخجل ، اذ انتقضت ثلاثة أعوام على قيام الدولة ونحن لم نتوصل بعد الى صياغة أهدافنا النهائية » . وعلى سبيل المفاجأة ، يؤكد غولدمان في معرض التطمين : « هذه الصيغة التي جرى قبولها الان ليست برنامج القدس » . فالتأجيل الموقوت لا يضير الحركة الصهيونية ، لانه «ليس دليل الافلاس السياسي بقدر ما يدل على النضج السياسي والتفهم » . والحركة مدعوة ، في رأي غولدمان ، الى متابعة النقاش بغية التوصل الى برنامجها العتيد . فلا داع هناك الى العجلة : « حتى ولو تعذر الوصول الى اتفاق في المؤتمر القادم . نحن نستطيع المضي في الانتظار » للحصول على تحديد صهيوني للاهداف النهائية .

ولم يشأ رئيس الفرع الاميركي في اللجنة التنفيذية ترك المناسبة تمر دون موعظة عن الصهيونية في اميركا . فراح يتساءل : « هل هو بالشيء السهل ايصال المثل الاعلى الصهيوني الى قلوب الملايين الخمسة ونصف المليون من اليهود الاميركيين في الولايات المتحدة ؟ » ثم أكد للمؤتمر بأن الصهيونية الاميركية لم تبدأ في التطور بعد ، من الناحية الايديولوجية . وانتقل الى تعداد المراحل التالية في تطورها الصهيوني العام : — طيلة ثلاثين عاما كانت الحركة الصهيونية تخاطب اليهود الاميركيين بنغمة واحدة لا غير : أعطونا المال ، وهاتوا التبرعات والمسائل الايديولوجية لا تعنيكم ! — وبعد ذلك ، جاءت مرحلة « الكفاح السياسي » . فقالت الحركة للصهيونيين الاميركيين : « ساعدوا في العمل السياسي » . وغولدمان يعترف لهم بالدور الحاسم في حقل النشاط السياسي . — أما الان ، فالمشكلة التي تواجه الحركة الصهيونية هي الآتية ، في منظور غولدمان : « كيف نربي يهود اميركا والصهيونيين في اميركا على الصهيونية الكاملة ؟ » .

ان الصهيونيين الاميركيين يقولون على لسان غولدمان : « أعطونا الوقت الكافي لكي يتسنى لنا خلاله ان نتطور ! » ويجب على الحركة الصهيونية ان تشهد لهم في قبولهم بمهمة الصهيونية : « تجميع المنفيين » ، علما بأن هذا القبول « لم يكن سهلا عليهم » . واخيرا ، فان تربية الصهيونيين الاميركيين على متطلبات الحركة الصهيونية في المرحلة الراهنة — أي في القاموس الصهيوني : «على خلاص الشعب وحل المشكلة اليهودية» — تحتاج الى الوقت والتذرع بالصبر ، لكن غولدمان ، والجناح الاسرائيلي في الحركة الصهيونية العالمية من ورائه ، يعرف تمام المعرفة بان الصهيونيين الاميركيين « يقومون بالنشاط العملي » خلال فترة الانتظار الطويل والتربية الشاقة .

يبقى السؤال عن برنامج الحركة الصهيونية في تحديد اهدافها النهائية ، ومن الواضح تماما أن برنامج القدس (١٩٥١) ليس الا اتفاقية تسوية حول الحد الادنى من المهمات للمرحلة الفاصلة بين المؤتمر الذي أقره والمؤتمر الذي يليه . كما يتضح لنا مما تقدم أعلاه بأن الصهيونية في ظل الدولة تضمر الكثير وتكتفي بقول الضروري . على سبيل مجاراة الظروف وعدم استباق مجرى الامور . فهي تقر برنامجا لحركتها العالمية وسط تأكيداتها بان هذا البرنامج ليس حقا هو ما تريده بالفعل . لكن التروي وضرورة استرضاء الجناح

الاميركي جعلاها تخضع لاعتبارات الظروف وتنشد التسوية المنفذة من خطر الانقسام على نفسها والتصدع الهيكلي . والقارىء الذي رافق سير المناقشات واتجاه الاراء المختلفة من خلال اقرار البرنامج الصهيوني المعروف بـ « برنامج القدس ، ١٩٥١ » لا يجد مفرا من التساؤل عن النوايا الحقيقية التي تضمرها الصهيونية وتأبى عليها الظروف اعلانها صراحة والمجاهرة بها على الملأ ، ان برنامج الصهيونية يبدو وكأنه صيغة مخففة للتغطية ، طالما ان معظم الاوساط النافذة في الحركة كانت تنادي باعتماد الصيغة القصوى للاهداف النهائية . فهل جاء التبطين في الصياغة فقط على سبيل تطمين الخواطر الصهيونية في اميركا ، أم ان التأجيل يتحين الفرصة الموآتية .

١٠ ــ بين الدولة والمنظمة (أو الوكالة) :

ان المؤتمر الصهيوني الاول بعد قيام اسرائيل لم يكتف باخراج صياغة مناسبة للعقيدة الصهيونية وبرنامج عمل المنظمة العالمية في ظل وجود الدولة وحضورها . هذا مع العلم بأن الصياغة المذكورة تمت ونالت الموافقة بما يشبه الاجماع ، نظرا لطابعها الانتقالي والمؤقت . فالمؤتمر الثالث والعشرون (١٩٥١) اتخذ قرارات تتعلق بالوضع القانوني للمنظمة الصهيونية ، وناشد دولة اسرائيل ان تبادر الى استصدار التشريعات اللازمة لهذا الغرض . واتخاذ تلك القرارات جاء على سبيل الشكليات ، لان حكومة اسرائيل والحركة الصهيونية « اتفقتا » منذ شهر نيسان (ابريل) ، ١٩٥٠ على تشكيل لجنة للتنسيق بينهما . فقد أدلى بن غوريون يوم الخامس عشر من أيار (مايو) ١٩٥٠ أمام الكنيست ببيان جاء فيه ما يلي : « ان دورة انعقاد المجلس الصهيوني العام ، والتي جرت بمدينة القدس في شهر نيسان ، كانت مخصصة للنظر في مشاكل الحركة الصهيونية في ضوء وجود دولة اسرائيل . ولقد رأت الدورة ضرورة قيام التعاون الوثيق والتنسيق التام في حقول الهجرة ــ ومنها هجرة الشبيبة والاحداث ــ والاستيعاب والاستيطان ، بين كل من اللجنة التنفيذية الصهيونية وحكومة اسرائيل » .

وتابع بن غوريون بيانه قائلا : « نظرت حكومة اسرائيل في المطلب الذي تقدم به المجلس الصهيوني العام ، ثم قامت اللجنة المشتركة ــ وهي مؤلفة من الحكومة واللجنة التنفيذية الصهيونية ــ بصياغة اقتراح للتعاون والتنسيق بين الطرفين ، فنال هذا الاقتراح موافقة الحكومة الاسرائيلية واللجنة التنفيذية الصهيونية » .

أما البنود التي نص عليها الاتفاق المذكور ، فجاءت على لسان بن غوريون كالآتي :
١ ــ يتألف مجلس للانماء والتنسيق من حكومة اسرائيل واللجنة التنفيذية الصهيونية .
٢ ــ يضم المجلس أربعة وزراء حكوميين وأربعة ممثلين عن اللجنة التنفيذية ، ويضاف اليه ممثل عن الصندوق القومي اليهودي . ٣ ــ تتمثل الحكومة في المجلس بكل من رئيسها ووزراء : المالية والعمل والهجرة . وتتمثل اللجنة التنفيذية الصهيونية بكل من رئيسها في القدس وأمين الصندوق ورئيس دائرة الهجرة وممثل عن دائرة الاستيعاب .
٤ ــ يقوم المجلس على تنسيق الخطط وتنفيذها في المجالات التالية : الهجرة والاستيعاب واسكان المهاجرين والانماء الزراعي . ويجري تنسيق الميزانيات لتلبية هذه الحاجات ، كما يعود الى المجلس اتخاذ القرار بشأن توزيع الوظائف بين الحكومة واللجنة التنفيذية . ٥ ــ ان هذا الترتيب يبقى نافذ المفعول حتى المؤتمر الصهيوني القادم . عند ذاك يتقدم الطرفان باقتراح التعديلات اللازمة حول تركيب المجلس وبرنامج أعماله .

ومن الملاحظ ان بيان رئيس الحكومة ارتأى التشديد على بعض النقاط التي تكشف عن النوايا والتوقعات . فهو قد شدد ، مثلا ، على الطابع المؤقت للاتفاق ، وأعطى التوضيح التالي : ان ممثلي الحكومة سوف يلتزمون في المستقبل أيضا بمسؤولية جماعية تجاه الحكومة ، ويمارسون عملهم في اللجنة وفقا لقرارات الحكومة ، مع اعطاء الاعتبار

الواجب لسيادة الكنيست . بينما يتصرف ممثلو اللجنة التنفيذية تبعا لقراراتها ويخضعون لسلطة المؤتمر الصهيوني والمجلس الصهيوني العام .

ودفعا لكل التباس حول تضارب السلطات والقرارات والصلاحيات ، عمد رئيس الحكومة الى تطمين المتسائلين بقوله ان الاجتماعات التمهيدية التي جرت بين الطرفين أظهرت بأنه لا توجد أية عقبات أمام التعاون الوثيق والمخلص . ذلك ان « الاهداف والغايات التي تسعى نحوها كل من حكومة اسرائيل والحركة الصهيونية ليست متعارضة ، بل هي ، على العكس تماما ، متطابقة الى حد كبير » .

ثم جاء المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون لكي يتخذ قراراته حول « الوضع القانوني للمنظمة الصهيونية »، وهي القرارات التي تضمنها فيما بعد قانون « الوضع التشريعي » الذي جرى اقراره في الكنيست بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٥٢ . ولقد ارتأينا اثبات النص الكامل لهذا القانون في ملحق الفصل ، والى جانب نص القرارات الصادرة عن المؤتمر تسهيلا للمقارنة ومتابعة لصيغة الشكليات التي أحاطت بعملية الاتفاق على توزيع المهمات والصلاحيات بين الدولة الاسرائيلية وأداتها التنفيذية المتمثلة في المنظمة الصهيونية العالمية .

ان القانون التشريعي لوضع المنظمة الصهيونية في اسرائيل يحتل منزلة بارزة بين القوانين الاساسية للدولة . فقد اعتبره بن غوريون بمثابة تكميل لقانون العودة من حيث اسهامه في تحديد الصفة الصهيونية لدولة اسرائيل . واذا كان قانون العودة قد « أرسى الحق لكل شخص يهودي في التوطن داخل اسرائيل » ، فان هذا القانون الدستوري الجديد يضع أسس « الرباط القائم بين دولة اسرائيل من جهة ، والشعب اليهودي بأسره ، من جهة ثانية » .

فالقرار الصادر عن المؤتمر الصهيوني يسبغ على المنظمة الصهيونية صفة تمثيل «الشعب اليهودي » ، ويعتبرها الهيئة الصالحة قانونيا لمتابعة النشاط الاستعماري بالاصالة عن يهود الشتات . والقانون التشريعي الذي أقره الكنيست يرى في المنظمة العالمية — « والتي هي أيضا الوكالة اليهودية لفلسطين » — طليعة لما يدعوه بـ « حركة الشعب اليهودي » و« مساعيه الرامية لتحقيق رؤيا الاجيال في العودة الى الوطن » . ثم يعمد القانون في مادته الخامسة الى اعلان « الواجب الاساسي » ، أو المحوري ، الذي تضطلع به كل من دولة اسرائيل والحركة الصهيونية ، على أنه واجب « تجميع المنفيين » من يهود العالم عن طريق تهجيرهم الى اسرائيل .

وربما كان من المفيد لنا الرجوع في هذا الصدد الى الكلام الذي قاله بن غوريون في معرض تقديمه لمشروع القانون المذكور أمام الكنيست في أيار (مايو) ١٩٥٢ . فقد راح رئيس الحكومة يؤكد بأن « مشروع هذا القانون يختلف بشكل عام عن القوانين الاخرى ، ليس من حيث الشكل فقط ، بل ولجهة المضمون أيضا . والقانون يقصد به عادة تغيير شيء ما أو تحسينه ، بينما يرمي هذا التشريع الى الحفاظ على حقيقة أساسية ، والى تثبيتها وتزويدها بالصفة القانونية ومنحها اعتراف الدولة . هذه الحقيقة هي : تجربة الشعب اليهودي واستمراريته التاريخية ، بالاضافة الى وحدته وأمانيه » .

فالقصد من وراء استصدار « قانون الوضع التشريعي » ليس الا تثبيت الوضع القائم والمصادقة القانونية عليه . والمنظمة الصهيونية العالمية (الوكالة اليهودية) تبدو من خلال بنود هذا القانون ونصوصه على حقيقتها : كأداة لتنفيذ المآرب الاسرائيلية بين يهود العالم وتحت شعار السعي الحثيث لتجميعهم في دولة اسرائيل ، والعمل على تحقيق الوحدة فيما بينهم .

ففي الجلسة الرابعة التي عقدها المجلس الصهيوني العام منذ انتهاء المؤتمر الثالث

والعشرين ، ومن ٢٤ الى ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ، ١٩٥٣ ، القى موشيه شاريت كلمة الحكومة بصفة كونه رئيسا للوزارة في الوكالة (وذلك عقب استقالة بن غوريون من الحكم) . ومما قاله شاريت : « المنظمة الصهيونية العالمية هي الذراع التنظيمية لهذه الشراكة التاريخية والمنتجة بين مركز الامة في دولتها المستقلة وأطرافها الممتدة الى بلدان الشتات » .

بينما وقف رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية (بيرل لوكر) للتنويه بوجود « التعاون الوثيق » بين المنظمة والحكومة ، دون انتظار التوقيع على « الميثاق » أو الاتفاقية الخاصة بين « الطرفين » لتنظيم مسألة التطبيق العملي للقانون . ويبدو من كلامه ان الاوساط الصهيونية كانت تنتظر بفارغ الصبر بادرة الحكومة للتوقيع على نص « الميثاق » . فهو يرد على الاصوات التي طالبت بالتعجيل ، مؤكدا بأن « هذه ليست القضية الرئيسية . وهناك مجالات وفيرة العدد ، حيث يقوم تعاون وثيق بيننا وبين الحكومة » . ثم يعطي بعض الامثلة للدلالة على طبيعة ذلك التعاون : « في حقل الاستيطان الزراعي — خلال السنوات الفائتة كانت المساعدة الحكومية تسد جزءا من ميزانية الاستيطان الزراعي ، بينما يأتي القسم الاكبر منها عن طريق الكيرين هايسود ». ويستطرد قائلا : « نحن نشارك في شركة « مكوروت » للمياه بنسبة قدرها ٦٥ ٪ ، مقابل حصة الحكومة التي تبلغ ٣٠ ٪ » . كما توجد « هناك قرى جديدة قيد التخطيط **بالتعاون مع الحكومة والجيش** » .

ولكي نتعرف عن كثب الى طبيعة « التعاون » القائم بين المنظمة الصهيونية والدولة خلال تلك المرحلة الفاصلة بين تصديق الكنيست على « قانون الوضع التشريعي » (١٩٥٢) وتوقيع الحكومة على « الميثاق » مع المنظمة العالمية (١٩٥٤) ، يجدر بنا التوقف عند بعض القضايا التي أثيرت ابان انعقاد دورات المجلس الصهيوني العام .

التمييز ضد الشرقيين : حاول رئيس اللجنة التنفيذية (بيرل لوكر) تبرئة الفئات الحاكمة من تهمة التمييز ضد الجماعات اليهودية الشرقية في اسرائيل . فأنكر وجود أية نزعة من هذا القبيل لدى حكومة اسرائيل او غيرها من الهيئات العامة والجماعات المسؤولة. ثم أنحى باللائمة على « الظروف الموضوعية التي أوجدت حالة من التمييز ضدهم » . وانتقل الى تفسير الظرف الراهن على سبيل تبريره . فقال : هناك كثيرون بين القادمين الجدد من أوساط يهودية شرقية تنقصهم المعرفة والمقدرة التي يتجهز بها اليهود المتحدرون من أوروبا . ولهذا السبب ليس بمقدورهم احتلال منصب متكافىء في ميدان الخدمة العامة ، سواء كان ذلك في الجهاز الحكومي أم داخل ادارة الحركة الصهيونية وغيرهما من الهيئات . بل ينبغي لهم أن يتعلموا ويتطوروا حتى يصلوا الى مكانهم الصحيح . وانتهى لوكر الى التأكيد بأن اعطاء المنح الدراسية الى أبناء اليهود الشرقيين هو الخطوة الاولى في طريق رفعهم الى المستوى الثقافي المطلوب .

مقومات وجود الحركة : بين الموضوعات التي استأثرت بنصيب وافر من التنظير والتحليل ، طيلة السنوات الفاصلة بين ١٩٥١ و١٩٥٦ ، موضوعة المقومات التي تبرر وجود الحركة الصهيونية واستمرارها بعد أن أصبحت دولة اسرائيل حقيقة قائمة . فرئيس اللجنة التنفيذية يعرب عن قناعته امام أعضاء المجلس الصهيوني العام في الاسبوع الاخير من سنة ١٩٥٣ بأن الحركة لم تفقد مقوماتها ومبرراتها ، بل أمامها دور خاص ينتظر الانجاز . ونعرف من كلامه بأن تسمية الصهيوني ليست وقفا على اليهودي الذي يستوطن في اسرائيل أو يزمع الاستيطان هناك في المستقبل القريب . فالشتات سوف يظل قائما طيلة سنوات عديدة ، والجماهير اليهودية لن تبادر الى استيطان اسرائيل ما لم تتعرض لوطأة الضغوط الخارجية .

أما الرئيس الثاني للجنة التنفيذية (الفرع الاميركي) ــ ناحوم غولدمان ــ فقد نظر الى الموضوع من زاوية أخرى ، واعتبر بأن وجود الحركة الصهيونية ضروري ولها ما يبررها فقط عندما تقوم بدور تنسيق النشاطات بين « الشعب اليهودي واسرائيل » . أي ان المبرر لوجود الحركة هو قيامها بدور الوسيط : « واذا درجت حكومة اسرائيل ، ودرج ممثلوها ، على التفاوض مباشرة مع مختلف الهيئات اليهودية ، فلا مبرر هناك » للحركة الصهيونية .

وعلى الصعيد التنظيمي ، أشار غولدمان الى قضيتين هما : (أ) شكل المنظمة الصهيونية وتركيبها و (ب) موقف الحركة من غير الصهيونيين ومن الاشخاص الذين لا ينتمون الى أحزاب صهيونية . كما خاطب المجلس العام بقوله : « ثمة اقتراح يدعو الحركة الصهيونية الى مبارحة اسرائيل واتخاذ مركز لها في بلد آخر ، بالاضافة الى وجوب تحولها نحو حركة قائمة في المنفى كليا . وحتى لو توصل المؤتمر الصهيوني الى اتخاذ قرار سخيف مثل هذا ، أستطيع التأكيد لكم بأن الوكالة اليهودية سوف تغدو بلا موازنة في غضون يومين . ومن ذا الذي سيعمل على تأمين ميزانية للوكالة متى كانت الحركة الصهيونية ممنوعة سياسيا من القبول بالمبادىء الاساسية للدولة ، ولا تمارس أعمالها في اسرائيل ؟ فاليهود يتبرعون بالاموال لاننا نملك قسطا في العمل السائر قدما داخل اسرائيل . ولقد سعينا للتعبير عن هذا الامر في القانون الذي يحدد وضع المنظمة الصهيونية ومكانتها القانونية في اسرائيل » .

التطابق السياسي : ان غولدمان يريد للمنظمة الصهيونية في ظل الدولة أن تقوم بدور صلة الوصل بين اسرائيل ويهود العالم . لكنه في الوقت نفسه لا يستطيع اعتناق النظرة القائلة بوجوب امتناع الحركة الصهيونية عن اتخاذ موقف سياسي الى جانب دولة اسرائيل . فأصحاب هذا الرأي يقولون : « قد تكون الدولة مستعدة لابرام الصلح على أساس الاراضي التي تسيطر عليها الآن ، والقبول بتقسيم فلسطين . أما الحركة الصهيونية ، فانها ليست الدولة ، ولا هي ملزمة بالموافقة على ذلك » . وغولدمان ــ على ما يبدو من أقواله ــ يتمنى على الحركة الصهيونية الا تخرج عن طاعة الدولة سياسيا ، فتتجاوز دورها المرسوم . فالصهيونية سوف تجد نفسها في وضع محزن ، « لو حدث أن زعماءها المقيمين في أنحاء مختلفة من العالم خطر لهم القول : اذا كانت الدولة على استعداد للاعتراف بحدودها الحاضرة ، فنحن بصفة كوننا على راس حركة الشعب اليهودي في سبيل التحرر القومي ، نريد توسيع تلك الحدود » . والتنسيق في السياسة معناه انصياع الحركة لاوامر الدولة وتقيدها بالخط السياسي الذي تتبعه اسرائيل بصورة رسمية أو معلنة . لكن غولدمان اياه أجرى بعض التعديلات على رأيه هذا ، لا سيما خلال وجوده على رأس المنظمة الصهيونية العالمية (١٩٥٦ ــ ١٩٦٨) وفي أعقاب عزوفه عن الترشيح لمنصب الرئاسة واطلاق التصريحات المتسببة في احراج الاوساط الاسرائيلية الحاكمة واثارة غضبها . ومن المؤكد ان المنظمة الصهيونية لا تملي المواقف السياسية على دولة اسرائيل أبدا ، بل تتبنى المواقف الاسرائيلية وتعمل على الترويج لها والادعاء بنسبتها الى « كافة يهود العالم » . هذه الحقيقة تجلت في «الميثاق» على خير وجه .

توقيع الميثاق : أشرنا فيما تقدم الى التململ الذي اعترى الاوساط الصهيونية من جراء التأخير الاسرائيلي في التوقيع على الميثاق بين اللجنة التنفيذية والحكومة . ولدى انعقاد الجلسة الخامسة من الدورة الرابعة للمجلس الصهيوني العام (عند نهاية ١٩٥٣) ، وقف ناحوم غولدمان ليعلن انها المرة الاولى منذ قيام اسرائيل ينعقد فيها المجلس دون الحضور المألوف لرئيس حكومتها المستقيل آنذاك : دافيد بن غوريون . ثم حاول الرد على الاعضاء الذين انتقدوا المماطلة في ابرام الميثاق ، فقال : « دعوني اشرح لكم كيف لم

ننته من المفاوضات حول الميثاق قبل أن يقرر بن غوريون الاستقالة . الميثاق مسألة بالغة الاهمية ، ويلزم لنا الوصول الى اتفاق تام حول مضمونه . لكنه تعذر علينا الوصول الى اتفاق مع بن غوريون » . واستطرد رئيس اللجنة التنفيذيـــة قائلا : « لقد استمرت المفاوضات بضعة اشهر ، وعندما اخذت في الالحاح على وجوب الانتهاء من التفاوض بطريقة ما أو أخرى ، أصبح من الواضح ان بن غوريون ينوي الاستقالة . مما حمله على القول لي : أنت تعرف بأن لي آرائي الخاصة حول المسألة . وربما كنت أنا الشخص الاوحد الذي يعتنق مثل تلك الآراء . فلماذا نتخاصم حول هذه القضية ؟ ومن الافضل تركها الى حين تسلم الحكومة الجديدة ولايتها » .

طبعا ، لا ريب في أن آراء بن غوريون لعبت دورها في عملية التسويف والمماطلة . فهو يصر على الاقرار الصريح بالسلطة العليا للدولة ازاء المنظمة ، ولا يتوانى عن احراج الصهيونيين الذين يمارسون صهيونيتهم من خارج اسرائيل ودون الاقدام على خطوة الهجرة الى الدولة اليهودية . وناحوم غولدمان ، بعد الانحاء اللبق بالائمة علـــى بن غوريون ، راح يعلل المجلس الصهيوني العام بالوعود التالية : « ومن الافضل ، على وجه التأكيد ، المجيء الى دورة المجلس الصهيوني العام بصحبة ميثاق وافق عليـــه الطرفان ، بدلا من التقدم بتقرير خلاصته اننا لم نتمكن من الوصول الى اتفاق » .

وفي دور انعقاده الخامس بعد انتهاء المؤتمر الثالث والعشريـــن (بين ٢١ و٢٩ تموز ـــ يوليو ـــ ١٩٥٤ ، في القدس) اتخذ المجلس الصهيوني العام هذا القرار : « ان المجلس الصهيوني العام يعلن قبوله بارتياح عميق للتوقيع رسميـــا على الميثاق المعقود بين حكومة اسرائيل واللجنة التنفيذية الصهيونية . وينوه المجلس العام بأن الميثاق يقدم في مبادئه تعبيرا تاما عن آراء المنظمة الصهيونية العالمية كما عبرت عنها قرارات المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين ومقررات المجلس الصهيوني العام » .

لقد استغرق توقيع الميثاق ما لا يقل عـــن ثلاث سنوات من تاريخ انعقاد المؤتمـــر الصهيوني الثالث والعشرين واتخاذه للقرارات المتعلقة بوضع المنظمة الصهيونية في ظل دولة اسرائيل . واستكمالا لابعاد الصورة التي نتوخى رسمها للحركة الصهيونية ، رأينا ادراج الميثاق بنصه الكامل في ملاحق هذا الفصل .

لا بد لنا ، قبل الانتقال الى القسم التالي من دراسة الحركة الصهيونية ، من التوقف قليلا عند الدور الذي لعبته المنظمة العالمية على صعيد الشؤون السياسيـــة ، والمشاكل السياسية التي كانت تحف بدولة اسرائيل . فالنشاط السياسي الذي درجت احدى دوائر الوكالة اليهودية (الدائرة السياسية) على ممارسته قبل قيام اسرائيل انتقل في الظاهر على ما يبدو الى وزارة الشؤون الخارجية . ذلك ان المنظمة الصهيونية العالمية لجأت الى استبدال الاسم فقط . فجعلت « العلاقات العامة » وتنميتها بديلا لما كان يدعى في السابق بـ « النشاط السياسي » . والاطلاع على سير المناقشات خلال اجتماعات المجلس الصهيوني العام في تلك الفترة يزود الباحث بفكرة واضحة عن الصيغة الجديدة لممارسة « العلاقات العامة » .

ففي مطلع الخمسينات (أوائل شهر نيسان ، ١٩٥١) نظر مجلس الامن الدولي بقضية اقدام اسرائيل على تجفيف بحيرة الحولة ، وأصدر قراره الداعـــي الى ايقاف أعمال التجفيف . كما باشرت اسرائيل في تنفيذ مشروعها الرامي الى الاستيلاء على مياه نهر الاردن وجرها لري منطقة النقب . وفي منتصف تشرين الأول (اكتوبر) ، ١٩٥٣ ، ليلة ١٤ ـــ ١٥ منه ، شنت اسرائيل اعتداءها الوحشي على « قبية » وارتكبت مذبحة أخرى ضد سكانها الآمنين من العرب . فكتبت مجلة « تايم » الاميركية تقول ان نظارة الخارجية الاميركية أعلنت عن تجميد المساعدة الاقتصادية الى اسرائيل ـــ وهي التي بلغت قيمتها

٦٥ مليون دولار في العام الفائت — حتى يتوقف الاسرائيليون عن متابعة الاشغال التي باشروها لتحويل قسم من مياه الاردن واستخدامها لاغراض الري وتوليد الطاقة الكهربائية .

ازاء هذه الخلفية الزاخرة بالاحداث والاعتداءات ، وحيال الاستهتار الاسرائيلي المكشوف بقرارات مجلس الامن ، ينبغي النظر الى مواقف الحركة الصهيونية ابان تلك الفترة . والمناقشات التي دارت في اجتماعات المجلس الصهيوني العام تكشف بعض النواحي البارزة من نشاط الحركة الصهيونية في الميدان السياسي .

فقد أعلن عضو المجلس وممثل الصهيونيين العموميين في اسرائيل — سام سيغال — في معرض الاعراب عن اقتناعه بوجوب فتح ابواب الحركة الصهيونية أمام اليهود غير المنتمين الى أحزاب صهيونية ، ما يلي : « ان الاحداث الاخيرة في اسرائيل والمتعلقة بحادثة قبية ومشروع تطوير الاردن أظهرت لنا مقدار حاجتنا الكبرى الى العطف اليهودي ، ولا سيما غير اليهودي منه ، في كفاحنا السياسي على المسرح الدولي » . ودعا الحركة الصهيونية خارج اسرائيل الى القيام بتنمية « العلاقات العامة » على غرار ما كان يدعى في السابق بـ « النشاط السياسي » .

بينما اقترح رئيس لجنة النشاطات في اسرائيل اعتبار المشكلة الرئيسية التي تواجه الحركة الصهيونية في اللحظة الراهنة بأنها تنطوي على « كيفية تجديد حركة الهجرة » . ومما قاله في هذا الصدد : « لا يسعنا الا تقديم جواب واحد على الخطر العظيم الذي يواجهنا . وهذا الجواب يكمن في تقوية الدولة وتدعيمها اقتصاديا وسياسيا ، وزيادة سكانها » .

وعندما طرحت « لجنة المشاكل السياسية لدولة اسرائيل » على أعضاء المجلس الصهيوني العام مشروع قرار بشأن الموقف الصهيوني من الدول الغربية التي جرى اتهامها بمحاولة شراء تأييد البلدان العربية والتآمر على حق اسرائيل في التطور الحر ، شهد اجتماع المجلس نقاشا عنيفا حول مضمون القرار وكيفية صياغته بلهجة قوية . فاقترح جاكوب هزان — عضو المابام في اسرائيل — ادخال التعديل التالي على مشروع القرار ليكون بمثابة التوطئة له : « ان الحركة الصهيونية ، بصفة كونها الممثلة لجميع اليهود في كافة أنحاء العالم من الذين ينشدون التحرر القومي عن طريق التركز الاقليمي ، ينبغي لها تبني سياسة من شأنها أن تبعدها عن دائرة النزاع القائم بين الكتل العالمية المتنافسة . وهي اذ تنطق بلسان شعب مجزأ ومشتت بين مختلف البلدان والانظمة ، لا يسعها ككل أن تحقق رسالتها الا متى تحاشت الانجرار الى ميدان الحرب الباردة . هذا هو الاتجاه الاوحد الذي يمكنها تبنيه ، لكي تستطيع الحفاظ على صلاتها مع كافة قطاعات الامة المبعثرة ، ومضاعفة احتمالات تجميع المنفيين » .

أما ممثل حيروت — هاتزوهار ، القادم من الولايات المتحدة لحضور اجتماعات المجلس ، فقد اقترح التعديل التالي على مشروع القرار « ان المجلس الصهيوني العام ، تمشيا مع اهداف الصهيونية — وهي : حل المسألة اليهودية ، وبقاء الشعب اليهودي واحياؤه ، وبلوغ حقوق الشعب اليهودي وضمان مصالحه في أرض اسرائيل — يقرر بأن تنشىء اللجنة التنفيذية دائرة سياسية للقيام بنشاط واسع النطاق في حقل الاعلام السياسي داخل العالمين اليهودي وغير اليهودي ، وفي الاوساط السياسية النافذة التي تؤلف مصدر الثقة » .

لكن مشروع قرار اللجنة فاز بأكثرية الاصوات . ورغم سقوط التعديل الذي اقترحه أعضاء المابام ، مثلا ، فقد صوتوا الى جانب مشروع القرار الاصلي . ولجأ جاكوب هزان الى تبرير هذا التراجع بقوله : « نظرا للخطر البالغ الذي يواجهنا ، وبحكم

الضرورة والالتزام في التعبير عن التضامن الحازم برص الصفوف الصهيونية دفاعا عن قضيتنا ، عمدنا الى التصويت لصالح القرار » .

وفي دورة انعقاد المجلس الصهيوني العام من ٢١ الى ٢٩ تموز (يوليو) ١٩٥٤ ، تبدل اسم « لجنة الشؤون السياسية » فصارت تعرف باسم « لجنة العلاقات العامة » ، وتضم ٨ أعضاء بالاضافة الى أعضاء البريزيديوم . بينما رحبت لجنة الوضع القانوني للمنظمة الصهيونية (لجنة الميثاق) بالامتيازات التي منحتها حكومة اسرائيل للوكالة اليهودية والمؤسسات التابعة لها . فالرسائل المتبادلة بين رئاسة الوزراء ورئيس اللجنة التنفيذية تشير صراحة الى الامور التالية : أولا ــ منح الوكالة اليهودية (المنظمة الصهيونية) ومؤسساتها الوضع القانوني الذي تتمتع به المؤسسات الحكومية . ثانيا ــ اعطاء الرئيس والاعضاء في كل من اللجنة التنفيذية الصهيونية والمجلس الصهيوني العام صفة رسمية في الاحتفالات والمناسبات الرسمية ، بحيث يكون التسلسل في الاسبقية كما يلي : يأتي كل من رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية ورئيس المجلس الصهيوني العام بعد اعضاء الحكومة مباشرة . ويتساوى اعضاء اللجنة التنفيذية مع نواب الكنيست ، بينما يلي هؤلاء أعضاء المجلس الصهيوني العام بشكل مباشر . ثالثا ــ تعتزم الحكومة البت بمسألة اعفاء المنظمة الصهيونية من الضرائب قبل اختتام السنة المالية .

وعلى الرغم من هذه « الامتيازات » والنصوص « القانونية » الموضوعة بقصد الفصل الشكلي بين الحكومة الاسرائيلية والمنظمة الصهيونية العالمية ، فان الثانية تخضع فعليا لسلطة الاولى وتعمل في خدمتها . أما الاساس العقائدي الصهيوني الذي يتجلى في كافة ما طالعنا من قرارات وقوانين أو مواثيق لتحديد العلاقة العملية بين الدولة والمنظمة ، فيمكن ايراده على النحو الاتي : أ ــ كل اليهود في العالم يؤلفون أمة واحدة ، ب ــ دولة اسرائيل هي الممثل الشرعي لذلك الجزء من الامة القاطن في « صهيون » (اسرائيل) ، ج ــ والمنظمة الصهيونية هي الممثل المفوض للامة القاطنة في أمكنة أخرى من العالم قاطبة ، د ــ ان « الدولة » و « المنظمة » هما ممثلان « متساويان في المنزلة » للامة الواحدة ، وبناء عليه تستطيعان ابرام المواثيق والدخول في معاهدات ، والتعاون فيما بينهما لاجل غاية مشتركة .

ملحق : القرارات التي تبناها المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون حول القضايا الاساسية للصهيونية

القضايا الاساسية

مهمة الصهيونية : ان مهمة الصهيونية هي كما يلي : تقوية دولة اسرائيل ، وتجميع المنفيين في أرض اسرائيل ، وتنمية وحدة الشعب اليهودي .

برنامج عمل المنظمة الصهيونية العالمية : ان برنامج عمل المنظمة الصهيونية العالمية هو كالاتي : (أ) تشجيع الهجرة ، واستيعاب المهاجرين وادماجهم ، وتدعيم هجرة الاحداث والشبيبة ، وتحريك الاستيطان الزراعي والتنمية الاقتصادية ، والاستحصال على الاراضي باعتبارها ملكا للشعب ، (ب) العمل المكثف في سبيل الريادة الطلائعية وتدريب الرواد الطلائعيين («Hachsharah», «Chalutziut») ، (ج) تنسيق الجهود الرامية الى تسخير الاموال واستخدامها في سبيل تنفيذ مهمات الصهيونية ، (د) تشجيع عمليات توظيف رؤوس الاموال الخاصة ، (هـ) تنمية الوجدان اليهودي عن طريق نشر الفكرة الصهيونية وتقوية الحركة الصهيونية . وبث قيم اليهودية والتربية العبرية ، ونشر اللغة العبرية ، (و) تعبئة الرأي العام العالمي لصالح اسرائيل والصهيونية ، (ز) المشاركة في الجهود الرامية الى تنظيم الحياة اليهودية وتكثيفها ، على اسس ديمقراطية . وصيانة الحقوق اليهودية والدفاع عنها .

ملحق : مختارات من القرارات السياسية التي تبناها المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون (١٩٥١) في القدس

« قامت دولة اسرائيل نتيجة التوق القديم لدى الشعب اليهودي الى الانبعاث الروحي في وطنه ... »
« ان الدولة (اسرائيل) هي التعبير الاسمى عن ارادة الامة اليهودية في الخلاص ، وتجسيد للشراكة الخلاقة بين جميع قطاعات الامة ... »
« ان المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين ، وهو أول مؤتمر يعقد في القدس ، يبعث بتحياته الابتهاجية الى حكومة اسرائيل والكنيست : الى الممثلين الشرعيين للامة القاطنة في صهيون » .
« مع قيام الدولة ، أخذت مؤسساتها الرسمية على عاتقها المهمة والمسؤولية في تسيير دفة سياستها وتحديد علاقاتها مع أمم العالم » .
« ان هذه السياسة ، التي ترتكز على رغبة الدولة في السلام مع أمم العالم ومع البلدان العربية المجاورة ، بغية تعزيز سيادتها وأمنها وضمان الامكانية التامة لتطورها الدينامي — تحظى بالتأييد الكامل من جانب الحركة الصهيونية والشعب اليهودي كله ، وسوف تستمر في الحظوة بهذا التأييد » .
« ان الحركة الصهيونية سوف تقف بعزم وثبات الى جانب دولة اسرائيل وحكومتها في جهودهما الرامية الى زيادة التفهم والعطف على دولة اسرائيل ومهماتها التاريخية » .
نداء الهجرة : « ان المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين يناشد تلك الجماعات اليهودية التي لا تزال الهجرة من وسطها الى اسرائيل على نطاق صغير ، ولا سيما الجماعات الموجودة في نصف الكرة الغربي ، الانضمام الى حركة الهجرة صوب اسرائيل . هذا النداء موجه بنوع خاص الى الشبيبة في تلك الجماعات .
فالمنظمة الصهيونية والهيئات القائمة في البلدان المعنية مطالبة بالحاح للتشجيع والمساعدة في تنظيم النشاطات لاجل زيادة الهجرة الى اسرائيل من أوساط تلك الجماعات . على ان تعطى الافضلية لهجرة الرواد الطلائعيين من الشباب ، والاشخاص من أصحاب المهن والمهارات ، والذين يملكون الوسائل المالية » .

ملحق : قرارات المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين (١٩٥١) بشأن « غزو الجماعات اليهودية » في العالم وتجنيد ابنائها في خدمة اسرائيل تحت ستار «الريادة » والتثقيف العبري والنشاطات التربوية .

الريادة الطلائعية

تثقيف الشبيبة بروح التحقيق الصهيوني : يعلن المؤتمر بأن تثقيف جماهير الشبيبة اليهودية في الشتات وتوجيهها صوب التحقيق الصهيوني للذات ، واستحسان القيم الثقافية العبرية ، واستيطان الاراضي الخراب ، وحياة العمل ، والاستيطان الزراعي وانجاز المهمات الحيوية لخير الشعب اليهودي ولصالح الدولة — تؤلف كلها في هذه اللحظة بالذات : المهمة الرئيسية والهدف المحوري للحركة الصهيونية العالمية . ويوعز المؤتمر الى اللجنة التنفيذية الصهيونية والى المنظمات الصهيونية في كافة انحاء الشتات بأن تجعل من تثقيف الشبيبة اليهودية على مهمات الريادة الطلائعية ومن تأدية واجباتها نحو الشعب والدولة محط اهتمامها والمجال الرئيسي لنشاطاتها .

تدريب الرواد الطلائعيين في الشتات : يؤكد المؤتمر بأن التدريب على الريادة الطلائعية لا يزال ، حتى بعد انشاء دولة اسرائيل ، بمثابة الوسيلة الاكثر فعالية لاعداد الشبيبة اليهودية في الشتات على القيام بأعمال ريادية وطلائعية في اسرائيل .
ومن بالغ الاهمية أن يصار الى غرس القيم المتأصلة في العمل الريادي — الاستيطاني في نفوس الشبيبة وهي لا تزال في الشتات .
ان اللجنة التنفيذية والمنظمة الصهيونية ، كل منهما مدعوة الى انشاء شبكة واسعة من مزارع التدريب الزراعي في جميع بلدان الشتات .

التربية والثقافة في المنفى

النشاط الثقافي والتربوي : أهدافه وطرائقه : ان المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين — وهو أول مؤتمر يعقد في دولة اسرائيل — يعتبرها من الضرورات التاريخية أن يتم تطوير الصلات الثقافية والتربوية بين دولة

اسرائيل والشتات ، لكي يصار الى تعميق الوجدان اليهودي والى التعجيل بعملية تجميع المنفيين . هذا الهدف يتم بلوغه عن طريق تقوية المؤسسات اليهودية ، التربوية والثقافية منها ، القائمة حاليا في الشتات ، وبواسطة انشاء مشروعات جديدة واسعة تتناسب مع متطلبات هذه المرحلة التاريخية العظمى . ان مثل هذا النشاط التربوي والثقافي سوف يستند الى التراث الروحي للشعب اليهودي ، ويرتكز على قيم الريادة الطلائعية والتحقق الذاتي في اسرائيل .

التربية العبرية : يرى المؤتمر انه من واجب كل الصهيونيين تزويد أبنائهم بتربية عبرية .

قرارات المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين (١٩٥١)

حول الوضع القانوني للمنظمة الصهيونية

(أ) — يعلن المؤتمر ان النشاط العملي الذي تقوم به المنظمة الصهيونية العالمية وهيئاتها المختلفة في سبيل تحقيق مهماتها التاريخية في أرض اسرائيل يتطلب أقصى درجة من التعاون والتنسيق بينها وبين دولة اسرائيل وحكومتها ، تمشيا مع قوانين البلاد .

(ب) — يرى المؤتمر من الجوهري ان تقوم دولة اسرائيل ، عن طريق الاجراء التشريعي الملائم ، بمنح المنظمة الصهيونية العالمية وضعا قانونيا بصفة كونها تمثل الشعب اليهودي في كافة الشؤون المتعلقة بالمشاركة المنظمة من جانب يهود الشتات في تطوير البلاد وبنائها ، والاستيعاب العاجل للمهاجرين .

(ج) — فيما يتصل بجميع النشاطات التي تجري ممارستها لخدمة مصالح دولة اسرائيل داخل الجماعات اليهودية في الشتات ، انه لمن الجوهري ان تعمل حكومة اسرائيل ودولتها بالتشاور والتنسيق مع المنظمة الصهيونية العالمية .

(د) — انه لمن الضروري ، في كافة المسائل المتعلقة بالتشريع المنتظر من جانب دولة اسرائيل ، وبالنسبة لنشاطات واعمال المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية ، وممتلكاتهما وموجوداتهما — اجراء تشاور مسبق بين الحكومة ، من جهة ، واللجنة التنفيذية لكل من المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية ، من جهة ثانية .

(هـ) ١ — على أساس الوضع القانوني الذي سوف يصار الى منحه للمنظمة الصهيونية العالمية ، فان اللجنة التنفيذية لكل من المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية سوف تكون مخولة الصلاحيات للعمل ضمن المجالات التي تحددها من وقت الى اخر اتفاقية خاصة يجري التوصل اليها مع حكومة اسرائيل . ٢ — يتم تعيين المجالات المدرجة ادناه لممارسة النشاط الصهيوني ، من بين مجالات اخرى ، خلال المرحلة القادمة : أ — تنظيم الهجرة ونقل المهاجرين وممتلكاتهم الى اسرائيل ، ب — المشاركة في استيعاب المهاجرين ، ج — هجرة الاحداث والشبيبة ، د — تطوير الاستيطان الزراعي ، هـ — استملاك الاراضي وتحسينها على يد الصندوق القومي اليهودي ، و — المشاركة في مشاريع الانماء . ٣ — ان الهيئة التنسيقية المؤلفة من حكومة اسرائيل واللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية سوف تأخذ على عاتقها مهمة القيام بتنسيق مجالات النشاط المذكورة أعلاه .

« القانون التشريعي » (Status Law)

كما اقره الكنيست الاسرائيلي في ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٢

١ — دولة اسرائيل تعتبر نفسها صنيعة الشعب اليهودي بأسره ، وتمشيا مع قوانينها فهي تفتح أبوابها أمام كل شخص يهودي يرغب في الهجرة اليها .

٢ — ان المنظمة الصهيونية العالمية ، منذ تأسيسها قبل نصف قرن ، تصدرت حركة الشعب اليهودي وتزعمت مساعيه الرامية لتحقيق رؤيا الاجيال بالعودة الى وطنه ، مثلما أخذت على عاتقها بمساعدة اوساط وهيئات يهودية اخرى ، عبء المسؤولية الرئيسية في اقامة دولة اسرائيل .

٣ — ان المنظمة الصهيونية العالمية ، والتي هي ايضا الوكالة اليهودية لفلسطين ، تنذر نفسها ، كما فعلت في الماضي ، لتشجيع الهجرة الى اسرائيل ، وادارة مشاريع الاستيعاب والاستيطان في الدولة .

٤ — تعترف دولة اسرائيل بالمنظمة الصهيونية العالمية على أنها الوكالة المخولة السلطات والتي سوف تتابع

اعمالها في دولة اسرائيل لاستيطان البلاد وتنميتها ، ولاستيعاب المهاجرين من الشتات ، ولتنسيق الانشطة في اسرائيل والتابعة للمؤسسات والجمعيات اليهودية العاملة في تلك المجالات .

٥ ــ ان مهمة تجميع المنفيين ، وهي الواجب المحوري لكل من دولة اسرائيل والحركة الصهيونية في ايامنا هذه ، تتطلب الى الشعب اليهودي في الشتات ان يستمر في بذل الجهود . ولذا فان دولة اسرائيل تتطلع صوب مشاركة جميع اليهود والهيئات اليهودية في بناء صرح الدولة ومساعدة الهجرة الجماعية اليها ، مثلما تعترف بالحاجة الى توحيد جميع الفئات والجاليات اليهودية لهذه الغاية .

٦ ــ تتطلع دولة اسرائيل الى المساعي التي تبذلها المنظمة الصهيونية العالمية في سبيل تحقيق هذا التوحيد . وعندما تقرر المنظمة الصهيونية توسيع اطارها لاجل هذا الغرض ، وبعد موافقة الحكومة وتصديق الكنيست ، فان الهيئة الموسعة سوف تتمتع بالوضع الشرعي اياه والذي جرى منحه للمنظمة الصهيونية العالمية في دولة اسرائيل .

٧ ــ ان شروط الوضع الشرعي وشكل التعاون بين كل من المنظمة الصهيونية العالمية ــ كما تمثلها اللجنة التنفيذية الصهيونية والتي تدعى ايضا بـ ــ اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية لفلسطين ــ والحكومة سوف يتم وضعها في ميثاق يجري ابرامه بين الحكومة واللجنة التنفيذية الصهيونية .

٨ ــ سوف يرتكز الميثاق على بيان المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين في القدس ، والبيان الذي ينص على ان البرنامج العملي ، كما تتولاه المنظمة الصهيونية العالمية والوكالات التابعة لها في سبيل تحقيق مهماتها التاريخية في ارض اسرائيل ، يتطلب من جانب المنظمة اقصى درجة من التعاون والتنسيق مع دولة اسرائيل وحكومتها ، تمشيا مع قوانين الدولة .

٩ ــ تنشأ لجنة لتنسيق النشاطات بين الحكومة واللجنة التنفيذية في تلك المجالات التي تعمل بها اللجنة التنفيذية وفقا للميثاق ، على ان يجري تحديد مهمات اللجنة في نص الميثاق .

١٠ ــ سوف ينشر الميثاق ، وكل تعديل او تغيير يطرأ عليه بموافقة الطرفين ، في الجريدة الرسمية (الرشوموت) ويصبح ساري المفعول من تاريخ نشره ، ما لم يرد نص لتقديم هذا التاريخ او تأخيره عن موعد النشر .

١١ ــ اللجنة التنفيذية هي شخصية قانونية ويحق لها ابرام العقود والاستحصال على الاملاك ، والاحتفاظ أو التصرف بها ، كما يحق لها ان تدخل طرفا في جميع المعاملات القانونية وغيرها .

١٢ ــ تعفى اللجنة التنفيذية ، بصناديقها المالية ومؤسساتها الاخرى ، من الضرائب وغيرها من الرسوم الحكومية الالزامية ، وفقا لقيود وشروط ينص عليها الميثاق . ويصبح هذا الاعفاء نافذ المفعول في آن واحد مع الميثاق .

قرار للمؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين
حول « تركيب الوكالة اليهودية »

« ان المؤتمر يفوض الى المجلس الصهيوني العام صلاحية القيام بدرس مسألة الوجود المستمر للوكالة اليهودية . وتكييف تركيبها بحيث يتلاءم مع الظروف الحاضرة ، ويخوله سلطة التقرير بشأن التغييرات الضرورية على أساس مقترحات اللجنة التنفيذية الصهيونية » .

قرارات حول الصناديق القومية ، ونداءات
جمع الاموال ، والقروض والميزانية

« ان الجهود الهائلة والتي طلب الى الشعب اليهودي والحركة الصهيونية ان يبذلاها لاجل توطيد دعائم دولة اسرائيل بواسطة تجميع المنفيين واستيعابهم ، تجعل من الضروري للمنظمة الصهيونية العالمية ان تحشد الشعب اليهودي في كل مكان للقيام بحملة تعبئة مالية تتناسب مع المهمات العظمى لهذه الحقبة التاريخية . والمؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون يعتبر الصندوق القومي اليهودي (الكيرين كاييمت) والصندوق التأسيسي لفلسطين (الكيرين هايسود) بمثابة الادوات لتحقيق هذه المهمات .

الكيرين هايسود :

١ ــ يعلن المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون مرة اخرى بان الكيرين هايسود هو الصندوق المالي الاوحد

لدى المنظمة الصهيونية العالمية لغرض القيام بحملات جمع التبرعات والاموال في الشتات ولاجل اسرائيل . سوف يعطى الكيرين هايسود أولوية بالنسبة لكل حملات الجباية وجمع الاموال لصالح اسرائيل . وسوف يستمر تنظيم حملات جمع الاموال تحت الاسماء التي تعرف بها هذه الحملات في البلدان المختلفة . أما الكيرين هايسود ، باعتباره الاداة المالية للجنة التنفيذية الصهيونية (الوكالة اليهودية) ، فانه سيوجه من القدس جميع النشاطات المتصلة بمثل تلك الحملات .

٢ — ان كل الاموال التي يجمعها الكيرين هايسود بواسطة حملات جمع الاموال سوف تلبي متطلبات ميزانية المنظمة الصهيونية العالمية كما يضعها المؤتمر الصهيوني او المجلس الصهيوني العام . ويجري تخصيص نسبة معينة من مدخول حملات الكيرين هايسود الى الصندوق القومي اليهودي ، على ان يعود للمؤتمر او للمجلس الصهيوني العام أمر تعيين نسبة هذه المخصصات .

٣ — يعهد المؤتمر ، لاجل تقوية الكيرين هايسود على تنفيذ مهمته ، الى المجلس الصهيوني العام بان ينتخب في دورته القادمة مجلس مدراء جديدا للكيرين هايسود وعلى اساس المقترحات المقدمة من اللجنة التنفيذية الصهيونية (الوكالة اليهودية) . ونظرا للظروف الاستثنائية السائدة حاليا ، فان المؤتمر يخول اللجنة التنفيذية صلاحية الانتخاب الفوري لمجلس المدراء الجديد في الكيرين هايسود ، على ان تستمر ولاية هذا المجلس حتى الدورة القادمة لانعقاد المجلس الصهيوني العام . سوف يكون اثنان من اعضاء مجلس مدراء الكيرين هايسود عضوين في مجلس مدراء الصندوق القومي اليهودي ، وتجري تسميتهم بصورة شخصية . ويقوم على رئاسة مجلس المدراء عضو من أعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية (الوكالة اليهودية) .

الصندوق القومي اليهودي :

١ — يحتفظ الصندوق القومي اليهودي باستقلاله في تأدية وظائفه داخل اسرائيل وفي ممارسة نشاطاته المالية داخل اسرائيل وفي البلدان الاخرى . ويشرف على ادارة الصندوق القومي مجلس مدراء ينتخبه المجلس الصهيوني العام ، كما هي الحال في السابق .

٢ — ان وظائف الصندوق القومي اليهودي في اسرائيل تتألف مما يلي : — اقتناء الاراضي بجميع الاشكال ، — تطوير الاراضي بكل طريقة ، — التحريج ، — وغير ذلك من الاعمال الانمائية التي يقررها المجلس الصهيوني العام .

٣ — يحتفظ الصندوق القومي اليهودي بحقه في الاستمرار على كافة أساليبه التقليدية لجمع الاموال . وتقوم لجنة خاصة ، يتألف اعضاؤها بالتساوي من ممثلين عن الصندوقين القوميين ، بتحديد طبيعة هذه الاساليب التقليدية في جمع الاموال وتعيين موعدها وشكلها . فيما لو تعذر الوصول الى اتفاق ، يعود اتخاذ القرار النهائي الى المجلس الصهيوني العام . وسوف تقوم المنظمة الصهيونية العالمية بتمكين الصندوق القومي اليهودي من تحقيق التوسع الاقصى في حملاته التقليدية لجمع الاموال ، وبالغاء نظام الكوتا المحددة الذي يعمل به في بلدان معينة . ان كل المداخيل الواردة من هذه الحملات التقليدية للجمع سوف توضع بتصرف الصندوق القومي اليهودي ، كما بتصرفه يوضع جزء من مدخول حملات الكيرين هايسود ، تبعا للتخصيص المذكور أعلاه (انظر الفقرة الثانية تحت « الكيرين هايسود ») .

الميثاق (١٩٥٤)

بين حكومة اسرائيل (ويشار اليها ادناه بـ « الحكومة »)
واللجنة التنفيذية الصهيونية التي تدعى ايضا باللجنة التنفيذية
للوكالة اليهودية (ويشار اليها في النص بـ « اللجنة التنفيذية »)

تم وضعه في هذا اليوم ، تمشيا مع قانون الوضع التشريعي للمنظمة الصهيونية — الوكالة اليهودية ، ١٩٥٢ .

وظائف اللجنة التنفيذية :

١ — فيما يلي وظائف اللجنة التنفيذية الصهيونية كما يتضمنها هذا الميثاق : — تنظيم الهجرة في الخارج ونقل المهاجرين وممتلكاتهم الى اسرائيل ، — التعاون في استيعاب المهاجرين داخل اسرائيل ، — هجرة الشبيبة

والاحداث ، ــ الاستيطان الزراعي في اسرائيل ، ــ اقتناء الاراضي واستصلاحها في اسرائيل بواسطة مؤسسات المنظمة الصهيونية : الكيرن كاييمت لاسرائيل (الصندوق القومي اليهودي) والكيرن هايسود (الصندوق التأسيسي لفلسطين) ، ــ المشاركة في انشاء وتوسيع المشاريع الانمائية داخل اسرائيل ، ــ تشجيع التوظيفات لرؤوس الاموال الخاصة في اسرائيل ، ــ مساعدة المشاريع الثقافية ومؤسسات التعليم العالي في اسرائيل ، ــ تعبئة الموارد لتمويل هذه النشاطات ، ــ تنسيق النشاطات في اسرائيل للمؤسسات والمنظمات اليهودية العاملة ضمن حدود هذه الوظائف وعن طريق الصناديق المالية العامة .

النشاطات في ظل القانون :

٢ ــ كل نشاط يجري تنفيذه في اسرائيل بواسطة اللجنة التنفيذية او بالاصالة عنها على سبيل تأدية الوظائف المدرجة أعلاه ، او جزء منها ، سوف ينفذ وفقا لقوانين اسرائيل وتمشيا مع الانظمة والتعليمات الادارية التي يسري مفعولها من وقت الى اخر ، والتي تتحكم بنشاطات السلطات الحكومية ذات الوظائف المغطية للنشاط المعني او المتأثرة به .

الهجرة :

٣ ــ تتصرف اللجنة التنفيذية في تنظيم الهجرة ومعالجة امور المهاجرين على اساس خطة متفق عليها مع الحكومة أو مصرح بها من مجلس التنسيق (انظر الفقرة ٨) . وسوف يحتاج المهاجرون الى تأشيرات دخول بموجب قانون العودة (١٩٥٠) .

التنسيق بين المؤسسات :

٤ ــ تقوم اللجنة التنفيذية ، بالاتفاق مع الحكومة ، على تنسيق النشاطات في اسرائيل للمنظمات والمؤسسات اليهودية التي تعمل ضمن حدود وظائف اللجنة التنفيذية .

نقل الوظائف :

٥ ــ تستطيع اللجنة التنفيذية ان تقوم بنفسها على تأدية وظائفها او عبر مؤسساتها القائمة او عن طريق تلك المؤسسات التي قد تنشئها في المستقبل . كما يجوز لها الحصول في ممارسة نشاطاتها على التعاون من جانب مؤسسات اخرى في اسرائيل ، شرط الا تعمد الى تفويض أي من وظائفها أو حقوقها بموجب الميثاق دون أخذ موافقة الحكومة ، وشرط الا تقوم بتخويل أية هيئة أو مؤسسة صلاحية تنفيذ وظائفها ، كليا أو جزئيا ، الا بعد ابلاغ الحكومة مسبقا .

تعبئة الموارد :

٦ ــ تكون اللجنة التنفيذية مسؤولة عن تعبئة الموارد المالية والمادية المطلوبة لتنفيذ وظائفها ، وذلك بواسطة الصندوق التأسيسي والصندوق القومي اليهودي وغيرهما من الصناديق .

التشريع :

٧ ــ تتشاور الحكومة مع اللجنة التنفيذية بشأن التشريع الذي يطال وظائف اللجنة التنفيذية بنوع خاص ، وذلك قبل احالة هذا التشريع الى الكنيست .

مجلس التنسيق :

٨ ــ ينشأ مجلس للتنسيق (ويشار اليه ادناه بـ « المجلس ») وغرضه تنسيق النشاطات بين الحكومة واللجنة التنفيذية في جميع المجالات التي ينطبق عليها هذا الميثاق . ويتألف المجلس من عدد متساو من الاعضاء، لا يقل عن الاربعة ، نصفهم من أعضاء الحكومة التي تقوم بتعيينهم ، والنصف الثاني من أعضاء اللجنة التنفيذية التي تقوم بتعيينهم . يحق لكل من الحكومة واللجنة التنفيذية بين وقت واخر استبدال اعضاء المجلس بغيرهم من اعضاء الحكومة واللجنة .

نشاطات المجلس :

٩ ــ يجتمع المجلس مرة في الشهر على الاقل . ويجوز له تعيين لجان فرعية مؤلفة من أعضاء المجلس ، كما

من غير الاعضاء . ويرفع المجلس ، من حين الى اخر ، الى الحكومة واللجنة التنفيذية تقارير عن مداولاتـه وتوصياته . ان المجلس ، باستثناء ما ورد ذكره اعلاه ، يقوم بنفسه على تحديد الترتيبات لجلساته ومداولاته.

الاذونات والتسهيلات :

١٠ — يجب على الحكومة ان توعز الى اجهزتها المسؤولة لكي تبادر هذه الاجهزة الى تزويد اللجنة التنفيذية ومؤسساتها بجميع الاذونات والتسهيلات التي يتطلبها القانون للنشاطات الجارية بموجب هذا الميثاق ولاجل تنفيذ وظائف اللجنة التنفيذية .

الاعفاء من الضرائب :

١١ — الهبات والمواريث التي تتلقاها اللجنة التنفيذية او اية واحدة من مؤسساتها سوف تكون معفاة من ضريبة الوراثة . وجميع المسائل الاخرى المتعلقة باعفاء اللجنة التنفيذية ، وصناديقها المالية ومؤسساتها الاخرى ، من دفع الضرائب والرسوم الجمركية وغير ذلك من الرسوم الحكومية الالزامية سوف تكون موضوعا لاتفاقية خاصة بين اللجنة التنفيذية والحكومة . تجري صياغة هذه الاتفاقية في ملحق مربوط بهذا الميثاق في مهلة ثمانية اشهر . لكي تؤلف جزءا لا ينفصل عن الميثاق ، ويسري مفعولها ابتداء من تاريخ توقيع هذا الميثاق .

التبديلات :

١٢ — جميع الاقتراحات لاحداث تبديلات او تعديلات على هذا الميثاق ، او لاضافة شيء عليه ، يجب ان تجري بصورة خطية ، وكذلك اي تبديل او تعديل لهذا الميثاق ، او اية اضافة عليه ، لا تتم الا بصورة مكتوبة.

التبليغ :

١٣ — ان كل « علم وخبر » موجه الى الحكومة يجب ارساله الى رئيس الوزراء ، وكل علم وخبر موجه الى اللجنة التنفيذية يجب ارساله الى رئيس اللجنة المذكورة في القدس .

تاريخ سريان المفعول :

١٤ — يصبح هذا الميثاق نافذ المفعول من تاريخ التوقيع عليه .

الفكرة الصهيونية : النصوص الاساسية

٣٧ مقالا أو خطابا وضعها ٣٧ زعيما ومفكرا صهيونيا رئيسيا . ترجمت الى العربية لتكون مادة دسمة في توعية القارىء العربي حول الفكر الصهيوني الرئيسي ، والمقالات نتاج ما كتبه اشهر الصهيونيين في نحو قرن من الزمان . مع تعريف عن حياة كل كاتب .

من منشورات مركز الابحاث ،

ص.ب ١٦٩١ — بيروت

٤٨٨ صفحة من الحجم الكبير
١٠ ل.ل. تضاف اليها أجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي ، ٢٥٠ ق.ل. في أوروبه ، ٥٠ ق.ل. في سائر الدول

رسالة خاصة من الارض المحتلة : مأساة قرى اللطرون الثلاث في ذكراها السادسة

« الجبرتي الصغير »

تلقت « شؤون فلسطينية » الرسالة التالية من صديق في الارض المحتلة ، شاء ان يوقع باسمه المستعار وهي تنشرها في هذا العدد بمناسبة الذكرى السادسة لعدوان ١٩٦٧ .

ان ما كتبته في هذه الرسالة عن مأساة هذه القرى الثلاث ، يالو وبيت نوبا وعمواس ، مقتبس من المتكوبين انفسهم ومن مخاتيرهم : محمود عبد الرحمن جبريل ، مختار يالو ، وجاسر عبد الرحيم محمد ، مختار بيت نوبا ، وحيدر مصطفى احمد ، مختار عمواس . وكنت قد زرت هذه القرى مرارا قبل هدمها ورحت استنطق الطلل البالي بعد الهدم. وكان يرافقني في كل مرة المخاتير وعدد من أصحاب المنازل المهدومة . وكثيرا ما زارني هؤلاء لينقلوا الي اخبارهم ، وما أصاب اهلهم وذويهم .

أما قرية يالو فقد بدأوا بنسف منازلها في الحادي عشر من شهر حزيران ١٩٦٧ حيث نسفوا حوالي النصف منها بالمتفجرات . وأتوا على ما تبقى منها في الثامن عشر من الشهر نفسه ، حيث هدموها بالجرافات . فأصبحت قاعا صفصفا . واما بيت نوبا فقد بدأوا بنسفها بالمتفجرات في ١٤ حزيران ١٩٦٧ وهدموا ما تبقى منها بالجرافات في ٢٨ من الشهر نفسه . واما عمواس فقد بدأوا بنسفها بالمتفجرات في ٢٧ حزيران ١٩٦٧ . وأتوا على ما تبقى منها بالجرافات في الثالث عشر من شهر تموز ١٩٦٧ .

وهكذا قضى الاسرائيليون على هذه القرى التاريخية الثلاث بالفناء ظلما وعدوانا . فتشرد اهلها تحت كل كوكب . كثيرون منهم نزحوا الى ما وراء نهر الاردن ، فراحوا يعيشون في عمان وما حولها من مخيمات . وقلة رأت من مصلحتها ان تبقى في المنطقة المحتلة من فلسطين . فاختار فريق منهم (من ابناء يالو) السكنى في رام الله واخر (من أبناء بيت نوبا) في بيت لقيا ، وثالث (من أبناء عمواس) في البيره . ولم يسمح لاي واحد من سكان هذه القرى الثلاث بالعودة الى الديار التي كان يعيش فيها هو واجداده من قبله ، رغم أنهم طلبوا من السلطات الاسرائيلية الحاكمة ان تسمح لهم بالعودة على أن يعيشوا في الخيام او في المغاور والكهوف .

ولم تسمح لهم السلطات الحاكمة ان يأتوا على ذكر قراهم على السنتهم، او في مخابراتهم. ولكي ينسى المخاتير أنهم يمثلون هذه القرى ، استعادت السلطة منهم اختامهم ، وبدلتها باختام حفرتها هي لهم وكتبت على ختم محمود عبد الرحمن جبريل انه مختار برام الله ، وجاسر عبد الرحيم محمد انه مختار ببيت لقيا ، وحيدر مصطفى احمد انه مختار بالبيره .

ولئن نسيت ، فلا ولن انس ، ان الجنود الاسرائيليين قتلوا وهم يهدمون هذه القرى اثنين وخمسين شخصا بين رجل وامراة : بعضهم لاقوا حتفهم تحت الردم لانهم لم يستطيعوا مغادرة منازلهم بسبب شيخوختهم وعجزهم عن المشيء ،

والبعض الاخر ارضاء لنزوة المتمدنين من الضباط المنتصرين .

وهكذا هدم ١٤٤٦٤ منزلا من منازل هذه القرى التي اصبحت اثرا بعد عين . وتشتت سكانها وعددهم ٩٤١٥٠ شخصا بين رجل وامرأة .

هذه المأساة التي تنبعث اخبارها منذ حدوثها سجلت تفاصيلها في مخطوط اسميته : « مأساة قرى اللطرون » . وقد ترجمته الى اللغة الانكليزية وفي نيتي ان اخرجه للناس ، عندما ينجلي كربنا ، وينسحب الجيش الاسرائيلي من بلادنا التي يحتلها. ورغم انقضاء ست سنوات على هذه المأساة التي لم يفارقني طيفها ، فانني لم استطع حتى الان الاهتداء الى حقيقة الاسباب التي دفعت الاسرائيليين لاقتراف هذه الجريمة النكراء ، الى أن وقعت يدي على كتاب وضعه احد الكتاب الشرفاء من اليهود واسمه عاموس كينان وقد أسمى كتابه « اسرائيل : انتصار ضائع » باللغة العبرية . وقد ترجمته الى اللغة الانكليزية يهودية من بني جنسه تدعى مريم شيموني وتولت نشره دار للنشر في تل ابيب سنة ١٩٧٠ وقد جاء في مئة وست وسبعين صفحة من الحجم المتوسط .

وبدا لي من الاسلوب الذي اتبعه المؤلف في وصف الاحداث التي حدثت في فلسطين انه لا يقر الكثير من المبادىء السياسية التي اتبعها رجال الحكم من بني قومه ، سواء اثناء القتال او بعد وقفه . ومما قاله عن اللاجئين الفلسطينيين قوله : « ان الوقت قد حان لان نعترف بالحقائق . ومن هذه الحقائق التي يجب ان نعترف بها ان اللاجئين الفلسطينيين ، هم في صميم الازمة القائمة بيننا نحن اليهود وبين الشعوب العربية ». وفي فقرات اخرى من كتابه قال عاموس ما مؤداه انه ما لم نعترف نحن اليهود بحق عرب فلسطين في الحياة ، فان الخلاف سيظل قائما بيننا وبينهم ، وبيننا وبين العرب أجمعين ، وهذا ما ليس في صالحنا قط .

كان المؤلف احد افراد كتيبة الاحتياط في الجيش الاسرائيلي ، تلك الكتيبة التي عهد اليها بمهمة تدمير قرى اللطرون وازالتها من الوجود . وهي مؤلفة — على حد قوله — من أفراد ينتمون الى جميع الطبقات : عتالين وعمال للبناء ومديري شركات واساتذة مدارس ومحاضرين في الجامعة . ولم يكن هو — اي عاموس — راضيا عن المهمة التي انتدبت اليها كتيبته ، فانتقدها نقدا لاذعا ومريرا . حتى أنه وجه الى القائمين على الامر ومنفذي تلك المهمة رسالة جعلتهم يغضبون عليه . وقد أرسل نسخا من نقده وتقريره الى كل واحد من أعضاء الكنيست والى عدد من الصحف العبرية. ونشر في تلك الصحف عددا من المقالات . فرأيت من مصلحة التاريخ أن اترجم ما قاله المؤلف عن هذه المأساة ، مأساة قرى اللطرون ، في الصفحات ١٧ — ٢٣ من كتابه . متذكرا القول المأثور : من فمك ادينك يا اسرائيل . قال عاموس :

« أمرت الوحدة العسكرية التي انتمي اليها ، بعد وقف القتال في حرب حزيران ١٩٦٧ ، ان تساعد الكتيبة التي عهد اليها بتدمير القرى العربية الثلاث الواقعة في منطقة اللطرون . واليك فيما يلي التقرير الذي أعددته من هذه العملية في بيت نوبا ، والذي بعثت به الى القيادة . وقد ذكرت فيه كيف هدمت هذه القرى واصبحت قاعا صفصفا . وكيف طرد أصحابها منها فاصبحوا لاجئين .

« قال لنا قائد سريتي انه تقرر نسف القرى الثلاث الواقعة في هذا القطاع ، وهي : يالو وبيت نوبا وعمواس . وان قرار النسف هذا صدر لاسباب عسكرية واستراتيجية ، وأسباب تتعلق بالامن . اولا من أجل تسوية قطاع اللطرون وتعديل استقامته ! . وثانيا لمعاقبة القتلة والمجرمين من سكان هذه القرى ! . وثالثا للحيولة دون انشاء مراكز للمتسللين في مستقبل الايام ! .

« بالامكان دحض هذه الاسباب القريبة من البله والجنون ، والمقصود منها العقاب الجماعي بانها منبعثة عن الاعتقاد بأن المتسلل اذا فقد دارا يلجأ اليها ، فانه لن يجد دارا اخرى يلجأ اليها وينصب فيها كمينا لنا! . وانه لمنطق سخيف هذا الاعتقاد!. كيف لا وهو — اي هذا الاعتقاد السخيف القائل بحرمان المتسلل من دار يلجأ اليها — سيضاعف حتما من عدد الاعداء الذين سيناصبوننا العداء !.

« امرنا ان مهمتنا تنحصر في فحص الدور والمنازل في هذه القرى وتفتيشها تفتيشا دقيقا . حتى اذا ما وجدنا فيها رجالا مسلحين فعلينا ان نعتقلهم اسرى . والاشخاص غير المسلحين ، علينا ان نمهلهم حتى يجمعوا امتعتهم فنأمرهم بمغادرة قريتهم الى قرية (بيت سيرا) القريبة منهم . وقيل لنا أيضا ان علينا ان نحتل المواضع المحيطة بهذه القرى ، لتحول دون عودة سكانها الذين قد

يحاولون العودة الى منازلهم ، عندما يسمعون اذاعة اسرائيل وهي تؤكد (؟) لهم أن في مقدورهم(؟) العودة الى منازلهم . فالامر الذي اعطيناه ينص على انه من واجبنا ان نطلق الرصاص عليهم على ان يمر من فوق رؤوسهم ، وان نقول لهم : ان الدخول الى القرية ممنوع ! .

« البيوت في بيت نوبا جميلة ، وهي مبنية من الحجر(١) وبعضها من الجمال والترف والرخاء بحيث تضاهي منازل السكنى في المدن الكبرى . وانك لواجد في كل دار كرما مليئا باشجار العنب والمشمش والزيتون ، وهناك ايضا اشجار السرو والوان اخرى من أشجار الزينة التي تزيد هذه القرى رونقا وجمالا . ويبدو ان أصحاب هذه الاشجار كانوا يعنون باشجارهم كما كانوا يعنون بدورهم ومنازلهم عناية لا حد لها . ومن هذه الدور والكروم والاشجار مساحات غير قليلة من الارض يزرع فيها الوان من الخضار وهي — اي الارض — محروثة ومعشبة .

« وقد وجدنا ونحن نفتش البيوت ، ضابطا فدائيا مصريا جريحا ، كما وجدنا عددا من الرجال والنساء العجز . وعندما توسطت الشمس كبد السماء بدأت الجرافات عملية الهدم فراحت الدور تتهاوى وراحت الاشجار أيضا تقتلع من جذورها لا فرق بين شجرة زيتونة مثمرة او شجرة سرو غير مثمرة . فلا تمضي عشر دقائق حتى تكون الدار وما فيها من أثاث ومتاع قد أصبحت ركاما . وهكذا بين غمضة عين وانتباهتها أصبحت القرية كلها طللا باليا . وقد ازداد عدد اللاجئين والمشردين ، لا يدرون ماذا يفعلون ؟ ومن أي اتجاه يسيرون ؟ رجال في سن الشيخوخة ، عاجزون عن المشي ، ونساء عجز يتمتمن في أنفسهن ، واطفال في أحضان امهاتهم وصبية صغار يبكون طالبين الماء فامرناهم جميعا ان يتجهوا صوب (بيت سيرا) . فقالوا لنا أنهم حيثما توجهوا ، قوبلوا بالرفض . وهم تعبون ، عطاش ، جائعون . والبعض منهم ماتوا في الطريق . وكل ما كانوا يطلبونه منا . ان نسمح لهم بالعودة الى قراهم . والا فالافضل ان نقتلهم! . هذا ما قاله لنا كثيرون » .

بعد هذا قال عاموس في تقريره : « اننا لم نسمح لهم بالعودة الى قراهم ، وانقاذ ما يمكن انقاذه من امتعتهم . اذ ان الاوامر التي اعطيناها نصت على انه يجب علينا ان نمنعهم من رؤية بيوتهم وهي تهدم . وفيما كان الاطفال يبكون كان عدد منا نحن الجنود ايضا يبكي . وذهب فريق منا لنبحث عن الماء ونسقي العطاش الا اننا لم نجد ماء . وقد مرت من أمامنا في تلك اللحظة سيارة عسكرية فيها ضابط برتبة عقيد ، وضابطان برتبة رئيس ، وامرأة برتبة ملازم . فرجوناهم ان يزودونا بما لديهم من ماء . فتكرموا علينا بصفيحة من الماء . وكان علينا ان ندور بهذه الصفيحة على عدد كبير من البنات والاطفال والشيوخ العطاش . وكانوا يبكون . وقد شاهدت بأم عيني عددا من الجنود ايضا وهم يبكون . وسألنا الضباط الذين كانوا في السيارة : لم كل هذه القسوة ؟ ولماذا نترك اللاجئين الذين دمرت منازلهم يغدون ويأبون ، فلا نتركهم يستقرون على حال فقالوا لنا : خير لهم أن يكونوا كما هم وان يتعذبوا ، فلماذا انتم مهتمون بهم كل هذا الاهتمام ، وتعطفون عليهم كل هذا العطف ؟ أفليسوا كلهم عربا ؟ . ولكم سررنا عندما علمنا انه ما كاد ينقضي على هذا الحديث نصف ساعة حتى القى البوليس الحربي القبض على هؤلاء الضباط اذ فتش سيارتهم فوجدوها طافحة بأمتعة نهبوها من هؤلاء اللاجئين الذين هدمت منازلهم ! .

« وما هي الا دقائق حتى امتلأ السهل بالمئات من المشردين الذين نزحوا يتساءلون : لماذا منعوا من العودة الى منازلهم بعد أن قيل لهم انهم احرار يستطيعون العودة اليها . ولم نستطع نحن ايضا ان نفهم السر في ذلك . وقد اشمأزت نفوسنا لما نرى ، وما نسمع من ابتهالات وتوسلات صادرة من اعماق النفوس لهؤلاء المساكين . وراح فريق منا يتساءل : ما هي الحكمة من هدم هذه البيوت ؟ ولماذا لا نحتفظ بها لنسكنها نحن الاسرائيليين ؟ وذهب قائد سريتنا الى مقر القيادة ليسأل القادة عما اذا كان هناك أمر خطي حول ما يجب ان نفعله بسكان هذه القرى الذين هدمت منازلهم ؟ والى أين نرسلهم ؟ وكيف نرتب مسألة نقلهم وايجاد وسائل النقل التي لا بد منها من أجل نقل النساء والاولاد والمواد الغذائية اللازمة لاعاشتهم ؟ ولكن

---

١ — يثبت هذا القول كذب الزعم الذي حاول الاسرائيليون اذاعته بين الناس ان هذه القرى التي هدموها انما هي قرى قديمة بالية وان بيوتها من طين وانها مائلة الى الخراب . وقد حصلت على صور لدور يالو وهي مبنية من الحجر ومن الاسمنت المسلح .

قائد السرية عاد بعد قليل ليقول لنا انه ليست هناك اوامر خطية وان كل ما علينا ان نفعله هو أن نبعدهم عن المكان الذي كانت تقوم عليه قراهم. وهكذا راح المساكين يسيرون تائهين في الفلاة وفي السهل والوعر كالخراف دون رعاة . وقد اضناهم التعب والعطش ، دون أن يجدوا من يركض للاخذ بيدهم ، وعندما اقبل المساء علمنا ان كذبة طليت علينا . اذ قيل لنا ان الجرافات بدأت عملها بنسف الدور والمنازل في بيت سيرا ايضا . ولهذا فلن يسمح للاجئين الذين هدمت منازلهم في يالو وبيت نوبا وعمواس بدخولها (اي الدخول الى بيت سيرا) . كما قيل لنا أن هدم الدور ونسف المنازل عملية قائمة على قدم وساق ليس في قطاع اللطرون وحده بل وفي القطاعات الاخرى من المناطق المحتلة ويفهم من هذا ان كلمتنا ليست كلمة شرف ، وان سياستنا ليست بسياسة يدعمها المنطق . وبدأ الجنود يتذمرون .

« وراح سكان القرى يضرسون اسنانهم كلما رأوا بيتا انهار او شجرة زوت وانقضت على الارض . وفي الليل رحنا نحرس الجرافات خشية ان يسطو عليها الناقمون . مع العلم ان جميع افراد الكتيبة راحت صدورهم تغلي من شدة الغضب . فان معظمهم ما كانوا يريدون ان يتولوا مهمة كهذه المهمة .

« وفي صباح اليوم التالي صدر الامر بنقلنا الى مكان اخر ، دون أن يفهم اي واحد منا لماذا أقدم اليهود على مثل هذا العمل . حتى الاشخاص الذين وجدوا مبررا لهذا العمل ، فقد قالوا أنه كان من الواجب أن يدبر المسؤولون ملجأ للاشخاص الذين دمرت منازلهم وطردوا من ديارهم ، كما كان من الواجب البحث عن مصيرهم بعد الطرد ، الى أين يجب ان يساقوا ، وكيف يجب ان يعيشوا ؟ وكان يجب ان ينقلوا الى اماكن معينة هم وعيالهم وفرشهم وامتعتهم . وما كان أحد منا ليفهم لماذا لم يسمح لهؤلاء الناس بأخذ مدافئهم معهم واغطيتهم التي تقيهم شر البرد وبعض الاطعمة التي تقيهم شر الجوع . حتى الزغاليل والدجاج التي كانوا يقتنونها فقد نفقت تحت الردم . وانقلبت الكروم التي كانت مزروعة في لحظة امام اعيننا الى خراب. وكنا نرى الاولاد يجرون أنفسهم جرا في الطرقات باكين بحرقة وألم . فلم يداخلنا اي ريب في أن هؤلاء الصبية سيصبحون بعد تسع عشرة سنة (فدائيين) وهكذا نكون نحن اليهود قد فقدنا في ذلك النهار (الذي هدمنا فيه بيوت العرب) النصر الذي أحرزناه في حرب الايام الستة .

« في تلك الليلة حصلت على اذن من قائد سريتي ، وجئت الى تل ابيب ، حيث كتبت هذا التقرير على نسخ عديدة ، ارسلت نسخة منه لكل واحد من اعضاء الكنيست والى كل شخص من الشخصيات البارزة في حكومة اسرائيل والى كل ضابط من الضباط الاركان في قيادة الجيش . فعلت ذلك في وقت كان الجيش قد بدأ في هدم الدور والمنازل العربية في مدينة قلقيليه . فما كاد تقريري يصل الى القيادة ، حتى صدر الامر بوقف الهدم هناك (اي في قلقيليه) وبعد مدة قصيرة بدأ العمل في اعادة بناء ما تهدم منها » .

وقال عاموس في كتابه ايضا ما يلي : « بعد أن ارسلت تقريري ببضعة أيام ، استدعاني قائد المنطقة اليه وسألني ما الذي دعاني لكتابة تقريري. فحدثته بما رأيت وحاول هو اقناعي ان الامر صدر خطأ (بطريقة غير صحيحة) وليست هناك نية للاستمرار في الهدم . ليس هذا فحسب . فقد زودني بناء على طلبي باذن يخولني التجول في المناطق المحتلة بحرية ، لاتأكد بأنه لم يجر اي هدم في تلك المناطق . وباستطاعتي القول الان ان هذه القرى لم يعد بناؤها ، وان سكانها ما برحوا لاجئين !. »

هذا ما كتبه عاموس في كتابه عن مأساة قرى اللطرون . وقد كان لقوله وقعه في الاوساط الاسرائيلية . ويقول عاموس في موضع اخر من كتابه انه وتسعة عشر من زملائه الجنود الذين كانوا منخرطين في صفوف الكتيبة التي تولت هدم القرى الواقعة في قطاع اللطرون ، نشروا في صحيفة (هآرتس) مقالا نصحوا فيه حكام اسرائيل أن يعقدوا صلحا مع الفلسطينيين . قائلين ان هذا الوقت مناسب للتفاهم معهم . وان الطريق الامثل لهذا التفاهم هو تأسيس اتحاد فدرالي بين الحكومتين الاسرائيلية والفلسطينية. فكان رجع الصدى لهذا المقال ان سرحته الحكومة هو وزملاءه من الجيش . فعادوا الى منازلهم (بخفي حنين)!..

ان عدد سكان هذه القرى الثلاث ، يالو وبيت نوبا وعمواس ، قبل حرب حزيران ١٩٦٧ كان على ما جاء في السجلات الرسمية لحكومة فلسطين ٩١٥٠ نسمة . وعلى ما قاله لي مخاتير هذه القرى ١٠٤٠٠٠ نسمة . يؤكد لي مخاتير هذه

القرى أن زهاء اربعة اخماس سكان هذه القرى نزحوا الى شرق الاردن . ولم يبق منهم بعد أن هدمت قراهم سوى الخمس . وهذا الخمس (أي زهاء الفي شخص) بقي في فلسطين : قسم منهم نزلوا قرية بيت لقيا واخرون في رام‌الله والبيره ، وفي القدس نفسها وفي عنانا وقلنديا ، وفي بيتونيا وبيت عور التحتا . وبعضهم ذهب الى بيت جالا .

ذكرت ما أصاب هؤلاء اللاجئين بعد هدم قراهم ورحيلهم عن منازلهم وكيف أن الاسرائيليين منعوا وكالة غوث اللاجئين والمؤسسات الدولية الاخرى من تقديم العون لهم في المخطوط الذي اسميته : (مأساة قرى اللطرون) . وراح الاسرائيليون بعدئذ يلجأون الى مختلف وسائل الضغط لاجبارهم على نسيان قراهم والتخلي عن حقهم فيها . الا ان هؤلاء السكان ومخاتيرهم رفضوا الاذعان وظلوا صامدين . واصروا على مطالبة سلطات الاحتلال الاسرائيلية كي تسمح لهم بالعودة الى منازلهم التي عاشوا فيها وعاش فيها من قبلهم آباؤهم واجدادهم .

حدثني مختار قرية عمواس في ١٩٧١/٨/٢٥ انهم (أي الحكام الاسرائيليين) طلبوا منه ان يقابلهم. فقابلهم في يوم من الايام في النصف الاول من شهر آب (اغسطس) ١٩٧١ . فعرضوا عليه ان تعوض حكومة اسرائيل على اهالي هذه القرى تعويضا ينسيهم قراهم . شريطة ان لا يفكروا بالعودة اليها . فتقطنهم منازل اخرى (بدلا عن منازلهم) مجهزة بالفراش والماء والكهرباء وجميع وسائل الراحة . فاجابهم قائلا : انه على غير استعداد للبحث في هذا العرض قبل ان يعود النازحون الى شرق الاردن من أبناء هذه القرى ، الى منازلهم في الضفة الغربية . عندئذ تتم المشورة مع أصحاب الحق كلهم ، ويقررون ما فيه مصلحة قريتهم وبلادهم .

وحدثني كثيرون ان الاسرائيليين انشأوا فوق الارض التي استولوا عليها من قرية (بيت نوبا) مستوطنة يهودية اسموها (نوبا) . وقد بنوا عليها مساكن لمهاجريهم . وجروا اليها الماء من جهات مختلفة . من بيارة القرية القديمة (بيت نوبا) . واضافوا اليها الماء من بئر حفروها على بعد كيلومتر من البيارة الى الشمال . كما جروا اليها الماء من بئر كانوا قد حفروها عند باب الواد بعد انتهاء حرب التقسيم سنة ١٩٤٨ . وبهذا تمكنوا من استغلال اراضي بيت نوبا ، حيث زرعوا فيها مختلف أنواع الفواكه والخضار ولا سيما القمح والذرة الحمراء والبطاطا والبصل والشمام وعين الشمس وما الى ذلك من مزروعات تحتاج الى ري. واما اراضي يالو وعمواس فقد اعدوها لانتاج المزروعات التي لا تحتاج الى ري . ومن ارض يالو انشأوا مزارع واسعة للمواشي والابقار وغرس الاشجار .

ويبدو أن الحكام الاسرائيليين تركوا لسكان هذه المستوطنة اليهود الحرية التامة في معاملتهم مع العرب من سكان القرى المجاورة . حيث نراهم يستولون على أبقارهم ومواشيهم الداشرة ويغرمونهم غرامات كيفية باهظة ، دون الرجوع الى اية محكمة او أية دائرة من دوائر الامن .

مراجعـــات

Israel, the Arabs and the Middle East,
Edited by: Irving Howe and Carl Greshman,
(Quadrangle Books, New York, 1972).

هذا الكتاب الذي نود مراجعته هنـا لا يعـالج موضوعا متماسكـا بعينه ، وانما هو مجموعـة مقالات متنوعة كتبها بعـض الكتـاب المناصرين للصهيونية ، كل على حدة ، تتناول هذه المقالات العديد من المسائل السياسية والاجتماعية التـي تتعلق بالدولة العسكرية الاسرائيلية ، بالمجتمـع الاسرائيلي والمجتمع العربي عموما وبما يسمـى أزمة الشرق الاوسط بابعادها المحلية والعالميـة وامكانيات حلها . ويمكن ادراج كل هذه المواضيع تحت ثلاثة ابواب. (١) اسرائيل كتجربة اجتماعية. (٢) الصراع في الشرق الاوسط . (٣) الملابسات العالمية .

قد يبدو للقارىء لاول وهلة ان الكتـاب ، كمـا يدل عنوانه ، يحاول بموضوعية ان يلقي الاضواء على حركة الصراع في المنطقة وعلى تطورها ومجرى حلها . لكن امله يخيب من المقدمة بالذات . يقول ارفينغ هو وكارل غريشمان في مقدمتهما : « ان بقاء اسرائيل هو اسبقية كبرى بالنسبة لاي امرىء يحرص على الديموقراطية ... لاننا نعتقـد ان بقاء اسرائيل الديموقراطية انمـا هـو ضرورة سياسية اخلاقية ملحة . » (ص ١) يتضح لنا هنا ، بصورة مباشرة ، مدى تشبع الاراء المعروضة في هذا الكتاب بالاديولوجيا الصهيونية ، رغم ان مؤلفي الكتاب يطرحون افكارا تدعو ، في الظاهر، الى السلام والمحبة والعدول عن استخدام العنف مع اسرائيل ، وسيرى القارىء فيما يلي ان هذه الدعوة المحـايدة الى « السلم والسلام » ليست فعليـا الا وجها اخسر لتأييد ودعم اسرائيـل في عملياتها العدوانية لبقائها الضروري » . وينطبق نفس الشيء على تسمية اسرائيل بـ « المجتمـع الديموقراطي»، لان الدولة الاسرائيلية واستعمارها الخارجي والداخلي امران متلازمان ، ولا يزول الثاني الا بزوال الاول . وقد يلقى هذا الاتجـاه « الاخلاقي » الذي يناشد الضمير صدى في الغرب حيث الدعاية الصهيونية ما زالت سائدة ونافـذة الى حد بعيد . ولذا من الضروري استجـلاء الحقيقة الموضوعية ونشرها مساهمة في انتهـاج خط اعلامي جديد . ومن هنا يترتب علينا ان نتناول كل مقالة على حدة ونناقش الافكار الرئيسية التـي تتضمنها ، والتي تشكل محور البحث في الكتاب ككل .

يستعرض والتر لاكوير في مقالته « الصهيونية ، النقد الماركسي واليسار » آراء ونظريات العديد من المفكرين الماركسيين ويعرض تاريخ نقد الصهيونية من ماركس حتى دويتشر ، ولكنه يخلص الـى نتيجة واحدة مفادها : « ان مسألة ما اذا كانت الصهيونية فكرة جيدة ام سيئة لم تعد ، مع نشوء الامة اليهودية ودولة اسرائيل ، مسألة ذات اهمية سياسية مباشرة . فالامة والدولة قد اصبحتـا حقيقة واحدة ، بغض النظر عن سرور البعض وانزعاج غيرهم . » (ص ١٧) . يود لاكويـر بطريقة اخرى ان يقول ان الصهيونية حقيقة أبدية لا جدوى من النضال ضدها ! ، ان هـذا الرأي مناقض تماما للواقع ، لواقـع ان الجماهـير الفلسطينية والعربية قد حملت السلاح بعد حزيران لكي تدافع عن نفسها وتناضل ضد الصهيونيـة وطبيعتها الاستعمارية العدوانية . ان لاكويـر يتجاهل هذا التحول الهام الذي طرأ على المنطقـة والذي يحمل في طياته عوامل انفجار اخرى تهـدد الدولة الاسرائيلية نفسها . وهذه الهالة التـي وضعها لاكوير على الصهيونية ، نجدها ايضا في مقاله « مشاكل الاشتراكية الاسرائيلية » للكـاتب بن هالبرن ، حيث يقدم لنا المجتمع الاسرائيلـي كمجتمع اشتراكي وهو بهذا الصدد يعتمد علـى

تجربة الكيبوتز والهستدروت وعلى الطابع الجماعي الذي يحمله كل منهما . اذ انه يقول : « ان السبب الضمني للشكوك التي تتعالى بصدد الاشتراكية الاسرائيلية هو انها اذا كانت اشتراكية ، فانها اشتراكية متحققة ، واكثر انها اشتراكية متحققة ضمن ظروف الحرية والارتباط المباشر بقضايا المجتمع الصناعي الحر. والنجاحات الصهيونية الاشتراكية ، اي الكيبوتز والهستدروت ... » (ص ٦٧) . ان هذه النظرة تتنافى والواقع لان الاشتراكية هي ، بالدرجة الاولى ، الغاء الطبقات والاستغلال والحروب . وهذا ما لا يخلو منه المجتمع الاسرائيلي . كما ان تملك الدولة الجماعي لوسائل الانتاج لا يعني الاشتراكية بحال من الاحوال ، بل هو تعبير عن سلطة ذات طابع توتاليتاري (كلي الاستبداد) . وقد اتبع حاييم باركي في مقالته « الكيبوتز : تجربة اشتراكية مصغرة » نفس الشيء تقريبا . فهو يقول : « ان المساهمة العينية للكيبوتز في التجربة الانسانية لهي بدون شك محاولة لتطبيق المبادىء الاشتراكية على الممارسة اليومية في اطار جمعيات مبنية على اساس العضوية الطوعية » (ص ٧٣) . ان الطابع الجماعي للمؤسسات الاسرائيلية لا يدل بحال على الاشتراكية ، وانما هو فعليا محاولة من الدولة الاسرائيلية لتنظيم الحياة الاجتماعية حسب ما تتطلبه مصالحها العدوانية الخارجية التي تدفعها دوما الى تثبيت هذه الصفة الاجتماعية على مختلف المؤسسات .

وفي مقاله « صور من اسرائيل : نظرة شخصية » يقول الكاتب رونالد ساندرز : « ان تأسيس دولة اسرائيل في ١٩٤٨ قد عبر بالتتالي عن تحقق فكرتين جوهريتين : التحرير اليهودي والاشتراكية الديموقراطية ... » بل انه يذهب أبعد من ذلك ويقول : « وحتى لو انفتحت آفاق حياة يهودية جديدة في اوروبا واميركا ، فان التجربة المريرة قد برهنت ان الضمانة المستقبلية الوحيدة للشعب اليهودي ككل ، ثقافيا وماديا ، تكمن في الوجود المستمر لمجتمع مستقل ذاتيا ، حيث يمكن لبعض اليهود على الاقل (...) ان يعيشوا ويضربوا بجذورهم في ارض خاصة بهم » (ص ١٠٢) ان الكاتب يعبر هنا عن الطابع الاستعماري للصهيونية ورغبتها في البقاء حتى ولو على حساب شعوب اخرى ! فهل بالامكان امام هذا الامر ان نسمي المجتمع الاسرائيلي مجتمعا حرا ؟؟ وعلى سبيل المثال : فقد طردت الحكومة الاسرائيلية مؤخرا شابين يهوديين من اسرائيل لانهما عارضا الحرب ضد العرب . وبالتالي فالجهاز العسكري الاسرائيلي يقمع باستمرار السكان العرب ويستولي على اراضيهم ويرحلهم من أماكن عيشهم . فهل هذه الظواهر هي حقا ظواهر «ديموقراطية» ؟؟!!

ويحاول الكاتب جوزف نير في مقالته « اسطورة « الخطيئة الاصلية » للصهيونية » ان يشيع التخاذل في الصفوف ويحبط الجهود . فهو ينهي مقالته قائلا : « في الوقت المناسب ، سيتبين ان اسرائيل وبالاصح الصهيونية ، ليست شريرة ، وسيدرك الجميع ان الامل بتحطيم اسرائيل محكوم عليه بالذبول . » (ص ١٥٦) . واضح هنا ان الكاتب يريد ان يريحنا من «عناء البحث والنضال»، بل انه يتابع قائلا ان الظروف الوليدة تشهد بشكل واسع امكانية تعاون بين اسرائيل والعرب . لكن هذا التعاون وهذا الحل الاستسلامي الانهزامي ان تم ، فهو سيكون من شأن الحكومات المتخاذلة لا من شأن الشعوب التي لا ترضى بديلا عن حريتها وحقها في الوجود الحر . وتؤكد ماري سيركين في مقالتها « اللاجئون الفلسطينيون » نفس الفكرة قائلة : « ان مثل هذه الدولة الفلسطينية (المقصود الدولة المقترحة لحل مشكلة اللاجئين) ستوفر قومية فلسطينية جديدة وفي ظروف السلم سينتج عنها اقتصاديا تعاون مع اسرائيل » (ص ١٨٥) . ان هذا الامر يحفل بالملابسات لان المشكلة تظل بقاء الصهيونية ، هذا البقاء الذي لن يمنعها من العدوان والاعتداء على السكان العرب. ومثل هذه الحلول الوسطية قد اثبتت تاريخيا عدم جدواها .

ويقول جوليوس ستون في مقالته « تقرير المصير والفلسطينيون العرب » : « يبقى واقع ان الاردن هو البلد الذي يحوز ، تاريخيا وديموغرافيا ، على مفتاح حل المسألة الفلسطينية » . (ص ٢٢٣) ان هذا الطرح وهذا المنظور لحل ازمة الفلسطينيين هو من ناحية جزئية صحيح كون الفلسطينيين قد اتحدوا تاريخيا مع الشعب الاردني ويشكلون اليوم ٦٠ ٪ من السكان . لكن الامر يبقى ناقصا اذا ما تجاهلنا ظروف المنطقة العربية التي تتطلب اليوم حلا شاملا . فمشكلة اسرائيل تمس مباشرة الفلسطينيين ولكنها ايضا

تمس الشعب العربي في كل مكان . كما ان الكاتب يتغاضى عن احداث أيلول وما برهنته من حقائق باتت معروفة للجميع .

وفي مقالة « الحريات المدنية في اسرائيل » ، يلقي الكاتب ألان ديرشويتز الاضواء على الصراعات الاجتماعية داخل المجتمع الاسرائيلي وعلى تزعزع الديموقراطية الاسرائيلية . وينتهي الى هذه النتيجة : « لقد حاولت ان اعرض صورة واضحة عن كيف أن مجتمعا ديموقراطيا مهددا بالخطر من الخارج والداخل يفهم مهمة موازنة مصالح الحرية والامن » (٢٩٨) . ثم يتابع قائلا : « ... ان اسرائيل ، عندما تسجن ١٥،٠٠٠ من مواطنيها العرب الذين يعدون ٣٠٠،٠٠٠ انما تخاطر اليوم مخاطرة جسيمة . » (٢٩٩) وهذا ما يشكل عاملا مساعدا على دفع هذه الصراعات الداخلية الى نقطة تقف فيها الدولة الاسرائيلية «مرتبكة». ليس هذا فحسب ، بل ان اسرائيل ترتبك اكثر من نمو اتجاهات المعارضة داخلها ووجود المنظمات اليسارية التي نقضت ثوريا الاديولوجيا الصهيونية وطرحت حلا للصراع من وجهة نظر مصالح العرب واليهود .

وفي الكتاب مقالة تتناول تاريخ الاستعمار في الوطن العربي منذ العهد التركي والاسباب التي عاقت دون لحاقه بانجازات المجتمع العربي من حيث الصناعة الكبرى ، هي مقالة شلومو افنيري « التحديث والمجتمع العربي » . يقدم افنيري سببين رئيسيين لتخلف المجتمع العربي وبقاء الاشكال العتيقة التاريخية ، هما غياب القاعدة الشعبية الاجتماعية الفعلية والتقوقع الذاتي . يقول : « ظلت القومية العربية سياسة صرف ، تعتمد على التقليد والجيش » (ص ٣١٠) وبعد عدة اسطر يقول : « لم تفشل في استئصال اسرائيل وحسب، بل أيضا في انجاز الوحدة السياسية . فالافكار الاجتماعية ظلت اديولوجيا صرف ، لا دافعا الى الممارسة الاجتماعية . فالطبيعة العسكرية — البيروقراطية للنظام المملوكي القديم قد ظلت على حالها ... » (ص ٣١٠ ، ٣١١) . لا يفسح المجال هنا لبحث العوامل التاريخية العديدة والمعقدة لضعف التصنيع في العالم العربي ، ولكن يكفينا القول هنا ان الكاتب افنيري يجد فيما يقوله مبررا لوجود دولة اسرائيل او بصورة أدق ما يسميه المجتمع الاسرائيلي الصناعي المتقدم . انه يسير حسب قاعدة « البقاء للاكثر تصنيعا » أما الاقل تصنيعا فعليه الخضوع . وحسب المرء ان يذكر مثال فيتنام حتى تتطاير كل هذه الاديولوجيا الصهيونية الاستعمارية التي ترى نفسها معكوسة في مرآة التاريخ الابدي والبقاء الابدي . فالتخلف ليس عائقا امام نضال شعب من الشعوب . بل ان افنيري يطرح حلا عجيبا للمشاكل التي يعانيها المجتمع العربي اليوم ، كما أنه يقدم هذا الحل على انه الطريق نحو السلام في الشرق الاوسط : يقول : « وما لم تنشأ صهيونية عربية ... فان فرص السلام في الشرق الاوسط هي ضئيلة حقا » (ص ٣١١) نجد هنا بوضوح كيف تصبغ الاديولوجيا الصهيونية كل شيء بصبغتها و« تخضع » كل الشعوب لنمطها ، انها تعتبر نفسها نقطة ثابتة لا مرد لها ، منها تنطلق الاشياء واليها تعود . ان فرص السلام في الشرق الاوسط ليست بيد طرف واحد معين ، بل تحددها عدة اطراف هي مشتركة اساسا في حركة الصراع الجارية امام اعيننا .

يقدم مايكل هارينغتون في مقالته « الامبريالية في الشرق الاوسط » كليشهات جاهزة تناقض الواقع تماما . فهو يقدم لنا الامبريالية بوصفها معارضة لنفسها ومصالحها . يقول : « الاستنتاج الذي سينبثق عن هذا التحليل هو ان الولايات المتحدة، بقدر ما دعمت حق اليهود في تقرير مصيرهم ، هذا الحق الذي يتجلى في دولة اسرائيل ، فانها قد اتبعت سياسة مضادة للامبريالية » . ان رأي الكاتب هنا غير صحيح اطلاقا فالامبريالية لا يمكن ان تعمل ضد مصالحها ، كما أن الدولة الاسرائيلية لا تجسد حق اليهود في تقرير مصيرهم ، بل «حق» الامبريالية في تحويل شعب معين الى جلاد للشعوب الاخرى . وبعد ذلك يعرض هارينغتون اراء لينين وروزا لوكسمبورغ في الامبريالية « كاعلى مراحل الرأسمالية » وكعشية انهيار الامبريالية نفسها . ويخلص هارينغتون من هذا كله الى نتيجة مفادها انه يدعم حق الدولة الاسرائيلية في الوجود والمساعدات الاميركية لها ويقول ان موقفه ازاء الطرفين موقف نقدي .

محمد الكبة

Edgar O'Ballance, **The Third Arab-Israeli War**, (Faber and Faber, London 1972).
Suleiman A. Schleifer, **The Fall of Jerusalem**, (Monthly Review Press, New York 1972).

بعد مرور خمس سنوات على نشوب حرب حزيران، ما زالت الكتب تؤلف عنها . وقد سبق للميجر ادغر اوبالانس ان الف كتابا عن الحرب العربية الاسرائيلية الاولى (صدر في ١٩٥٦) ثم اردفه بكتاب عن حرب السويس (صدر في ١٩٥٩) وها هو الان قد الف كتابه الثالث عن الصراع العربي الاسرائيلي . ويحترف اوبالانس تاليف الكتب عن الحروب المعاصرة ، اذ كتب ايضا عن الحرب الاهلية في اليمن ، وكذلك عن ثورة الجزائر . ولكنه في كتابه الخامس عن العرب (موضوع هذه المراجعة) لا يبدو وكأنه افاد كثيرا من مرور خمس سنوات على انتهاء حرب حزيران . فكتابه زاخر بالاخطاء الصغيرة والكبيرة ، بينها ما هو ناشيء عن عدم عناية في استقاء المراجع الموثوق بها ، وبينها ما هو ناجم عن سوء النية . فاذا ما طوينا صفحة على الاشمئزاز الذي يشوب لهجته كل ما تطرق الى المقاومة الفلسطينية ، تبقى هناك اخطاء اساسية في كتابه مبعثها الدراسة الخاطئة لما حدث في ذلك الشهر المشهود ، وهي اخطاء كان يمكن تفاديها لو ان المؤلف احسن انتقاء مراجعه . فقد استند هذا الضابط البريطاني المتقاعد الى كتب ايغال الون والكولونيل عيالون (الناطق الرسمي في وزارة الدفاع الاسرائيلي) وشمعون بيريز ويائيل ديان ودافيد كمشه ونداف سفران وشبطاي تيفيت. كما تتضمن قائمة مراجعه كتبا الفها اشخاص يميلون الى اسرائيل بشكل واضح ، مثل ونستن راندولف، تشرشل ، ونستن برديت وولتر لاكير (والاخير هو صهيوني) . وقد تجول اوبالانس في المناطق المحتلة التي دارت فيها المعارك، يصحبه ضباط اسرائيليون شرحوا له التحركات الحربية على الطبيعة . ولا يوجد ما يشير الى ان المؤلف حاول الاتصال بالجانب العربي ليقارن بين الروايتين ، كما ان الكتاب « العربي » الوحيد الذي استشاره هو « حربي مع اسرائيل » المشتمل على تفسيرات وتبريرات الملك حسين لهزيمة جيشه ، وهو كتاب ليس موضع ثقة على الاطلاق .

وكمدخل الى الحدث الرئيسي في الكتاب ، أي الحرب ، يقدم المؤلف خلفية للنزاع تتطابق استنتاجاته منها مع الرواية الاسرائيلية المعدة للاستهلاك الخارجي . فالاسرائيليون « فوجئوا » وصدموا بسبب سحب قوات الامم المتحدة من غزة وشرم الشيخ » . واعتقاد العرب ان الاسرائيليين حشدوا قواتهم على الحدود السورية « كان بدون اساس يستند الى الصحة » (ولا يذكر المؤلف هنا ان كل من الشكول ورابين هدد بالزحف على دمشق في تصريحات نشرت واذيعت في العالم كله) والحرب في نظره وقعت نتيجة للتصاعد في التهديدات المتبادلة وسوء التقديرات من الجانب العربي . اما ان تكون المؤسسة العسكرية الاسرائيلية قد خططت للحرب منذ سنوات طويلة ، فأمر لا يخطر ببال الميجر اوبالانس .

وهناك ايضا اخطاء ثانوية في الخلفية التي يرسمها المؤلف للنزاع لا تدل على انه درس الاحداث والتطورات السياسية في المنطقة بعناية كافية . انه مثلا يتحدث عن « انعزالية العراق عن بقية الاقطار العربية بسبب معارضة هذه الاقطار لرغبته في ضم الكويت » بينما العام الذي هو بصدده هو ١٩٦٦ ، اي بعد ثلاث سنوات على سقوط عبد الكريم قاسم الذي كان يطالب بالكويت . كما انه في موضع اخر يذكر ان فتح كانت في بداية نشوئها تستلم المساعدات المالية من مصر . وكذلك يجعل من الدكتور نور الدين الاتاسي جنرالا . اما الجاسوس الاسرائيلي ايلي كوهين ، فانه يروي قصته دون خطأ ، ولكنه في النهاية يذكر انه شنق في بغداد (!) وكذلك يستغرب القارىء قول المؤلف ان الاسطول المصري يفوق في الحجم اي اسطول لدولة واقعة على البحر المتوسط ، فأين ذهبت ادن اساطيل فرنسا وايطاليا وتركيا ؟ ثم ان المؤلف لا يكلف نفسه عناء مراجعة الاسماء الصحيحة للمواقع التي جرى فيها القتال ، بل انه بكل بساطة يطلق عليها الاسماء العبرية التي حصل عليها من الضباط الاسرائيليين الذين رافقوه في جولاته بالاراضي المحتلة ، وهي بالطبع اسماء لا توجد الا على الخرائط الاسرائيلية . ولكنه احيانا يورد الاسم العربي للموقع ، كما فعل عندما فسر شرهافاي في ملاحظة هامشية بان الاسم العربي لها **كان** (كذا)

باب الواد . الا انه عموما يعتمد على التسميات الاسرائيلية ، وحتى الكلمات العربية التي ترد في كتابه هي منقولة عبر التلفظ الاسرائيلي لها ، ولذا فان « نصر » تصبح « نزار » .

ولا يبدو ان المؤلف اطلع على تاريخ فلسطين اطلاعا كافيا . فهو مثلا يذكر ان القدس حرمت على اليهود منذ عام ١٣٥ بعد الميلاد ، مع انه كانت هناك جالية يهودية دائما في القدس اثناء الحكم الاسلامي . فاذا تركنا التاريخ القديم الى التاريخ القريب جدا، وجدنا ان المؤلف يستعيض عن جهله بالتاريخ بالتحامل على العرب، مع انه لا الجهل ولا التحامل يصنعان المؤرخ الجيد . فعبد الناصر يبرز مرة اخرى في دور البعبع الذي تنطلق جميع الشرور من تحت عباءته ، ومع ان العالم كله سمع بمحاولات عبد الحكيم عامر الثلاث للانتحار ، فان اوبالانس ليس مقتنعا بالتفسير الرسمي للمحاولة الرابعة التي نجحت .

وفي سياق الحديث عن موقف الاقطار العربية من مصر خلال حرب السويس عام ١٩٥٦ ، يصفه بانه « سنيكالي » ، مع انه لا يطلق هذا الوصف على تواطؤ بلاده مع فرنسا واسرائيل . اي مرة اخرى نجد مؤرخا غربيا يستخدم معيارا اخلاقيا مزدوجا للحكم على الاحداث . الا ان جميع هذه الاخطاء فرعية ، فنقطة الضعف الرئيسية في كتاب اوبالانس تقع في الفصل المتعلق بالحرب على الجبهة الاردنية. اذ هنا يكرر المؤلف جميع الاخطاء التي وقع فيها التشرشلين وبيتر يونغ ، مع الفارق ان الثلاثة الاخيرين نشروا كتابيهما بعد اسابيع معدودة على نهاية الحرب ، بينما اتيحت لاوبالانس خمس سنوات لان يبحث وينقب ويصحح ، ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك ، كما يبدو . ان خطأه الاساسي يكمن في اعتماده على رواية الملك حسين في « حربي مع اسرائيل » وقبوله لها على علاتها . فقد نسج من الحرب الخاطفة التي دارت في الضفة الغربية ملحمة كبرى ادت الى ان يفقد الجيش الاردني ٦٠٩٤ رجلا بين قتيل ومفقود (وهو الرقم الذي اورده الملك حسين في الكتاب) بل انه زايد حتى على الملك الاردني عندما كتب ان كل جندي تقريبا من خمسين الف الجندي الاردني في الضفة الغربية اما قتل او جرح او اسر ، بينما في الواقع كان الرقم الحقيقي للقتلى الاردنيين (الذي لم تجرؤ السلطات الاردنية على البوح به لضآلته يتراوح بين ٣٠٠ و ٤٠٠ قتيل ، اكثرهم من جنود الاحتياط . ولكن لما كانت مصلحة الاسرائيليين تقتضي التهويل من عنف المقاومة التي تعرضت لها قواتهم ، فالمعلومات التي نقلوها الى المؤلف جعلته يقتنع بان الضفة الغربية التي سقطت في ثلاثة ايام كانت مسرحا لمعارك عنيفة جدا ، قاتل فيها الجيش الاردني بضراوة وفقد الالاف من جنوده بين قتلى وجرحى واسرى . وكتبرير لهزيمة هذا الجيش ، يقتفي اوبالانس اثر المؤرخين السابقين ، مثل بيتر يونغ ، في القاء مسؤولية هذه الهزيمة على عاتق الفريق عبد المنعم رياض . ولكن لما كان الملك حسين نفسه قد اثنى على الفريق رياض في كتابه ، فان اوبالانس يتخطى هذه العقبة ليستشهد « بساسة وقادة اردنيين كبار وصفوا القائد المصري بالعناد وعدم الانصات الى رأي الاردنيين وعدم الاعتماد على اي شخص خارج نطاق هيئة اركانه المؤلفة من الضباط المصريين » الا ان هؤلاء « الساسة والقادة الاردنيين » هم في الواقع وصفي الذل وحده ، لكن المؤلف اراد اخفاء صبغة الموثوقية على ما يريد قوله عندما جعل من تهجم شخص متحيز حاقد رأي جماعة من « الساسة والقادة الاردنيين » ، علما بان هذا الاسلوب في كتابة التاريخ لا يضع صاحبه في ضوء مشرف .

ويتستر المؤلف ايضا على جرائم الاسرائيليين . فانه عندما يكتب عن الكوماندو المصريين الذين تسللوا الى داخل اسرائيل بعد اندلاع الحرب لتخريب المطارات ، يذكر انهم قتلوا في الاشتباكات التي دارت بينهم وبين الاسرائيليين. اما في الواقع، فالاسرائيليون اسروهم واعدموهم رميا بالرصاص ، بشهادة مراسلي الصنداي تايمز في تقريرهما الصحفي المنشور بعد الحرب مباشرة . ويلاحظ القارىء ايضا تشديد المؤلف على « تعاون »السكان الفلسطينيين مع قوات الاحتلال حال دخولها الضفة الغربية ، و « تسليمهم » الجنود المصريين او الاردنيين الذين لجأوا الى بيوتهم ، مع ان هذه هي الرواية الاسرائيلية التي تبغي اقناع العالم بخنوع الفلسطينيين واستسلامهم السريع ، وكان المفروض الا يصدقها مؤرخ عسكري الف حوالي دستة من الكتب .

ان كتاب اوبالانس لا يشكل اضافة جدية الى رف الكتب المؤلفة عن حرب حزيران ، بل هو اجترار للكتب التي صدرت قبله وتكرار للاخطاء المقصودة وغير المقصودة التي وردت في تلك الكتب . ولهذا فان كتاب سليمان عبدالله شليفر بمثابة نسمة هواء منعشة تهب وسط اجواء مثقلة بالتحيز والاحقاد

المزمنة . وشيلفر هو يهودي اميركي اسلم واقام في القدس ، وكان فيها عندما اقتحمتها القوات الاسرائيلية . وقد ظهر كتابه ملخصا في ترجمة عربية تعسة عن دار النهار عام ١٩٧١ . اما الان وقد ظهر النص الكامل للكتاب بالانكليزية الاصلية ، فيمكن القول ان هذا هو افضل كتاب صدر عن حرب حزيران حتى الان . كان شليفر شاهد عيان ، تتبع احداث المعركة من اجل المدينة المقدسة ساعة بساعة . الا ان كتابه هو في الواقع عن المأساة الفلسطينية كلها ، وما سقوط القدس الا الحدث الذروة لعملية حربية بدأت منذ نصف قرن بوعد بلفور ، وبدأ التخطيط لها عام ١٨٩٧ بالمؤتمر الصهيوني الاول المنعقد في بازل برئاسة ثيودور هيرتزل .

لقد امسك شليفر في يده بجميع الخيوط المترابطة فيما بينها ، وعرف كيف يصل عبرها الى اصل الاحداث ويفهم دوافعها الحقيقية . فالحرب الثالثة بين العرب واليهود لم تندلع نتيجة لسوء تقديرات صادرة عن الجانبين ، كما يريدنا اوبالانس ان نعتقد ، بل خططت لها المؤسسة العسكرية الاسرائيلية منذ سنوات ، وكانت اهدافها الرئيسية هي : الاستيلاء على البقية الباقية من فلسطين ، وانتشال اسرائيل من ازمتها الاقتصادية الخانقة التي دفعت بعدد كبير من الاسرائيليين الى الهجرة (اذ لا شيء افضل من النصر العسكري في رفع الروح المعنوية المنخفضة) وضرب فتح قبل ان يستفحل خطرها . وللتدليل على اهتمام اسرائيل بظاهرة المقاومة الفلسطينية قبل حرب حزيران ، خصص المؤلف فصلا للحديث عن محاكمة المناضل محمود بكر حجازي ، اول فدائي من فتح اسره العدو . وبعد المدخل التاريخي للصراع ، يشرع شيلفر في وضع احجار الفسيفساء في اماكنها الصحيحة لابراز الصورة الشاملة للمجابهة العربية الصهيونية عبر معركة القدس .

عشية الحرب تعيش المدينة في جو ساحر ، اذ بينما ينهمك الاسرائيليون في تخزين الاغذية ، لا تخطر ببال احد في المدينة العربية ضرورة انشاء ملاجيء للحماية من الغارات الجوية ، او تدريب الناس على اساليب المقاومة الشعبية . الجميع ينصتون عبر المذياع الى الخطب الحماسية ، دون ان يتمكنوا من الربط بين الحرب المقبلة وواقعهم هم ، وكأن الصراع سينشب في قارة اخرى . وبينما يتزلج الملك حسين على الماء في ميناء العقبة ، ويحضر انتخابا لملكة جمال ، ينصح بعضهم المؤلف الذي كان آنذاك يعمل رئيسا لتحرير صحيفة انكليزية تصدر بالقدس ، بعدم كتابة مقال افتتاحي يطالب فيه بانشاء المقاومة الشعبية (كما كان يزمع ان يفعل) باعتبار ان هذا المقال سيفترض اجتياح العدو للضفة الغربية ، والذي يفترض ذلك هو خائن وانهزامي .

وبعد زيارة الملك حسين المفاجئة للقاهرة وتوقيعه على حلف دفاع مشترك مع مصر ، ينسى الناس الضربات التي كالها نظامه للحركات التحررية في الاردن ، ويهرعون لرفع سيارته والهتاف له . وفي هذه الاثناء يتوجه احد المواطنين الى مركز الهلال الاحمر ليتبرع ببعض دمه ، استجابة لنداء من الاذاعة ، ولكنه يجد المركز خاليا . وفي هذه الاثناء ايضا يذهب محافظ القدس الى عمان لمقابلة الشريف ناصر طالبا ١٠،٠٠٠ بندقية يسلح بها المتطوعين ، فيرده ناصر قائلا : ارجوك ان لا تتكلم في مثل هذه الامور . نحن لدينا خمسة الوية لحماية القدس ، ورتبنا كل شيء .

ثم يرتفع الستار عن الحرب : فوضى شاملة في الجانب الاردني وعدم استعداد مذهل . الضباط يبدأون في الاختفاء من مراكزهم . بدلا من الالوية الخمسة التي كانت القيادة قد وعدت بها قائد منطقة القدس الزعيم عطا علي ، لا يوجد الا لواء واحد فقط من المشاة للدفاع عن المدينة المقدسة ، اغلب جنوده من الاحتياطيين الذين جيء بهم من الخليل . وهم غرباء عن القدس ، يجهلون منافذها وضواحيها . وبالاضافة الى ذلك : لا توجد مدافع مضادة للطائرات في المدينة او حواليها ، ولا دبابات ولا مدفعية ثقيلة ولا اسلحة مضادة للدبابات اثقل من عيار ١٠٦ ملم . ولتفادي النقص الفاضح في الجهاز الدفاعي عن المدينة ، تقرر القيادة تسليح عدد من القرويين ودفعهم لاحتلال مستشفى هداسا والجامعة العبرية على جبل المكبر . ويعلق شليفر على ذلك بقوله : « لم يكن القرويون مدربين عسكريا (...) ولو وقع الهجوم حسب الخطة لوقعت مذبحة » . كما انه يستشهد بدراسة كتبها ضابط بريطاني عن استعمال المدفعية في حرب حزيران لمجلة المدفعية الملكية جاء فيها : « انه مما يدعو الى الاستغراب عدم افادة المدفعية الاردنية في الجبهة الوسطى من فرص ثمينة سنحت لها . فعند بدء القتال كانت قواعد الطيران الاسرائيلي ضمن مدى المدافع الاردنية ذات العيار ١٠٥ ملم ، وكان

باستطاعة الاردنيين انزال الدمار بالطائرات الاسرائيلية عند عودتها لتتزود بالوقود . لكنهم اضاعوا هذه الفرصة ، ولو استغلوها لغيروا مجرى الحرب » .

ويستمر هروب الضباط والجنود من مواقعهم . بل احيانا تنسحب الوية بكاملها من مواقعها ، كما حدث عندما انسحب لواء المشاة بقيادة العقيد كمال الطاهر دون مقاومة ، تاركا موقعه في نتوء اللطرون الذي كان ابان حرب ١٩٤٨ مسرحا لاعنف المعارك. هذه المرة استولى الاسرائيليون على هذا الموقع الاستراتيجي دون خسائر تذكر . ومع ذلك يستلم الفريق رياض تقارير عن الاصابات الاردنية مبالغ فيها كثيرا ، بينما يفيد مستشفى القديس يوسف في القدس بانه لا يوجد بين الجرحى اي ضابط . وفي الواقع يبدأ انهيار المقاومة المنظمة منذ اول يوم للحرب ، فالغذاء والماء لا يصلان الى الجنود في ساحة القتال ، وفي المستشفيات ينشأ نقص فظيع في الادوية والضمادات وحتى الخبز . وفي اثناء ذلك كله تمتلىء الغرف بالجرحى الذين يلعنون المسؤولين في البلاد لقطعهم الجرايات والذخيرة والامدادات عن الجنود اثناء القتال .

واخيرا ينسحب الزعيم عطا علي مع ما تبقى من جنوده ، فتسقط المدينة التاريخية ويبدأ السلب والنهب . وطبعا شليفر هو الكاتب الوحيد الذي يصف بصراحة سلوك الاسرائيليين في ساعة نصرهم ويفضح حقيقة « التآخي بين العرب والاسرائيليين» الذي نوهت به الصحف الغربية.كما يسجل هدم الغزاة لقرية قلقيلية وقطع اشجار الفواكه فيها ، ثم بعد ذلك زرعهم لشجيرات اليوكالبتس السريع النمو مكانها حتى يمكن القول للسياح فيما بعد : انظروا كيف جعلنا الصحراء تخضر .

ولا ينهي شليفر كتابه بانتهاء الحرب ، فالحرب العربية الاسرائيلية لم تشهد خاتمتها في اليوم السادس . والدوريات الاسرائيلية تستمر في قتل العرب الذين يعبرون نهر الاردن في الليل بغية العودة الى ديارهم في الضفة الغربية التي كانوا قد فروا منها بعد الحرب مباشرة ، وبين هؤلاء العرب النساء والاطفال . وعندما يكشف جندي احتياط اسرائيلي النقاب عن ذلك في مقال بمجلة يسارية ، يزج في السجن . ويتابع المؤلف سير الاحداث حتى معركة الكرامة التي يعتبرها نقطة التحول في العمل الفدائي ، ثم يصل في الخاتمة الى استنتاجاته النهائية : الانظمة العربية لا تريد أو لا تستطيع تجنيد شعوبها وتحميلها التضحيات التي يستلزمها نزاع طويل الامد مع اسرائيل يعرض حكمها وامتيازاتها للخطر ، ولذا هي تريد التفاهم مع اسرائيل ، اما الاخيرة ، فالسلم بالنسبة لها يعني المشاركة الاقليمية ، اي حدودا مفتوحة للتبادل الثقافي والتجاري والسياحي والتوظيفات المالية . وهذا النوع من الاتفاق يمكن التوصل اليه حول مائدة المفاوضات . ولما كان الاسرائيليون ما يفتأون يرددون ان على العرب الجلوس معهم ، الى طاولة المفاوضات لاكتشاف كرمهم ، فيمكن لاسرائيل اذا ما ضمنت لنفسها مشاركة اقليمية ممهورة بمعاهدة سلم ان تظهر كرمها بتعويض اللاجئين واعادة جزء صغير منهم الى ديارهم الاصلية . كما يمكنها ان تمنح الاردن منافذ على المتوسط وتساعده اقتصاديا . ويكتب شليفر : « اذا وجد في التاريخ مثال للعلاقات المتوقعة بين اسرائيل والعرب فهو مثال العلاقات بين الامريكتين: مجتمع مستمر اوربي في الشمال حرم سكان البلاد الاصليين حقوقهم الطبيعية وانتقل بعد ذلك الى جنوب متخلف مكون من مجتمعات هندية الاصل ، فاقام عليها انظمة عسكرية غير ثابتة . فقد قال ابا ايبن من الاذاعة الاسرائيلية : « ما نطمح اليه في علاقاتنا مع العرب هو ليس من نوع العلاقات القائمة بين لبنان وسوريا وانما من نوع العلاقات القائمة بين الولايات المتحدة الامريكية واميركا اللاتينية ، اي التبادل الاقتصادي رغم الفوارق التاريخية واللغوية والثقافية » . اسرائيل تعوزها الموارد الطبيعية والاسواق الواسعة . وعند وقوع الحرب تنشط القاعدة الاقتصادية فتنتج وتزداد التبرعات لاسرائيل في الخارج . ولكن السلام الذي لا يسمح لاسرائيل بالوصول الى الاسواق والموارد الطبيعية العربية معناه موت نظرية « القلعة المهددة » التي من خلالها يحفظ الاسرائيليون وحدتهم الداخلية ويبتزون موارد عيشهم من الاموال اليهودية في العالم . ولذا لا يمكن لاسرائيل ان توافق على سلام لا يمكن تحويله الى صلح دائم ومشاركة اقتصادية وثيقة .

باختصار يمكن القول ان شليفر جمع في كتابه ميزتين كبيرتين : فهو اولا سجل سقوط القدس كشاهد عيان ، ولم يظهر حتى الان ما يناقض روايته للاحداث ، وهو ثانيا استقرأ نوايا الاسرائيليين

واشار الى اهدافهم على المدى البعيد ، ومرة اخرى ، لا يمكن لمراقب موضوعي مطلع ان يجادله في استنتاجاته هذه .

وربما الفرق الرئيسي بين كتابه وكتاب اوبالانس ان الثاني صور العرب يحاربون بعنف في سبيل قضية مشكوك بها ، بينما صور شليفر العرب وهم ينهارون بسرعة تدعو للخجل والرثاء اثناء دفاعهم عن قضية لا يمكن ان يتطرق الشك الى قدسيتها .

ف. المنصور

Michael Bar-Zohar, **J'ai risqué ma vie: Isser Harel le No. I des services secrets israéliens.**
(Editions Fayard, Paris 1971).

ترجع قصة المخابرات الاسرائيلية الى عهد العصابات الاستعمارية المسلحة . لقد سبقت المخابرات الدولة الى الوجود . فهي ، بعد « انشاء اسرائيل » ليست سوى مخابرات الهاغانا، الـ « شاي » ، وقد أعيد تنظيمها بأمر من بن غوريون فأصبحت تنقسم الى :

ـ شين ـ بيت : القسم المتخصص بالمخابرات الداخلية .

ـ أمان : المخابرات العسكرية .

ـ مدينات : القسم السياسي .

ـ موساد : المؤسسة المركزية للمخابرات والبصمات الخاصة .

اثناء الحرب كان الـ «شاي» على علم بكل ما يحدث او يقرر في جميع الاوساط ، من اعلى الادارات البريطانية ، المدنية والعسكرية ، الى ابسط مكالمة تلفونية مهما بلغت من السرية . واذا صدقنا مؤلف هذا الكتاب ، فان اليهود كانوا ، منذ ذلك الحين ، الحكام الحقيقيين لفلسطين . فقد كانوا يشكلون نسبة دولة سرية تحت حجاب الوصاية البريطانية . كان الـ « شاي » يستخدم كلية اليهود الموجودين في فلسطين تقريبا ، من اعلى الضباط في الجيش البريطاني والموظفين في الادارة البريطانية الى ابسط عامل في البريد او خادم في فندق ، بالاضافة الى قسم كبير من الضباط الانجليز انفسهم، وبعض العرب . والى جانب الجاسوسية كان لـ « شاي » دور في هجرة اليهود السرية الى فلسطين . « كان في امكان الشاي تحدي أغلبية ضربات البوليس البريطاني ضد الهاغانا» . كما نرى ، كان للمخابرات اليهودية دور هام في نشأة الدولة الاسرائيلية ، لكنه ليس الدور الرئيسي الذي يحاول ان ينسبه اليها الكاتب . ليست المخابرات الا جهازا بيد قوة سياسية ـ عسكرية معينة تمثل تيارا ايديولوجيا ظهر في شروط تاريخية معينة جعلته يلقى رواجا مذهلا . لكن الايديولوجيا الصهيونية تريد ان تقدم نفسها (وبالتالي كل اعمالها) ككيان خالد فوق التاريخ وخارج عنه . ترفض كل المقاييس ما عدا مقياس النجاح المؤقت الذي تفتتن به وتحاول ان تشغل به الناس . وبعد « اعلان الاستقلال » كان للمخابرات دور خاص للمحافظة على أمن الدولة المهددة بالاندثار . وهذا ليس غريبا في دولة مبنية على العنف . كانت اسرائيل حريصة على معرفة كل اسرار الجيوش العربية. عددها وعدتها ومخططاتها والايديولوجيات السائدة فيها الخ . وكانت المخابرات تهتم حتى بتفكير المواطن المصري البسيط وتستغل نقاط الضعف فيه للتأثير على الرأي العام المصري بواسطة الحرب النفسية . ومن اصل ١٣ عملية جاسوسية يرويها الكاتب مفصلة هناك ٦ عمليات تتعلق بالعالم العربي واهمها :

ـ **قضية عمان** : يرجع تاريخها الى ١٩٤٧ . يروي الكاتب اخبار المفاوضات السرية التي قامت بها مائير مع الملك عبد الله وخوف اسرائيل من الجيش الاردني وعدم تأكدها من موقفه ازاءها . ويبين ان الملك لم تكن له اية رغبة في محاربة اسرائيل وانما اضطر الى ذلك خوفا على فقدان العرش . ويحاول الكاتب ان يقنعنا ان اسرائيل كسبت المعركة بفضل المعلومات التي حصلت عليها بواسطة فلسطيني عربي بعثه الـ « شاي » خصيصا الى عمان ليعرف مدى استعدادجيش عبدالله وهل انه سيشارك في الحرب ام لا .

ـ **قضية بغداد** : ٤١ ـ ١٩٥١ ، وهي قصة ترويج الايديولوجيا الصهيونية في الاوساط اليهودية ببغداد بارسال يهود من فلسطين بجوازات سفر انجليزية وايرانية . لقد تمكنت هذه الشبكة من تهريب الكثير من السلاح « بحيل مختلفة » لا يخبرنا عنها الكاتب . وذلك لتمكين يهود بغداد « للدفاع عن انفسهم » . وكانت نفس الشبكة مكلفة بتهيئة هجرة اليهود العراقيين ، بعد اقناعهم بالفكرة الصهيونية ، الى اسرائيل عبر قبرص ، ثم مباشرة الى اسرائيل بواسطة طائرات خاصة ربما كانت انجليزية . وواضح ان السلطات العراقية كانت على علم بذلك .

قضية القاهرة : وهي اخبار عن عمليات التجسس الاسرائيلي في مصر قبل سنة ١٩٥٦ وبعدها حتى سنة ١٩٦٢ . طبعا لا يتحدث المؤلف الا عن الشبكات التي اكتشفت . لكن هناك بعض التفاصيل لم تنشرها الصحف العربية .

كانت المخابرات الاسرائيلية تستعمل بعض النازيين بايهامهم انهم يتجسسون لحساب حزب نازي جديد في اوروبا . كما كان لها ـ في البداية ـ في اوساط الخبراء الانجليز والالمان العاملين في مصر جواسيس عديدون . وكان لذلك اهمية فائقة اذ ان معظمهم كان يشغل مناصب عالية في الجيش والمخابرات والادارة المدنية . وكانت تستعمل اليهود المصريين في مهمات تخريبية خاصة مثل نسف المنشآت البريطانية في مصر لخلق وضع من عدم الثقة بالسلطات المصرية تستفيد منه اسرائيل على الصعيد الديبلوماسي .

وعلى الطريقة الصهيونية المعهودة يروي المؤلف قصة العدوان الثلاثي على مصر ، مضيفا اليها دور المخابرات « الاساسي » . فالمسؤول الاول عن هذه الحرب ، في نظره ، او بالاحرى حسب خطته لصنع الاوهام ، هي المخابرات الاميركية (CIA) التي ، نظرا « لعلاقاتها الممتازة مع عبد الناصر » كما يزعم المؤلف ، كانت تدافع عنه في الاوساط الحكومية الاميركية وتعطيها صورة خاطئة عن نواياه « الخبيثة » . وهي المسؤولة ايضا عن «التوسع» السوفييتي في الشرق الاوسط . فاعظم خطيئة ارتكبتها هذه المخابرات هي عدم اكتشافها في الوقت المناسب لاتفاقية صفقة الاسلحة السوفييتية سنة ١٩٥٥ . وبذلك اختل توازن القوى في الشرق الاوسط واصبح خطر الفناء يحدق باسرائيل ، لا سيما وان ايزنهاور رفض تزويدها باسلحة تمكنها من « تعديل التوازن » ومن ردع عبد الناصر . فكانت « حرب الوقاية » .

وتتعلق المسائل الاخرى التي يتحدث عنها المؤلف بالامن الداخلي وبمقاومة الجاسوسية الاجنبية خاصة الجاسوسية الروسية والعربية . ولا يفوت المؤلف ان يؤكد على تخلف الجاسوسية العربية وعدم خبرتها .

بعد ان يبهرنا بار زوهار بفقراته من تلاحم « الامة الاسرائيلية » وايمانها بقضيتها ، تأتي الفقرات التي تكشف عن الطبيعة الحقيقية لهذا المجتمع « الاشتراكي السوائي » . فرجال المخابرات الاسرائيلية مندسون في كل الاحزاب والتنظيمات رغم اتجاهاتها الصهيونية . ويصف لنا المؤلف مراقبة المخابرات لكل الاوساط بشكل يتعذر معه قبول اي فكرة عن ديموقراطية دولة اسرائيل . وهو بذلك يقع في الفخ الذي نصبه بنفسه . فاندفاعه في تمجيد المخابرات الاسرائيلية في كل ما تفعله يؤدي به الى عكس النتائج المنشودة .

واهم مسألة تتعلق بالامن الداخلي هي مسألة « مقاومة الارهاب » اليهودي والتطرف الديني بعد تأسيس الدولة ، مثل عصابات الشتيرن والايرغون و « اتحاد المتعصبين » الذين كانوا يعتبرون دولة اسرائيل بداية المطاف لا نهايته ، اي كنقطة انطلاق لاعادة تأسيس « مملكة اسرائيل من النيل الى الفرات » .

واضح ان المؤلف لا يحدثنا عن هذه المسائل الا للتأكيد على اعتدال سياسة الدولة الحالية واسسها العلمانية واظهار اسرائيل بمظهر دولة عصرية لا مجال فيها للتطرف او التعصب . اما

التعصب العرقي الذي تقوم عليه الدولة برمتهـا فلا حديث عنه .

ان ما يستحق الانتباه في هذا الكتاب هو الطريقة التي كتب بها ، هذا الجانب ، في نظرنا ، اهـم بكثير من المعلومات التي وردت فيه . فرواية تاريخ المخابرات الاسرائيلية تصبح نوعا من الادب هو من « الملحمة » أقرب . ايسر هارئل ، مدير المخابرات الاسرائيلية حتى سنة ١٩٦٣ ، كما يقدمه ميشيل بار زوهار مؤلف : « بن غوريون ، النبي المسلح » (وهو اسرائيلي صهيوني) ليس موظفا ساميا . انه « بطل اسطوري » . والمخابرات الاسرائيلية تقدم كمؤسسة بديعة ، جديرة بكـل اعجاب . بالاضافة الى حداثة عهدها وفعاليتها ، فهي مبنية على «قواعد اخلاقية» تحسدها عليها كل زميلاتها. من ذلك انه يحظر على الجاسوسات الاسرائيليات استعمال ميزاتهن الجنسية لنيل اهدافهن . لكن ايسر هارئل لا يمتنع عن استعمال العاهرات في مختلف المهام . والحرص على امن الدولة لا يمنع المخـابرات الاسرائيليـة من التضحيـة ببعـض الجواسيس بتكليفهـم بعمليات انتحارية ولا مـن اغتيال بعض العلماء الالمان العاملين في مصر ولا من استعمال جواسيس نازيين ثم تصفيتهم في الوقت المناسب . فضلا عن اخلاق الصهيونية ذاتها التي ليست المخابرات الا جهازا للدفاع عنها وعن امـن دولتها .

بيد انه لا ينبغي مناقشة ميشيل بار زوهار على الارضية التي اختارها . فهو يسعى ، طيلة ٣١٨ صفحة ، باسلوب قصصي مشوق ، الى ان يوقع قراءه في فخ الايجابية البحت : انتشار المخابرات الاسرائيلية الواسع و « فعاليتها المذهلة » . كفاءة ايسر هارئل النادرة التي مكنتـه من تسلق سلم المراتب من اسفله الى اعلاه ، من مهاجر روسي بسيط يعمل في الكيبوتز الى مدير لكل المخابـرات يتمتع بصداقـة بن غوريون وتقديره الخـاص . والمؤلف يشدد على هذا الجانب حرصا منه علـى اعطاء مثال عن عبقرية « الشعب اليهودي المؤمن بقضيته » . وهو بتمجيده المخابرات الاسرائيليـة لا يرمي الا الى تمجيد « دولة اسرائيل الفتيـة » صاحبة المعجزات . ومثل كل صهيوني لا يخطر على بال المؤلف ان يتساءل عن خلفيات كل ما يقصه من بطولات ولا عن الاسباب الحقيقية ، غير عبقريـة هارئل ، « للنجاح الباهر » الذي حققته المخابرات الاسرائيلية . كالخبرة التي اكتسبها اليهـود في الجيش البريطاني اثناء الحرب العالمية . واستعمال اليهود الاجانب من انجليز وفرنسيين والمان واميركان وغيرهم ، حيث ان الحدود العربية مفتوحة امامهم بصفتهم اجانب . وتعاطف اغلبية اليهود العرب مع دولة اسرائيل والعمل لحساب مخابراتها .

واضح ان هذا الكتاب ليس الا جزءا من الحـرب النفسية الواسعة التي تشنها اجهـزة الاعـلام الصهيوني . فالتركيز على دور الجاسوسية يقصد به اولا بعث الخوف في قلوب العرب من السوبرمان الصهيوني الذي له دراية بشكل ما يظهرون ومـا يضمرون وله القدرة على ضرب المتمردين منهم حيث وجدوا لانه موجود في كل مكان ، ويحاول الكتاب ان يظهر المجتمـع الاسرائيلي مجتمعا منسجمـا ومتلاحما بفضل جيشه ومخابراته .

محمد شعيرات

Wolfgang Lotz, The Champagne Spy, (Valentine, Mitchell, London, 1972).

لا يوجد في اعلانات الصحف حقل لوظائف الجواسيس الشاغرة . وعندما ينكشف امر الجاسوس تنتهي بانكشافه حياته المهنية ولا يدري ما يفعله بليله ونهاره . المهمة الوحيدة التي تبقى مفتوحة امامه هي ان يبيع نفسه للدعاية كما باعها من قبل للجاسوسية . ويقوم بهذه الخدمة عادة الجواسيس المتقاعدون عن طريق كتابة مذكراتهم التي يقدمونها الى العالم مصحوبة بايمان مغلظة بانها الحقيقة ، كل الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة . ولكن من يستطيع تصديقهم بعد حياة كل ما فيها كذب ؟

وها نحن امام حلقة جديدة من هذه السلسلة . بطل هذه الحلقة هو ولفغانغ لوتز ، الجاسوس الاسرائيلي الذي تقمص شخصية ثري الماني وهز مصر بافتضاحه مثلما هزها بتنكره . وقد كتب عنه الكثير في الشرق والغرب حتى تطوع هو اخيرا — كما يقول — ليقص على العالم قصته بحقائقها كما يقول ايضا . ومن يقرأ كتابه هذا « جاسوس الشمبانيا » يلتقي بشخصية عاشت في عالم كل ما فيه افتراء وكذب ومخادعة . وهناك في اسرائيل من يعتقد انه كان يخادع الاستخبارات الاسرائيلية ايضا بعيشه عيشة باذخة في القاهرة لا تتناسب نفقاتها مع ضحالة المعلومات التي جاء بها . ونحن نعرف كيف يتحول الكذب الى داء متأصل بعد اشهر قليلة من ممارسته . ويظل القارىء يسائل نفسه كما تساءل قضاة مصر من قبل : اين كذب لوتز واين صدق . مجهود عسير لغير الملم باستراتيجية الاعلام الاسرائيلي ، ومضن للملم بها . ونلمس في الكتاب امثلة مختلفة للسهولة التي يفتح فيها المؤلف مغالطاته . ومن ذلك اشارته الى تدفق المساعدات السوفييتية الى العالم العربي قبل ١٩٥٥ .

لقد تظافرت عناصر كثيرة في شخصية لوتز حملت الاستخبارات على اختياره جاسوسا لها في مصر . لقد ولد لوتز في المانيا من اب مسيحي وام يهودية، وبهذه الصفة بقي بدون ختان ، مما ساعده على اقناع المحققين المصريين بانه ليس يهوديا ولا اسرائيليا . وورث من ابيه ايضا القيافة الآرية وسيماء الوجه الالماني . ولم يذهب الى فلسطين حتى ١٩٣٣ بعد ان اكتسب اللغة واصول السلوك من المانيا . وكانت امه ممثلة ومنها اكتسب قابليته على التمثيل وارتجال المواقف . وعندما اندلعت الثورة الفلسطينية في الثلاثينات انضم الى كتائب الهاغانا حيث تلقى اول دروسه العسكرية وتلقى ما هو ابعد خطرا من ذلك ، تلقى كرها متأصلا للعرب . وقام بأول افتراء خطير يلقي ضوءا على سلوكه المستقبل بتزويره الوثائق اللازمة لدخول الجيش البريطاني اثناء الحرب الثانية . وعهد اليه الانكليز بمهمات استخبارات في مصر . ثم خاض حرب ١٩٤٨ وحرب ١٩٥٦ .

وبالاضافة الى اتقانه اللغات العبرية والعربية والالمانية والانكليزية ، اصبح لوتز يجمع مع المؤهلات ما يجعله موضع اي جاسوس في العالم . ولكن مؤهلاته لم تقف هنا . لقد كسب من امه الممثلة ايضا روحا فريدة للنكتة وحصل من الاستخبارات الاسرائيلية على حساب مفتوح لا حدود لمخصصاته . قال له رئيسه عندما عاين فاتوراته : الجاسوس الناجح يساوي لواء من العساكر ولكنه ايضا يكلف ما يكلفه اللواء.وبالنكتة والكرم يستطيع اي انسان ان يكسب ود اي انسان في القاهرة . لقد اصبحت ابواب التغلغل مفتوحة على مصراعيها امامه .

ومع ذلك فالقارىء العربي يضيق ذرعا بعمى القلب الذي ابداه المسؤولون في القاهرة آنئذ . فبعد اسابيع قليلة اصبح هذا الاجنبي « واحدا من اهل البيت » في بيوت القادة والخبراء العسكريين . لقد سمحوا له كمرب للخيول ان يضع خيله في اصطبلات الجيش في معسكر العباسية واعطوه بطاقة مرور تسمح له بدخول المعسكر انى شاء . ولتدريب حصانه ارشدوه الى ساحة سباق جنب معسكر الدروع قرب مصر الجديدة . ومن برج هذه الساحة راح يصوب منظاره لا الى حصانه الراكض وانما الى الدبابات الرابضة . واخيرا دلوه الى حقل لتربية خيله قرب معمل للصواريخ على طريق الاسكندرية .

ويتحدث لوتز عن طريقته في جمع المعلومات فيقول انه لم يحاول شراءها او طلبها من احد . لقد آثر ان يستغل هيام العرب بالكلام والمحادثة ، وجنوح معارفه من ضباط وخبراء الى التباهي

بانفسهم ومراكزهم ومسؤولياتهم . كل ما تحتاجه منا هو ان تدعوهم الى العشاء وتغرقهم بكرمك ولا سيما كرمك بالشمبانيا والويسكي . وما عليك الا ان تستمع اليهم يتحدثون عن كل ما يهم الاستخبارات الاسرائيلية ان تسمعه . طريقة بسيطة كان من الممكن لها ان تبقي لوتز في القاهرة حتى الان لولا جهاز اللاسلكي اللعين الذي كشفت صوته السلطات (لوتز يقول ان السوفييت هم الذين كشفوه) ، فكانت النهاية ، السجن المؤبد . ولكن حظ لوتز كما يقول المؤلف ينتصر دائما . وانتصر حظه هذه المرة باندلاع حرب يونيو وحصول اسرائيل على الاف الاسرى الذين استبدلتهم بجاسوسها المدلل .

وكانت المرة السالفة التي انتصر فيها حظ لوتز في نجاته من الاعدام . فالامر لا نفهمه ولم يفهمه هو ، آثرت النيابة العامة غض النظر عن احتمال كونه اسرائيليا وقررت محاكمته على اعتباره المانيا ، مما خفف من جرمه . ويعطينا المؤلف تفسيرات مختلفة لهذا الموقف من النيابة . والقارىء الذي يريد تصديق وكلاء الاستخبارات حر في تصديقه . بيد ان ما يعنينا من هذه النقطة هو تواطىء المعسكر الغربي مع اسرائيل في اتفه المسائل واخطرها . لقد أدى اعتقال لوتز الى حملة عنيفة من القاهرة على المانيا الغربية وتقبلت الحكومة الالمانية هذه الحملة صابرة دون ان تلجأ الى المخلص البسيط بمكاشفة القاهرة بان لوتز اسرائيلي وليس المانيا . ويقول المؤلف بان مجلة دى شترن الالمانية اعدت تقريرا كاملا معززا بالصور والوثائق عن حياة لوتز وجنسيته الحقيقية . ولكن ضابطا من الاستخبارات الاسرائيلية ذهب الى المجلة وتسبب في حفظ التقرير . كما عملت الحكومة الالمانية على التستر على لوتز ، بناء على طلب من الاستخبارات الاسرائيلية ايضا ، وامرت سفارتها في القاهرة بتبني قضيته وتمثيلها في المحكمة . وظل لوتز يتلقى شتى الامتيازات في السجن نتيجة تدخلات القنصلية الالمانية .

ان ما استوقفني طويلا في الكتاب هو نزعة التحامل العنصري التي ابداها المؤلف . لقد قضى نحو اربعة اعوام في مصر اغرقه المصريون خلالها بودهم وعطفهم واكرامهم ومساعدتهم ، وفي اكثر الاحيان على حساب مصر وقوانينها . ولا يكاد يروى قصة الا وواجهتنا فيها دمامة مصر وطيبتها ، طيبتها التي بدونها لم يكن بمستطاع لوتز ان يقوم بنشاطه . ولكنه لم يذكر طوال مذكراته احدا من معارفه واصدقائه المصريين بكلمة طيبة واحدة . الكلمة الدارجة على لسانه في وصف اي مصري هي انه « ابن حرام » . من لم ينفذ ارادته ووضع مصاعب في طريقه هو ابن حرام ، ومن نفذ ارادته وحقق له مآربه هو اهبل وغبي . ولا يستطيع القارىء ان يتفادى القشعريرة عندما يفكر بان هذه الذهنية هي الذهنية التي تصبغ سواد المجتمع الاسرائيلي واسسه الاخلاقية .

ونحن نتفق مع الكاتب عندما يقول بأن الجاسوسية مهنة قاسية تستغل الصديق والقريب . لا احد يلومه على قيامه بواجبه واستغلاله ضحاياه . ولكن الانسان يتوقع منه كلمة رقيقة او شعورا بالاسف عن العشرات من اصدقائه الذين خدموه طوال اقامته في القاهرة قبل ان يلقوا نفس المصير في السجن بسببه ودون علم منهم او ادراك . حتى خادمه الذي اثبت اخلاصه له واوقع نفسه في براثن الويل بمنعه البوليس من تفتيش الفلا لم يتلق منه غير السب والمذمة . ولكن المؤلف اعرب عن عطفه عليه فقط عندما اراد ان يستغل المناسبة ليذكر القارىء بان البوليس المصري يكيل الويل للسجناء كما فعل مع خادمه .

ولعل ما قاله الناقد الانكليزي ستانلي مايس في هذا الصدد جدير بالاستشهاد : « يدعي لوتز انه لا يكره العرب ولكن من الواضح انه يحتقرهم . كل ذلك بينما نجد كافة المصريين تقريبا ممن وصفهم في كتابه انبل نفسا منه هو » .

ولفغانغ لوتز انسان لم يعد يستطيع ان يجد عذرا لانسان خارج اسرائيل . ولكننا قد نستطيع ان نجد له عذرا داخل اسرائيل . انها مهنة الجاسوسية التي لا يمسكها انسان الا «وفي يده من نتنها عود». انها المهنة التي تعلم صاحبها ان يتشكك في نوايا اي انسان ويتجاهل اسمى القيم الانسانية حتى يفقد في الاخير انسانيته هو .

خالد القشطيني

عبد الرحمن غنيم ، **نظرات جديدة على الصهيونية**
(منشورات : التوجيه المعنوي لجيش التحرير الفلسطيني ، دمشق ، حزيران ١٩٧٢)

ان هذا الكتاب يسترعي انتباهنا ليس بسبب عنوانه الذي يتكلم عن « نظرات جديدة » فحسب ، بل أيضا لانه صادر عن « ادارة التوجيه المعنوي » لهيئة فلسطينية ذات اثر في اوساط الراي العام العربي . والكتاب يتألف من ثماني مقالات سبق وصدر معظمها في صحف ومجلات وطنية مختلفة . ومما يلاحظ هو أن هذه المقالات تناولت مواضيع مختلفة دون ان يكون هناك اي ترابط فيما بينها ودون ان يسعى المؤلف لاظهار اوجه ترابطها في مقدمة الكتاب . فالمقدمة جاءت باسلوب متعال تنتقد « المفاهيم السائدة » حول الصهيونية ، الا أنها لم تكن اكثر من مدخل الى « النظرة الجديدة » التي اوردها المؤلف بمعظمها في الصفحات القليلة المقتضبة التي تشكلت منها المقالة الاولى . ولا شك ان هذه المقالة قد اشارت الى احدى العناصر الهامة التي اعتنقتها الصهيونية والتي لم تلق الاهتمام الكافي في الكتابات العربية السابقة . وهذا العنصر هو الدور الذي تلعبه الصهيونية (واسرائيل) بالنسبة ليهود العالم خارج فلسطين من حيث تعبئتهم لصالح الرأسماليين اليهود لصرفهم عن الاشتراكية ودفعهم في تيارها في خدمة الامبريالية . الا ان المؤلف لم يورد « نظرته الجديدة » حول هذا العنصر بشكل تحليلي وثائقي واضح ، بل اوردها ضمن سلسلة من العبارات الفامضة التي ارسلها ذاتيا وخرج منها باستنتاج يشوبه طابع التآمرية ، نسب فيه نشوء الصهيونية ونشوء اسرائيل والسيطرة الحالية عليهما الى جهاز يهودي واحد اورد لنا اسمه ، الاتحاد الاسرائيلي العالمي ، ولكنه لم يخبرنا عنه وعن تاريخه سوى القليل . هذا مع العلم انه قال فيما قال في المقدمة ان اسرائيل هي « الفرع » والصهيونية هي « الاصل » ، واضاف : « سنبقى عاجزين عن فهم الدور الذي يقوم به الاصل (...) ما لم نعرف القوة الموجهة له ، وهي في تقديرنا الاتحاد الاسرائيلي العالمي ... » .

ان النظرة الجديدة التي اوردها المؤلف جاءت ، بشيء من الغموض والترديد والتأكيد الممزوج بطابع التكهن ، على النحو التالي : ان الاتحاد الاسرائيلي العالمي أشبه ما يكون بحكومة يهودية عالمية تضم كبار رجال المال في مختلف الدول ، على رأسهم عائلة روتشيلد . كان الاتحاد يسيطر على يهود العالم من خلال الحاخامات والاثرياء اليهود الذين كانوا يتبعونه لاسباب نفعية ، الى ان أدى ظهور الحركات الاشتراكية وانتشار افكارها الى زعزعة نفوذ هؤلاء فكان لا بد من انتهاج مسلك يؤمن اعادة اليهود الخارجين على الطاعة الى الحظيرة ، فكانت الصهيونية هذا المسلك . والدور المطلوب من الصهيونية ، بالنسبة للاتحاد ، هو ربط جميع العالم بالصهيونية ومن ثم بالاتحاد نفسه ، واقامة اسرائيل كملجأ يضم جزءا من يهود العالم ويشكل مركزا للاستثمار الرأسمالي وجسرا للاحتكارات الى آسية وافريقية يأتي بالمنفعة المادية للاحتكارات الامبريالية وعلى رأسها الاحتكارات اليهودية ، ويؤمن في نفس الوقت هدف التفاف يهود العالم بدافع الحرص على بقاء اسرائيل . والاتحاد الاسرائيلي العالمي يشارك الامبريالية في هدفي البحث عن مصادر الاستثمار في العالم والسيطرة عليها من جهة ومحاربة الاشتراكية وقوى التحرر الوطني في العالم من جهة ثانية . والمنظمات الصهيونية هي « قوى تخريب عالمية » (؟) ، واسرائيل ليست سوى ذريعة بحيث ليس بقاؤها هو المطلوب بل بقاؤها في حالة حرب . اما المؤتمر الصهيوني العالمي ، فليس سوى شكل يحدد اطاراته اولئك « الذين ينطقون باسم الاتحاد الاسرائيلي العالمي » . والحكومة الاسرائيلة ترضخ لسلطة الاتحاد الاسرائيلي العالمي الذي له «القول الفصل» في مسائل الحرب والسلام والعدوان والتوسع . واخيرا ، فللاتحاد ادوار علنية (الاشراف على الجاليات اليهودية في العالم) وادوار سرية (توجيه الحركة الصهيونية وتوجيه الماسونية والجمعيات الشبيهة بها) !

هذه هي النظرة الجديدة التي قدمها المؤلف على أساس «تقديره» للقوى التي تقف وراء اسرائيل والصهيونية . وبما أن المؤلف لم يورد التفاصيل المحددة حول تاريخ الاتحاد الاسرائيلي العالمي ، وبما أنه لم يشر الى اي من المصادر التي استخرج منها الوقائع التي بنى عليها نظرته ، وبما انه اعتذر ، ضمنيا ، على تقديم اي عرض لهذه الوقائع او المصادر بسبب ما قاله عن السرية التي يحيط بها الاتحاد الاسرائيلي العالمي نشاطاته ، فان

على القارىء أما أن يقبل بنظرته أو يرفضها على اسس حدسية عفوية صرفة . ولا شك ان ذلك لن يكون سهلا بالنسبة للقارىء غير المطلع . فالمؤلف يربط الصهيونية بمعاداة الاشتراكية وبخدمة الرأسمالية . ولكن ثمة في الاسواق كتب عديدة تربط الصهيونية بالشيوعية وتتكلم عن «الدور التخريبي» الذي تلعبه الصهيونية بمؤازرة الشيوعية ، وتمتنع أيضا من ايراد المصادر والوقائع المعنية وتعتذر عن ذلك بأقوال ترسلها عن « سرية العلاقات بين الصهيونية والشيوعية » .

أما المقالات الاخرى في الكتاب فليس فيها نظرات جديدة . فهي تتكلم عن وجهات النظر لدى قادة اسرائيل وزعماء الصهيونية وتوجهات الرأي العام الاسرائيلي . ووجهات النظر والتوجهات هذه ليس من شأنها ان تحظى باهتمام القارىء خاصة وان النظرة الجديدة في المقالة الاولى تنفي اي دور لهذه الوجهات والتوجهات حين تؤكد على ان **القول الفصل** يعود الى الاتحاد الاسرائيلي العالمي. ولا شك ان القارىء المطلع نسبيا سيوافق المؤلف غنيم في نظرته القائلة بأن البرجوازية اليهودية هي التي بعثت الصهيونية لضبط يهود العالم وحصرهم ضمن مصالحها التي انعكست وتنعكس في معاداتها للاشتراكية ومسارها في سياق الامتداد الامبريالي . الا انه لا يسعه ان يوافق المؤلف « تقديره » على ان هذه البورجوازية تتجسد في منظمة واحدة هي الاتحاد الاسرائيلي العالمي .

لقد تكلم المؤلف في المقدمة عن « الاضطراب والتناقض » الذي يسود المفاهيم السائدة حول الصهيونية . لكن دراسته انما أسهمت في هذا الاضطراب والتناقض . وان كان هدفه من نظرته الجديدة هو توجيه الانتباه الى احدى المنظمات البورجوازية اليهودية (الاتحاد الاسرائيلي العالمي) التي كان لها دور حاسم في بعث الصهيونية منذ منتصف القرن الماضي ، لكان عليه ان يقوم بذلك بطريقة اكثر جدية . ولا شك ان دور هذه المنظمة كان حاسما في فترة ما قبل قيام المنظمة الصهيونية العالمية عام ١٨٩٧ ، حتى وخلال فترة ما قبل نهاية الحرب العالمية الاولى قبل تبني بريطانية (والدول الغربية الكبرى الاخرى باستثناء الاتحاد السوفياتي) للصهيونية . والدلالات الوثائقية حول دور هذه المنظمة متوفرة الى حد بعيد وهي تحتاج لمن يدرسها . وهذا ما كان ينبغي على المؤلف غنيم أن يقوم به قبل ارسال استنتاجاته التي يبدو انه كان يعي سطحيتها حين قال في المقدمة انها « لا تعدو ان تكون ... ارضية لبحث اكثر عمقا ينبغي ان يتجه اليه الباحثون العرب » . ولو قام المؤلف غنيم بالعمل الذي يود أن يلقيه على عاتق غيره ، ودرس تاريخ الاتحاد الاسرائيلي العالمي ، لوجد ان هذا الجهاز ليس سوى واحد من الاجهزة « اليهودية » (بما فيها المنظمات الصهيونية ودولة اسرائيل) التي تسيطر عليها البورجوازية اليهودية وتعمل من خلالها لفرض ايديولوجيتها السائدة على يهود العالم . وهذه السيطرة لا تأتي من خلال تحركات خلفية فحسب ، بل تأتي بمقدار اعتماد الصهيونية واسرائيل على الموارد المالية التي تأتيها من البورجوازية اليهودية ومن حليفاتها الطبقيات من بورجوازيات الدول الامبريالية . ولا شك ان البورجوازية اليهودية ، مثلها مثل حليفاتها ، لا تعمل دائما بشكل مباشر ولا تترك سجلا وثائقيا كاملا لنشاطاتها. لكن جوهر الدراسة والبحث يقع في تقصي الحقائق المباشرة وغير المباشرة وعرضها وتحليلها واستيفاء النتائج منها وليس التهرب منها بالاشارة الى « السرية » واعادتها الى جهاز خفي ضبابي بعيد يعجز الباحث عن التوصل الى الحقائق حوله .

ختاما ، علينا ان نقول ان قيمة كتاب المؤلف غنيم تكمن في كونه **محاولة** لتوجيه الانتباه الى الدور الذي تلعبه الصهيونية (واسرائيل التي هي جزء — وجزء هام منها) في خدمة الرأسمالية الاحتكارية (الامبريالية) بالنسبة لليهود في الغرب . فهو يؤكد على ان اهداف الصهيونية لا تقف عند خلق دولة اسرائيل ولا عند بقائها ولا حتى عند توسعها ، كما انها لا تقف عند الدور الذي تلعبه اسرائيل في خدمة الامبريالية في الشرق الاوسط وفي بعض بلدان آسيه وافريقيه ، بل تتعدى ذلك الى الدور الذي لعبته وتلعبه الصهيونية (وهي الاصل) في بلدان منشأها حيث تعمل على ابعاد جموع اليهود عن الاشتراكية وابقائهم في الحظيرة التي يسيطر عليها الرأسماليون اليهود . وربما هذا هو الموضوع الذي يدعو المؤلف في المقدمة الباحثين والمفكرين التقدميين، وفي مقدمتهم الباحثون والمفكرون العرب، الى التوجه اليه .

أ. ن. سعد

Victory Play, Based on the Six Day War,
Produced and Printed by M. Peretz.

في غمرة النشوة التي امتلأت بها نفوس الصهيونيين اثر حرب حزيران ، تدفقت على الاسواق سيول من الكتب التي ألفت عن حرب الايام الستة ، والاسطوانات التي سجلت عليها اناشيد النصر والفتح . كما عرضت دور السينما الافلام التمجيدية ، واغرقت الدكاكين بالمداليات التذكارية ليبتاعها السياح . ولم ينس الصهيونيون ، دعائيين كانوا ام تجارا ، جيلهم الناشيء ، فصنعوا له لعبة يتسلى بها ويتعلم منها ، دعوها « لعبة النصر — مقتبسة عن حرب الايام الستة » ونشروا على غطاء اللعبة التي تحتويها صورة للدبابات الاسرائيلية الزاحفة على رمال سيناء ، وبجانبها صورة اخرى تجمع بين وزير الدفاع موشي ديسان وقائد الجيش اسحاق رابين ، وكلاهما بملابس الميدان . واللعبة هي باللغتين ، العبرية والانكليزية ، اي انها ليست للاستهلاك المحلي فقط ، بل ايضا للتصدير الى الاسواق الخارجية . وفي كلمة تمهيدية ، يقدم بيرتيز ، صانع اللعبة ، انتاجه على الوجه التالي : « لقد تغيرت خارطة اسرائيل نتيجة لحرب الايام الستة ، ولذا توجد بطيه خارطة لاسرائيل الكبرى ذات الحدود الممتدة من القنيطرة في الشمال الى قناة السويس في الجنوب . وقد سجلت على الخارطة مواقع الحملة الجوية والبرية التي شنتها قوات الدفاع الاسرائيلية . وسيمر اللاعب عبر نفس المسالك ، فيستزيد من معلوماته عن المعارك ، ويتعرف على هذه الاماكن الشهيرة . وستتاح الفرصة لكل لاعب ان يحارب بقطعه في الجو على الارض ، وان يستولي على مواقع العدو بنفس الطريقة التي قام بها الجيش الاسرائيلي » .

ويجري اللعب على الخارطة نفسها ، التي طبعت عليها اسماء المواقع (تامد ، بير جفجافه ، كنتيله، ممر متلا ، جنين ، الخليل ، قلقيليه الخ ..) باللغتين ، العبرية والانكليزية . وتمثل قطع بلاستيكية صغيرة الصواريخ والدبابات وسيارات الجيب . ويمكن ان يشترك بين شخصين وثلاثة اشخاص في اللعبة . وهناك بوصلة على الخارطة يتم تحريكها باليد ، لتحدد لكل لاعب الاتجاه الذي يجب ان يتبعه . كما يوجد نرد يبين له عدد الخطوات التي يمكن ان يخطو . وكما في لعبة « مونوبولي » ، هناك ايضا ٥٥ بطاقة تحمل أوامر المعركة التي على كل لاعب ان يطبقها اذا التقط واحدة منها . ولما كانت اللعبة ذات هدف «تربوي» محض ، يتوخى تدريس الصبي العلوم التكتيكية ، فالبطاقات ترمي الى توسيع معلوماته العسكرية ، والى تعريفه بالحرب عن طريق اوامر نختار منها ما يلي : اخبار طيبة تصل عن سير العمليات في الجبهات الاخرى ، فترفع المعنويات . تقدم خطوة. نيرانك كشفت موقعك للعدو ، تأخر خطوتين في اتجاه قاعدة انطلاقك . احد جنودك في وحدة المهندسين قد جرح ، ابعثه الى المستشفى وتأخر خطوة . العواصف الرملية تؤخر تقدمك . تأخر خطوة . لديك غطاء جوي. تقدم خطوتين . صادفت مقاومة قوية ، ولكنك تغلبت عليها . تقدم خطوة اضافية . كان عليك ان تنقذ وحدة من المدفعية وتسحب جرحاك . انتظر في موقعك . أصيبت احدى دباباتك ، فتنقذ رجالها وتتقدم خطوتين . انتظر في موقعك لتزود بالمؤن والذخيرة . ولا يهمل صانع اللعبة الامور العاطفية ، اذ تتضمن بعض البطاقات ما يلي : انت تنصت في فترة الاستراحة الى نشيد من الاذاعة مهدى لك ، فتشعر بالحنين الى اهلك. أو : تقف عند حاجز في الطريق ، فتصلك برقية تعلم منها انك اصبحت أبا لثلاثة توائم . حظا طيبا ، وخذ خطوة اضافية . وحتى لا يظن اللاعب ان الحرب هي لعبة بدون مخاطر ، نجد بطاقة تحمل العبارة التالية : لم تكن حذرا ودست على لغم . تأخر خطوة . أو : لقد جرحت ويجب حملك الى نقطة الاسعاف . انتظر في موقعك . ولكن يبدو ان الجرح هو اسوأ ما يمكن للاعب ان يتوقعه ، اذ لا يوجد اي ذكر للموت . ثم ان نتيجة اللعبة حتمية ، فهي ليست بين جانبين متصارعين ، وانما جميع اللاعبين هم حلفاء ، فقط الغالب هو الذي يصل الى الهدف المشترك اولا .

لقد انتجت هذه اللعبة العسكرية في عهد اصبح فيه الاباء في اقطار كثيرة بالعالم ينفرون من شراء العاب الحرب لاطفالهم ، كنتيجة للمآسي التي شهدوها باعينهم في الحروب الاخيرة ، كحرب كوريا وحروب الهند الصينية ، حتى بات عدد كبير من دكاكين الدمى يرفض وضع الالعاب المتعلقة بالحرب بين جملة معروضاته . الا ان هذا الاتجاه المعادي

الحرب لم يثبط من عزيمة تجار اسرائيل ودعائييها ، اذ انهم لم يكتفوا بصنع هذه اللعبة الدموية، وانما جعلوهـا بالانكليزية حتى لا تغرب دروسهـا عن الاطفال اليهود في ارجاء العالم ، علما بان مركز الابحاث حصل عليها في دكان للعـاب الاطفال في كندا .

ف. م.

اميل الغوري ، **فلسطين عبر ستين عاما** (دار النهار للنشر ، بيروت : ١٩٧٢)

في فصل من الجزء الاول من مؤلف اميل الغوري يتحدث عن مذكراته « بالاقتضاب المستطاع » (!) عن المدة التي قضاها « كطالب علم » في الولايات المتحدة . ويعد القراء في مقدمة هذا الفصل انـه سيتجنب ما امكـن الحديث عن انبائه واخبـاره الخاصة « التي ليس من حقي ان اثقل بها عليهم ». الا ان الغوري وهذا واضح من خلال قـراءة الفصول الاخرى ، لم يف بهذا الوعد . فهو لم يفرد قدرا كبيرا من صفحات الجزء الاول من مؤلفه للحديث عن مرحلتي طفولته وشبابه ، وعن دوره كرئيس تحرير اكثر مـن صحيفة فلسطينية ، وعن اخلاصه الشديد لعائلة الحسيني بشكل عام والحاج امين الحسيني بشكل خاص .. انه لم يتحدث عن كل ذلك وحسب .. بل افرد قدرا اكبر للحديث عن الحاج امين الحسيني حتى بـدا الغوري وكأنه لا يتحدث عن « فلسطين عبر ستين عاما » بـل عن (الحاج امين — الغوري عبر ستين عاما) .

وفي محاولة من الغوري لرسم ملامـح الصـورة الاسطورية للحاج امين يشير الى مقاومة الانكليز للجهود التي قام بها لتحويل قضيـة فلسطين الى قضية اسلامية عالمية في زمن كان الاقطاع هـو المهيمن على العالم الاسلامي والعربي .. « فلجأ الانكليـز بصورة خاصة الـى سلاح الدعايـة يشحذونه في وجه المفتي .. فاخذوا يروجون فـي اوساط العالم الاسلامي دعايات مغرضة ضد المفتي .. ويسندون الى سماحته افتراءات كاذبة واتهامات باطلة لغرض تشويه سمعته بـين المسلمين ، وحملهم على الابتعاد عنه والارتيـاب بصدقـه واخلاصه » . ويشير الغوري مؤكدا استمـرار زعامة الحسيني للحركة الوطنية الفلسطينية الـى نشاط المعارضة من العائلات الدينية (النشاشيبي الشقيري طوقان الخ ..) الذي بدأوه ضد المفتي والذي فشل في تحقيق اغراضه . ويهلل الغوري فرحا بنجاح الحاج امين ومؤيديه على الجبهـة المعارضة وتشكيل مؤتمر العالم الاسلامي والذي « لا يزال قائما حتى اليوم يوالي عقد دوراته في الاوقات المحددة لها ». وللانصاف ان المؤتمر المذكور لا يأتي على ذكر فلسطين الا عند انعقاد دوراته وفي الاوقات المحددة لها .

ويدعي الغوري في مكان اخر من كتابه انه « لم يكن في فلسطين ، كما كان في غيرها من بعـض الاقطار العربية ، اقطاع وعائلات اقطاعية .. وكان الاقطاع الوحيد المعروف في فلسطين هو الذي نجم عن امتلاك بعض الاسر السورية واللبنـانية لمساحات واسعة من الاراضي في شمال فلسطين » .. وذلك على عكس ما كان يدعي — على حد تعبير الغوري — « فريق من الشبان الذين كانوا قد اعتنقوا مبادىء دخيلة هدامة » . الا أن جهود الحاج امين الحسيني الذي كان على رأس الحركة الوطنية استطاعت اجهاض دعوات الشباب التي كانت تخرج عن ارادته وتهدد سلطته التي كـان يمارسها بشكل مطلق . وكان الحاج امين يتهم كل من يخرج عن طاعته بالعمالة والتآمر لمصلحـة اليهود .. ولذلك كان يرجع معظم اصحـاب هذه الدعوات — كما يقول الغوري — « الى صفـوف الحركة الوطنية » التي كان يقودها الحاج امين « تائبين » .

يلاحظ في كتاب الغوري « فلسطين عبر ستـين عاما » تجاهله عن تعمد واصرار للحركة النقابية الفلسطينية . وقد افرد لها في كتابه (وعدد صفحاته ٢٥٣) سبعة اسطر فقط . ويلاحظ كذلك اهماله

لثورة فلسطين الثانية في يافا والتي حدثت « يوم الاحد الواقع في أول ايار ١٩٢١ » — وهو يوم عيد العمال — حيث امتدت هذه الثورة الى المناطق المجاورة ليافا ثم الى منطقة اللد والرملة والمجدل. وبالرغم من اعتراف الغوري ان هذه الثورة «كانت اعظم من ثورة القدس واوسع نطاقا ، وقد سقط فيها المئات من الشهداء والجرحى العرب وقتل وجرح اكثر من (٥٥٠) يهوديا وجنديا بريطانيا » الا أنه لا يستطيع « وصف هذه الثورة » كما وصف ثورة القدس ، « لانني كنت بعيدا عنها أتلقى اخبارها سماعا على حد تعبيره . لقد نسي الغوري ثورة يافا لانها من صنع قطاعات شعبية لم تكن خاضعة لرجالات الاقطاع الفلسطينيين .

قد يتفاخر الغوري — وهذه مسألة خاصة به وحده — بقيادة الحاج امين الحسيني للحركة الوطنية الفلسطينية حتى عام ١٩٤٨ وبفشل المحاولات الاخرى التي نافسته على زعامة الحركة الوطنية والتي كانت « تتحطم على صخرة صموده » وثقة الشعب به كما يدعي الغوري ، الا انه لا يستطيع خداع حركة التمرد الفلسطينية والعربية والجماهير الملتفة حول قيادتها المعاصرة بمثل هذه الادعاءات . ان تفرد طبقة ملاك الارض من الاقطاعيين وغيرهم من الزعامات العائلية الدينية والطبقة الكومبرادورية المهلهلة .. ان تفرد هؤلاء بزعامة الحركة الوطنية الفلسطينية في تلك المرحلة من تاريخ فلسطين كان سببه عدم نمو طبقة برجوازية رأسمالية قوية نسبيا تقود النضال وتحول قسما من الفلاحين الفلسطينيين الى عمال في المدن.

ويذكر الغوري في نهاية الجزء الاول من مؤلفه ان عز الدين القسام الذي قاد حركة تمرد مسلحة عام ١٩٣٥ واستشهد في احدى المعارك مع رفاق اخرين له كان يعمل وفقا لاوامر صادرة عن الحاج امين الحسيني . هذا مع العلم ان الغوري يعترف بخروج حركة القسام من « تنظيم الحاج امين الحسيني السري » دون ذكر أسباب هذا الخروج . ان الثورة التي قادها عز الدين القسام في اواخر عام ١٩٣٥ على أساس مبادرة شعبية ضد الاستعمار الانكليزي والوجود الصهيوني على حد سواء لم يكن للزعامات التقليدية الفلسطينية علاقة حقيقية بقيامها . بالرغم من انها هيمنت عليها فيما بعد وقادتها الى حتفها بعد تشكيل الهيئة العربية العليا (الغوري عضو فيها وممثل حكومة عموم فلسطين في الامم المتحدة بعد عام ١٩٤٨) التي كانت — ولا تزال — تسيطر عليها الزعامات الدينية التقليدية والعائلات البرجوازية والاقطاعية الفلسطينية .. هذه القيادات لم تنظر بارتياح لثورة عز الدين القسام ولم تعتبر ان استمرارها هو مهمتها الاساسية . وكانت نضالات هذه القيادات تبلغ ذروتها ضد الاستعمار الانكليزي والوجود الصهيوني المتزايد بأن تسير تظاهرات الاحتجاج وترفع لوائح وعرائض تجمع تواقيع الوجهاء عليها للاحتجاج ضد الامتيازات التي كان يمنحها الانكليز للمهاجرين الجدد من اليهود .

على الغوري ان يدرك — قبل غيره — انه منذ اللحظة الاولى لاندلاع ثورة القسام التي تألفت من عناصر كادحة وفقيرة رفضت القيادات الاقطاعية الدينية واحزاب العائلات الكبيرة الاستجابة لنداء الثورة . وطالبت هذه القيادات الاقطاعية باعتماد الوسائل السلمية لانتزاع الحقوق الوطنية كالتظاهرات والمباحثات لان « الامور مرهونة باوقاتها .. وليس من مصلحة الشعب والبلاد ان يقوم اصطدام جدي مع الانكليز قبل ان تتم التهيئة الكاملة له » — كما جاء على لسان الغوري نقلا من الحاج امين الحسيني — .

وعلى بقايا الاقطاع الرجعي الفلسطيني ان تدرك ان قيادات هذا الاقطاع هي التي اجهضت الثورة التي قادها القسام في الداخل بعد أن عجزت عن اجهاضها من الخارج ، وذلك بعد أن ثبتت الثورة المسلحة اقدامها وحصلت بالقوة على تأييد الاحزاب الاقطاعية لها . فبعد ثلاث سنوات من الثورة المتصلة تمكنت هذه القيادات من محاصرة الثورة واجهاضها بقرار ونداء موجه من الملوك والرؤساء العرب بانهاء الثورة ، اثر زيارة قام بها (نوري السعيد) للقدس في آب عام ١٩٣٦ واجتمع خلالها بزعامات المدينة والاقطاعية لدراسة الوضع الناشىء عن قيام الثورة المسلحة في فلسطين . وتولى الحاج أمين الحسيني أمر توجيه قرار ونداء الملوك والرؤساء العرب الى الثوار وتنفيذه .. مع وعد بالدخول في مفاوضات مع بريطانيا (علها) تتفهم حق شعب فلسطين في تقرير مصيره ونيل استقلاله .

مصطفى كركوتي

تقـــارير

التعاون التقني الامريكي ــ الاسرائيلي لانتاج « السوبر ميراج »

هشام عبدالله

في الزيارة الاخيرة التي قامت بهـا غولدا مائير للولايات المتحدة تم الاتفاق عـلى تزويد اسرائيل بـ ٤٨ طائرة من طراز فانتوم وسكاي هوك ، ودعا الاتفاق كذلك الى ان تساهم الولايات المتحدة في انتاج طائرة « سوبر ميراج » اسرائيلية . ويفرض علينا واقع الحال وضع تحفظات على كلمة اسرائيلية حيث يبدو ان المعدات الاسرائيلية الصنع والتصميم في هذه الطائرة ستكون محدودة للغاية ، فتصاميم هذه الطائرة سرقت بواسطـة مهندس سويسري وسلمت الى اسرائيل ، ومحـركها هو « جنرال الكتريك ج ــ ٧٩ » والذي تقوم اسرائيل بصنعه بموجب ترخيص خاص من الولايات المتحدة ، وهكذا فالمحرك والتصاميم متيسرة لاسرائيل فما هو هدف « التعاون الفني » اذن ؟

ان ما ينقص اسرائيل فعلا هو الشق الثالث من الطائرة اي التجهيز ، والمقصود هنـا التسليح ومعدات اخرى والاجهزة الالكترونية ، اما التسليح والمعدات فيمكن تدبـر أمرهما بسهولة ، وتبقى الصعوبة في مجال الاجهزة الالكترونية ، والتي تزداد قيمتها كلما ازداد التطور في حقل الطيران ، ويكفي للتدليل على اهمية هذه الاجهزة ان نقول بأن قيمتها في المقاتلات المتطورة تساوي أكثر من ٥٠ ٪ من القيمة الاجمالية للطائرة ، والمعتقد ان التعاون الفني الامريكي ــ الاسرائيلي سيتركز في هذا المجال بالذات ، بالاضافـة الى التوفيق بين المحـرك والاجهزة وتطبيقها على التصاميم . فان صح هذا فسوف تكون الطائرة فرنسية التصميم امريكيـة المحرك والاجهزة ، ولن يكون على اسرائيل سوى وضع لمسات بسيطة بالاضافة الى بطاقة « صنع في اسرائيل » .

ومما لا شك فيه ان المساهمة الامريكية ستحل الكثير من المشاكل التقنية الخاصة بانتاج الطائرة ، الا ان هذا لا يعني بأن مشروع طائرة « السوبر ميراج » سينجح حتما ، فالامثلة الامريكية حافلة بمشاريع طيران فاشلة ، او انها لم تحقق ما كان مأمولا منها ، كما انه لا يعني بالضرورة ان المشروع سيفشل ، هذا على الرغم من الصعوبات والمخاطر التي ينطوي عليها مشروع ضخم كهذا ، فيما يتعلق بمستوى الطائرة ومستقبلها او كلفتها .

فمستوى « السوبر ميراج » لن يرتفع كثيرا ، او هو لن يرتفع ابدا عن مستوى طائرة الميغ ٢١ السوفياتية الصنع ، والتي جربت وطورت على ضوء خبرة استمرت سنوات عديدة ، وبعد آلاف ساعات الطيران . والحقيقـة ان الدعاية التـي تحيط « بالسوبر ميراج » مبالغ فيها جدا ، **والقول بأن** سرعتها ستصل الى ٢٤٥ ماك ، هو محض خيال ، سواء بسبب قوة الدفع المنخفضة نسبيا ، والتي لا تتجاوز (٥٣٨٥ كغم) ، **ولان التصاميم الفرنسية لم توضع لطائرة بهذه السرعـة** ، بالاضافة الى الصعوبات التقنية التي تواجهها الولايات المتحدة نفسها لانتاج طائرة ذات مواصفات وقدرات معقولة سرعتها ٢٤٥ ماك مثل طائرة F. 15 او طائـرة نورثروب ب ــ ٥٣٠ كوبرا . ولن يكون بامكان « السوبر ميراج » الوصول الى السرعة المذكورة الا باستخدام محركين لكل منهما قوة دفع مساوية لقوة دفع المحرك « ج ــ ٧٩ » على الاقل . وهذا يعني وضع تصاميم جديدة كليا « للسوبر ميراج ».

ومن جهة اخرى فسوف يستغرق تطوير الطائرة مدة قد تمتد لبضع سنوات ، ولن تشكل الطائرات المنتجة قوة فعلية ــ من ناحية العدد ــ قبل مضي ٥ سنوات وربما أكثر ، على اساس ان اسرائيل ستصنع من طائرة الى طائرتين في الشهر ، وهذا يعني حدا أقصى قدره ٤٨ طائرة في سنتين .

وخلال هذه المدة ستصبح طائرات الميراج والميغ ٢١ والفانتوم من طائرات الصف الثاني لتحتل مكانها المقاتلات الاكثر تطورا من طراز نورثروب كوبسرا و ف ١٥ الامريكية او التي بدأت بالفعل تحتل هذه الامكنة مثل المقاتلة ف ١١١ ي والتي تبلغ سرعتها ٢،٥ ماك ، وهي مقاتلة بهندسة متغيرة (اجنحة متحركة) — كان من المفروض ان تكون الطائرة الاولى في عدد من الدول الاوروبية واستراليا ، الا ان تلك الدول تراجعت وفضلت عليها الفانتوم ، بعد ان اوقف طيرانها في كانون الاول ١٩٦٩ ، على اثر سقوط ١٥ طائرة منها لاسباب تقنية، من ضمنها طائرة انخلع احد جناحيها المتحركين اثناء الطيران (شباط ١٩٧١، المجلة العسكرية)*.هذا بالاضافة الى طائرات المعسكر الاشتراكي مثل الميغ ٢٣ والتي ليست بحاجة الى تعريف ، والمطاردة المعترضة سوخوي ١١ والتي تزيد سرعتها عن ٢،٥ ماك ولم تستخدم هاتان الطائرتان الا على نطاق محدود حتى الان . وعلى هذا الاساس ستخرج « السوبر ميراج » — عندما ستخرج — كمقاتلة في الصف الثاني ولكن بكلفة عالية جدا .

وقد تتجه الصناعة الاسرائيلية نحو انتاج طائرة من نفس طراز الميراج ٥ ، سرعتها ٢ ماك وحمولتها من المواد الحربية في حدود اربعة الاطنان ومجهزة بمعدات واجهزة متطورة . وقد تنجح اسرائيل في انتاج طائرة من هذا الطراز ، الا ان سعر طائرة من هذا النوع يبقى عاليا جدا اذا ما انتج في اسرائيل . ومثال ذلك طائرة الجاكوار الفرنسية — البريطانية والتي تقل سرعتها عن ٢ ماك وتزيد حمولتها قليلا عن ٤ اطنان ، والتي باتت كلفتها تقارب كلفة طائرة الفانتوم الامريكية .

ولن يكون حظ « السوبر ميراج » افضل من حظ الجاكوار من ناحية السعر ، بل ربما اسوأ بكثير ، وبسبب ذلك ضيق السوق الاسرائيلية وانعدام امكانية بيع طائرات مقاتلة للخارج ، وذلك لاسباب سياسية وتقنية . ومن المؤكد ان اسرائيل لن تبيع طائراتها للدول الكبرى ، او المتطورة ، او المرتبطة بأحلاف ، وهي لن تبيع هذه الطائرة ايضا للدول النامية ، والتي تبحث عن السلاح مسح الدعم السياسي والاقتصادي ايضا . ودعم اسرائيل السياسي لن يفضل ابدا على الدعم الامريكي او السوفياتي . ومثال على ذلك طائرة « عرفه » المروحية الاسرائيلية والتي فشلت في الحصول على طلب شراء واحد من الخارج (قالت دافار ٣/٨/ ١٩٧٣ ان الصناعة الجوية الاسرائيلية قد باعت ثماني طائرات عرفه هي الصفقة الاولى التي تعقدها مع جهات اجنبية لم تحددها) .

ان استثمار مبالغ ضخمة لانتاج مقاتلة متطورة ، لا نبالغ ان قلنا انها قد تصل الى ٣٠٠ او حتى ٥٠٠ مليون دولار (هذا اذا كانت اسرائيل تنوي فعلا انتاج طائرة تزيد سرعتها عن ٢ ماك) لتبني بعد ذلك ١٠٠ — ٢٠٠ طائرة ، وبحسبة بسيطة نرى ان مبلغا يتراوح بين ١،٥ — ٥ ملايين دولار من كلفة بناء وتطوير السوبر ميراج ستضاف الى قيمة الطائرة الواحدة ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فان التطور في ميدان الطيران لن يتوقف عند حد طائرة « السوبر ميراج » او المقاتلات التي تصل سرعتها الى ٢،٥ ماك ، بل هو يسير بسرعة تجد الدول الكبرى صعوبة بالغة ، وتصرف مبالغ ضخمة لمتابعته ، وهذا سيفرض على اسرائيل في المستقبل الاكتفاء بانتاج مقاتلات غربية التصميم بموجب اجازات خاصة، بدل اقتحام ميدان محفوف بالمخاطر المادية والمعنوية ربما لمجرد التأكيد على قدرات الشعب اليهودي ، او عقدة « الانجازات العظيمة » للصهيونية .

Military Review*

هل ستبني اسرائيل مصنعا للاسلحة في بلجيكا ؟

نعيم خضر

لماذا قتل رجال أيلول الاسود السيد غي عيد القائم بالاعمال البلجيكي في الخرطوم ؟ لماذا عاملوا ممثل بلجيكا الدولة الصغيرة المحايدة او التي تدعي الحياد فيما يتعلق بنزاع الشرق الاوسط كما عاملوا ممثلي الامبريالية الاميركية التي تقدم لاسرائيل الدعم كل الدعم لتفرض هيمنتها العسكرية — والاقتصادية فيما بعد — على منطقة الشرق الاوسط العربية ولتضرب حركات التحرر العربية وتشل حركتها ؟ لماذا اطلق سراح ممثل اليابان وسفير اسبانيا والقائم بالاعمال الاردني واحتجز القائم بالاعمال البلجيكي ليقتل فيما بعد ؟ لماذا اعتبر السيد غي عيد عدوا للقضية الفلسطينية ومن ثم للثورة الفلسطينية ؟ كانت كل هذه التساؤلات تدور في خلد المواطن البلجيكي العادي بعد عملية الخرطوم. وكان الرأي العام البلجيكي يبحث عن الجواب . والرد على هذه الاسئلة في الواقع في منتهى السهولة وفي منتهى الخطورة في آن واحد .

الرد في منتهى السهولة لان كل من تتبع الاحداث الاخيرة على الساحة البلجيكية يفهم تمام الفهم ان السيد غي عيد ذهب ضحية « مشروع اقامة مصنع اسرائيلي لصناعة الاسلحة في بلجيكا » . وفي منتهى الخطورة لانه يحمل الحكومة البلجيكية جزءا كبيرا من المسؤولية في هذا الحادث المؤسف لانها تلكأت في رفض هذا المشروع نهائيا بعد ان كانت قد وافقت عليه مبدئيا بالرغم من المعارضة التي ابداها الرأي العام البلجيكي وخصوصا المنظمات التقدمية . فقد تساءل السيد بول ستروي رئيس مجلس الشيوخ البلجيكي في المقال الذي يكتبه صباح كل يوم اثنين في صحيفة لا ليبر بلجيك (التي تعبر عن وجهة نظر الاوساط المسيحية)[1]: « لماذا فضل (بكسر الضاد) الدبلوماسي البلجيكي الشاب على ممثلي دول اخرى ليكون هو ايضا ضحية القتلة ؟ » ويرد السيد ستروي على السؤال فيقول : « هناك تفسير واحد ممكن : الاشاعات التي دارت مؤخرا حول اقامة مصنع بلجيكي اسرائيلي لبناء الطائرات ... لا شك انه لم يتخذ حتى الان اي قرار نهائي حول هذا المصنع وان اكثرية الرأي العام البلجيكي قد عبرت عن عدائها له بشكل يتزايد كل يوم ... ولكن يؤسفنا الاعتقاد انه كان بامكان السلطات البلجيكية المعنية ان تتجنب مثل هذه الفاجعة باتخاذ موقف صريح يرفض بشكل لا التباس فيه مشروعا يتنافى ورسالة بلجيكا الدولية والتي هي — كما ذكرت في مقال الاسبوع الماضي —[2] رسالة مصالحة وليست رسالة تاجر مدافع » ... وقالت ايضا صحيفة لا ليبر بلجيك معقبة على احداث الخرطوم ونقلا عن مجلة روز اليوسف المصرية ان رجال ايلول الاسود « عابوا على السيد غي عيد بناء مصانع للطيران بلجيكية اسرائيلية مشتركة »[3]. وقالت صحيفة لوبوبل (الناطقة باسم الحزب الاشتراكي البلجيكي) : « فيما يتعلق ببلجيكا لا شك ان هناك مشكلة بيرسية » (وهي البلدة التي اختيرت لاقامة المصنع)[4].

الا ان الحكومة البلجيكية رفضت الاعتراف بمسؤوليتها مباشرة كانت ام غير مباشرة . فامتنع السيد ادمون لوبيرتون رئيس الوزراء عن الرد على سؤال صحفي حول احتمال وجود علاقة بين مشروع بناء المصنع الاسرائيلي ومقتل السيد غي عيد . ثم هبت بعض الصحف التي تعودت الصيد في الماء العكر لنجدة الحكومة فادعت ان الفدائيين قتلوا السيد عيد « لانهم كانوا يعتقدونه من اصل يهودي » . فقالت احداها : « لقد صرح الفدائيون للسيد عيد : انت يهودي ولذا ستكون اول من سيقتل »[5]. وتهافت الصحفيون على مثل هذه الانباء واخذوا ينسجون الروايات مستندين الى بعض ما روجت له وكالات الانباء الغربية . فادعى بعضهم ان الفدائيين وصفوا السيد عيد بانه « يهودي قذر » وقال غيرهم ان ما ادى الى ارتكاب الفلسطينيين مثل هذا الخطأ هو كون السيد عيد يحمل اسما يهوديا (!)

ووجد وزير الخارجية البلجيكي في هذه الاشاعات مخرجا سهلا من الازمة التي اوقعته فيها عملية الخرطوم . فحاول بدوره اشاعة الفكرة بان السيد عيد قتل لاسباب عنصرية . فقد طرح السؤال التالي على الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية في المؤتمر الصحفي الذي يعقده اسبوعيا : « أصحيح ان قاتلي الدبلوماسي البلجيكي قد شتموا ضحيتهم لانه يهودي ؟ » فاجاب : « نعم . لدينا معلومات تفيد بأن دافعا عنصريا قد لعب دورا

في هذه المأساة »(٦). حتى ان صحيفة بلجيكية ادعت ان الفدائيين كانوا ينوون القاء القبض على ممثل المانيا الغربية ولكنهم احتجزوا السيد غي عيد بدلا عنه ثم قتلوه لاعتقادهم انه من اصل يهودي »(٧) وذهبت مجلة بلجيكية معروفة بعدائها للثورة الفلسطينية الى القول بأن الفلسطينيين صرخوا في وجه الدبلوماسي البلجيكي : « انك يهودي قذر ! لقد فقدت ايلول الاسود احد رجالها في بروكسل . ستدفع انت ثمن ذلك »(٨) وكل هذا بالطبع مختلق . اولا لان ايلول الاسود لم تفقد ابا من رجالها في بروكسل . وثانيا لان المجلة تنقل ما تدعي ان الفدائيين قالوه للدبلوماسي البلجيكي قبل اطلاق الرصاص عليه في كهف السفارة . ولم يكن في ذلك المكان في تلك اللحظة الا الدبلوماسيين الذين قتلوا ورجال ايلول الاسود ... فمن اين استقت المجلة هذا النبأ ؟ واضطر اخيرا السيد جورج عيد شقيق القائم بالاعمال البلجيكي الى عقد مؤتمر صحفي يؤكد فيه : « لسنا يهودا . ونحن من اصل سوري لبناني نحمل الجنسية البلجيكية . وقد وقفنا دائما الى جانب القضية العربية ... »(٩).

الواقع ان التفسير الجدي والمنطقي الوحيد لمقتل السيد غي عيد هو الذي قدمه السيد بول ستروي رئيس مجلس الشيوخ والذي لمحت اليه او ذكرته بصراحة الصحف البلجيكية الكبرى(١٠). اي رغبة اسرائيل في اقامة مصنع للاسلحة في بلجيكا . والواقع ان هذا المشروع قد اثار ضجة كبيرة في الاوساط النقابية والصحفية والتقدمية وحتى في الاوساط الصناعية . وقصة هذا المصنع طويلة تستحق الدراسة لانها معركة بين الاعلام العربي والفلسطيني من جهة والنفوذ الصهيوني من جهة أخرى . وهي ايضا مثال فريد من نوعه للصراع الذي يمكن ان يقوم بين الرأي العام في اي بلد اوروبي وبين النفوذ الصهيوني المتغلغل في الاوساط التي تسيطر على رأس المال . كما ان قصة هذا المصنع تجربة حية لاعلام فلسطيني منفتح وغير اعتباطي وذكي بامكانه استغلال كل العناصر المعادية لمشروع معين حتى ولو لم تكن هذه العناصر حليفة حقيقية للثورة الفلسطينية . وفي هذا الموضوع بالذات فقد استغل الاعلام الفلسطيني عداء بعض المنظمات والفئات لانتاج الاسلحة في بلجيكا . كما تمكن من استغلال نوع من التنافس الشديد بين رجال الاعمال والصناعة . واخيرا تعاون في محاولة افشال هذا المشروع مع المنظمات التقدمية التي تدعم القضية الفلسطينية باخلاص .

وقبل سرد قصة المصنع الاسرائيلي لا بد من تقديم بعض الايضاحات حول الوضع في بلجيكا وذلك يسهل فهم بعض خفايا الامور . هناك نزاع قديم قائم بين المنطقة الفلمنكية الناطقة باللغة النيذرلندية (الهولندية) وعدد سكانها حاليا ٥ ملايين وبين المنطقة الوالونية الناطقة بالفرنسية وعدد سكانها ٣ ملايين . وتحاول كل من المنطقتين السيطرة سياسيا واقتصاديا على منطقة العاصمة بروكسل وعدد سكانها مليون نسمة . وكانت المنطقة الوالونية غنية ومزدهرة في الماضي بسبب وجود عدد كبير من مناجم الفحم فيها . وقد استغلت المنطقة الفلمنكية سنوات عديدة اقتصاديا وسياسيا . الا ان مناجم الفحم اقفلت تدريجيا . وتطورت الامور لصالح المنطقة الفلمنكية التي تمكنت من اقامة صناعات جديدة حديثة . وتستغل تفوقها السكاني لاستعادة كل ما يعود اليها من حقوق سياسية وبرلمانية . اما المنطقة الوالونية فتعاني من أزمة اقتصادية دقيقة .

استقالت الحكومة البلجيكية التي كان يرأسها السيد غاستون ايسكينز في شهر تشرين الاول الماضي . والسيد ايسكينز من الحزب المسيحي الذي كان قد شكل تلك الوزارة بالتعاون مع الحزب الاشتراكي البلجيكي . وكان يشغل منصب وزير الاقتصاد في تلك الوزارة السيد هنري سيمونيه (اشتراكي) المعروف بدعمه لاسرائيل وحرصه الشديد على حماية المصالح الاسرائيلية في بلجيكا . وكان يشغل السيد كلوز (وهو ايضا اشتراكي من منطقة ليج) منصب سكرتير الدولة للاقتصاد الاقليمي في المنطقة الوالونية . والحزب الاشتراكي البلجيكي من اكثر الاحزاب البلجيكية دعما لاسرائيل مع الحزب الليبرالي الذي يمثل اقصى اليمين .

شكل السيد ادمون لوبيرتون الوزارة الجديدة بعد مباحثات طويلة شاقة وشائكة استمرت اكثر من شهرين . واشترك في هذه الوزارة الجديدة ممثلون عن الاحزاب البلجيكية الكبرة الثلاثة : الحزب المسيحي والحزب الاشتراكي والحزب الليبرالي . وكان السيد لوبيرتون اول شخصية اشتراكية والونية ترأس الوزارة في بلجيكا . ولم يعد السيد سيمونيه يشغل منصب وزير الاقتصاد لانه عين ممثلا لبلجيكا في اللجنة الاوروبية . وحل محله في الوزارة الجديدة السيد ويلي كلاز وهو ايضا اشتراكي

ولكن من المنطقة الفلمنكية . كما عين السيد جان دوفريني في منصب سكرتير الدولة للاقتصاد الاقليمي في المنطقة الوالونية . وهو ليبرالي من منطقة لييج.

عندما يصبح السر في متناول الصحافة

جرت المباحثات حول هذا المشروع في جو من التكتم الشديد . ولم تذكر الصحافة البلجيكية عنه شيئا الا بعض التلميحات في صحيفة لا ديرنيير اور او في النشرة الاخبارية المحلية التي تبثها الاذاعة البلجيكية . ولكن كان لا بد من اطلاع الرأي العام على هذا المشروع خصوصا وقد اقترب موعد الاتفاق النهائي وان الشركة الاسرائيلية كانت تنوي البدء في بناء المصنع في مطلع شهر كانون الثاني من العام الحالي ١٩٧٣ .

فذكرت صحيفة لا ليبر بلجيك المسيحية في نهاية شهر تشرين الثاني ١٩٧٢ ان الشركة الاسرائيلية « اسرائيل ايركرافت اندستريز » تنوي اقامة مصنع كبير لصناعة الطائرات في بلجيكا . وانه من المتوقع ان يعمل في هذا المصنع من ٢٠٠٠ الى ٣٠٠٠ عامل(١١) واضافت الصحيفة ان وفدا رسميا اسرائيليا من رجال الاعمال والصناعة يقوم حاليا بزيارة لبلجيكا وانه سيتوجه الى بلدتي كوسليه (بالقرب من شارلروا) وبيرسيه (بالقرب من لييج) وكلاهما في المنطقة الوالونية وذلك لاختيار الموقع الافضل لاقامة هذا المصنع . ويبدو ان وفدا اسرائيليا مماثلا كان قد قدم الى بلجيكا قبل ذلك بعدة شهور واجرى مباحثات حول هذا الموضوع مع السيد ادوارد كلوز سكرتير الدولة للاقتصاد الاقليمي الوالوني في ذلك الحين .

وفي عددها الصادر في ١٩٧٢/١٢/١٩ القت صحيفة لا موز الصادرة في منطقة لييج المزيد من الضوء حول هذه المباحثات والزيارات(١٢) فقالت ان الشركة الاسرائيلية المذكورة كانت تخطط منذ زمن طويل لاقامة مصنع من هذا النوع في اوروبا . وقد وقع اختيارها على بلجيكا في مطلع عام ١٩٧٢ اولا بسبب موقع هذا البلد الجغرافي في قلب السوق الاوروبية المشتركة وثانيا بسبب السياسة الاقتصادية الخارجية المنفتحة التي ينتهجها المسؤولون البلجيكيون . وقد فات الصحيفة ان تذكر ان السيد هنري سيمونيه قد تسلم منصب وزير الاقتصاد في الوزارة البلجيكية في مطلع ١٩٧٢ . وتضيف الصحيفة ان وفدا من الاخصائيين البلجيكيين يضم ممثلين عن وزارتي الاقتصاد والدفاع الوطني كان قد زار مؤسسة اسرائيل ايركرافت اندستريز في اللد في شهر تموز الماضي وان هذا الوفد عاد من زيارته معجبا بما شاهده وبعد ان كون لنفسه فكرة واضحة عن الامكانات التي تستطيع هذه المؤسسة تقديمها . كما ان وفدا بلجيكيا مماثلا زار المؤسسة الاسرائيلية المذكورة مرة اخرى في نهاية شهر تشرين الاول ١٩٧٢ وان الامور اخذت بعد ذلك تسير بسرعة اذ قدم المسؤولون الاسرائيليون الى الحكومة البلجيكية ملفا وافيا مفصلا وطلبا رسميا اوضحوا فيه عرضهم وبينوا الشروط التي لا بد ان توافق عليها بلجيكا من اجل الشروع في تحقيق هذا المشروع . وتؤكد الصحيفة ان الاسرائيليين طلبوا من الحكومة البلجيكية تحديد موقفها بشكل نهائي قبل نهاية عام ١٩٧٢ .

ولا بد من الملاحظة ان الامور بدأت تسير بسرعة في الوقت الذي كانت فيه وزارة السيد ايسكينز معرضة للاستقالة . واستقالت فعلا بعد ذلك بايام . واما تحديد نهاية عام ١٩٧٢ فلانه بدا واضحا ان السيد هنري سيمونيه لن يشغل منصب وزير الاقتصاد في الوزارة الجديدة . ولذا كان لا بد لانجاح المشروع من الموافقة عليه قبل مغادرة الوزير الصديق لاسرائيل ليتسلم منصبه الجديد في اللجنة الاوروبية .

وفي حديثها عن شركة اسرائيل ايركرافت اندستريز قالت الصحيفة البلجيكية نفسها(١٣) ان « القوة الضاربة الاسرائيلية مشهورة في العالم كله » وان اسرائيل ايركرافت اندستريز « مثال حي للديناميكية الاسرائيلية » . تأسست هذه الشركة عام ١٩٥٤ وكان يعمل فيها حينذاك حوالي ٧٠ شخصا . وكان نشاطها في ذلك الحين يقتصر على اصلاح الطائرات وصيانتها . وفي عام ١٩٥٨ اصبح عدد العاملين فيها ٤٠٠٠ واخذت تصنع بموجب ترخيص خاص طائرة « فوغا ماجيستر » الفرنسية كما بدأت تعمل في المجال الالكتروني والرادار والاتصالات . وتصنع هذه الشركة ايضا صواريخ « غبرييل » . يعمل حاليا فيها حوالي ١٤٦٥٢ شخصا ويبلغ حجم رقم اعمالها ١٥ مليار فرنك بلجيكي . وتضيف الصحيفة ان اسرائيل ايركرافت تمكنت من انتاج نوع محسن من الطائرة الفرنسية « ميراج م ٥ » التي تدعى « برق » وطائرة « عرفا » في نوعيها الحربي والمدني .

المصنع المنوي اقامته في بلجيكا

بدا واضحا في الاسابيع الاخيرة ان الشركة الاسرائيلية قد اختارت بييرسيه بالقرب من لييج موقعا لبناء المصنع الجديد . وذلك لاسباب عديدة اهمها : ١) وجود مطار كبير في هذه البلدة وبالقرب من موقع المصنع . ٢) وجود عدد كبير من العاطلين عن العمل في هذه المنطقة والركود الاقتصادي الذي تعاني منه بسبب اغلاق مناجم الفحم التي كانت في الماضي تشكل عصب الازدهار الاقتصادي فيها . وكان ذلك يحمل الشركة الاسرائيلية على الاعتقاد بانها لن تجد اية معارضة من الاهالي والعمال والنقابات . ٣) موقع بلدة بييرسيه بالقرب من قاعدة ومطار تابعين لحلف شمالي الاطلسي مما سيجعل المصنع يستفيد من بعض التسهيلات ومن الحراسة المشددة القائمة حولهما والاعفاء من المراقبة الجمركية في حال رغبة المسؤولين عنه شحن الاسلحة والمعدات من والى بييرسيه . اذ يبدو ان طائرات الشارتر التي تهبط هناك لا تتعرض لاية مراقبة او تفتيش من قبل مسؤولي الجمارك البلجيكيين . وتفيد مصادر صحفية مطلعة ان تهريب الاسلحة الفرنسية الى اسرائيل وخصوصا قطع الغيار لطائرات الميراج التي يشملها الحظر الفرنسي يتم عن طريق هذا المطار . ٤) وجود قسم للبحوث الالكترونية في جامعة لييج فيه الات حديثة جدا ولكنها عاطلة عن العمل جزئيا لافتقار بلجيكا الى كفاءات تستغلها وشركات متخصصة في هذا المجال بامكانها ان تكلف الجامعة ببحوث . وتأمل الجامعة المذكورة والشركة الاسرائيلية ان يتم بينهما تعاون وثيق في هذا المجال مما يعود على المصنع بفائدة كبيرة ويكسب الجامعة شهرة وخبرة بالاضافة الى الربح . ويسهل ذلك وجود بعض المدرسين الموالين لاسرائيل في جامعة لييج نذكر منهم النائب جان جول اليهودي الاصل وهو صهيوني عنيد ومن اكبر رجال الدعاية لاسرائيل في بلجيكا . ٥) تعتمد الشركة الاسرائيلية من اجل تحقيق اهدافها على دعم شخصيات من الحزب الاشتراكي ومن بينهم السيد اندريه كولز رئيس الجناح الوالوني في هذا الحزب وهو من منطقة لييج والسيد كلوز سكرتير الدولة السابق للاقتصاد الاقليمي الوالوني وهو أيضا من لييج يشغل منصب وزير الداخلية في الوزارة الجديدة .

تبلغ القيمة الاجمالية للاستثمارات المتوقعة لبناء هذا المصنع ١٥٠٠ مليون دولار تدفع الحكومة البلجيكية منها ٦٠٠ مليون . كما تطالب الشركة الاسرائيلية الحكومة البلجيكية بمنحها بعض الاعفاءات الجمركية الموقتة وشراء منتجات من المصنع الجديد بمبلغ ٥٠٠ مليون دولار في السنوات الثلاث الاولى من انشائه(١٤). وتتعهد الشركة الاسرائيلية من جهتها بخلق ٤٧٠ فرصة عمل جديدة في السنة الاولى لانشاء المصنع و ١٢٠٠ فرصة عمل في نهاية العام الثاني على أن يصل هذا العدد الى ١٥٢٠ بعد أربعة أعوام . كما تتعهد بنقل فرعين تابعين لها من باريس ولندن الى بييرسيه يعمل فيهما ١٥٠ شخصا ويبلغ رقم عملهما معا حوالي ٢٠ مليون دولار . وتعتقد الشركة الاسرائيلية انها ستتمكن خلال عشر سنوات من اقامة مركز لصناعة الطائرات في بييرسيه يعمل فيه حوالي ١٥ الف شخص . وستتعاون مع شركة ايركرافت كوربوريشن الاميركية والشركة الوطنية للاستثمار البلجيكية . ويقتصر المصنع الجديد في بادىء الامر على انتاج طائرات « كومودور جيت ايليفن ٢٣ » . وطائرات « عرفا » والاجهزة الالكترونية المخصصة لصواريخ « غبرييل » وغيرها من الادوات الالكترونية العالية التخصص(١٤) وقد ركزت الصحف البلجيكية في حديثها عن هذا المصنع على نوعين من الانتاج اولا طائرة عرفا وثانيا صواريخ غبرييل . والمعروف ان طائرة عرفا اسرائيلية الصنع وبامكانها القيام بمهام مختلفة كالقتال ضد الغواصات والتصوير الجوي والمراقبة. كما يمكن استعمالها كمركز قيادة طائر اذ تستطيع الهبوط في ساحة المعارك . وتستطيع هذه الطائرة حمل ٢٠ جنديا بأسلحتهم الكاملة او ما حمولته طنين من الذخيرة او نقل الجرحى حيث تستطيع نقل ١٢ جريحا على نقالة مع وحدة اسعاف . كما تستطيع الهبوط والاقلاع على ومن مدارج قصيرة وشبه معبدة تتراوح اطوالها بين ١٢٠ ــ ١٥٠ مترا . وتعمل المصانع الاسرائيلية على تطوير هذه الطائرة لتتمكن من نقل ٣٢ راكبا. وتؤكد السلطات الاسرائيلية انها تلقت حتى نهاية عام ١٩٧١ ما مجموعه ٨٢ طلب شراء هذه الطائرة معظمها من دول افريقية الا انه يبدو انها تجد صعوبة في تسويقها بسبب بعض الحوادث التي حصلت لها اثناء عمليات التجربة وكان اخرها في معرض باريس الجوي(١٥). وتستعمل طائرة عرفا خصوصا في العمليات ضد حرب العصابات

وباستطاعتها القيام بمهام طائرة الهيليكوبتر . ثمن الطائرة الواحدة منها ٤٥٠ الف دولار . وقد عرضت لاول مرة في ٢١ اذار ١٩٧٢ في معرض هانوفر . ويبدو ان المسؤولين العسكريين في حلف شمالي الاطلسي يرغبون في شرائها(١٦).

أما « غبرييل » فهو صاروخ بحر بحر اسرائيلي الصنع يبلغ مداه ٢٢ كم . ويبدو ان اسرائيل عملت على تطويره ليستطيع اصابة اهداف وراء الافق . ويسمى هذا الصاروخ الجديد غبرييل ٢ ويبلغ مداه ٤١ كم . يسلح هذا الصاروخ زوارق « ريشيف » (الشرارة) الاسرائيلية والتي صنعت على نمط زوارق ساعر الحربية المشهورة(١٧)ويحمل هذا الصاروخ البعيد المدى رأسا حربيا يزن حوالي ٢٠٠ رطل(١٨) وتحاول الدعاية الاسرائيلية اظهاره على أنه الوحيد العامل من نوعه(١٩). وقد بدأت المصانع الحربية الاسرائيلية في تصدير كمية من هذه الصواريخ وتؤكد السلطات الاسرائيلية ان دولا عديدة طلبت تزويدها بها وان مجموع قيمة الطلبات وصل الى مبلغ ٣٨ مليون دولار(٢٠). واكثر الدول اهتماما به سنغافورة وايران .

الحملة المضادة لهذا المشروع

ما أن بدأت الصحف البلجيكية تكشف النقاب عن طبيعة هذا المشروع الحقيقية حتى اخذ اصدقاء الثورة الفلسطينية والعاملون في حقل الاعلام الفلسطيني يجمعون المعلومات ويجرون الاتصالات من أجل افشال المشروع . وفي الاسبوع نفسه الذي كان من المقرر ان تدرس فيه اللجنة الوزارية للتنسيق الاجتماعي والاقتصادي مشروع المصنع الاسرائيلي وصل الى بروكسل في زيارة رسمية السيد عمر السقاف وزير الدولة للشؤون الخارجية في المملكة العربية السعودية . وبعكس ما كان يتوقع الجميع أجلت اللجنة المختصة البت في هذا الموضوع الى وقت لاحق . وصرح احد الوزراء الاعضاء في هذه اللجنة لمراسل صحيفة معاريف الاسرائيلية (وتعتقد الاوساط الصحفية ان هذا الوزير هو السيد بيير هارمل الذي كان لا يزال وزيرا للخارجية في ذلك الحين) « ان لهذا المشروع جوانب دولية لا بد من دراستها قبل أن نتخذ موقفا نهائيا »(٢١). وافادت الصحف ان الدول العربية تضغط على الحكومة البلجيكية للحيلولة دون انشاء هذا المصنع وان السيد عمر السقاف قد كشف النقاب عن وجود مثل هذه الضغوط . وبالفعل أعرب الوزير السعودي في حديث صحفي « عن أمله بالا تأتي رؤوس اموال مخربة من شأنها ان تلحق ضررا بالقضية العربية وتسيء الى العلاقات البلجيكية السعودية الحسنة » . واضاف « اذا ما علمنا انه ستقام في بلجيكا صناعة اسرائيلية فليس هناك ما يمنعنا من التوجه الى مصدر اخر لشراء اسلحتنا »(٢٢). وما يزيد من شدة هذا التهديد المبطن ان الوزير السعودي تحدث في المقابلة الصحفية نفسها عن النمو الكبير المتوقع للتعاون بين المملكة وبلجيكا في عدة ميادين بالاضافة الى شراء كميات كبيرة من الاسلحة . وعقبت الصحف البلجيكية على هذا التصريح بقولها انه يعكس وجهة النظر العربية(٢٣). واحدثت تصريحات السيد عمر السقاف ضجة كبيرة اذ تحدثت عنها معظم الصحف البلجيكية ونشرتها بعضها كاملة وكانت في الواقع الرصاصة الاولى في حرب اعلامية شنت على هذا المشروع .

وضع السيد عمر السقاف الموضوع بين يدي الرأي العام البلجيكي . وفهمت الاوساط الاسرائيلية والاوساط البلجيكية الموالية لهذا المشروع انه أصبح معرضا للفشل نهائيا . فاللجنة الوزارية أجلت البت فيه بعد أن كانت الاوساط الصحفية تتوقع الموافقة عليه وتطالب باتخاذ قرار سريع(٢٤). حتى أن موشي ديان صرح في رد على سؤال وجه اليه في الكنيست انه ستتم دراسة هذا الموضوع في وقت قريب في اللجنة المالية التابعة للكنيست(٢٥)... وما ضاعف قلق انصار المشروع كون مجلة كومبا الناطقة باسم النقابات الاشتراكية في منطقة ليبج قد اعلنت من عدائها الصريح لهذا المصنع لاعتقادها انه سيضر بالعلاقات القائمة بين الدول العربية وبلجيكا وانه سيقدم الدعم للطرف الصهيوني في نزاع الشرق الاوسط وسيشكل خطرا حقيقيا على امن وسلامة من سيعملون فيه(٢٦). وقد اتخذ هذا الموقف الحازم على اثر اتصالات اجريت مع السيد جاك برنا احد الزعماء النقابيين في منطقة ليبج ومن اكبر رواد الحركة التقدمية في المنطقة الوالونية بأكملها . وهو صديق مخلص للقضية الفلسطينية . وموقفه في غاية الاهمية اولا لانه يمثل وجهة نظر النقابات الاشتراكية — مع العلم بأن الحزب الاشتراكي هو الذي يدعم المشروع — وثانيا لانه يمثل وجهة نظر العمال وهم اول المعنيين بمثل هذا المصنع .

وامام هذا الخطر بدأت حملة مزايدات هدفها

الضغط على معارضي المشروع وخصوصا النقابات في منطقة ليبج . فتحدث مراسل صحيفة معاريف الاسرائيلية عن « اهتمام شخصيات هولنديـــة بالمشروع »(٢٧) وتحدثت صحيفة لا ديرنيير اور عن اهتمام كوسليه به (وهي في منطقة شارلروا) ثم عن رغبـــة فيفلكيم وبعدها اوستاند (وكلاهما في المنطقة الفلمنكية) في الحصول على المصنع(٢٨). والغاية من هذه الحملة المصطنعة خلق جو مـــن التنافس بين جوسليه وبيرسيه (وكلاهما فـــي المنطقة الوالونية) وبين هاتين البلدتين وفيفلكيم واوستاند من جهة اخرى (وكلاهما في المنطقـــة الفلمنكية) . الا ان هذه المحاولة باءت بالفشل لعدة أسباب أهمها ان الشركة الاسرائيلية مصممة على اقامة هذا المصنع في بيرسيه للاسباب التـــي ذكرناها اعلاه . وان اكبـــر منـــاصري المشروع شخصيات اشتراكية والونية من منطقة ليبج وان دعمهم سيفتر او سيصبح غير فعال اذا ما انتقل المشروع الى منطقة ثانية . أضف الى ذلك ان هذه الشائعات حركت منظمات فلمنكية عارضته بشدة . ولذا فشلت محاولة المزايدات ولم يعد أحد يتكلم عن موقع اخر غير بلدة بيرسيه .

ردود الفعل المعادية لهذا المشروع

كانت مجلة كومبا اول من أبدت المزيد من التحفظات حول هذا المشروع فقالت « الا يجدر بالتقدميـــين الوالونيين بدلا من التنافس للحصـــول على هذا المصنع كل في منطقته من أن يتفهموا اولا طبيعته الحقيقية » ؟(٢٩). وتبعت ذلك سلسلة من المواقف والبيانات اتخذتها او تبنتها حركات تقدميـــة او منظمات نقابية تشجب فيها هذا المشروع وتطـــالب الحكومة البلجيكية برفضه نهائيا . وأسباب هـــذه المعاداة تختلف باختلاف المنظمات ويجوز تلخيصها فيما يلي مع الملاحظة ان بعض المنظمـــات قدمت سببا او سببين او كل هذه الاسباب مجتمعة :
١) المصنع مصنع أسلحة ونحن نعارض انتـــاج الاسلحة الذي يجعل من بلجيكا « تاجرة مدافع ».
٢) يعتبر المصنع دعما مباشرا او غير مبـــاشر للدولة الصهيونية (او الحكومة الاسرائيلية) التي تتصرف في الاراضي المحتلة تصرف الفاتح وترفض الانصياع لقرارات مجلس الامن والامم المتحدة .
٣) لا يجوز لنا دعم اسرائيل التي تضطهد الشعب الفلسطيني والشعوب العربية في الوقت الـــذي تضطر فيه الامم المتحدة وحتى الحكومة البلجيكيـــة ادانتها لرفضها تطبيق قرارات الامم المتحدة .
٤) سيضر هذا المصنع بعلاقاتنا التجارية الحسنـــة بالدول العربية ٥) سيعرض هذا المصنع حيـــاة العاملين فيه للخطر اذ ليس هناك من يستطيع منع الفلسطينيين من مهاجمته بما أنه يصنع الاسلحـــة لصالح اسرائيل . ٦) سيضر هذا المصنع بـــدور الوساطة الذي ترغب الدبلوماسية البلجيكية ان تلعبه في نزاع الشرق الاوسط كما سيجبر بلجيكا على التخلي عن موقفها الحيادي في هـــذا النزاع .
٧) سيؤدي هذا المصنع الى نقل الحرب العربية ـ الاسرائيلية الى الساحة البلجيكية وذلك يشكـــل خطرا على سلامة المواطنين وعلى سلامة الجالية العربية المقيمة في بلجيكا اذ ستعمل سلطات الامن على مطاردتها كما طاردت السلطات الالمانية العرب بعد عملية ميونيخ .

وفيما يلي بعض المنظمات التي اتخذت موقفا صريحا معاديا لهذا المشروع : الحركة الوطنية المسيحية من أجل السلام ، الاتحاد البلجيكي للدفاع عـــن السلام ، منظمة باكس كريستي في منطقة تورني، التجمع من أجل السلام في منطقة ليبج ، التجمع من أجل التنمية ، لجنة العدل والتنمية ، النقابات المسيحية في منطقة ليبج ، منظمـــة الشبـــاب الاشتراكيين (ولا شك ان موقفهم سيؤثر علـــى الحزب الاشتراكي) ، لجنة فلسطين الوطنية ، لجنة التضامن مع الشعب الفلسطيني والشعوب العربية ، مركز الدراسات الماركسية حول الثورة الفلسطينية ، لجنة فلسطين في لوفان (وقد أصدرت هذه اللجنة بيانا وقعت عليه حوالي ثلاثين منظمـــة طلابية وعمالية وتقدمية بلجيكية وعربية) ، منظمة الصداقة البلجيكية العربية (والتي اسست في شهر شباط ووزعت حوالي ٥ الاف ملصق تشجب اقامة المصنع الصقت في كـــل انحاء بلجيكا) ، لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ (لا شك ان الفضل في اتخاذ هذا الموقف المهم يعود الى نفوذ السيد بول ستروي رئيس مجلس الشيوخ الذي عارض المشروع بصراحة في مقالين في صحيفة لا ليبر بلجيك كما ذكرنا اعلاه) . وهناك احزاب لم تتخذ موقفا صريحا ولكنها عبرت عن عدائها في صحفها او نشراتها مثل الحزب الشيوعي والحزب المسيحي والمنظمة التروتسكيـــة والمسيحيـــين الديموقراطيين الخ .

والجدير بالذكر ان هناك صحفا او مجلات انتقدت

المشروع بشدة بايحاء من بعض رجال الاعمال والمصانع البلجيكية . ذلك لان بعض رجال الاعمال يخشون ان يسيء المصنع الى علاقاتهم الحسنة مع الدول العربية . وهناك مصانع بلجيكية ترى في هذا المصنع منافسا خطيرا ومنها المصنع الوطني للاسلحة في هيرستال (والذي يبيع كميات كبيرة من الاسلحة للدول العربية) . ولم تبح طبعا هذه الصحف او المجلات بدوافعها الحقيقية ولكنها بررت موقفها بالاسباب المذكورة اعلاه والتي قدمتها باقي المنظمات واضافت اليها أسبابا اخرى مثل التكاليف المالية الباهظة التي ستتحملها الميزانية البلجيكية من جراء اقامة هذا المصنع .

محاولات التغطية والتمويه

لا شك ان كل هذه المواقف التي نشرتها الصحف واشارت اليها الاذاعة البلجيكية قد اثرت على الرأي العام الذي أخذ يبدي عداءه لهذا المشروع. ولا حاجة للذكر ان السفراء العرب تدخلوا من جهتهم لدى السلطات البلجيكية لاقناعها بالعدول عنه . ولا شك أن الدبلوماسي العربي الذي يهتم بشؤون الاعلام والمقاطعة قد لعب دورا أساسيا في محاولة افشال المشروع وانه كان محور حركة المعاداة له . وبسبب كل ذلك المزيد من الحرج للسلطات البلجيكية المختصة ، فأجلت البت في الموضوع مرة اخرى. واخذ انصار المشروع يبحثون عن مخرج ويبحثون عن السبل لتبريره وتمريره . فبدأت حملة التمويه والتغطية . وفي ١٩ شباط عقد السيد جان دوفريني سكرتير الدولة للاقتصاد الاقليمي الوالوني مؤتمرا صحفيا حول هذا الموضوع . ويمكن تلخيص تصريحاته كما يلي :

١) ان هذا المشروع عملية اقتصادية وتجارية بشكل رئيسي . سينتج المصنع بالطبع معدات حربية ولكنها لن تعمل على تقوية احد المعسكرين في الشرق الاوسط . خصوصا وان المصنع سيعمل بشكل خاص على انتاج معدات للاستعمال المدني مثل طائرات النقل كما سيعمل في ميادين اصلاح وصيانة الطائرات المدنية ... ٢) لن يكون المصنع اسرائيلي الجنسية . اذ ستشرف عليه شركة بلجيكية سيتم خلقها لهذا الهدف . وقد حصلت الحكومة البلجيكية على ضمانات بانه سيتم احترام كل القوانين البلجيكية المتعلقة بانتاج وتصدير الاسلحة . كما سيكون لها حق مراقبة مطلق . ٣) لن يسيء هذا المصنع الى علاقاتنا التجارية مع الدول العربية لان حجم التبادل التجاري بين اسرائيل وبلجيكا يفوق حجم التبادل التجاري بين بلجيكا وكل الدول العربية مجتمعة . ٤) سيخلق هذا المصنع حوالي ١٧٠٠ فرصة عمل جديدة خلال السنوات الاربع الاولى ومن الممكن ان يعمل فيه في وقت لاحق وفي مرحلة ثانية من التوسع من ٥٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ عامل. ٥) ستمول المشروع الشركة البلجيكية «سيديسا» وشركة « اسرائيل ايركرافت اندستريز » وشركة بيش ايركرافت الاميركية . وستشكل معا شركة جديدة بلجيكية الجنسية تسمى « بلجيسان ايرسبيس » .

وتنفس انصار المشروع الصعداء . وظنوا ان محاولة التغطية هذه ستخفف الضغط . ونشرت الصحف البلجيكية في اليوم التالي تصريحات السيد دوفريني . الا ان ردود الفعل كانت عنيفة من قبل عدة صحف ومجلات خصوصا وان الطائرات الاسرائيلية اسقطت في ذلك الحين الطائرة المدنية الليبية وان الجيش الاسرائيلي هاجم مخيمي البداوي ونهر البارد كما قصفتها من البحر بواسطة زوارق شيربورغ التي تسلحها صواريخ غبريبل . واخذت هذه الصحف والمجلات تكذب اقوال السيد دوفريني وترد عليه . ونذكر من بينها صحيفة لا ليبر بلجيك (١٩٧٣/٢/٢٢) وصحيفة لوسوار (١٩٧٣/٢/٢٣) ومجلة « العالم والسلام » (عدد شباط — اذار) ، مجلة « لاغوش » التروتسكية ومجلة « مي » (عدد اذار — نيسان) ومجلة رينوفاسيون (١ — ٧ اذار) ومجلة درابوروج (١٩٧٣/٢/٢٣) ومجلة بور (في عددها الاول ١٣ اذار) الخ .

كما أصدر مكتب المقاطعة العربية في دمشق بيانا ضمنه الارقام الحقيقية للتبادل التجاري بين بلجيكا وكل من اسرائيل والدول العربية حسب الارقام الرسمية التي نشرها مركز التجارة الخارجية البلجيكي . ويمكن تلخيص كل ردود الفعل هذه في النقاط التالية :

١) سيساهم بلجيكا في هذا المشروع بمبلغ ٧٥٠ مليون فرنك . كما تتعهد بشراء منتجات من هذا المصنع بما قيمته ٥٠٠ مليون فرنك . وهذا عبء مالي باهظ اذا ما اخذنا بعين الاعتبار ما سيعود به هذا المصنع على بلجيكا من فوائد .

٢) ان اللجوء الى خلق شركة بلجيكية تتبنى هذا المصنع انما هي تغطية هدفها اسكات الرأي العام

ولا يغير طبيعة المصنع . خصوصا وان الشركة الاميريكية حليفة لاسرائيل ايركرافت وان أصحاب شركة سيديسا اسرائيليون او أصدقاء لاسرائيل.

٣) سينتج هذا المصنع الكثير من المعدات العسكرية وبعض المعدات المدنية . فطائرة عرفا عسكرية وكذلك صواريخ غبرييل . والبحوث الالكترونية تستخدم اولا لاهداف عسكرية . فلا يبقى من الطابع المدني الا صيانة الطائرات واصلاحها . وهذا لا يستوجب بناء مصنع جديد .

٤) لن يخلق هذا المصنع اكثر من ١٠٠٠ فرصة عمل جديدة ويتضح ذلك من المبالغ المكرسة له ومن طبيعة عمله .

٥) بلغت قيمة مجموع التبادل التجاري بين بلجيكا والعالم العربي عام ١٩٧١ حوالي ٣١ مليار فرنك (و٣٨ مليارا لعام ١٩٧٢) مقابل ٥،٤ مليار فقط للتبادل التجاري بين بلجيكا واسرائيل (حوالي ٦ مليارات لعام ١٩٧٢) . كما ان التبادل التجاري بين السوق الاوروبية المشتركة ودول حوض البحر الابيض المتوسط وممظمها عربية يكاد يساوي حجم تبادلها التجاري مع الولايات المتحدة الاميركية .

ثم جاءت عملية الخرطوم . وقتل القائم بالاعمال البلجيكي . واشتد العداء للمصنع . الا ان شركة سيديسا اصدرت بيانا قالت فيه ان الشركة الاسرائيلية اعلمتها برقيا بانها تنوي الاكتفاء في بادىء الامر باتتاج معدات مدنية ولن تنتج أية معدات عسكرية . وفي ١٩٧٢/٣/٧ قالت الصحف انه من المحتمل ان توافق الحكومة على المشروع على ضوء هذا النبأ . الا ان السيد لوبيرتون رئيس الوزراء كذب ذلك بشدة ووصف هذه الاشاعات بانها خاطئة ومؤسفة . واعلن ان موقف الحكومة لن يتغير وان دراسة هذا المشروع اجلت الى أجل غير مسمى ... غير أن هذا التصريح لم يرض اعداء المشروع . ولذا فهم مصرون على متابعة حملتهم حتى تضطر الحكومة الى رفضه نهائيا . ولذا فهم يتابعون العمل الاعلامي لكي يبقى الرأي العام البلجيكي صاحيا ويمارس ضغوطا قوية على الجهات المختصة . والجدير بالذكر انه يتم كل يوم اكتشاف ناحية مخفية من هذا المشروع . واذا لم ترفضه الحكومة بسرعة فسينتهي الامر بفضح عدد من الشخصيات الحكومية وكشف المصالح الحقيقية وراء هذا المصنع وجوانب كانت حتى الان مخفية من التعاون الاقتصادي بين بلجيكا واسرائيل .

---

١ ــ صحيفة لا ليبر بلجيك ١٩٧٣/٣/٥ .
٢ ــ المصدر نفسه ١٩٧٣/٢/٢٦ .
٣ ــ المصدر نفسه ١٩٧٣/٣/٥ .
٤ ــ صحيفة لوبوبل ٣ ــ ١٩٧٣/٣/٤ .
٥ ــ المصدر نفسه ١٩٧٣/٣/٥ .
٦ ــ المصدر نفسه .
٧ ــ صحيفة لا ديرنيير اور ١٩٧٣/٣/٨ .
٨ ــ مجلة بوركوا با ١٩٧٣/٣/٨ .
٩ ــ صحيفة لا ليبر بلجيك ١٠ ــ ١٩٧٣/٣/١١ .
١٠ ــ لو سوار في ١٩٧٣/٣/٣ ، لا ليبر بلجيك في ١٩٧٣/٣/٥ لوبوبل في ٣ ــ ١٩٧٣/٣/٤ .
١١ ــ لا ليبر بلجيك في ١٩٧٣/٣/٢٢ .
١٢ ــ صحيفة لاموز في ١٩٧٢/١٢/١٩ .
١٣ ــ المصدر السابق .
١٤ ــ لوسوار ١٩٧٢/١٢/٦ .
١٥ ــ هشام عبدالله : سلاح الطيران الاسرائيلي شؤون فلسطينية عدد ١٥ ص ٨٧. الدكتور يوسف شبل : صناعة الاسلحة في اسرائيل ، شؤون فلسطينية عدد ١٢ ص ٢٣١ .
١٦ ــ Larry Lockwood: Israel's expanding arms Industry, Journal of Palestine Studies, vol. I, no 4, Summer 1972, p. 89.
١٧ ــ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، السنة الثالثة العدد ٤ تاريخ ١٩٧٣/٢/١٦ ص ١١٥ وصحيفة لوموند الفرنسية في ١٩٧٣/٢/٦.
١٨ ــ الدكتور يوسف شبل المصدر السابق .
١٩ ــ لارى لوكوود المصدر السابق ص ٨٠ .
٢٠ ــ الدكتور يوسف شبل المصدر السابق .
٢١ ــ لا ليبر بلجيك ١٩٧٢/١٢/٢٢ .
٢٢ ــ لوسوار ١٩٧٢/١٢/٢٣ ، لاموز ١٩٧٢/١٢/٢٦ .
٢٣ ــ صحيفة لا لانتين ١٩٧٢/١٢/٢٦ .
٢٤ ــ لا موز ١٩٧٣/١٢/١٩ .
٢٥ ــ لوبوبل ١٩٧٢/١٢/٢٧ .
٢٦ ــ مجلة كومبا ١٩٧٢/١٢/٢١ .
٢٧ ــ لا ليبر بلجيك ١٩٧٢/١٢/٢٢ .
٢٨ ــ لا ديرنيير اور ٧٣/١/٥ و ١٩٧٣/٢/١ .
٢٩ ــ كومبا ١٩٧٢/١٢/٢١ .

لماذا كل هذا الضجيج حـــول « أزمـــة الطاقة » ؟

كين مايركورد

مثل عاصفة صيفية هوجاء هبت علينا فجاة « أزمة الطاقة » ، مهددة باقتلاع وجود هـــذه الامة [الاميركية] من أساسه . الصحافة تصور مصير الغرب مربوطا بخيط نفطي يمسك بطرفه عـــرب مزاجيون ، والاميركيون السذج يضرعون امام صور اميركا التي بدون نفط حيث الاطفال يمشون الى المدرسة سيرا على الاقدام والامهات يخيطن علـــى ضوء الشموع والاباء يهيئون الاخشاب للنار .وبينما نصغي نحن بصمت رهيب يتنبأ زعماؤنا بان ازمة الطاقة « ستحل مكان الحرب الباردة اذ ستكون اكثر المشاكل الحاحا تواجه اميركا في السنوات القادمة » (الجنرال جورج لينكولن ، مدير مكتب تجهيزات الطوارىء) .

ولكن ربما كان من الحكمة ان نتأمل قليلا قبل ان نبدأ باقامة المتاريس .

يشير المفكر الاسرائيلي — الاميركي نادافد سافران الى انه « قد مرت عدة تخويفات نفطية في تاريخ اميركا الحديث ، ولكن ذلك كان يتفق دوما مـــع مطالب محددة من شركات النفط الكبرى الى حكومة الولايات المتحدة . ولكن حين كانت هذه المطالب تستجاب او حتى تبدو أنها في طريق التحقيق ، كانت « أزمة النفط » تختفي بشكل مفاجىء وغامض مثلما بدأت » . فلقد جاء التخوف النفطي الكبير عامي ١٩١٩ — ١٩٢٠ مثلا عندما كانت شركـــات النفط الاميركية الرئيسية تسعى للحصول علـــى دعم الحكومة للحصول على نصيب في شركة نفط العراق . وفي نهاية الحرب العالمية الثانية حدثت حالة خوف اخرى عندما كانت شركتا ستاندرد اويل اوف نيوجيرسي وسوكوني تطلبان دعم الحكـــومة في اخلالهما باتفاقية طويلة الاجل مع المصـــالح البريطانية والفرنسية وذلك لكي تدخلا في شراكة مع شركة ستاندرد اويل اوف كاليفورنيا وشركة تكساكو في شركة النفط العربية — الاميركية (ارامكو) . وامتدت تلك الحالة الى ان حصلت شركة ارامكو من الحكومة على حصة من تساطل الفولاذ القليلة، وذلك لكي تتمكن من تمديد خط التابلاين .

يجب ان يكون واضحا تماما انه في صناعة متقدمة، ضخمة وحيوية مثل صناعة النفط حيث يعمل الاف الاخصائيين ، حكوميين ومستقلين ، في دراســـة الاتجاهات واعداد الخطة القصيرة والبعيدة ، فان الازمات لا يمكن ان تأتي على حين غرة . فهـــذه الازمات لا بد وان تكون متوقعة سلفا ، مع أن الجماعة صاحبة المصلحة الخاصة والتي تقف وراء الازمة الحالية لا زالت غير معروفة . من الممكن ان يكون أصحاب « نورث سلوب » راغبين في التغلب على الاحتجاجات من اجل سلامة البيئة ، والتي تعرقل بناء خط انابيب النفط عبر الاسكا . كمـــا يمكن أن تكون هذه الجماعة هي في الواقع منتجـــو النفط المحليون وذلك بسبب خوفهم من أن يؤدي استيراد النفط الرخيص الى اغراق سوقهم اذا هم لم يبادروا ويجعلوا الاميركيين يشعرون بضرورة الحاجة الى تطوير مصادر الطاقة الداخلية . ولكن على الارجح ان يكون هؤلاء النافذون قد ركبـــوا الموجة فقط ، وان تكون شركات النفط الاميركية العاملة في الشرق الاوسط ، مرة اخرى ، هي التي تقف وراء الازمة .

لم يكن حدثا معينا او طلبا محددا هو الذي جعل الكبار يقذفون بالامة الى حـــالة الذعر هذه المرة ، وانما يعود ذلك الى التحول الذي حصل في ميزان القوى بين شركات النفط والدول المنتجة في السنوات الثلاث الماضية . لقد بدأت المسألة بالانقلاب الليبي الذي جاء بالقذافي ورفاقه الى السلطة . ففي ذلك الوقت كانت شركات النفط ترد على الدول المنتجة بانه من غير الممكن زيادة أسعار النفط بسبب وجود فائض نفطي في السوق ، بينما كانت الصحـــافة تؤكد للقراء ان استغلال زيت الشيل والقـــوة النووية بالاضافة الى الاكتشافات في كل مـــن الاسكا وبحر الشمال ، سيضع في وقت قريب حدا لاعتماد العالم على نفط الشرق الاوسط . وفـــي وضع مثير طرح النظام الليبي الجديد على شركات النفط طلبه بزيادة السعر باي شكل . وفوجىء الجميع حين رأوا الليبيين يحصلون على الزيادة التي كانت تحاول تحقيقها منظمة الدول المصدرة للنفط (اوبيك) منذ تسع سنوات بدون جدوى . وقدمت الدول الاخرى المنتجة ، وهي مندهشة بالنجاح الليبي ، طلبا للحصول على زيادات مماثلة ، وحصلت عليها في النهاية . وحتى هذا العـــام

كانت الزيادات التي طرأت على الاسعار قد زادت ٧٢ ٪ عما كانت عليه عام ١٩٧٠ .

في العام الماضي حصلت الدول المنتجة على مطلب جديد ومهم من الشركات ــ حصلت فورا على حصة قدرها ٢٥ ٪ من عمليات الشركات . ومن المقرر ان ترتفع هذه الحصة لتصل الى ٥١ ٪ عام ١٩٨٣ ، الا ان كثيرا من المراقبين في الشرق الاوسط يشكون في قدرة الشركات على تجنب التأميم من قبل الدول المنتجة الثورية حتى ذلك الحين . فالجزائر قد قامت فعلا بالاستيلاء على ٥١ ٪ من ممتلكات الشركة الفرنسية للبترول، كما وضعت ليبيا يدها على الموجودات البترولية البريطانية ، وامم العراق شركة نفط العراق . لم تتأثر الشركات الاميركية بالتأميم باستثناء الـ ٢٤ ٪ التي كانت تملكها في شركة اي. بي. سي. الا ان ذلك هو بمثابة الانذار للشركات .

ان النقاش الدائر الان في الدوائر البترولية الحكومية والخاصة ، هو كيف ستتصرف الولايات المتحدة بالتعاون مع شركات النفط تجاه التحدي المتزايد للممتلكات والسيطرة الاميركية في بترول الشرق الاوسط . وكما يحدث في قضايا مشابهة فيبدو ان ادارة السياسة الخارجية منقسمة الى فريقين . هناك من جهة « المعتدلون » الذين يلتفون حول وزارة الخارجية وبينهم كثير من الهيئات البترولية متوسطة الحجم ، يدعون الى سياسة تقوم على الاتفاق . وهم انطلاقا من قبول ما لا بد منه يحاولون التخفيف من أثر التحول التدريجي لملكية نفط الشرق الاوسط ، من أيد اجنبية الى أيد وطنية ، عن طريق المساومة الدبلوماسية . والفريق الاخر ، اصحاب الخط المتصلب ، يضم الصهيونيين ونسور البنتاجون ، وربما الهيئات البترولية العليا ، ويفكر باحباط اية تسوية . فالعالم الذي يسيطر فيه العرب على ثلثي احتياطي النفط في العالم ، هو عالم غير مقبول ويجب ان يقاوم ، ولو بالقوة .

هناك تجربة حديثة تبين ان الاعتدال ليس ذا شأن لدى واشنطن ، ولذا يحسن ان نرى كيف تنظر مدرسة الخط المتصلب الى الوضع في الشرق الاوسط. ان الطريقة التي تحمي المصالح البترولية الاميركية بالنسبة لهؤلاء السياسيين **الحقيقيين** ، هي في الابقاء على الانظمة المحافظة المؤيدة لاميركا، والتي تحكم معظم الدول الغنية بالنفط . وهم يعتقدون ان الخطر الكبير الذي يهدد الملوك والامراء والشيوخ يأتي عن طريق القوى الوطنية التقدمية في العالم العربي والملتفة حول مصر . وكما لاحظ احد الكتاب في مقالة في صحيفة فورتشن في ١٩٦٧ ، « يعتقد كثيرون من العرب باننا نريدهم ان يكونوا ضعفاء عسكريا ومنقسمين على انفسهم ، وهو صحيح الى حد بعيد ما دام ناصر يظل المرشح الوحيد لقيادة عالم عربي متحد » لانه « ... لديه طموحات واضحة حول دوره ودور مصر في العالم العربي ، تشكل تهديدا حقيقيا لحكام بلاد النفط، حيث تقوم اضخم مصالحنا المادية » . ومن اجل توجيه ضربات ساحقة اقتصاديا وعسكريا وسياسيا الى القومية العربية ، يسعى اصحاب الخط المتصلب الى الحفاظ على اسرائيل قوية قادرة على تصفية وتجزئة القوة التقدمية .

فهم يدركون ان تحقيق انتصار مصري على اسرائيل سيكون انتصارا لجميع القوى التقدمية في العالم العربي وقد يشجع العناصر المماثلة في الدول المحافظة للاطاحة بالعائلات الحاكمة خلال بضعة شهور .

هناك ادلة على ان الحكام المحافظين انفسهم لديهم التحليل ذاته فيما يتعلق بوضعهم . وهذا ما يفسر مثلا لماذا يتوجه نظام صواريخ هوك ــ ارض ــ جو ــ الذي اقيم مؤخرا في السعودية ، نحو مصر وليس باتجاه اسرائيل . من جهة اخرى ، ترى الاطراف الاصلاحية في الدول المحافظة ان الطريقة الاخرى لحماية اوضاعها تكون بالاتفاق مع القومية العربية من خلال الوقوف مع الدول التقدمية في الضغط على الولايات المتحدة للتخلي عن اسرائيل ، وذلك بالاسراع في تأميم الشركات الاجنبية وباحداث بعض الاصلاحات الاجتماعية داخل بلدانها . والاحداث الاخيرة تشير الى ان ذلك هو الذي يجري الان : تبرع السعودية بمبلغ ٢٢ مليون دولار الى سوريا ، قرار الملك فيصل بعدم استثمار فائض الراسمال السعودي في الولايات المتحدة ، ودعوة بنك الانماء العربي بمبادرة من الكويت لاستثمار الثروة العربية داخل العالم العربي .

ان رد فعل المتصلبين تجاه هذه التطورات سيكون مزيدا من الاعتماد القوي على ايران واسرائيل ، حليفتيهم اللتين يعتمد عليهما في تأمين الممرات الى شبه الجزيرة العربية ، وهناك ايضا ما يدل على ان هذا هو الذي يجري الان . ففي العام الماضي

أتيح لايران ان تحتل عدة جزر استراتيجية في الخليج العربي ، كما اورد تقرير في الفترة الاخيرة ان اسرائيل قد احتلت احدى الجزر في مدخل البحر الاحمر . وشهد الشهران الاخيران قمة التعاون الاميركي مع هاتين الدولتين من خلال صفقة الاسلحة التي تم الاتفاق عليها بين الولايات المتحدة وايران وبلغت قيمتها بليوني دولار ، وكذلك بتعهد نيكسون بمد اسرائيل بمزيد من طائرات الفانتوم ومساعدتها في انتاج مقاتلة متطورة . وينعكس هذا الاتجاه ، وبدهاء اكبر ، بميل الذين يكتبون حول أمور النفط للتحذير من مخاطر الاعتماد على « البترول العربي » لا على «بترول الشرق الاوسط» (بما في ذلك ايران) .

هناك اعتقاد خاطىء لدى المراقبين المهتمين بالشرق الاوسط بأن شركات النفط الاميركية ، بدافع من مصالحها الذاتية ، تتبنى موقفا مؤيدا للعرب في النزاع العربي ــ الاسرائيلي . ويرتكز هذا الاعتقاد على الافتراض القائل بأنه من أجل الاحتفاظ « بصداقة » الحكام التي تعمل هذه الشركات في اراضيهم ، ينبغي عليها أن تمارس ضغطا على الحكومة الاميركية لتلجم اسرائيل . والدليل على ذلك هو تقديم شركات النفط دعما ضئيلا ، يكفي فقط للمحافظة على المظاهر ، للحركة المعادية لاسرائيل في الولايات المتحدة . ان الاعتقاد بأن هذه الشركات العملاقة بثرواتها التي تفوق ثروات دول بحالها ، لا تستطيع مجابهة النفوذ الصهيوني اذا هي فعلا ارادت ذلك ، معناه الاعتقاد بنفوذ يهودي شامل في السياسات الاميركية يعود الى « بروتوكولات حكماء صهيون » . واذا كان ازدياد اعتماد الولايات المتحدة على نفط الشرق الاوسط وازدياد الضغط على شركات النفط الاميركية العاملة في الشرق الاوسط ، سيرافقه ازدياد وليس انخفاض الدعم الاميركي العسكري والاقتصادي لاسرائيل ، فان الافتراض بأن شركات النفط هي مؤيدة للعرب يصبح افتراضا مثيرا للسخرية . ويجب ان يكون واضحا لدى المعارضين للصهيونية ان رجال النفط امثال جون ماكلين ، رئيس شركة كونوكو ، حين يتحدثون عن ضرورة اعطاء الشرق الاوسط « الاولوية الكبرى » في السياسة الخارجية الاميركية ، فانهم يحثون الحكومة على « ارسال القوات » على فرض ضرائب على النداء اليهودي المتحد .

صدر حديثا عن مركز الابحاث

مذكرات حسني صالح الخفش

حول تاريخ الحركة العمالية العربية الفلسطينية

١٠٣ ص
٤ ل. ل. تضاف اليها اجور البريد : ٧٥ ق. ل. في العالم العربي ،
١٥٠ ق. ل. في أوروبه ، ٣٠٠ ق. ل. في سائر الدول .

اطلبه من قسم التوزيع في مركز الابحاث
ص.ب ١٦٩١ ــ بيروت

اسرائيل والبحر الاحمر

معين أحمد محمود

كشفت مجلة « التايم » الامريكية(١) تفاصيل الاحتلال الاسرائيلي الجديد لعدد من الجزر العربية ، بواجهة الساحل اليمني ويبدو منطقيا ان هدف اسرائيل من وراء هذا الاحتلال هو مد وجودها البحري الى البحر الاحمر تنفيذا لاستراتيجية بحرية تم تخطيطها لما بعد جولة ١٩٦٧ . وتهدف هذه الاستراتيجية البحرية الجديدة — اول ما تهدف — الى منع البحرية العربية من احتمال اغلاق الملاحة عبر البحر الاحمر في وجه السفن الاسرائيلية ، او السفن الاخرى المتجهة الى اسرائيل ، وهو احتمال دعمته اخيرا حادثة التعرض لسفينة النقل « كورال سي » في منطقة باب المندب(٢). وحتى نتمكن من الوقوف على مختلف الجوانب المحيطة بالاستراتيجية البحرية الاسرائيلية بعد جولة ١٩٦٧ ، يتعين علينا ان نلقي نظرة عابرة على جغرافية البحر الاحمر ، حتى يمكننا ان نتبين اتجاهات الدول المطلة عليه ، ونحيط بالادوار التي يمكن ان تلعبها كل منها في استراتيجية البحر الاحمر .

يبلغ طول البحر الاحمر من رأس محمد شمالا الى باب المندب جنوبا حوالي ١٢٠٠ ميل ، ويتراوح عرضه بين ٢٥٠ ميلا في اوسع اجزائه ، ١٢٠ ميلا في اضيقها ، ويصل متوسط عمقه الى ١٦٠٠ قدم . وتناهز اطول سواحله ٣٠٠٠ ميل تقع تسع دول تطل عليه من الشمال والشرق والغرب والجنوب . وتزيد المساحة الاجمالية لحوض البحر الاحمر على ١٦٠ الف ميل مربع ، وتبلغ جزره حوالي ١٠٠ جزيرة بين الصغيرة والمتوسطة الحجم . ويحد البحر الاحمر شمالا خليج السويس . ويقع خليج السويس بأكمله ، وكذا الشاطىء الغربي لخليج العقبة ، داخل حدود مصر ، بينما يقع الشاطىء الشرقي للخليج تحت سيادة المملكة العربية السعودية . وفي اقصى شمال الخليج توجد ميناء العقبة التي تعتبر المنفذ الوحيد للمملكة الاردنية الهاشمية على البحر الاحمر ، والى الغرب منها تقع ميناء ايلات منفذ اسرائيل على نفس البحر . ويسيطر على مدخل خليج العقبة مجموعة جزر اهمها تيران وصنافير وششوة ، حيث كانت لمصر في الجزيرتين الاوليين قوات للمراقبة قبل جولة ١٩٦٧ ، علاوة على قوة بحرية صغيرة في ميناء شرم الشيخ الواقعة الى الشمال الشرقي من رأس محمد ، وسرية مدفعية ساحلية في رأس النصراني على مسافة ٢٧ كيلو مترا الى الشمال من شرم الشيخ ، وذلك بغرض مراقبة حركة الملاحة البحرية من والى الخليج ، عبر ممر الانترابراير وجوافتون اللذين يصلان البحر الاحمر وخليج العقبة ، فيما بين شاطىء سيناء الجنوبي وجزيرة تيران ، واللذين قامت اسرائيل بتزويدهما بوسائل الملاحة الليلية بمجرد استيلائها عليهما في حزيران ١٩٦٧ .

وتكفي النظرة العابرة الى الخريطة السياسية لشواطىء البحر الاحمر للاحظة ان اغلب هذه الشواطىء تقع على اراض عربية . فالشاطىء الشرقي لهذا البحر تمتد عليه المملكة العربية السعودية ، وتقع في منتصفه ميناء جدة ، بينما تمتد سواحل اليمن على بقيته حتى الذي يتجاوز عرضه العشرين ميلا ، والذي تحده غربا جمهورية الصومال ، والصومال الفرنسي ، وتقع جزيرة بريم في ثلثه الشرقي ، وبهذا يصبح المدخل الجنوبي للبحر الاحمر واقعا تحت السيطرة الكاملة لكل من الجمهورية العربية اليمنية ، وجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية ، وجمهورية الصومال ، والصومال الفرنسي الذي توجد به قاعدة جيبوتي الفرنسية .

أما الساحل الغربي للبحر الاحمر فتمتد عليه شواطىء مصر حتى جنوب رأس بناس، ثم شواطىء السودان التي تتوسطها اكبر موانيه « بور سودان » ، ثم شواطىء اقليم ارتريا الخاضعة لحكم اثيوبيا ، واهم موانيه « مصوع » التي تقع في الربع الجنوبي من البحر ، وتنتشر امامها مجموعة الجزر المتاخمة للساحل ، اهمها جزيرة دهلك . وتوجد للولايات المتحدة الامريكية قاعدة حربية على الاراضي الارتيرية هي قاعدة «كاجينو». ثم ينتهي الساحل الغربي للبحر الاحمر جنوبا بشواطىء اثيوبيا قبل مدخل باب المندب بقليل ، لتبدأ شواطىء الصومال الفرنسي وجمهورية الصومال .

ويتضح مما سبق — وبعد الرجوع الى الخريطة

الجغرافية لحوض البحر الاحمر ان كافة الدول الواقعة على ساحله الشرقي دول عربية ... هي الاردن والسعودية واليمن واليمن الجنوبية ، وان اكثر من ثلثي الجانب الغربي تقع عليه مصر والسودان ، بينما تتقاسم اثيوبيا والصومال الفرنسي بقية الثلث الجنوبي من هذا الساحل . لذلك فمن المنطقي والحالة هذه ان يشتد اهتمام اسرائيل باثيوبيا ، ويصبح من المفيد لها ان تعرض على اثيوبيا استعدادها لتوفير الضمانات اللازمة لتأمين منع تسلل الاسلحة الى ثوار ارتريا ، مقابل السماح لها بوجود اسرائيلي في احدى موانيها ، او على جزيرة او بعض جزر المجموعة المنتشرة امام مصوع ، وهو الوجود الذي بدأ فعلا بشبكة رادار وبعض القطع البحرية الخفيفة السريعة ، ومن ثم سيتم تدعيمه ببناء المطارات وتحويلها الى قواعد لطائرات الاستطلاع والقصف(٣).

تعتقد اسرائيل ان خليج العقبة هو البديل الافضل لقناة السويس ، ولقد فطن مؤسسو الدولة الصهيونية منذ ان خططوا لقيامها الى ما لموقع فلسطين من اهمية عظمى بصفة كونها ملتقى قارات ثلاث ، ومعبرا رئيسيا بريا وبحريا وجويا الى كل انحاء المعمورة ومن هنا استهدف تخطيط ميناء ايلات الى تنفيذ مشروعات مناغسة للاغراض والخدمات الحيوية التي تقدمها قناة السويس ، فتم تنفيذ مشروع خط انابيب ايلات ــ عسقلان(٤)، ومهد الطريق البري الذي يربط بين ايلات وشمال اسرائيل ، ومختلف موانيها على البحر المتوسط . ويبلغ طول خط الانابيب ١٦٠ ميلا وطاقته القصوى ٦٠ مليون طن(٥)، يتم بلوغها على خمس مراحل كان المقرر الانتهاء من المرحلة الاولى منها عام ١٩٧٠ بطاقة قدرها ٢٠ مليون طن ، الا انه لم يتحقق منها وقتئذ سوى ١٤ مليون طن فقط ، وقد انتهت المرحلة الثانية عام ١٩٧١ واصبحت طاقة الخط ٢٢ مليون طن(٦)، والثالثة في العام ١٩٧٢ حيث بلغت طاقة الخط ٢٥ مليون طن ، ثم الرابعة التي تنتهي عام ١٩٧٣ بالوصول الى طاقة قدرها ٤٠ مليون طن ، ثم المرحلة الخامسة والاخيرة والمقدر لانتهائها عام ١٩٧٥ حيث تكون طاقة خط الانابيب قد وصلت الى ٦٠ مليون طن سنويا . وتبلغ الاستثمارات الكلية لهذا المشروع حوالي ٦٥ مليون جنيه استرليني . وقد قامت اسرائيل بشراء ناقلتين للبترول حمولة كل منهما ٢٣٠ الف طن ، تسلمت احداهما في ايار ١٩٧١ واستلمت الثانية في تشرين الاول من العام نفسه(٧).

وليس أدل على اهتمام اسرائيل بمنافذها البحرية من اتجاهها المتزايد الى تدعيم اسطولها التجاري. اذ استلمت شركة « تسيم » خلال العامين المنصرمين ١٣ سفينة(٨)، منها ٤ سفن حديثة الطراز يناهز ثمنها ٨٦ مليون ليرة اسرائيلية اي حوالي ٢٧،٥ مليون دولار ، وبذلك وصل اجمالي حمولة اسطول هذه الشركة الى ما يئوف على مليوني طن . هذا وقد خصصت الشركة من الاستثمارات للاعوام العشرة القادمة ما يبلغ مقداره ٣٠٠ مليون دولار وذلك لشراء ٢٣ قطعة بحرية جديدة ، منها ٣ ناقلات بترول ضخمة تبلغ حمولة احداها ٣٠٠ الف طن ، وحمولة كل من الاخريين ٢٥٠ الف طن ، علاوة على ٨ سفن كبيرة تقدر تكاليفها بحوالي ٩٥ مليون دولار ، وسفينتين بمبلغ ١٠ ملايين دولار ، و ١٢ سفينة من حاملات العبوات لنقل البضائع بقدر ثمنها بحوالي ١٢٠ مليون دولار ، وهذا النوع من السفن ــ حاملة العبوات ــ هو احدث انواع بواخر الشحن واكثرها وفرا في الوقت اللازم للشحن والتفريغ .

بذلك ، ومع نهاية عشر السنوات القادمة ، تأمل اسرائيل ان تصل طاقة اسطولها التجاري الى ٤ ملايين طن موزعة على ١٧٠ سفينة . هذا وقد يبدو للوهلة الاولى ان مصالح اسرائيل التجارية المارة بالبحر الاحمر ضئيلة او قليلة الاهمية اذا ما قورنت بتجارتها الكلية ، الا ان الدراسة المتعمقة للتحولات الصناعية والانتاجية في اسرائيل ، وتطلعاتها التجارية تكشف بوضوح انها تخطط جاهدة لكي يكون البحر الاحمر شريانها البحري الحيوي لتصدير سلعها المصنعة ونصف المصنعة ، ولاستيراد المواد الخام التي تحتاج اليها . وليس ثمة شك في ان شرق وجنوب افريقيا ياتيان في المقام الاول بالنسبة لتجارتها المستقبلة عبر هذا المضيق. وتكفي للدلالة على ذلك مجرد الاشارة الى ان الدولة الاولى والدولة الثالثة المتصدرتين لتجارة اسرائيل مع افريقيا هما اتحاد جنوب افريقيا واثيوبيا على الترتيب .

ورغما عن الاهمية القصوى التي تضفيها اسرائيل على علاقاتها الاقتصادية الحالية والمستقبلية مع هاتين الدولتين ، الا ان هذه المصالح ــ وهي تشكل في حد ذاتها هدفا حيويا ــ تعتبر في الوقت نفسه وسيلة نحو هدف اشمل ، وهو دعم علاقات

اسرائيل السياسية مع دول افريقيا ، وجنوب اسيا منذ نشأتها — وما زالت تزعم — انها واحدة من دول العالم الثالث وحاولت — وما زالت تحاول — التركيز بضغط دولي صهيوني على دول معينة ذات تأثير داخل هذه المجموعة من الدول . ولا شك ان هذه المحاولات المضنية التي تبذلها اسرائيل لكسب تأييد تانزانيا والهند والصين الى صفها هي محاولات تهدف اساسا الى اعتراف هذه الدول وغيرها باسرائيل كدولة نامية تواجه آلام وآمال هذه الدول نفسها، فتحظى بتأييدها وتعاطفها معا ، وتتخطى بذلك الحصار السياسي العربي ، وتكثف الضغط الدولي ضد استمرار « الرفض العربي لوجودها » .

واي نجاح تحرزه اسرائيل في هذا السبيل هو في حقيقة أمره تدعيم لاستراتيجيتها العسكرية والاقتصادية لانه يجعل من كل ميناء جديدة تصل اليها البحرية او الصادرات الاسرائيلية قاعدة جديدة ومنطلق وثوب نحو مراكز ارتكاز ابعد سواء لمصالحها او للمصالح الغربية المرتبطة بها .

وتأتي المصالح البترولية الضخمة في منطقة الشرق الاوسط ، اذ يبلغ مجمل استثمارات الولايات المتحدة وحدها في مجال التنقيب عن البترول واستخراجه في الشرق الاوسط حوالي خمسة بلايين دولار ، كما يقدر العائد السنوي بحوالي بليوني دولار(٩). ومن جهة اخرى تحصل اوروبا الغربية على ٩٠ في المائة من حاجتها من النفط من ناتج هذه المنطقة التي يزيد الاحتياطي المحقق فيها على ثلثي احتياطي البترول في العالم كله .

ولا شك ان اهتمام دول الغرب الرأسمالية بهذه المنطقة ، وحرصها الدائم على سلامة مصالحها فيها ، قد تضاعف في السنين الاخيرة بتزايد الوجود السوفيتي في المحيط الهندي ، وما ترتب عليه من ازعاج وقلق شديد للدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية . ويضاف الى ما سبق تصور رجال السياسة والاقتصاد الغربيين والاسرائيليين على حد سواء **لاستراتيجية الصين** الشعبية ، وحتمية امتدادها قربا ، سعيا وراء اكتساب اسواق جديدة، ومراكز لتأمين مواصلاتها، ونشر ايديولوجيتها . ومن الامور المؤكدة انه لا الغرب ولا اسرائيل بالتبعية — ينظر بعين الارتياح الى علاقات جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية بالصين الشعبية . ومن الادلة الواضحة على ان الدول الغربية — واسرائيل — تخشى ان يصير للصين قدم ثابتة في هذه المنطقة الحساسة من العالم ما يبذله الغرب من ضغوط على تانزانيا .

ومن جهة اخرى ، يهتم الغرب بالدرجة الاولى بسلامة طرق المواصلات البحرية التي تعتمد عليها اكثر من ثلاثة ارباع تجارة اليابان مع العالم الخارجي ، اذ وصلت قيمة صادرات اليابان الى الدول المارة ... أو المنتهية بهذا الطريق البحري اكثر من ٩٠٠٠ مليون دولار سنويا . ولا جدال في ان التقدم الصناعي والتكنولوجي لليابان هو احد الاصول التي يستند اليها رجال السياسة في الغرب في رسم الاستراتيجية السياسية تجاه كل من الصين والاتحاد السوفيتي .

وتحت ظل هذه الظروف تجد الولايات المتحدة الامريكية صعوبة واضحة في محاولاتها لتأمين البحر الاحمر ، اذ لم تعد قادرة على أن تكسب **لاسطولها** او طائراتها قواعد على الجزء الاكبر من سواحل البحر الاحمر ، التي تقع اغلبها داخل حدود عربية او صومالية ، لن تسمح لامنها ان تهدده قواعد عسكرية امريكية .

وعلى ذلك فلا يبقى أمام الولايات المتحدة سوى شواطىء اثيوبيا ، التي تستطيع اسرائيل تحت ستار الدعوى بالتعاون الاثيوبي الاسرائيلي ان تستخدمه لتأمين مدخل البحر الاحمر الجنوبي ، فتعفى حكومة اثيوبيا من غضبة الدول الافريقية ، التي اكدت في مواثيقها وسياساتها رفض سياسة الاحلاف والقواعد .

ولقد توفر لمصر بفضل قيام اتحاد الجمهوريات العربية اخيرا دعم استراتيجي بالغ الاهمية . وتتضح هذه الخطورة من عرضنا للمصالح الاسرائيلية والغربية في البحر الاحمر ، وتدرك اسرائيل من واقع سجل تجاربها مع البحرية المصرية انها امام سلاح يستطيع ان يعمل بكفاءة وتأثير ضد خطوطها الملاحية في عمق البحر الاحمر ، فيشكل في الوقت الحاسم خطرا محققا على خطوط مواصلاتها ، وخاصة اذا ما عملت القطع البحرية المصرية من قواعد تخرج عن مدى الطيران الاسرائيلي البعيد وبذلك تكتسب مرونة استراتيجية مفيدة، ويحقق للقطع العربية في الوقت نفسه الامن والرقابة من خطر الضربات الجوية المفاجئة فتتفرغ لاداء مهامها التعرضية ... بفاعلية وكفاءة عالية . وازاء هذه الاخطار الواضحة خططت اسرائيل

لتعمل في اكثر من جبهة بفرض حرمان البحرية المصرية من هذه المزايا . وهي لا تترك فرصة — كما اكدت تحركات بارليف خلال زيارته الاخيرة لاثيوبيا — الا وانتهزتها لتستطلع امكانية استخدام اية موانىء او جزر في عمق البحر الاحمر، لتوفر لها نقاط ارتكاز وقواعد امامية تسمح بوجود قوة بحرية او جوية في جنوب البحر .

مما سبق يمكن ان نجمل ابعاد الاستراتيجية الاسرائيلية في البحر الاحمر بعد جولة ١٩٦٧ فيما يلي :

١ — حماية تجارة اسرائيل والغرب مع دول شرق وجنوب افريقيا وكذا جنوب آسيا والشرق الاقصى .

٢ — تأمين ملاحة ناقلات البترول وانعاش الموانىء ونقاط الاستقبال ، ومرور النفط وتكريره واعادة تصديره .

٣ — توفير الوجود للولايات المتحدة الامريكية في البحر الاحمر لمواجهة الوجود السوفيتي المتزايد فيه وفي المحيط الهندي ، وكذا احتمالات المدالصيني في العالم وخاصة مع دخول الصين الشعبية في مجال التأثير — المعترف به من واشنطن — في السياسة العالمية .

٤ — كسر طوق الحصار السياسي العربي المفروض على اسرائيل وانفتاحها على دول افريقيا وجنوب آسيا والشرق الاقصى .

ان احباط مساعي اسرائيل في كل هذه المجالات يقع بالدرجة الاولى على العرب جميعا ، شأنه في ذلك شأن مجابهتنا لبقية اطماع اسرائيل واستراتيجيتها العدوانية . وكما تقوم مصر بحمل العبء الاكبر من المسؤولية العسكرية في هذا الميدان ، بمضاعفة الوجود العسكري العربي في البحر الاحمر والتصدي لمحاولة اسرائيل احتلال بعض الجزر العربية — بمواجهة الساحل اليمني . فهي تتحمل ايضا العبء الاوفر من المسؤولية السياسية بسبب تشعب علاقاتها الخارجية ،وثقلها الدولي ، وكذا رصيدها السياسي بين اعضاء المجموعة الافريقية ... وكلها مسؤوليات جسيمة تحتم على مصر ان تبذل دبلوماسيتها اقصى الجهد لمنع اسرائيل من تحقيق استراتيجيتها في البحر الاحمر .

---

١ — مجلة « التايم » الاميركية ١٩٧٣/٣/١٩ .

٢ — « الكورال سي » سفينة ناقلة حمولتها حوالي ٨٥ الف طن من الزيت ، ويعمل فيها حوالي ٤٠ بحارا ، وتشتغل على خط أيلات — خارج (الخليج العربي) . وجه لها فدائيو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين خمسة صواريخ الى الشمال من جزيرة البريم بتاريخ ١٩٧١/٦/١١ .

٣ — أكد ذلك وفد الهيئة التنفيذية للاتحاد العام لطلبة ارتريا الذي زار بيروت مؤخرا في مؤتمر صحفي عقده الوفد يوم الاثنين ١٩٧٣/٣/٢٦ في مقر اتحاد طلبة جامعة بيروت العربية .

٤ — ابتدأ العمل لبناء هذا الانبوب الكبير في تموز ١٩٦٨ ، وقد القيت مهام تنفيذ المشروع على الشركتين الاسرائيليتين ، « سولل بونه » و « ماركوردت » ، الاولى تحفر الترعة ، والثانية تمد الانابيب ، ١٦٠ ميلا عبر ايلات ، على رأس خليج العقبة ، شمالا من البحر الاحمر ، الى عسقلان على المتوسط ، ويبلغ قطر هذه الانابيب ٤٢ بوصة (١٠٥ سم) وينقل هذا الجسر الاسرائيلي البري بين بحر وبحر ، النفط من اقاصي الجنوب الى البحر الابيض المتوسط ، وبعد اغلاق القناة ، صار اقصر طريق بين اوروبا والشرق الاقصى .

٥ — ها آرتس الاسرائيلية ١٩٧١/١/٣١ .

٦ — ها آرتس الاسرائيلية ١٩٧١/١/٣١ .

٧ — ذكرت ذلك صحيفة « معاريف » الاسرائيلية في شهر شباط ١٩٧١ ، نقلا عن مدير شركة « ترانس آسياتيك اويل » .

٨ — انظر صحيفة « داغار » في ٧ كانون الثاني ١٩٧١ .

٩ — مصدر هذا الرقم لا يمكن اتهامه ضد الولايات المتحدة لان هذا المصدر هو كتاب الاحصائيات الامريكي لسنة ١٩٧٠ =
Statistical Abstract of U.S.A. 1970

انبوب نفط ايلات ــ عسقلان وتطــور استخدامــه

الدكتور سعيد حمود

بعــد اغلاق قنــاة السويس ، فكرت الحكومــة الاسرائيلية في انشاء انبوب لنقل النفط يمتد مــن ايلات على البحر الاحمر الى عسقلان على البحر الابيض المتوسط ، يقطع اسرائيل ويكون طوله ١٦٠ ميلا (٢٥٤ كلم) وقطره ٤٢ انشا ، ويكون مصمما لحمل خمسة انواع مختلفة من الزيت الخام تضخ كل منها تلو الاخرى ، وتبلغ تكاليف انشائه ١١٣ مليون دولار .

لم يكن الهدف من انشاء وتنفيذ هذا المشروع بالاصل هدفا تجاريا ، بل كان هدفا سياسيا بحتا ، الا وهو التقليل من اهمية قناة السويس ومن الضغوط على اسرائيل لفتحها . حتى ان كبار الممولين ، وخاصة المالي الكبير رونشايلد ، قد عزفوا عن تمويل هذا المشروع لانهم لم يروا فيه اية امكانية للربح . لكن الحكومة الاسرائيلية استطاعت اقناع بعض الممولين بتمويل جزء صغير من المشروع وقامت هي بتمويل الجزء الاكبر منه .

لقد صمم المشروع بحيث ينقل الانبوب في الاساس ١٩ ــ ٢٠ مليون طن في السنة (أي ٣٨٠،٠٠٠ ــ ٤٠٠،٠٠٠ برميل يوميا) ، مع العلم بانه يتوجب نقل ٢٥ مليون طن بالسنة لكي تستعيد اسرائيــل نفقات المشروع السنوية ولا تقع تحت خسارة . لكن يمكن زيادة طاقة الانبوب الى الحد الاقصى وهو ٦٠ مليون طن سنويا (أي ١،٢ مليون برميل يوميا) بمساعدة محطات ضخ اضافية .

لقد تم انشاء انبوب ايلات ــ عسقلان وتدفق النفط فيه بسعة ٤٠٠،٠٠٠ برميل يوميا في شهر شباط ١٩٧٠ . ويدعي الاسرائيليون ان لديهم عقودا تغطي ســعة البرميــل الاساسية ، اي ٢٠ مليون طــن بالسنة(١). هذا ، وقد احاطت الحكومة الاسرائيلية تفاصيل المشروع وخــط سيره وعلوه في صحراء النقب ومصادر تمويله وهوية الناقلات التي تنقــل النفط اليه ثم هوية ووجهة الناقــلات التي تنقل النفط مــن مصب الانبوب الى اوروبا ، بالسرية التامة ، واعتبرت المعلومات المتعلقة بهذه الامور من ضمن معلومات « الامن القومي » . وقد جاء في مجلة "Petroleum Intelligence Weekly" ما يلي :(٢) « بموجــب القانون يمنع نشر ايــة معلومات عن الناقلات التي تدخل الى الموانــىء الاسرائيلية وتخرج منها ، الا في حال الحصول على تصريح من وزارة المالية ، بما ان انبوب نقل النفط الخام قد بدأ بالعمل » .

وسوف تقوم اسرائيــل بتوسيع اسطول ناقلاتهــا ليصبح ١٩ ناقلة ، من بينها ثلاث ناقلات عملاقــة سيجري بناؤها في احواض « روتردام » . وتأمل اسرائيل ان تتمكــن بواسطة هذا الاسطول مــن الناقلات ان تنقل النفط من مصادره شرقي السويس الى ايلات ثم من المصفاة التي تبنيها في عسقلان الى وجهته في اوروبا . وهكذا تتولى اسرائيل عمليــة شحن متكاملة .

والسؤال الكبير الذي يهمنا في هذه المذكرة ليس تفاصيل المشروع ومصادر تمويله بل مصادر تموينه بالنفط . وقد طرح هذا السؤال بشكلين : الشكل الاول طرحته مجلة "Petroleum Times" في عددها الصادر بتاريخ ١٧ كانون الثاني ١٩٧٠ وهو : من سيستعمل انبوب ايلات ــ عسقلان ؟ أما الشكل الثاني فقد طرحته مجلة "Petroleum Service Press" في عددها الصادر في نيسان ١٩٧٠ ، وهو « ان امكانية تغطية ٢٠ مليون طن سنويا تبدو بعيدة في الوضع الحاضر فكيف بتغطية ٦٠ مليون سنويا ؟ » .

مصادر النفط الخام :

لم ينصح الرسميون الاسرائيليون عن مصادر النفط الحالية او المتوقعة والتي ستنقل نفطها عبر انبوب ايلات ــ عسقلان . لكن من المعروف ان ايران هي المصدر الرئيسي لذلك النفط . اما المصدر الاخر والثانوي بالنسبة لايران فهو البترول الذي تضخه اسرائيل من سيناء المحتلة . واذا انتقلنا الى تقدير الكميات التي قد تشحن من ايران بالاضافة الى الكمية المسروقة من سيناء نجد ما يلي :

هناك ثلاثة مصادر للنفط الايراني وهي الشركــات العالمية الكبرى صاحبة الامتيازات النفطية ، وشركة الزيت الايرانية الوطنية ، وشركات النفط الصغيرة

١ ــ Middle East Economic Survey, Vol. XIII, No. 18, 27 February, 1970.

٢ ــ Petroleum Intelligence Weekly, March 23, 1970.

المستقلة التي تتمثل في وكالة « ايركون » Ircon والتي لا مصالح لها في العالم العربي .

كان المعتقد في الاساس انه ليس من المحتمل ان تستعمل شركات النفط العالمية الكبرى انبوب النفط للسببين التاليين : ١ — لن تستفيد هذه الشركات، من الناحية الاقتصادية ، باستخدامها الانبوب الاسرائيلي لان لدى معظم هذه الشركات مصادر وافرة للنفط في المتوسط ، ولانها تنقل نفطها من الشرق الاوسط بواسطة الناقلات العملاقة سعة ٢٠٠،٠٠٠ طن او اكثر ، مما يعطيها افضل تكاليف نقل ممكنة من الخليج الى اوروبا . ٢ — لن تعرض هذه الشركات مصالحها النفطية الضخمة في الدول العربية للخطر الجسيم ، لان ليس هناك سبب وجيه يدعوها لهذه المخاطرة .

أما شركة النفط الوطنية الايرانية فمن المرجح ان تستعمل انبوب ايلات — عسقلان خاصة وان الحكومة الايرانيسة تبذل مجهودا كبيرا لاختراق اسواق اوروبا ، بعد ان اخترقت السوق الامريكية. ان لشركة النفط هذه الحق في الحصول على ٢٠ مليون طن من النفط خلال خمس سنوات من الكونسورتيوم العامل في ايران . كما ان لهذه الشركة بالاشتراك مع شركات اخرى منتوجا سنويا قدره ١٧ مليون طن ارتفع الى ٢٠ مليون طن في نهاية ١٩٧٠ . ان نصف هذه الكمية تعود الى شركة الزيت الوطنية الايرانية . لكن من الصعب القول كم سيباع من اصل هذه الكمية للمستوردين الاوروبيين . فان اسبانيا تأخذ قسما من هذه الكمية ، كما ان قسما اخرا مباع سلفا لبعض البلدان الاسيوية والافريقية .

ان لشركة الزيت الوطنية الايرانية الحق في ضخ ٢٢٥،٠٠٠ برميل يوميا قبل عام ١٩٧٠ وما يزيد على ٣٠٠،٠٠٠ برميل يوميا منذ العام ١٩٧١ . على انه لن ترسل هذه الكمية كلها الى اوروبا عبر اسرائيل ، لان جزءا كبيرا منها ، ١٥٠،٠٠٠ برميل يوميا تقريبا ، ترسل الى اسواق شرق السويس (الهند ، جنوب افريقيا وغيرها) . كما ان دول اوروبا الشرقية ، عدا رومانيا ، ترفض نقل النفط الايراني اليها عبر اسرائيل . هذا ، وتنقل اسرائيل كل نفط رومانيا المشترى من ايران والبالغ ٣١٠،٠٠٠ برميل يوميا عام ١٩٦٩ والذي ارتفع الى ١٠٠،٠٠٠ برميل يوميا عام ١٩٧١ .

تبقى هناك شركات النفط الصغيرة المستقلة التي تعمل في ايران . من المرجح ان هذه الشركات سوف تشحن كل نفطها عبر انبوب ايلات — عسقلان لانها لا تملك مصادر نفط مختلفة وليس لديها حجم من الصادرات يمكنها من استغلال فوائد الناقلات العملاقة . كما ان ليس لبعض هذه الشركات سوى مصالح قليلة وصغيرة في العالم العربي . غير ان كميات النفط التي تنتجها هذه الشركات هي كميات صغيرة .

نفط سيناء :

لقد ضخت اسرائيل عام ١٩٦٩ ، ٢٠٥ مليون طن من حقول النفط المصرية في سيناء ، وقد زادت كمية هذا الضخ الى ٥ ملايين طن في نهاية العام ١٩٧٠ وبداية العام ١٩٧١ . غير ان قسما من هذا النفط يمر عبر انبوب ايلات — حيفا . وتستهلك اسرائيل حاليا ٤٠٥ مليون طن سنويا من النفط المصري وتصدر الباقي .

رفع درجة استخدام الانبوب :

يدل التحليل السابق على انه لا يمكن للمصادر المعروفة التي تشحن نفطها الى اسرائيل عبر اوروبا ان تسد سعة اسرائيل السنوية الاساسية، اي ٢٠ مليون طن ، الا بصعوبة . اما سد سعة الـ ٤٠ مليون طن سنويا فتبدو خارج مقدرة هذه المصادر الانتاجية تماما .

هذا هو وضع اسرائيل الطبيعي في الظروف العادية المتعلقة بنقل البترول الخام عبر اسرائيل . غير ان اشياء غير طبيعية اخذت تحدث في الجانب الاسرائيلي . فخلال أشهر معدودة بعد بدء العمل في مشروع ايلات — عسقلان ، وخلافا لتوقعات الدوائر والجهات البترولية المطلعة ولتوقعات كل المراقبين ، قامت اسرائيل باضافة محطة ضخ الى المشروع وبزيادة درجة استخدام الانبوب المذكور من ٢٠ مليون طن سنويا الى اربعين مليون طن سنويا خلال النصف الاول من سنة ١٩٧٠ ، وبالتحديد بين شباط واخر ايار ١٩٧٠ . ثم قررت خلال الاسبوع الاول من حزيران ١٩٧٠ زيادة استخدام الانبوب الى درجته القصوى ، اي ٦٠ مليون طن سنويا . كل هذا يثير الشكوك والريبة ، فما الذي حدث ودفع اسرائيل خلال اشهر من تحويل مشروع سياسي المنطلق الى مشروع اقتصادي هائل ؟

في ١ حزيران جاء في مجلة "Petroleum Intelligence Weekly" (عدد حزيران ١٩٧٠)

ما يلي : « لقد ضاعفت اسرائيل درجة استخدام انبوبها من النفط الخام بتركيب محطة ضخ جديدة في النقب . وقد اصبحت سعة الانبوب الذي يمتد من ايلات في خليج العقبة الى عسقلان على المتوسط ٨٠٠،٠٠٠ برميل يوميا . ومن المحتمل تأجيل اضافة مضخة اخرى تزيد سعة الانبوب الى اقصاها ؛ اي ١،٢ مليون برميل يوميا بضعة سنين ، حسب قول المصادر في تل ابيب ، وذلك بانتظار ناقلات النفط التي اوحي عليها من اليابان » .

ولم يمض اسبوع على ذلك التصريح حتى جاء في المجلة نفسها عدد ٨ حزيران ١٩٧٠ ما يلي : « اسرائيل : لقد بدأ العمل على زيادة سعة انبوب نفط ايلات ـ عسقلان الى حدها الاقصى الى ١،٢ مليون برميل يوميا بحيث تبلغ سعة الانبوب اقصاها في نهاية ١٩٧٠ او بداية ١٩٧١ ، وذلك طبقا لتصريح الشركة التي بنت الانبوب والذي نشره معهد البترول الاسرائيلي . وقد جرى مؤخرا مضاعفة السعة الى ٨٠٠،٠٠٠ برميل يوميا عن طريق انشاء مضخة جديدة في النقب . ويقول المعهد ان مضخة اضافية سوف تركب وان قسما من المعدات التي اوصي عليها من سويسرا ، في طريقه الان الى اسرائيل . وفي هذه الاثناء يجري العمل على انشاء المضخة الجديدة » .

نفط من سيستخدم الانبوب بطاقته القصوى ؟

لو عدنا الان لمراجعة جميع مصادر النفط التي يمكن ان ينقل نفطها عبر انبوب ايلات ـ عسقلان لوجدنا ان كميات البترول التي يمكن ان ترسلها الى اسواق اوروبا عبر اسرائيل لا تزيد في اقصاها على ٢٥ مليون طن سنويا . وحتى لو ارسلت شركة الزيت الوطنية الايرانية كل انتاجها لعام ١٩٧١ والبالغ ٣٠٠،٠٠٠ برميل ، وارسلت الشركات الصغيرة المستقلة ما تنتجه (وهو لا يوازي انتاج الشركة الايرانية) بالاضافة الى البترول المسروق من سيناء ، لا تصل هذه الكميات معا الى نصف السعة القصوى لانبوب ايلات ـ عسقلان والبالغة ١،٢٠٠،٠٠٠ برميل يوميا . هذه الحقائق تفرض استنتاجا واحدا ، الا وهو ان مصدرا كبيرا جدا للنفط قد قرر ان ينقل بتروله الى اوروبا عبر اسرائيل ، او على الاقل ان الذين يشترون بترول بلد غني بالبترول قد عقدوا صفقة مع اسرائيل لنقل بترولهم عبر خط ايلات ـ عسقلان .

وهنالك الكثير من الدلائل التي تشير الى ان هذه الصفقة قد جرت خلال شهري نيسان وايار ، ومن المرجح ان تكون قد ابرمت بعد ١ حزيران ١٩٧٠ . وهكذا فان احد افتراضين (او مزيجا من الافتراضين) يفرض نفسه :

(١) ان بلدا غير ايران ، أصبح المصدر المباشر او غير المباشر للبترول الذي سينقل عبر اسرائيل والذي مكنها من تغيير مخططاتها وتوقعاتها حول الانبوب من سنين الى اشهر قليلة ، ومن مشروع سياسي الهدف الى مشروع اقتصادي حي ، وذلك خلال اسابيع قليلة سبقت ١٩٧٠/٦/٨ .

(٢) ان ايران بالذات وبالتخصيص الشركات الكبرى العاملة فيها والتي لها مصالح ضخمة في البلدان العربية ، قررت الدخول في علاقة سرية مموهة ايضا مع اسرائيل تمكنها من استخدام الانبوب الاسرائيلي دون خشية ردود الفعل العربية بسبب احتمائها بالسرية التي توفرها العلاقة المثلثة الجوانب .

مهما يكن من أمر ، وسواء اجاء التفسير في الافتراض الاول او الثاني ، او الافتراضين معا ، فان مقادير ضخمة من النفط ستنساب قريبا في الانبوب الاسرائيلي وهي مقادير لم تكن متوفرة قبلا ، اذ لم يكن منتجوها يجرأون على ذلك .

نفط من سيسمح باستخدام الانبوب بطاقته القصوى ؟

متى تمت الاجابة ، لا بد من التحرك الصارم ضد مخالفي احكام المقاطعة العربية والا خسرت التهديدات العربية البقية الباقية من قابليتها للتصديق خسارة نهائية .

لماذا قامت السلطات الاسرائيلية باصدار تصريحات حول توسيعات هائلة في مشروع انبوب نفط ايلات ـ عسقلان سنة ١٩٧٠ و ١٩٧١ ؟

السبب الاول هو تعطل خط التابلاين في ايار سنة ١٩٧٠ وتوقع ان يستمر هذا التعطل طويلا . والسبب الثاني هو ارتفاع ثمن استئجار ناقلات البترول سنة ١٩٧٠ والواضح من الجدول التالي حول ثمن الاستئجار للرحلة الواحدة لسنة ١٩٧٠ : كانون الثاني ١١٥ ، شباط ١٢٠ ، اذار ١٣٠ ، نيسان ١٣٢ ، ايار ١٢٩ ، حزيران ١٧٦ ، تموز ٢١٣ ، اب ٢١٤ ، ايلول ٢٥٢ ، تشرين الاول ٢٨٩ ، تشرين الثاني ٢٨٥ .

هذا الارتفاع حسبما أملت اسرائيل سيغري شركات

البترول على استخدام انبوب نفط ايلات — عسقلان .

ولكن عند الاطلاع على التقارير الحديثة الصادرة في المجلات Petroleum Intelligence Weekly و Petroleum Service Press والتي يمكن تلخيصها في الجدول التالي :

درجة استخدام الانبوب السنوية :

١٩٧٠ ١١ مليون طن . ١٩٧١ ١٩ مليون طن .
١٩٧٢ النصف الاول ١٢ مليون طن .

نلاحظ ان توقعات اسرائيل برفع درجة استخدام الانبوب السنوية الى ٤٠ مليون طن قد فشلت ، لماذا ؟ السبب الاول . العودة الى استخدام خط التابلاين بعد اصلاحه وذلك في اذار سنة ١٩٧١ . والسبب الثاني هو الانخفاض المفاجيء الذي طرأ على ثمن استئجار ناقلات البترول والواضح من الجدول التالي :

ثمن الاستئجار للرحلة الواحدة

	سنة ١٩٧١	سنة ١٩٧٢
كانون الثاني	٢٠٢	٨٤
شباط	١٦٣	٦٨
اذار	١٤٧	٥٦

والسبب الثالث وهو ان معظم ناقلات البترول ترفض التعامل مع اسرائيل خوفا من مقاطعة الدول العربية لها . لذلك ، فعلى اسرائيل ان تستخدم ناقلات اسرائيلية . وبالفعل فان لدى اسرائيل حوالي ٢٨ ناقلة بترول وشراء هذه الناقلات قلل من ارباح اسرائيل المتوقعة .

والسبب الرابع والاهم . وهو ان اسرائيل لم تستطع ان تقنع **شركات النفط الكبيرة ، باستخدام** انبوب نفط ايلات — عسقلان وذلك لان هذه الشركات تريد المحافظة على مصالحها في الاراضي العربية . هذا وتعتبر سيناء من احد مصادر البترول الهامة اذ انه تم استخدام ٦ ملايين طن من بترول سيناء سنة ١٩٧١ .

والسبب الخامس وهو صعوبة ايجاد الاسواق في الخارج لشراء البترول الاسرائيلي ومن المعروف ان رومانيا هي الدولة الاشتراكية الوحيدة التي تستورد البترول الاسرائيلي . وذلك لان معظم الاسواق في الخارج تسيطر عليها شركات البترول الكبيرة .

وبالرغم من جميع الحقائق السابقة فان اسرائيل ما زالت تتكلم عن التوسعات في هذا المشروع .

ففي حزيران ١٩٧٢ صدر تقرير عن توقيع عقد لبناء تجهيزات لنقل البترول الى الناقلات الكبيرة مما يؤدي الى زيادة مقدرة الانبوب الى ٦٠٠،٠٠٠ برميل يوميا .

ولكن هنالك تصريحا اخر صدر في اب ١٩٧٢ وهو بلسان مدير ادارة خط نفط ايلات — عسقلان ويقول فيه ان الشركة لم تحصل على ارباح كبيرة لسنة ١٩٧٢ بسبب المنافسة الناتجة عن انخفاض اسعار استئجار ناقلات البترول .

شـــهريات

(١) القضية الفلســطينية دوليا

المضاعفات الدولية للعملية الاسرائيلية في بيروت :

وجهت اجهزة المقاومة بعد الانزال الاسرائيلي اتهاما مباشرا للولايات المتحدة مشيرة الى الدور الذي لعبته سفارتها ومخابراتها في الاعداد والتنفيذ لهذه العملية . وقد ذهبت بعض المصادر الى حد اعطاء تفصيلات عن لجوء بعض المشتركين في الاعتداء الى السفارة الامريكية ، ثم نقلهم علـى متن الطائرة الحربية الامريكية التـي تقوم عادة باستبـدال الحراسة الخاصة بالسفارة .

وقد أثارت هـذه التصريحات والحملة العربيـة الواسعة الداعية لضرب مصالح الولايات المتحدة ، حفيظة الاوساط الرسمية الامريكيـة التي ردت بانفعال معتبرة ان « هذا الاتهام الاثيم » على حد تعبيرها يهدد مصالحها وحيـاة ديبلوماسييهـا في المنطقة . واستدعى وليام روجرز يوم ٤/١٢ سفراء ورؤساء بعثات ١٢ دولة عربية (بالاضافة الـى موريتانيا) في واشنطن لتبليغ احتجاج حكومته على هذه الحملة . ولم تلبث الادارة الامريكية ان طلبت من الدول العربية ايقاف الاذاعات الفلسطينية فيها عن البث،كما طلبت من مصر بالذات وقف مساعدتها لحركة فتح التي يعتبرها الامريكيون وراء عمليات أيلول الاسود .وقد رفضت الدول العربية المعنية هذين الطلبين .

وبالرغم من النفي المتكرر ، جاءت تصريحات ودلائل عدة تشير الى التنسيـق بين الولايات المتحـدة واسرائيل في محـاربة ما يسمونـه بالارهـاب الفلسطيني . فنشرت جـريدة الديلي اكسبـرس اللندنية مقالا نقلت بعضه اذاعة اسرائيل بالعبرية [نشرة الرصد ٤/١١] جاء فيه « ان الرئيس نيكسون أمر بعد عمليـة الخرطوم بالعمل ضـد الارهاب ، وهنا بدأ تعاون بين وكالة الاستخبارات الامريكية والموسـاد الاسرائيلية » . كما اشارت جريدة برافدا السوفياتية في اليوم التالي الى ان وكالات استخبارات بعض الدول ساعدت الجيش الاسرائيلي على تنفيذ حملته على لبنان .

وقد رافق **التورط** الامريكـي في العملية **توريطـا** اوروبيا . فقد كان بعض العملاء الاسرائيليين الذين وصلوا بيروت في الايام الاولى من نيسان ثم اختفوا بعدها يحملون جوازات سفر بريطانية والمانيـة وبلجيكية تبين انها مزورة . وقـد احتجت الدول المعنية لدى اسرائيل على « هذا الخرق للاعراف الدولية » . واعتمدت بريطانيا اعطاء احتجاجها دعاية واسعة [لوموند ٤/١٩] .

وحفاظا على التقاليد ، اجتمع مجلس الامن لهيئة الامم المتحدة لبحث الشكوى اللبنانية ـــ العربية ضد اسرائيل . وكانت النوايا تتجه (لدى الدول العربية والاشتراكيـة) لاستصدار قـرار عنيف اللهجة يهدد باتخاذ اجراءات رادعة . وقد ذهب جاكوب ماليك ، المندوب السوفياتي ، الى القول انه مستعد لتأيد مشروع قرار يقضي بتطبيق عقوبات اقتصادية على اسرائيل وحتى بطردها من الامـم المتحدة [لوموند ٤/١٥] . الا انه ظهر منذ الساعات الاولـى لانعقاد المجلس ان المنـدوب الامريكي لن يتوانى عن استعمال الفيتو ضد اي قرار لا يدين ـــ على حد تعبيره ـــ بنفس الشدة اعمال العنف الفلسطينية . وتقدمت في ٤/١٩ كل من فرنسا وبريطانيا بمشروع قرار مخفف يستنكـر الاعتداء ويدعو اسرائيل الى الامتناع عن مثل هذه الاعمال وينذرها باجراءات اشد اذا هي استمرت في ذلـك . ووصف المندوب البريطاني في كلمتـه العملية الاسرائيلية بأنها « عمل عنف لا يمكـن تبريره بموجب الميثاق مهما تكن الظروف » ... مضيفا انه « يجب ان نظهر لمئات الالاف من اللاجئين في الاردن وسـوريا ولبنان وغزة وفي كل مكان ان العالم لم ينسهم . ويجب ان نأخذ علما بأمانيهم

المشروعة ونعمل من اجل تحقيق تلك الاماني التي لا يجب تجاهلها في اية تسوية نهائية » .

وعلى اثر هذا الموقف اعربت اسرائيل عن طريق سفيرها في لندن عن « قلقها الشديد » [النهار ٤/١٩] ، مما حدا بالسفير البريطاني في اسرائيل الى الاعلان في احد الاجتماعات عن وجود خلافات محدودة في وجهات النظر السياسية لا تمنع بريطانيا من « الموافقة على مطالب اسرائيل الاساسية » . ووضح السفير وجهة نظره قائلا « ان الولايات المتحدة هي الجانب الذي يملك افضل الامكانات لمساعدة الدول ذات العلاقة المباشرة بالنزاع للتوصل الى مفاوضات. وبريطانيا تعتقد بأنه يتوجب على اوروبا في هذه المرحلة الا تمسك بزمام المبادرة لتسوية النزاع . وهذا رأينا في المناقشات التي جرت في الامم المتحدة في اعقاب عملية الجيش الاسرائيلي في بيروت على الرغم من ان بعض المراسلين قد زيفوا اقوال مندوبنا » [رصد اذاعة اسرائيل ٤/٢٦] .

وتكلم المندوب الفرنسي مدينا الهجوم بصفته «تعرضا غير مقبول لسيادة الدولة اللبنانية التي **تقوم بجهد مشكور للحفاظ على بعض الاستقرار والتوازن** في منطقة يجري فيها منذ وقت طويل صراع بالغ الخطورة » . وبعد ادانة عنيفة لعمليات الخرطوم وتعرض التي اعتبرها مسيئة للقضية الفلسطينية ، اضاف « لكن من الضروري التمييز بين الارهاب الفلسطيني الذي تقوم به عناصر لا يمكن السيطرة عليها وان تكن نابعة من حركات سياسية علنية ، والارهاب الاسرائيلي المضاد الذي **تنظمه وتشرف** عليه دولة تعترف بها الاسرة الدولية وعضو في الامم المتحدة ... » [النهار ٤/١٩] .

وجدد المندوب الصيني ادانته بعنف لاسرائيل وتضامن بلده مع الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الاخرى ، وتكلم ممثلو كينيا والهند وبيرو وبنما ويوغوسلافيا وغينيا — على درجات متفاوتة — باتجاه ادانة العملية الاسرائيلية .

الا ان الخوف من الفيتو الامريكي والتلويح بامكانية عدم استعماله اذا اجريت بعض التعديلات ، دفعت الدولتين الاوروبيتين الى ادخال وقبول عدة تعديلات اسقطت « التحذير باتخاذ الاجراءات » وخففت الى حد بعيد من لهجة مشروع القرار مما جعله متشابها وربما اقل حدة من بعض القرارات السابقة . وتضمن المشروع عبارة تشير الى العمليات الفلسطينية بشكل غير مباشر تحت شكل التنديد « بكل اعمال العنف التي **تهدد** حياة الابرياء » مما سمح للمندوب الامريكي بالامتناع عن التصويت (٤/٢١) كما امتنع مندوبو الصين الشعبية والاتحاد السوفياتي وغينيا الذين رأوا ان القرار لا يفرق بشكل كاف بين المعتدي والمعتدى عليه ، بينما صوت الاحد عشر مندوبا الاخرون الى جانب القرار (بمن فيهم المندوب السوداني ، الذي « يمثل الكتلة العربية » في المجلس) .

وقد لقي هذا القرار مصير ما سبقه من قرارات من احتقار من الطرف الاسرائيلي ، فلم يتأخر تكواع عن التعبير عن اهمال اسرائيل للقرار واعتزامها المضي في سياستها « الهجومية للدفاع الذاتي » على حد تعبيره .

وقد تمكنت جمهورية مصر العربية التي شارك وزير خارجيتها في اجتماع المجلس من انتهاز الفرصة لاستصدار قرار اجماعي لعقد جلسة خاصة للمجلس (في مطلع حزيران) للاستماع الى تقرير مفصل من الامين العام للامم المتحدة عن تطورات ما يسمى بقضية الشرق الاوسط منذ حرب ١٩٦٧ ومناقشة عامة للوضع في المنطقة . وعلى أثر هذا القرار ، غادر يارينغ موسكو الى نيويورك في اواخر نيسان للمشاركة في اعداد التقرير . ويبدو ان مصر والاتحاد السوفياتي تنويان الاتجاه نحو تنشيط مهمة يارينغ ودور الامم المتحدة بعد اليأس من الحوار مع امريكا التي تبدو مرتاحة جدا الى الوضع الحالي الذي تسيطر فيه اسرائيل عسكريا على المنطقة وتنتعش القوى المضادة للثورة وتتجه بشراسة نحو ضرب المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية في العالم العربي بشكل عام .

السياسة الامريكية « وقضية » النفط :

تحت عنوان « نبأ من الاسوشيتدبرس — امريكا تضغط على لبنان ليلجم الفدائيين » نشرت جريدة النهار [٤/١٥] :

« علم اليوم (اي ٤/١٤) ان الولايات المتحدة تضغط على لبنان لكي يلجم الفدائيين الفلسطينيين داخل اراضيه . وفهم ان الحكومة الاميركية لا تقبل الرد القائل ان لبنان لا يستطيع فرض قيود اشد على الفدائيين . ومن جهة اخرى تشن وزارة الخارجية حملة علنية ترمي الى اقناع الفلسطينيين بان الولايات المتحدة عالمة « بمصالحهم الشرعية ».

ومن الواضح ان هدف واشنطن هو تهدئة الجماهير العربية التي ابلغها صوت فلسطين ان الولايات المتحدة ساعدت اسرائيل في الاعتداء على لبنان ». ومن جهة اخرى ، كتب المعلق الامريكي جوزف السوب سلسلة مقالات عن مشكلة الطاقة ، تكلم في احداها عن لقاء جرى بينه وبين يتسحاق رابين قبل مغادرة الاخير لمنصبه في واشنطن [رصد اذاعة اسرائيل ٤/٩] . وقال رابين في هذا اللقاء : « ان الولايات المتحدة معرضة لان تكف عن كونها دولة كبرى وذلك بسبب مشكلة الطاقة». واضاف « انكم لا تفكرون ما فيه الكفاية بمشكلة النفط . انني افكر بهذه المشكلة منذ عدة اشهر ... انها اخطر مما تعتقدون عشر مرات .. **ان وريد عنقكم ووريد عنق اوروبا الغربية واليابان يمر اليوم بالخليج الفارسي** ... بيد انكم لا تملكون أية وسائل للدفاع عن هذا الوريد ، ولذا حكم على الولايات المتحدة بأن تكف عن كونها دولة كبرى، الا اذا وجدت الوسائل والطرق لحل المشكلة التي تغاضى الجميع عنها . تمعنوا في الوقائع التي يخبئها المستقبل لانكم ستضطرون لمواجهتها ، وادرسوا هذه الوقائع وآثارها على الدولار الامريكي » وختم السوب حديثه عن اللقاء بالقول « ان هذه كلمات قاسية قالها صديق حميم وحكيم ... كان احد الادمغة الاستراتيجية ذات الفكر الثاقب التي شاهدتها هذه المدينة ، واشنطن » . ومن هذين المقطعين تظهر معالم السياسة الامريكية الحالية :

— دعم مطلق لاسرائيل كقوة ضاربة في المنطقة .

— محاربة المقاومة الفلسطينية كمظهر من مظاهر التحدي العربي للوضع الامريكي — الاسرائيلي .

— الاتجاه نحو حماية مصادر النفط بالسبل الملائمة، وقبل كل شيء بدعم الانظمة المرتبطة بالغرب واستعمالها واستعمال اسرائيل اذا اقتضى الامر للقضاء على أية بذور تمرد شعبي يهدد استمرار تدفق الذهب الاسود نحو الدول الرأسمالية . وتبدو تصريحات رابين تحريضا واضحا للولايات المتحدة للتحرك السريع في المنطقة باتجاه تعميق المكاسب الامبريالية التي تحققت بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وبشكل خاص بعد مجزرة ايلول ١٩٧٠ .

فعلى صعيد الدعم الاسرائيلي ، قال يهودا هيلمان المدير العام لمؤتمر الرؤساء في منظمة زعماء يهود الولايات المتحدة بعد مقابلة نيكسون [رصد اذاعة اسرائيل ٤/٢٠] انه لم « يسمع قط اي رئيس دولة يعمل بعطف كهذا لمصلحة قضية يهودية ...» وتعليقا على تقرير روجرز السنوي امام الكونغرس الذي اشار فيه الى ان « الشرق الاوسط هو المنطقة الوحيدة الباقية من مناطق النزاع المزمن في العالم حيث لا تجري مفاوضات » ، قالت اذاعة اسرائيل في ٤/٢٠ ان موقف روجرز متماثل مع موقف اسرائيل القائل بوجوب البدء باجراء مفاوضات بين الدول العربية واسرائيل وان التسوية الجزئية في قناة السويس بدون اية شروط مسبقة ستكون خطوة اولى للتسوية السلمية . وفي حديث دار حول زيارة غولدا مئير لواشنطن ، قال سيمحا دينيتس السفير الذي حل محل رابين « ان اية جهة امريكية مسؤولة لم تطلب من اسرائيل ان تبدل موقفها او تعيد تخطيط سياستها او تعدلها » [رصد اذاعة اسرائيل ٣/٢٤] . واكد رابين نفسه هذا الدعم المطلق [اذاعة اسرائيل ٤/١٩] قائلا : « بناء على ما اعرفه اليوم ، لن ينقص اسرائيل اسلحة في المستقبل . والدليل على ذلك هو ردود الرئيس نيكسون على طلبات رئيسة الحكومة خلال زيارتها الاخيرة . فقد جرى الحديث عن العام ١٩٧٦ وليس فقط عن ١٩٧٤ ... واعتقد بان اكثر من ٢٠ بالمئة من ميزانية المساعدات الخارجية الامريكية تقدم لاسرائيل » .

ولم تشذ عن النغمة الا اصوات قليلة بين الرسميين الامريكيين ، منها صوت الشيخ وليام فولبرايت الذي طالب في تصريح له بتاريخ ٤/١٥ « بان تتخذ امريكا موقفا حازما جدا من الوضع في الشرق الاوسط » متهما غالبية مجلس الشيوخ المؤيدة لاسرائيل بالحؤول دون ذلك ، وكذلك صوت الشيخ الجديد اللبناني الاصل جيمس ابو رزق الذي طالب باتخاذ موقف اقل تحيزا لاحلال السلام في الشرق الاوسط (النهار ٤/١٨) . وتبقى هذه المواقف طبعا ضمن الاطار العام للايديولوجية المسيطرة .

● على صعيد الموقف من المسألة الفلسطينية ، تركزت السياسة الامريكية على قاعدتين :

أ — محاربة العمل الفدائي والقضاء على اي مظهر مقاوم للشعب الفلسطيني .

ب — التلويح بتفهم امريكا لتطلعات الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة ، بقصد ايجاد اطراف قابلة للدخول في المساومة ، وخلق جو

نفسي عند قطاعات من الشعب الفلسطيني باتجاه توقع الانقاذ من واشنطن .

وعبر المسؤولون الامريكيون عن هذه السياسة المزدوجة مرارا خلال الاسابيع الماضية . ففي التقرير السنوي عن حالة العالم ، دعا نيكسون الى « العمل خطوة خطوة للوصول الى السلام مع دراسة كل جوانب الصراع بما فيها الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني » مضيفا بان «مشكلة الارهاب ... هي مشكلة دولية تتصدى لها الولايات المتحدة بجهد كبير [النهار ٤/٥].فالارهاب (الذي اصبح في العرف الامريكي رديفا للمقاومة) يجب التصدي له ، اما الشعب الفلسطيني (الضائع الوديع) فله **حقوق مشروعة** . ولم يحدد اي من المسؤولين الامريكيين — ابتداء من كبيرهم — ماذا تعني هذه العبارة واين تقع حدود الشرعية في قاموس منتهكي كل القوانين الدولية وحتى الداخلية في الهند الصينية وواترغيت (للمثل لا للحصر) . اما على صعيد السياسة النفطية فقد لخص تقرير وزارة الخارجية الامريكية الذي نشر في ٤/١٩ بعض معالم « ازمة الطاقة » . وجاء في التقرير (النهار ٤/٢٠) :

« في اوائل ١٩٧٢ ، اخذت الحقول الامريكية تنتج النفط بأقصى حد من فعاليتها معلنة بذلك انتهاء حقبة كانت فيها الولايات المتحدة تملك امكان تعويض النقص في موارد العالم من النفط — اكثر العناصر حيوية في صناعة الطاقة العالمية — ... واصبحت اربعة معالم رئيسية ستؤثر بشكل كبير على علاقاتنا الخارجية في العقدين المقبلين ، موضوع قلق في كل الدول الرئيسية المستهلكة للطاقة :

١ — زيادة مثيرة في استهلاك النفط العالمي .

٢ — تركيز متزايد لكميات كبيرة من النفط في عدد صغير من الدول .

٣ — تغير العلاقات بين الدول المنتجة والدول المستهلكة وشركات النفط .

٤ — بروز الولايات المتحدة كدولة مستوردة لكميات متزايدة من النفط » .

ويستنتج التقرير : « نحن الان اكبر دولة مستوردة للنفط في العالم ... اننا نعتقد ان على الولايات المتحدة ان تظهر قدرة على المبادرة في السعي لتجنب وضع قد يفجر تزاحما على مخزون الطاقة بين الدول المستوردة » . وقد لخصت النيويورك تايمز بشكل اكثر وضوحا القلق الامريكي حين اشارت (٤/١٦) الى « ان الصراع حول النفط ربما يشكل بالنسبة الى مجتمعات اوروبا الغربية وامريكا في السبعينات خطرا مماثلا لخطر القوة العسكرية السوفياتية في الاربعينات والخمسينات » .

ومهما تشكلت عند بعض الاوساط العربية من اوهام حول امكانية استخدام النفط كسلاح تهديد ضد الغرب في ظل الاوضاع العربية القائمة ، فان التصريحات الامريكية بالذات تشير الى ثقة كبيرة في امكانيات السيطرة على منابع البترول واستبعاد اي تأثير عربي جدي على السياسة الامريكية في الشرق الاوسط في الظروف الحالية . ومثال على ذلك استخفاف المسؤولين الامريكيين الذي عبرت عنه واشنطن بوست (٤/١٩) بالتهديد السعودي بالحد من زيادة الانتاج ما لم تبدل الولايات المتحدة سياستها المؤيدة لاسرائيل . وكذلك قول روجرز [النهار ٤/٣٠] : «ان اعتماد الولايات المتحدة المتزايد على النفط المستورد لا يعني تغييرا في سياستها تجاه الشرق الاوسط » .

ولا بد من الاشارة هنا الى تطورات المحادثات بين الدول المصدرة للنفط وشركات التسويق . فقد انعقد اجتماع بين الطرفين في فيينا ابتداء من ٤/٢٣ طالبت فيه اللجنة الوزارية الممثلة لمنظمة الدول المصدرة (اوبيك) والمكونة من وزراء نفط ليبيا والعراق والكويت بزيادة قدرها ١١٤١ بالمئة من شركات النفط كتعويض للخسارة التي لحقت بها من جراء تخفيض قيمة الدولار . وجدير بالذكر ان اوبيك تضم ١١ دولة بينها ٧ دول عربية ، وهي ابو ظبي والجزائر والكويت والعراق وليبيا وقطر والسعودية بالاضافة الى اندونيسيا وايران ونيجيريا وفنزويلا. وهذه الدول تزود الغرب بنحو ٨٠ بالمئة من حاجته. ولم يعط اجتماع فيينا اية نتيجة . واعطت دول اوبيك مهلة للشركات ، عادت بعدها فاجتمعت في طرابلس في ٥/٧ لتواجه رفضا جديدا ، دعت بعده الى مؤتمر طارىء للدول الاحدى عشرة يعقد في فيينا ايضا في ٥/٢١ .

● وعلى صعيد السياسة الامريكية ، لفت الانتباه المؤتمر الذي عقده سفراء الولايات المتحدة في الشرق الاوسط وشمال افريقيا وجنوب شرق آسيا . وقد عقد المؤتمر في طهران يومي ٢٣ و ٤/٢٤ برئاسة كينيث رانش وكيل وزارة الخارجية

الامريكية وبحضور جوزف سيسكو ، وجيمس كيوغ المدير الجديد لوكالة الاستخبارات المركزية (علما بان المدير السابق للوكالة هو السفير الحالي في طهران) . وقد علم ان مواضيع البحث دارت حول : الحرب العربية الاسرائيلية المحتملة ، ونشاط الفدائيين ضد الديبلوماسيين الامريكيين ، والنفط العربي والتنافس بين الغرب والشرق في المنطقة واعادة النظر في مشروع روجرز (النهار ٤/٢٥) . وصرح راش اثر المؤتمر (٤/٢٥) بأن الولايات المتحدة « لن تسمح للارهاب ضد الديبلوماسيين الامريكيين في الشرق الاوسط بالتدخل في عملهم الديبلوماسي الطبيعي » . وانها ليست « دولة تخضع للتهديد وستفعل كل شيء لحماية رعاياها قدر المستطاع » . وانها لن « توافق على اية تغييرات في منطقة الخليج عن طريق القوة او الاعمال الهدامة » .

وهذه الكلمات كافية **للايحاء** بالاستراتيجية الحالية لامريكا في الشرق العربي .

مواقف أوروبية : التحرك الايطالي وقصة الميراج الليبية :

● يبدو ان ايطاليا ستلعب في الاشهر المقبلة دورا مميزا بين الدول الاوروبية باتجاه « قضية الشرق الاوسط » . وقد ظهرت بوادر التحرك الايطالي في زيارة وزير خارجيتها جوزيبي ميديتشي لعدد من الدول العربية واسرائيل في الاسابيع الماضية .

وفي ٤/١٩ ، اعلن رئيس الوزراء الايطالي انه قدم خلال لقائه مع نيكسون للاخير مشروعا جديدا لتسوية النزاع ، واستقبله كل من نيكسون وروجرز على حد تعبير وكالات الانباء « باهتمام كبير » .

وفي ٤/٢٣ نشرت جريدة « ال مساجيرو » الايطالية تفصيلات عن هذا المشروع الذي قالت انه بحث بين ميديتشي والمسؤولين العرب والاسرائيليين. وجاء في المقال ان المشروع يقضي بشق قناة جديدة موازية لقناة السويس تشترك في تمويلها ٤٢ دولة برأسمال قدره ٢٨٠٠ مليون دولار . وقد سارعت الاوساط المصرية الى نفي هذه الانباء معتبرة اياها « تلفيقا اسرائيليا سخيفا » نظرا لان مشروعا كهذا سيعني ضمنا رضوخ مصر لاحتلال اسرائيل الدائم لسيناء واغلاقها للقناة الاصلية .

الا ان مصادر مقربة من وزارة الخارجية الايطالية اشارت الى وجود شيء من الصحة في هذا الخبر (النهار ٤/٢٥) ، لكن تفصيلات الصحيفة الايطالية اعتبرت مبالغ فيها . وفي طوكيو ، صرح رئيس الوزراء الايطالي اندريوتي ان « الصحافة اخذت بعض النواحي الفنية على اساس انها المشروع » مضيفا انه من المنطقي اكثر الحديث عن اعادة فتح القناة القائمة بدلا من طرح فكرة شق قناة جديدة [النهار ٤/٢٦] . ونقلت اذاعة اسرائيل (٤/٢٥) نبأ مشابها عن مصدر ايطالي مسؤول ، اشار الى ان السكرتير العام لوزارة الخارجية الايطالية اكتفى خلال زيارته لواشنطن بتقديم فكرة انشاء مجمع شركات دولية لاعادة بناء الاقتصاد المصري المتهدم عند التوصل الى تسوية سلمية في الشرق الاوسط .

● في مطلع شهر نيسان ، اثارت اجهزة الاعلام الاسرائيلية ضجة حول معلومات توفرت لديها عن نقل عدد من طائرات الميراج الفرنسية التي بيعت الى ليبيا الى الاراضي المصرية . واشار المراقبون ان تل ابيب استقت معلوماتها من هيئات استخبارات ترفض اسرائيل الكشف عنها [النهار ٤/٢١] . وذكرت جريدة « فرانس سوار » الفرنسية فيما بعد ان قمرا اصطناعيا امريكيا قام بتصوير الطائرات في القواعد المصرية .

واثارت القوى السياسية والصحف اليمينية في فرنسا هذه القضية مجددا ، مما استدعى نفيا قاطعا من وزير الخارجية الفرنسية الجديد بناء على التأكيدات التي حصل عليها من كل من مصر وليبيا . واشارت الاوساط الحكومية الفرنسية الى ان اسرائيل اثارت هذا الموضوع بسبب موقف فرنسا في مجلس الامن [رصد اذاعة اسرائيل ٤/٢٠] . ولكن المصادر الامريكية اكدت بدورها انتقال الميراج الى مصر ولكنها نفت ان تكون قد سلمت اسرائيل صورا التقطت من الجو تثبت ذلك. وفي اواخر نيسان ، عادت هذه المصادر لتقول ان الطائرات غادرت مصر عائدة الى قواعدها الليبية .

وعلق السفير الاسرائيلي في باريس اشر بن ناتان على العلاقات الفرنسية ـ الاسرائيلية قائلا « ان الحكومة الفرنسية الجديدة لا ترغب الان في تأزيم العلاقات مع اسرائيل الا انه من السابق لاوانه الاعتقاد بان معاملتها لاسرائيل ستتغير » . واضاف « ان فرنسا نشرت بيانا معتدلا بعد حملة بيروت لانها لا ترغب في الدخول في جدل معنا ...

وبومبيدو ... راغب في الحفاظ على العلاقات الودية مع الدول العربية وعدم الظهور بانه يعتمد سياسة معادية لاسرائيل ، [رصد اذاعة اسرائيل ٤/١٦] .

وعن موضوع الطائرات بالتحديد ، قال حاييم هيرتسوغ في الاذاعة الاسرائيلية « انه منذ اليوم الذي جرى فيه الحديث عن بيع طائرات فرنسية الى ليبيا ، كان هنالك افتراض عام بان هذه الطائرات اعدت في الواقع لمصر » واعتبر هيرتسوغ ان طائرات الميراج ليس باستطاعتها حل المشكلة التي يواجهها المصريون تجاه سلاح الجو الاسرائيلي .

وهذه الحملة الاعلامية الاسرائيلية كالحملات المشابهة التي تنظم على نطاق واسع تغطي اذا اهدافا سياسية آنية لا بد من دراستها وكشفها لمواجهتها .

بيان اللجنة الاسقفية الفرنسية حول اليهود :

في ١٧ نيسان اصدرت اللجنة الاسقفية الفرنسية التي تضم اساقفة الكنيسة الكاثوليكية في فرنسا بيانا بمناسبة عيد الفصح اليهودي جاء فيه « ان الضمير العالمي لا يمكن ان يحرم الشعب اليهودي من حق الوجود السياسي الخاص ووسائله كما يجب الا تحرم من هذا الحق الشعوب المتضررة من عودة اليهود الى فلسطين » . وتوسع البيان في الجانب الديني من قضية العلاقة بين اليهود والمسيحيين مطالبا بشكل اساسي بعدم تحميل اليهود مسؤولية قتل السيد المسيح . ولم تكن هذه الوثيقة لتثير الضجة التي احدثتها، لو لم تحتو على الاعتراف الضمني الاول لهيئة كاثوليكية كبيرة بوجود اسرائيل . ذلك ان الفاتيكان — رغم اللقاءات المستمرة مع المسؤولين الاسرائيليين — امتنع حتى الان عن اتخاذ اية خطوة باتجاه الاعتراف بدولة يهودية .

ولهذا جاءت ردود فعل الاطراف المعنية اكبر من الحدث نفسه : فالاوساط الصهيونية رحبت بحرارة ، والاوساط العربية المسيحية احتجت بعنف ، اما الفاتيكان فقد عبر عن تحفظه بشيء من الحرج .

فالحاخام الاكبر في فرنسا سارع الى الترحيب بالوثيقة معتبرا اياها خطوة هامة نحو التفاهم اليهودي — المسيحي . واذاعة اسرائيل نقلت التعليقات الايجابية للاوساط الرسمية . وجريدة لافورماسيون الاسرائيلية التي تصدر بالفرنسية اعتبرت الوثيقة « لا تقل اهمية على الصعيد الروحي بالنسبة الى اسرائيل والصهيونية من وعد بلفور » .

أما الامانة العامة للندوة العالمية للمسيحيين من اجل فلسطين فقد اصدرت بيانا تنفي نية شرعية الدولة اليهودية سياسيا ولاهوتيا وتقول « ان ارض فلسطين هي للفلسطينيين سواء اكانوا من اليهود ام من المسيحيين ام من المسلمين ، ومن حقهم هم وليس اساقفة فرنسا ان يقرروا مستقبل وطنهم ». واستنكر رؤساء الكنائس الشرقية الكاثوليكية الوثيقة وعبروا عن قلقهم لكونها تحيزا سافرا لجانب اسرائيل . كما اعلن اساقفة الكنيسة الكاثوليكية في شمال افريقيا (ليبيا ، تونس ، الجزائر ، المغرب) رفضهم للوثيقة واعتبارهم « الاعتراف بحق الفلسطينيين في الوجود الخطوة الاولى نحو تحقيق السلام » . واصدر ٤٢ يسوعيا من جنسيات مختلفة يقيمون في لبنان بيانا يفند النقاط الدينية في الوثيقة ويستنكر « رفضها الاعتراف للشعب الفلسطيني بهويته » .

اما الفاتيكان ، فلم تبدر عنه الا تعليقات غير مباشرة . فاشارت الصحف الى ان الاوساط القريبة من البابا ابدت ملاحظات حول عدم تركيز الوثيقة بشكل كاف على حقوق الشعب الفلسطيني، وضرورة التمييز بين العلاقات الاخوية بين الكاثوليك واليهود من جهة والموقف من سياسة اسرائيل من جهة اخرى ، وكذلك حول قلق الفاتيكان من هجرة الكاثوليك من اسرائيل .

وبمناسبة زيارة الانبا شنوده الثالث للفاتيكان صدر عن القطبين المسيحيين بيان مشترك ركزت الصحف العربية على بعض جوانبه . وجاء في البيان « ان قلوبنا مع الالاف من المعذبين والمشردين من ابناء الشعب الفلسطيني ... واننا نستنكر اي عبث بالمبادىء الدينية من اجل تحقيق اهداف سياسية في هذه المنطقة ... ونتمنى ونسعى من اجل التوصل الى حل عادل لازمة الشرق الاوسط حتى يسود سلام حقيقي قائم على العدل » .

وبدت هذه الفقرات كرد غير مباشر على وثيقة الاساقفة الفرنسيين .

العلاقات السوفياتيـة العربية ومشكلة اليهـود السوفيات :

ابرزت الانباء الدعم السوفياتي المتزايد لسوريـا والعراق . فقد ذكـرت اوساط وزارة الدفـاع الامريكية نبأ مفاده ان السوفيات ، زودوا سوريا منذ مطلع السنة باربعين طائرة مقاتلة من نـوع ميغ ٢١ وكانستي العام . ووصفت هذه الصفقة بانها اكبر عدد من الطائرات سلمت في اية مرحلة مماثلة . واضافت هذه الاوساط ان السوفيـات والتشيكوسلوفاكيين يعملون على تعزيز اسلحـة العراق : فقد ارسل اولئك زوارق حاملة صواريخ وطوافات (هليكوبتر) لنقل الجنود ، كما استقبلوا عددا من رجال الطيران العراقي للتدرب عليها . أما هؤلاء فوقعوا صفقة مع العراق بلغت ٨٠ مليون دولار — حسب هذه المصادر — تشمل ٥٠ طائـرة تدريب كما زودوا فيمـا مضى الجيش العراقـي بمدافع مضادة للطائرات ، وطوافات وناقلات جنود مصنحة بما قيمته ٦٥ مليون دولار .

وفي نفس تلك الفترة (اواسط نيسـان) ، ذكرت انباء من المغرب ان سفينتين حربيتين سوفياتيتـين قامتا بنقل وحدات من الجيش المغربي الى الجبهة السورية ، ذكرت جريدة لوموند انها « اكثر من رمزية » . ونشرت جـريدة النهار بعد ايـام ان الفريق حافظ الاسد قام في الايام الاولى من ايـار بزيارة سرية للاتحاد السوفياتي لدراسة امكانيات تعزيز سلاح الجو السوري بطائرات مقاتلة حديثة. وعاد الرئيس الاسد الى دمشق في ٥/٤ برفقـة الماريشال كوتاخوف قائد سلاح الجو السوفياتي .

واشارت الصحيفة نفسها الى ان الفريق الاسـد قد تعرض خلال زيارته السرية لموضوع الهجـرة اليهودية من الاتحـاد السوفياتي نظرا لمشاريـع الاسكان التي يساهم فيها المهاجرون في الجولان المحتل . وتخوف الرئيس السوري يعود على مـا يبدو الى عنصر جديد في السياسة السوفياتية في هذا المضمار . ففي ٤/١٩ ، اكد الناطق الرسمي بلسان البيت الابيض الامريكي ان موسكو جمدت رسميا العمل بضريبة التعليم التي كانت مفروضة على المهاجرين الى اسرائيـل . وقد جـاء قرار التجميـد عقب الضغط الذي قام به الكونغـرس الامريكي على نيكسون ليربط بين ابرام الاتفـاق التجاري الذي يسهل بعض المعاملات بين الولايات المتحـدة والاتحـاد السوفياتي وبـين السياسة السوفياتية تجاه هجـرة اليهود . ونقلـت بعثة دراسية تابعة للكونغرس هـذه الشروط اثنـاء زيارتها للاتحاد السوفياتي في اواخر العام الماضي. واذاع راديو اسرائيل (٤/١٩) ، عقب هذا القرار ان نحو ١٠٠ الف يهودي سوفياتي طلبوا تأشيرة خروج ، مشددا في الوقت نفسه على « اعمـال الانتقام » التي يدعي انها تمارس ضدهم . وذكر مراسل اذاعة اسرائيل في واشنطن « ان يهـود الولايات المتحدة سيواصلون استخدام الضغط على الاتحاد السوفياتي بواسطة الادارة والكونغرس ، وبواسطة اعداد مظاهرات صاخبة » خلال الزيارة التي سيقوم بها ليونيد برجنيف للولايات المتحـدة في الصيف القادم ، نظـرا لحساسية الاتحـاد السوفياتي لمثل هذه الضغوط من قبل الرأي العام العالمي حسب تقدير المعلق .

داود تلحمي

(٢) المناطق المحتلة

قضية بيع الاراضي : في العدد السابق من شهريات شؤون فلسطينية تطرقنا الى اقتراح ديان بشأن السماح لليهود بشراء اراض في المناطق المحتلة والى موقف الكتل الاساسية الاسرائيلية تجاه هذه القضية ، والى اتخاذ الحكومة قرارا ابقت بموجبه الوضع على ما كان عليه سابقا ، وفسرت ذلك بأنها تحول دون قيام الافراد اليهود بشراء أراض عربية في الضفة الغربية ، الا انها اوحت بأن باب شراء الاراضي العربيـــة لا يزال مفتوحا امـــام المؤسسات الاسرائيليـــة وعلى راسها الوكـــالة اليهودية ولم يعرف مصير الاراضي التي قد تـــم شراؤها بواسطة الافراد اليهود .

ومن المعروف ان سلطات الاحتلال قد سنت قانونا بخصوص امتلاك الاراضي في المناطق المحتلة في ١٨ يونيو ١٩٦٧ ينص على ان « لا يقوم شخص بصفقة اراض سواء بنفسه او بواسطة آخرين ، بطريقة مباشرة او غير مباشرة الا باذن من قبل السلطة المخولة » وحدد القانون عقوبة المخالف بالسجن مدة خمسة اعوام او بدفع غرامة مقدارها ١٥٠٠ ليرة . ومن الجدير بالذكر ان صفقات كبيرة قـد عقدت ولم يعاقب اي شخص حتى الان ، وقد اعترفت بعـــض الصحف الاسرائيلية ان الحكـــم العسكري كان يتغاضى عن هذا القانون وكأنه غير موجود ، فقد ذكرت صحيفة هآرتس (٧٣/٤/٦): « يبدو ان الحكم العسكري في الضفة الغـــربية تغاضى عن كافة اعمـــال تجارة الاراضي غـــير المشروعة التي جرت بكثافة كبيرة وخاصة في مناطق القدس بيت لحم ورام الله ، فمن المعروف ان اي شخص من بين المئات او الالاف الذين اشتروا اراض من عرب في الضفة الغربية لم يمثل امام المحكمة » .

سارت عملية شراء الاراضي في طريقين رئيسيين : (١) بواسطة السماسرة من العرب واليهود لبيعها الى افراد او مؤسسات اسرائيلية صغيرة (٢) دون اللجوء الى السماسرة وذلك بعقد صفقة مباشرة مع الكيرن كاييمت . وقد جاء القرار الـــذي اتخذتـــه الحكومة مؤخرا ضد الطريقة الاولى بينما سمحت للكيرن كاييمت التابع للوكالة اليهودية بمواصلـــة نشاطه . وقد فسرت خطوتها تلك بأنها جاءت لقطع دابر السماسرة والاتجار !! ومن المعروف ان الكيرن كاييمت قد امتلك وفق ما ذكرته المصادر الاسرائيلية ٤٨ الف دونم في الضفة الغربية ٣٠ الف دونم في الاغوار و١٨ الف دونم في منطقة القدس . وقد استطاعت سلطات الاحتلال سواء بوضع اليد على الاراضي العربية او عن طريق شراء البعض منها بناء عشرة الاف وحدة سكنية حتى الان في مدينـــة القدس العربية لاستيعاب المهاجرين الجدد فيها .

هنالك دوافع عدة لبيع الاراضي ، من اهمهـــا الاغراءات المادية والخوف من مصادرة الارض من قبل سلطات الاحتلال كما حـــدث في الاغوار وفي مناطق عديدة أشيدت عليها مستوطنات اسرائيلية ، فقد ذكر عربي — على سبيل المثال — من بيت لحم باع قطعة ارضـه ، وتسترت الصحيفة الاسرائيلية على اسمه بناء على طلبه ، ان اوضاعه التجارية قد ازدادت سـوءا ولم يجد طريقا لتحسين تجارته الا ببيع ارضه « اذا لم احصل على تمويل ذاتي فان تجارتي ستصفى » ! واضاف انه قرر الاقدام على عمله هذا بعد ان توجه السماسرة من العرب واليهود اليه عدة مرات « قبل بضعة شهور اغلق الحاكم العسكري آلاف الدونمات بالقرب من بيت ساحور — الاهداف معروفة فقط لديه ، وقررت بيع ارضي فورا ، قبل ان يتم اغلاقها ، وبذلك ربحت مبالغ طيبة وخلصت نفسي في نهاية المطاف مـــن مصادرة الاراضي » .

وهنالك عرب يقيمون في امريكا اللاتينية ويمتلكون اراض في مناطق القدس ، يقومون ببيعها بسبب الاغراءات المادية . ويتنافس السماسرة اليهود على شراء الاراضي من هؤلاء . ولا يتورعون عن الذهاب الى امريكا اللاتينية لعقد الصفقة هناك ، فقد حدث ان تقدم سمسار يهودي لشراء ارض تخص شخصا يقيم في امريكا اللاتينية من موكله الذي يسكن في بيت لحم ، الا ان هذا رفض لانه أراد بيعها لسماسرة آخرين ، فما كان من السمسار اليهودي الا ان توجه الى امريكا اللاتينية واشترى الارض من صاحبها ، وقد بلغت ارباح السمسار اليهودي في هذه الصفقة مليون ليرة !

الى جانب ذلك ذكرت المصادر الاسرائيلية ان كنائس معينة قد قامت ببيع اراضي تمتلكها الى المؤسسات

الاسرائيلية ، فقد ذكرت صحيفة هآرتس (٤/١٠/ ٧٣) : « اشترت الكرن كاييمت لاسرائيل من الكنيسة الروسية البيضاء قطعة ارض واسعة في القدس الشرقية تمتد حتى ضاحية شموئيل هنبي ، ضمن صفقة شاملة بخصوص شراء اراض في غوش عتسيون ، وتلقت الكنيسة مقابل هذه الصفقة بضعة ملايين من الدولارات » .

كما وأوردت في نفس العدد أن رئيس بلدية القدس تيدي كوليك قال في مؤتمر صحفي « ان البلدية قد اشترت بالقرب من السور ٢٥ دونما من الارض بثمن عال ، وكذلك ٥١ دونما في نكفوريا بالقرب من الملك داوود ، من الكنيسة اليونانية مقابل اربعة ملايين دولار » .

يدرك عرب المناطق المحتلة الخطورة الكامنة في عملية بيع الاراضي مهما كانت التبريرات التي يوردها ضعاف النفوس ، فعملية البيع كما يقول رئيس بلدية بيت لحم الياس فريج هي « مؤامرة مقصودة لنهب الاراضي العربية ، تؤدي في نهاية الامر الى دفع العديد للهجرة الى الخارج » . ولئلا تمر المؤامرة وتزداد اعداد المشردين ، فان الواجب يتطلب اتخاذ عمل حاسم وسريع ضد اولئك الذين يتاجرون بتربة الوطن الفلسطيني .

حزب العمل وسبعة شهور من النقاش : أنهى حزب العمل في ٧٣/٤/١٢ نقاشا طويلا استمر طيلة سبعة شهور ، جرى في ثماني جلسات عقدتها سكرتارية الحزب في فترات متقطعة ، حول مصير المناطق المحتلة ، دون ان يسفر هذا النقاش الطويل عن اية قرارات ، نظرا لاختلاف وجهات نظر التيارات المختلفة في حزب العمل الحاكم ، واكتفت سكرتارية الحزب بابقاء الوضع على ما هو عليه .

اتضح من خلال النقاشات ان هنالك تيارين اساسيين : الاول يركز على ضرورة ابقاء السيطرة الاسرائيلية على معظم المناطق العربية ، ولا يعير اهتماما للرأي العام العالمي او للموضوعات الناجمة عن الاحتلال الاسرائيلي ، مثل وجود قطاع كبير من العرب داخل المجتمع الاسرائيلي او تشغيل العمال العرب في المرافق الاقتصادية الاسرائيلية ، ويترأس هذا التيار كل من موشيه ديان وزير الدفاع ورئيسة الحكومة غولدا مئير ووزير الدولة يسرائيل جليلي ونائب رئيسة الحكومة يجال الون ، والتيار الثاني يركز على خطورة قطاع كبير من السكان العرب تحت السيطرة الاسرائيلية ووجود عدد كبير من العمال العرب في اسرائيل ويعير اهتماما للرأي العام العالمي ، الا انه في الوقت نفسه يدعو الى استمرار السيطرة الاسرائيلية في مناطق معينة من الاراضي المحتلة . بيد انه ينبغي ان لا يغيب عن البال ان هذا التقسيم يدخل ضمن اطار التبسيط للامور وليس تقسيما دقيقا ، فاذا تحرينا الدقة المتناهية في التقسيم فسنجد مجموعة من المواقف المختلفة يكاد فيها كل عضو من سكرتارية حزب العمل يشكل موقفا مختلفا ، كما وان هذا الموقف المختلف قابل للتغيير بين آن وآخر . وذلك لعدم وجود اتفاق واضح وملزم للاعضاء حول مستقبل المناطق المحتلة ، ومع ذلك فسنعرض مواقف الشخصيات المركزية في حزب العمل كما جاءت في الجلسة الختامية التي انتهت بدون صدور بيان او اتخاذ مقررات .

لقد كشفت غولدا مئير في الكلمة التي القتها عن ظاهرتين ، الاولى ايجابية من وجهة نظرها ، وتتمثل في ان عامل الوقت يساعد اسرائيل على عدم التنازل عن مناطق كبيرة ويجعلها تتمسك بمناطق تحت سيطرتها . فقد ذكرت « لو ان الدول العربية أجابت اجابة مختلفة ، عند انتهاء حرب الايام الستة (لا سلام لا اعتراف لا مفاوضات) فانني اتخوف باننا كنا بدون التجربة التي نمتلكها الان خلال الاعوام الستة التي اعقبت الحرب ، على استعداد للتنازل عن مناطق كبيرة ، اما الان بدون شك فانني ، وايضا اخرين، على استعداد للتنازل عن قدر اقل ، لتعلمنا من تجربة الاعوام الستة . ان الشخص الذي كان على استعداد للتنازل فانه ينبغي عليه الان ان يعيد النظر على ضوء تجربة الاعوام الستة في رأيه » .

اما الظاهرة الثانية فهي سلبية من وجهة نظر مئير ، وهي مغايرة للظاهرة الاولى ومعاكسة لها ، وتتمثل في شبح جريمة الاحتلال الذي اخذ يلاحق قطاعات من الشبيبة اليهودية وبعض المفكرين اليهود وفي حالة المعاناة من عقدة الذنب التي أخذت تتفاعل بين الاوساط الانفة الذكر . تقول غولدا « ان الامر البالغ الخطورة في نظري هو التساؤلات التي اخذت تبرز بين صفوف الشبيبة ورجال الفكر حول ما اذا كنا ارتكبنا خطيئة واقترفنا اثما عندما عدنا الى الوطن (المناطق المحتلة ع. م) هنالك من يقولون لقد سيطرنا على شعب وفككناه وافقدناه استقلاله وطردناه من وطنه وحللنا محله ، ان هذا الامر لخطير للغاية » . ومن الجدير بالذكر هنا أن

بعض اوساط الشبيبة والمثقفين في اسرائيل قد بدأوا يتململون ضد سياسة الاحتلال ويقفون في وجه الاجراءات التي تتخذها سلطات الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني « اننا لسنا على استعداد لنرتكب بحق شعب اخر ما ارتكب بحق ابائنا واجدادنا». كما واخذت نظرة هؤلاء تجاه الصهيونية تتأرجح بين الرفض والتشكيك ، كما وبدأ قسم منهم يدرك ان الحل الذي اتخذته الصهيونية لحل « المشكلة اليهودية » ، قد خلق مشكلة « يهودية » اخرى تتمثل في حالة التشرد للشعب الفلسطيني الناجمة عن الحل الصهيوني للمسألة اليهودية ، الامر الذي دفع مئير للقول « ان هذا الامر لخطير للغاية » واخذت تدافع عن وجهة نظرها القائلة بانه لا يوجد شعب فلسطيني ، ولكن هذه المرة بشكل مخفف حيث قالت « انني لا اعتقد باننا نحن الاسرائيليين نمتلك حق التقرير اذا ما كان هنالك كيان فلسطيني ام لا . انهم هم فقط باستطاعتهم تقرير ذلك » ، ومع ذلك اضافت انه لا يوجد مكان لاكثر من دولتين بين البحر والصحراء .

اما وزير الدفاع موشيه ديان فقد دعا الى الاسراع في الاجراءات الرامية الى تكريس الاحتلال وتهويد معظم المناطق المحتلة منطلقا من ان احتمالات السلام بعيدة المنال ، وانه يجب على اسرائيل بذل كل ما في وسعها لاستغلال ذلك بفرض وقائع جديدة هناك « حسب اعتقادي ينبغي علينا في الفترة القريبة توسيع الاستيطان والمشاريع اليهودية الزراعية والاقتصادية في الضفة الغربية في مناطق النبي صموئيل واللطرون وكفار سابا ، وغوش عتسيون ، وكريات اربع ومنطقة القدس ، خارج الخط الاخضر » . ان ديان يريد خلق وقائع جديدة في المناطق المحتلة ولكنه يحرص في الوقت نفسه على ان لا يضم سكان هذه المناطق ، محافظة منه على « نقاء » المجتمع اليهودي ويدعو الى خلق حالة تعايش بين السكان العرب والاسرائيليين ، فقد اوضح ديان انه لو ان القضية تمر في حالة اختيار : ضم مليون عربي وتحويلهم الى مواطنين اسرائيليين او التنازل عن المناطق المحتلة ، لكان فضل التنازل عن المناطق ، الا انه يعتقد ان حالة الاختيار غير قائمة وليست واردة اليوم . وقد اعترف ديان بان سكان المناطق المحتلة لا يريدون ان يصبحوا مواطنين اسرائيليين ، ولذا فانه يدعو الى خلق حالة تعايش مع السكان العرب ، واستغلال ابتعاد احتمالات السلام لفرض الوقائع الجديدة في المناطق المحتلة .

واذا كانت مئير قد اعربت عن قلقها البالغ حيال موقف اوساط من الشبيبة الاسرائيلية وبعض رجال الفكر هناك ، فقد حرص ديان على مهاجمة فريق من الشبيبة الاسرائيلية من اعضاء شبيبة الكيبوتسات وشبيبة تنظيم اليسار الاسرائيلي الجديد « سيح » بسبب التظاهرة التي قاموا بها ضد سياسة خلق وقائع جديدة بالقرب من قرية عترية العربية في الضفة الغربية ، والتي رفعوا فيها شعارات مثل « فلسطين للفلسطينيين » نعم لعقربة . لا لمستوطنة جيتيت » وتساءل ديان : اين الخط الذي يبدأ منه الاستغلال القومي ؟ هل مستوطنات حرئيل ونهلال على ما يرام ، اما مستوطنة جيتيت فهي فلسطين ؟ ومن الجدير بالذكر ان دعاة التوسع درجوا على طرح اسئلة من هذا النوع ضد معارضيهم من الفئات الاسرائيلية الصهيونية ذات التطلع اليساري ، فالفئات الاخيرة تعارض الضم وتعتبره استغلالا قوميا ، الا ان الفئة الاولى لا ترى ان هنالك فارقا من حيث المفهوم الصهيوني بين ما احتل من فلسطين في عام ١٩٤٨ و ١٩٦٧ .

اما الوزير يسرائيل جليلي فقد فسر المفهوم الصهيوني تجاه المناطق المحتلة « ان الصهيونية تعني الاستيطان اليهودي في جميع ارض اسرائيل . لقد وافقنا على اقامة دولة في حدود مقلصة ، بيد اننا لم نتنازل مطلقا عن الاستيطان في كافة انحاء أرض اسرائيل . ان قبول التقسيم لا يعني الرضوخ للتقسيم ، والغبن الكامن فيه » . واعرب جليلي عن اعتقاده بأن « نهر الاردن سيكون بمثابة حدودنا مع مملكة الاردن ، حدود سياسية وامنية وستزدهر مستوطنات عبرية في غور الاردن ولن يسمح لقوات اجنبية باجتياز النهر » . اما فيما يتعلق بخطورة السكان العرب التي يلوح بها التيار الثاني فقد ذكر جليلي « يجب ان لا نحول الموضوع الديموغرافي الى ذريعة للانسحاب الى حدود قديمة » كما واكد انه من الناحية السياسية والامنية لم يتضح بعد اي خطر اكبر : قطاع كبير من السكان العرب الخاضع للحكم العربي ، او نفس القطاع من السكان الذين يعيشون حياة مشتركة داخل حدود اسرائيل » . وفيما يتعلق بموقف الجمهور الاسرائيلي قال جليلي ان الشعب لن يعطي ثقته لحكومة لا تلتزم بنضال من اجل احداث تغييرات جذرية على الحدود .

ولم ينس جليلي مهاجمة ظواهر الشك والتمرد على الفكر الصهيوني بين اوساط الشبيبة فقال « يجب ان لا نفسح مكانا للرفض وللشكوك الاخلاقية او الفكرية لاعمالنا » (معاريف ٧٣/٤/١٣) .

الجمهور الاسرائيلي والمناطق : في الوقت الذي كانت فيه اجنحة حزب العمل تتداول الحديث حول مصير المناطق المحتلة ظهرت نتيجة استفتاء في اسرائيل اجراه معهد البحث الاجتماعي في الجامعة العبرية حول موقف الجمهور الاسرائيلي من مصير المناطق المحتلة ، وقد دل هذا الاستفتاء على امرين اساسيين (١) ارتفاع نسبة المعارضين للتنازل عن المناطق المحتلة (٢) ارتفاع نسبة الداعين الى خلق الوقائع الجديدة في المناطق المحتلة .وبالنسبة لمصير المناطق المحتلة ، ارتفعت نسبة الداعين الى عدم احداث اية تنازلات اقليمية في الضفة الغربية من ٤٧٪ الى ٥٨٪ ، وفيما يتعلق بشرم الشيخ ارتفعت النسبة من ٩٠٪ الى ٩٦٪ . اما هضبة الجولان فقد بلغت نسبة الداعين الى عدم التنازل ٩٣٪ وسيناء ٣٧٪ . وفيما يتعلق بوتيرة الاستيطان في المناطق فقد ارتفعت نسبة المؤيدين للاستيطان اليهودي في مشارف رفح وشمال سيناء من ٧٥ ٪ الى ٨٣٪ وبالنسبة لغور الاردن من ٩٠٪ الى ٩١٪ ، اما فيما يتعلق بهضبة الجولان فقد حدث هبوط بسيط من ٩٦٪ الى ٩٥٪ . وكالعادة اظهرت نتيجة الاستفتاء انه « مع ارتفاع نسبة المتقنين بين صفوف الذين شملهم الاستفتاء ترتفع ايضا نسبة الاستعداد للتنازلات الاقليمية في الضفة الغربية» ولكن هذه المرة يبدو ان العامل الثقافي ليس مؤثرا بالنسبة لبقية المناطق (هآرتس ٧٣/٤/١٢)

ردود الفعل على استشهاد القادة الثلاثة: اجتاحت المناطق المحتلة موجة استياء واستنكار للعملية التي قامت بها قوات اسرائيلية في قلب مدينة بيروت وادت الى استشهاد القادة الفلسطينيين الثلاثة كمال ناصر وكمال عدوان وابو يوسف ، فقد قامت بلدية نابلس والمنظمات النسائية والعمالية في المدينة بالتوقيع على عريضة احتجاج ضد العملية ، ارسلت الى السكرتير العام للامم المتحدة فالدهايم والبابا بولس السادس والسلك الدبلوماسي في القدس العربية ، ووصفت العريضة الغارة الاسرائيلية بانها « مؤامرة مقصودة لتصفية الشعب الفلسطيني وتشكل مسا خطيرا بالقيم الانسانية والعدالة » وطالب الموقعون على العريضة « وضع حد للاعتداءات الاسرائيلية » كما وساد الضفة الغربية جو حداد فقد اغلقت المدارس وتعطلت الحياة العامة وتليت الصلوات على ارواحهم ، وخرجت مسيرات شعبية وطالبية ضد العملية ، كما وعبر الاهالي عن حزنهم باعلانات التعازي من خلال الصحف العربية الصادرة في المناطق المحتلة . ولم يكن بوسع الصحافة العربية الصادرة في القدس العربية الا ان تعبر عن شجبها للعملية الاسرائيلية حيال الحدث الجلل ، فقد ادانت هذه الصحف العملية ، واتهمت صحيفة « القدس » بأن «اسرائيل تواطأت مع الولايات المتحدة في عمليتها الغادرة » اما صحيفة « الشعب » فقد وصفت العملية بانها « دير ياسين بيروت » وانها « بمثابة عدوان غادر » اما صحيفة الفجر الاسبوعية فقد شجبت العملية بقوة واتهمت المخابرات الاردنية بالتعاون مع المخابرات الاسرائيلية اثناء الاعداد للعملية معتمدة على رسالة ، تقول الصحيفة ان احد الضباط الاردنيين بعث بها الى الصحيفة عن طريق الجسور المفتوحة ، جاء فيها ان اجتماعا قد جرى قبل شهر من العملية في ايلات بين عدد من رجال المخابرات الاسرائيلية والاردنية ، كما وصفت عناوين الصحيفة حالة المأساة بقولها : بير زيت تعيش مأساتها الكبرى . دموع على كمال يتظللها النشيد الخالد بلادي بلادي ... والحزن مثير ... شن الحاكم العسكري هجوما على الكلية » .

وقد دفعت صحيفة الفجر الثمن مقابل تجرؤها على ادانة العملية حين اقدمت سلطات الاحتلال على غلق الصحيفة وسجن محرريها جميل حمد ويوسف ناصر.

وقد وصف اوري امنيري رئيس كتلة هعولام هزيه حالة الوحدة الوطنية الناجمة عن استشهاد القادة الثلاثة بقوله ان ذلك « ادى الى تظاهرة مؤثرة للوحدة الوطنية بين الفلسطينيين في المناطق المحتلة وبين اخوتهم في الخارج . لقد انضمت الصحافة العربية في القدس والمناطق لهذه التظاهرة ومعها ايضا جميع السياسيين ، ومن بينهم ايضا اولئك الذين انتخبوا قبل مدة تحت رعاية موشيه ديان والملك حسين في الانتخابات البلدية » .

اما وزير المالية بنحاس سبير فقد هالته ردود الفعل الشعبية ، ووصفها بقوله : « لقد كانت ردود الفعل غاضبة مفعمة بالكراهية لاسرائيل ولجيشها » (معاريف ٧٣/٤/١٣) .

عبد الحفيظ محارب

(٣) اسرائيليات

يسمون الجريمة لؤلؤة !

في الساعات الاولى من يوم ١٩٧٣/٤/١٠ فقدت الثورة الفلسطينية ، بهجوم اسرائيلي همجي على بيروت ، ثلاثة من قادتها ، هم الشهداء : محمد يوسف النجار ، كمال ناصر وكمال عدوان ، كما استشهد ايضا عدد من المناضلين الفلسطينيين واللبنانيين بالاضافة الى زوجة الشهيد محمد يوسف النجار .

ولقد شكلت هذه العملية الاسرائيلية ، التي خلقت لدى العدو جوا من هستيريا النصر ، الشبيه الى حد بعيد بجو هستيريا النصر الذي عم اسرائيل اثر حرب حزيران ٦٧ ، وبما حظيت به من افتتاحيات ومقالات وتعليقات وتصريحات في صحف اسرائيل واذاعتها ، الحدث الاساسي لشهر نيسان (ابريل) الماضي .

وفيما يلي محاولة لعرض الردود التي وردت في المصادر الاسرائيلية ، على الاسئلة التي أثارتها العملية ، ولعل اهمها : ماذا ارادت اسرائيل أن تحقق من ورائها على الاصعدة : الفلسطيني ، العربي والاسرائيلي ؟ وكيف نظر اليها ووصفها المسؤولون الاسرائيليون ؟ وماذا عن دور اميركا ؟ وعن اثر العملية على العلاقات الفلسطينية اللبنانية ؟ وغيرها .

يقول الصحافي الاسرائيلي أوري دان في « معاريف » (٧٣/٤/١٦) عن « قادة الارهاب » بعد العملية ، « ان ما لم تسببه لهم عمليات قصف طائرات الفانتوم والسكايهوك على مدى سنين طويلة ، وهجمات الدبابات والسيارات المجنزرة ، سببه لهم هجوم واحد في غرف نومهم في قلب بيروت » . ويتابع أوري دان : « بعد كل عملية اسرائيلية ضد المخربين انصتوا في اسرائيل انصاتا تاما للردود وللنتائج المترتبة على العملية : بعد الوحدات المصفحة التي أرسلتها اسرائيل الى « الكرامة » ، بعد عمليات قصف معسكرات فتح في سوريا . بعد الهجمات البحرية والمصفحة داخل لبنان . في كل هذه العمليات قتل مئات كثيرة من المخربين ، وجرح عدد لا يقل عن هذا ، وهدمت بيوت ومواقع ... لكن بتلخيص أولي ، لا مجال لمقارنة هذه النتائج بالهزة داخل المعسكر الفلسطيني بعد عملية بيروت ، وبشكل خاص بعد القضاء على القادة . وعلى ما يبدو ، فان سبب ذلك هو انه في هذه العملية ، أدخلت اسرائيل للمرة الاولى في الحرب ضد المخربين بصورة مكشوفة وعلنية البعد الذي كان مفتقدا فيها (أي في الحرب) — وربما كان ذلك هو البعد الاساسي والاهم — وهو الابادة المعلن عنها عن طريق اختيار المسؤولين عن الارهاب » .

وجريدة « دافار » — شبه الرسمية — تعتقد ان المقصود بالعملية هو ضرب « مركز الاعصاب في منظمات التخريب » (٧٣/٤/١١) ، والعملية ايضا « ليست مجرد رد فقط وانما قصد بها ان تحذر وان تردع » (عل همشمار — الناطقة باسم حزب مبام — ٧٣/٤/١١) وهي « موجهة قبل كل شيء الى منظمات المخربين ، وهم ملزمون بأن يسجلوا أمامهم انه بالنسبة لهم ، لم تعد هناك مدن مفتوحة أمامهم » (هآرتس ٧٣/٤/١١) ، اما الجنرال اسحق رابين ، سفير اسرائيل السابق في واشنطن فقد بدا له « ان النجاح على صعيد الاختيار وعلى صعيد تحقيق الاصابات ... ربما يكون مؤشرا وعلامة على الطريق نحو تقليص قدرة عناصر الارهاب على الاستمرار في عملهم » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٤/١١) . وردا على سؤال عن « الامكانات البديلة التي بقيت لدى « المخربين » بعد عملية بيروت ، وعن رد فعلهم الذي يتوقعه » قال العميد (احتياط) حاييم هرتسوغ : « ان اتجاههم هو اتجاه عربي عام ، وهو التوجه بصورة دائمة الى المعارضة الصغيرة ، ولذلك فمن الواضح ان المشكلات ستبقى على حالها ، وسوف يحاولون دعم نشاطهم . ومن المؤكد انهم سيبحثون عن مجال آخر للعمل ، مجال اسهل ، وهذا المجال هو المجال العربي الداخلي » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٤/١٧) . وأكثر من ذلك ان هرتسوغ قال بأن استمرار السياسة الاسرائيلية على ما هي عليه سيقود الفلسطينيين الى « جو الانسحاق » الذي « من شأنه ان يؤدي الى اليأس » (المصدر السابق) ... ومن شأن اليأس « ان يحمل منظمات المخربين ، وكذلك الدول العربية ، على الاستعداد

لتقديم تنازلات » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٤/١٢). وكذلك فان معنويات الفلسطينيين كانت بين ما استهدفته العملية الاسرائيلية حيث « انه بالاضافة الى الضربة المباشرة للاطار القيادي ، فان لغزوة الجيش الاسرائيلي تأثيرا ليس قليلا على صعيد معنويات المخربين ، الآخذ أصلا في الهبوط » (هآرتس ٧٣/٤/١٣) . خاصة وان المنظمات الفدائية « التي تلقت ضربات منوعة بما في ذلك ما حدث في الاردن سنتي ١٩٧٠ و١٩٧١ ، غير مؤهلة لتحمل ضربة من النوع الجديد مثل الضربة التي وجهها لها جيش الدفاع الاسرائيلي » (المصدر السابق) .

ولقد سبق ورافق ولحق العملية الاسرائيلية تحريض واضح للدول العربية ، وللبنان بشكل خاص ، على حركة المقاومة الفلسطينية ، حيث راحت الصحف الاسرائيلية « تبكي » السيادة الاقليمية لهذه الدول تارة ، و« تحذرها » بمنجهية ممجوجة تارة اخرى. وقالت جريدة هآرتس (٧٣/٤/١٣) « واذا كان فرنجية لم يعر حتى الان اهتماما لانعدام السيادة اللبنانية في الجنوب وفي مناطق اخرى ، فان عليه ان يهتم هذه المرة للسيادة داخل عاصمته بيروت . ان هذا هو ما يطلبه منه الان بحدة اكبر الزعماء الوطنيين وقادة الجيش . وليس بمقدور فرنجية أن يستمر في تجاهل هذا الموضوع بعد عملية جيش الدفاع الاسرائيلي وما ترتب عليها في بيروت ، وهي التي تشير بالصورة الملموسة جدا الى سيادة دولة مثل لبنان . وفرنجية مطالب الان ، اكثر من الماضي، ان يستخلص النتائج المترتبة على عملية جيش الدفاع الاسرائيلي ، واذا استمر في التردد وفي الحفاظ على التعايش مع المخربين ، فانه اذاك قد يوقع بلاده في مشكلات اكثر خطرا مما هي عليه حاليا » .

وحرضت الصحيفة الرئيس اللبناني بوضوح ضد اتفاقية القاهرة لان « لبنان يدفع ثمنا باهظا للتعايش مع المخربين منذ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٩ ، حين وقعت اتفاقية القاهرة بين قادة المخربين وقائد الجيش اللبناني في ذلك الحين العماد اميل بستاني ، والتي سلمت بموجبها مناطق لبنانية لسلطة المخربين المنفردة ، وبعد ذلك ، وبدون اتفاقية مكتوبة تحولت مخيمات اللاجئين الخمسة عشر في لبنان الى منطقة خارجة من اطار السلطة».

وقال دافيد العازار رئيس اركان جيش الاحتلال « ان حكومة لبنان ملزمة باستخلاص النتائج من هذه العملية ، لانه ليس بالامكان احترام سيادة لبنان عندما يعطون هناك حرية العمل للمخربين » (معاريف ٧٣/٤/١١) .

وبصورة اكثر وضوحا ، حرض مراسل اذاعة العدو واستعدى السلطة اللبنانية على المقاومة ، بقوله انه « اذا لم يكن هناك مناص ، فان قوات الجيش الاسرائيلي ستفعل في العاصمة اللبنانية الامور التي تعتقد اسرائيل بأن الحكومة اللبنانية يجب ان تفعلها بنفسها . واذا ما استمرت حكومة لبنان في منح المخربين حرية العمل فوق اراضيها واستمر الجيش الاسرائيلي في أعماله في بيروت ، فان ذلك من شأنه ان يضع حكومة لبنان امام ضغط عام يؤدي في النهاية الى تصفية او تخفيف الاعمال التخريبية من لبنان » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٤/١١) .

وفي عدد كبير من افتتاحيات الصحف الاسرائيلية ، ورد اكثر من تحريض للبنان وللدول العربية على حركة المقاومة الفلسطينية . فقد قالت « هآرتس » (٧٣/٤/١١) « ان العملية موجهة قبل كل شيء الى منظمات المخربين ... لكنها ايضا موجهة الى عنوان آخر : الدول العربية ، فهي ملزمة بالتفكير بالمخاطر الكامنة في استمرار النزاع المسلح مع اسرائيل » . وقالت جريدة « هموديع » (٤/١١/ ٧٣) ــ الناطقة بلسان الحزب الوطني المتدين ــ انه « يتوجب على الدول العربية ، وعلى لبنان خاصة استيعاب الدرس ، وطرد المخربين من داخلها اذا كانت حريصة على السيادة » . كذلك « تأملت » جريدة تريبونا (٧٣/٤/١١) « ان تفكر حكومة لبنان بالخيار القائم امامها حاليا » . واضافت : « ان سوريا وليبيا ستحسنان صنعا اذا ما تعلمتا درسا من الغارة » . ورددت جريدة « اويكلت » (٧٣/٤/١١) المعنى ذاته مستبدلة مصر بليبيا .

اما على الصعيد الاسرائيلي فان هذه العملية قد جاءت لترفع المعنويات من جديد ، مستفيدة من التوقيت الذي جاء بعد عملية الخرطوم وقبل موعد الاحتفال بذكرى مرور ربع قرن على قيام دولتهم ، ولارباك الفدائيين ومنعهم من القيام بعمليات تؤثر على الصورة التي تعمل اسرائيل للظهور بها هي وجيشها وخاصة في تلك المناسبة التي سبقها بأشهر

عديدة بدء الاعداد للاستعراض العسكري الضخم في شوارع القدس .

وتبارز المسؤولون الاسرائيليون في كيل المديح « لابطال » هذه العملية الاجرامية ، وللعملية ذاتها ، فوصفها الجنرال موشي دايان بأنها «اللؤلؤة مع ال التعريف في تاريخ الكوماندو الاسرائيلي » (معاريف ٧٣/٤/١١) . و« امتدحها ابا ايبان دون ان يضيف اي مانع سياسي » (هآرتس ٧٣/٤/١٣). وشبهها اوري افنيري بعملية هرقل الذي قتل الافعى « هيدرا » ذات مئة الرأس التي قطعها واحدا بعد واحد « لكن هرقل كان كلما قطع رأسا يحرق الرقبة النابت عليها منعا لانباتها رأسا جديدا » .. وكان افنيري بتحريضه المكشوف هذا اكثر تطرفا وعنصرية من جميع زعماء اقصى احزاب دولة العدو يمينية . (هعولام هـزي ٧٣/٤/١٦) . وبـدا لغولـدا مئير انه « يجب ان نفتخر بأبنائنا ، وليس فقط بفعاليتهم ومقدرتهم واخلاصهم ، بل ينبغي ان نفتخر بطهارة الجنـدي الاسرائيلي وبطهارة سلاحه » (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٤/١١) ، وقالت عقب انتهاء الجلسة الاستثنائية التي عقدتها حكومتها لسماع تقرير عن العملية « ان التاريخ سيكتب بأحرف من نور عن التنفيذ والتخطيط والتفاني الذي أبداه جنود الجيش الاسرائيلي في هذه العملية » (المصدر السابق) .

وقال رئيس دولة العدو الذي انتخب في يوم تنفيذ العملية الاجرامية ذاتها وغير اسمه الاجنبي افرايم كاتشالسكي الى اسم عبري هو افرايم كتسير (كلمة « كتسير » تعنى « حصاد ») : « ان هذا اليوم يوم جيد لان جيش الدفاع الاسرائيلي اثبت فيه مرة اخرى قوته واخلاصه لشعب اسرائيل ، حيث ان الواجب الاول الملقى على جميعنا هو ان نحافظ على حياتنا وان نمنع المخربين والمتوحشين بأنواعهم من تدمير حياة الانسان ، والحاق الضرر بأمتنا وباليهود حيثما هم » (معاريف ٧٣/٤/١١). وكرر المعاني ذاتها عدد كبير آخر من المسؤولين الاسرائيليين مثل اسحق رابين ودافيد العـازار وحاييم هرتسوغ ومتياهو بيلد وغيرهم .

اما الصحافي الاسرائيلي المعروف دان مرغليت فقد تعرض بمقال كتبه في هآرتس (٧٣/٤/١٢) الى نظرة اميركا الحالية الى لبنان والى العملية ، وتطرق الى « انخفاض التأثير السوفياتي في بيروت» وكان عنوان مقاله « لبنان تفقد حصانتها في الولايات المتحدة » . وقال مرغليت « ان واشنطن قد اتخذت لنفسها منذ نهاية ١٩٧٢ موقفا واضحا : البخل في توجيه الادانات لاسرائيل ، حتى عندما يعمل جيش الدفاع الاسرائيلي في شوارع بيروت ، وربما ان « يعبر عن الاسف » رسميا ... لكنه واضح منذ الان ان موقف واشنطن لن يكون مرفقا باصوات رعد سياسية » .

وتابع مرغليت : « وصحيح انه بالامكان تفسير تماسك النفس الاميركي والامتناع عن ادانـة اسرائيل بـ « سياسة عليا » . ويمكن القول انه بانعدام وجود احتمالات عملية للوصول الى تسوية مريحة للولايات المتحدة وللاتحاد السوفياتي فمن الافضل استمرار الوضع الحاضر . لقـد نقلت موسكو مركز اهتمامها الى العراق وتجيل نظرها نحو الخليج الفارسي ، اما واشنطن فمقتنعة مثل اسرائيل ، ان تسوية مع مصر يجب ان تسبق أية تسوية مع الاردن ، سوريا او لبنان . وبطبيعة الحال فانه لا فائدة من ادانة اسرائيل التي تعمل ضد المخربين ، الذين تشكل منظماتهم هذه مركز وبؤرة المقاومة العربية لكل تسوية سياسية مع اسرائيل » .

وقال مرغليت ايضا انه « في السنوات الاولى التي تلت حرب الايام الستة ، كان للاميركيين تحفظان على عمليات اسرائيل ضد المخربين . قبل كل شيء كانت هناك الرغبة بمنع هز التوازن الدقيق القائم في حكومة لبنان ، وبالاضافة الى ذلك قويت لدى قسم من الاميركيين القناعة بوجود كيـان فلسطيني ، التي يعبر عنها الى حد ما بمنظمات المخربين . وظل انطباع الى وقت ما ، ان الاميركيين يودون الافلات من توجيه ادانات حادة ضـد المخربين » .

لكن، على حد تعبير مرغليت ، حصلت بعـض التغييرات في تبلور النظرة الاميركية للمخربين . التغير الاول هو ان الحياة في الضفة الغربية ، وسياسة « الجسور المفتوحة » عرضت امـام الاميركيين تحديدا آخر لماهية الفلسطينيين . واعتاد ايبان ان « يبيع » في العالم التوضيح القائل بان الفلسطينيين لا يمثلهم المخربون المقيمون في المهجر في بيروت وباريس ، بل يمثلهم سكان نابلـس وطوباس ، الذين يجدون ، دون التنازل عـن تطلعاتهم الوطنية ، امكانية للعيش في اطار سياسة الجسور المفتوحة .

« والتغير الاول جاء عندما اضطرت واشنطن الى الاختيار بين المخربين وبين حسين في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ . وفعلا ان الاميركيين حاولوا ان يدفعوا اسرائيل الى مواجهة مباشرة مع المخربين ، والبقاء عمليا « خارج الصورة » ، لكن في نهاية الامر ، لم يكن هناك شك بانهم دعموا حسين » .

وبعد ان يستعرض دان مرغليت تصرف نكسون ازاء خطف الرهينتين الاميركيتين في الخرطوم ، وتأكيده على صدور امر واضح من الطابق الثاني في البيت الابيض يقضي بالامتناع عن اجراء أي مفاوضات مع المخربين الذين كانوا يهددون بقتل الرهائن ، يستدل ان ذلك هو تصرف نظام « يريد ان لا يحشر في المستقبل في وضع يكون فيه « مدينا » بشيء ما للمخربين » ، وكذلك « يبدو لي ان ما يستنتج من موقف الرئيس الاميركي ان الولايات المتحدة لن تتحفظ في المستقبل القريب من عمليات اسرائيلية توجه ضد منظمات المخربين ، حتى وان كانت هذه العمليات منطوية على تحقير شديد نتيجة لالحاق جيش الدفاع الاسرائيلي للضرر بسيادة دول عربية صديقة.لكن الامتناع عن ادانة اسرائيل، أو على الاصح الامتناع عن ادانة حقيقية تخرج عن اطار الضريبة اللفظية ، مرتبطة بشرطين : ان توجه العملية بصورة واضحة ضد المخربين فقط ، وليس ضد الحكومات التي تستضيفهم ، وان يكون اضرارها بالمواطنين صغير الى أبعد حد ممكن » .

وبعد خمسة ايام من العملية الاجرامية في بيروت ، أي يوم ١٩٧٣/٤/١٥ ، نقلت جريدة معاريف عن « مصادر اميركية حكومية » قولها « ان الولايات المتحدة تدير معركة ديبلوماسية منذ بدء موجة هجمات المخربين في الفترة الاخيرة وغارة جيش الدفاع الاسرائيلي على بيروت ، وشعارها ــ أي شعار المعركة الديبلوماسية ــ الموجه نحو بيروت هو « جربوا بقوة أشد » ان تكبحوا الفدائيين » ، وكذلك « ... ان حكومة الولايات المتحدة لا تقبل الادعاء بان لبنان غير قادر على مطالبة المخربين بكبح أكبر ، مع انهم في واشنطن لا يعتقدون بان حكومة لبنان او جيشها اقوياء بما فيه الكفاية لمنع عمليات المخربين تماما . وفي موازاة الضغوط على حكومة لبنان تدير وزارة الخارجية الاميركية شبكة اعلام مستهدفة اقناع الشعب الفلسطيني ان الولايات المتحدة تعترف بـ « مصالحه المشروعة ».

وحول توقعات الاسرائيليين للآثار التي قد تنجم عن العملية في بيروت على العلاقات الفلسطينية اللبنانية ، كان ابرز المعلقين رابينوفتش خبير الشؤون اللبنانية في معهد شيلواح في تل ابيب ، وردا على سؤال حول احتمال ان تدفع العملية الاسرائيلية « حكومة فرنجية » الى اعادة النظر مرة اخرى ، أي توجيه ضغط آخر على المقاومة الفلسطينية ، قال رابينوفتش : « لست متأكدا للسبب التالي : ان اعادة النظر في اتفاقية القاهرة جاءت في أعقاب قيامنا بضرب المخربين في منطقة الحدود ، أما عمليتنا هذه المرة ضد لبنان ، فقد وجهت ضد وسط لبنان ، ضد اعطاء لبنان حرية النشاط السياسي والعسكري في وسط لبنان للمنظمات التخريبية . وان تغييرا في السياسة اللبنانية من شأنه ان يؤدي بلبنان الى صدام شديد مع المنظمات التخريبية ، ذلك ان الغاء النشاط السياسي للمخربين في بيروت يعتبر ضربة عنيفة جدا ، واعتقد بانهم لن يرضخوا لخطوة من هذا النوع » . (رصد اذاعة اسرائيل ١٩٧٣/٤/١٢).

وعلى سؤال آخر نصه : « لقد كان وراء ضربتنا الاخيرة في لبنان هدفان : الاول ضرب المخربين ، والثاني الضغط على لبنان للحد من نشاطهم ، وحسب وجهة نظرك فان الهدف الثاني لا يمكن التوصل اليه » قال رابينوفتش : « انني لم أقل اننا لا نستطيع التوصل اليه ، فربما يقوم اللبنانيون بوضع قيود على نشاط المخربين بشكل او بآخر ، ولكن من الصعب تصور قيامهم بخطوات حاسمة ، ورأيي هو انه اذا كان هذا هو هدفنا فان النجاح حسب اعتقادي جزئي » . (المصدر السابق) .

وعن الازمة التي ولدت باستقالة حكومة الرئيس سلام اثر العملية الاسرائيلية ، قال البروفيسور موشي ماعوز : « في الواقع ان ازمة من هذا النوع تنتهي دائما بامكانيتين : الاولى ان تتعلم حكومة لبنان في ضوء ما حدث ، العبرة التي ارادت اسرائيل ان تلقنها اياها ، وتنزل ضربة قاتلة وقاضية بالمخربين ، لكن هذا الاحتمال ضعيف جدا بكل أسف . ومن جهة اخرى فان الامكانية الثانية هي ان يوجه المخربون الغاضبون نقمتهم الشديدة ضد حكومة لبنان ، وبمساعدة القوى الراديكالية اليسارية ، سينجحون في التوصل الى زيادة العداء اللبناني ضد اسرائيل، وآمل ان يكون هذا الاحتمال ضئيلا ايضا . ويبدو حسب التقاليد اللبنانية ، ان

الازمة ستنتهي مرة اخرى بالمصالحة » (رصد اذاعة اسرائيل ١٢/٤/١٩٧٣) .

وقد اعرب هرتسوغ عن اعتقاده بان عدم الاستقرار في لبنان « لا علاقة له بالعلاقات الداخلية اللبنانية، وليس نتيجة فقط لصراع بين الحكم اللبناني وبين المخربين الفلسطينيين » (رصد اذاعة اسرائيل ١٧/٤/١٩٧٣) ، وأيده في هذا الرأي العميد (احتياط) متنياهو بيلد مؤكدا انه « لا يجوز ان يسود لدينا انطباع بان هناك ازمة في لبنان ، لان ما يحدث هناك يقوم على اعتبارات لبنانية » .

لكن أكثر ما ازعج الاسرائيليين اثر عمليتهم الاجرامية في بيروت ، كان ردود فعلها التي لم يتوقعوها في الضفة الغربية ، حيث فوجئوا باعلانات حداد على الشهداء الثلاثة في الصحف الصادرة هناك (وهي جريدتي الشعب والقدس ، ومجلة الفجر) ، بل ان مجلة الفجر صدرت وصفحتها الاولى محاطة بالاطار الاسود علامة على الحداد ، وتغطي نصفها صورة للشهيد كمال ناصر ، ومقال اورد كلاما عن لسان ضابط اردني ذكر بأن العملية كانت نتيجة تخطيط بين ضباط مخابرات اسرائيليين وضباط مخابرات اردنيين (بينهم محمد رسول الكيلاني) اجتمعوا قبل العملية بفترة في مدينة ايلات على البحر الاحمر ، وشكلت هذه الرواية حجة استندت اليها السلطة الاسرائيلية لاعتقال السيد يوسف ناصر صاحب مجلة الفجر والسيد جميل خضر رئيس تحريرها بتهمة « التحريض على العصيان ، التمرد ، وحبك المؤامرات لالغاء استخدام قانون الرقابة » (رصد اذاعة اسرائيل ١٧/٤/١٩٧٣).

ولقد كان لهذه « المظاهرة » الحزينة في الضفة الغربية اكثر من معنى ، واثبتت ان كل ادعاءات اسرائيل عن عدم تمثيل حركة المقاومة الفلسطينية وقادتها لابناء الشعب الفلسطيني ، سواء في الخارج أم في داخل الارض المحتلة هي مجرد ادعاءات لا اكثر .

اخيرا فانها قد تكون مجرد صدفة ان سمحا دينتس قدم قبل ساعات قليلة فقط من عملية اسرائيل الاجرامية في بيروت ، اوراق اعتماده سفيرا جديدا لاسرائيل لدى واشنطن ، وتذكر في اول مقابلة له مع يهود اميركا مصير الصليبيين في فلسطين ، عندما قال « ان الصليبيين قد خسروا دولتهم في فلسطين لانهم نسوا ان المسيحية في أوروبا تقف من ورائهم » ، وكان بذلك يدعو ويؤكد على ضرورة تعاون اسرائيل مع يهود اميركا . واذا كانوا هم يذكرون مصير الصليبيين ، فاننا بدون شك احوج منهم الى تذكر تلك الحقبة من تاريخ فلسطيننا .

عماد شقور

(٤) القضية الفلسطينية عسكريا

● انتقال طائرات الميراج الليبية الى مصر

في ١٠ كانون الثاني عام ١٩٧٠ اعلنت الحكومة الفرنسية مبدئيا ان ليبيا اشترت ٥٠ طائرة ميراج ستتسلم على دفعات حتى عام ١٩٧٥ ، وفي ٢١ كانون الثاني من العام نفسه تحدث ميشيل دوبريه وزير الدولة المكلف بمنصب وزير الدفاع الوطني الفرنسي عن صفقة تضم ١٠٠ طائرة ثم عن ١١٤ طائرة*. واعتبرت اسرائيل ان هذه الصفقة موجهة ضدها ، وان فيها نقضا لمبدأ حظر شحن الاسلحة الى الدول المشتركة مباشرة في نزاع الشرق الاوسط ، وشنت مع انصارها حملة ديبلوماسية رافقتها ضغوط دعائية انتهت بأن أعلن جاك شابان دالماس رئيس الوزارة الفرنسية آنذاك في مقابلة تلفزيونية جرت بتاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩٧٠ : « اذا ما بدا ان هذه الميراج بدلت الجهة المرسلة اليها، فاننا سنعرف ذلك بسرعة، وعندها ستخضع الطائرات الباتية للحظر» الاكسبرس ٣٠/٤—٥/٦/١٩٧٣ ولقد بدأ تسليم الطائرات بالفعل الى ليبيا منذ عام ١٩٧١ ، كما أخذت طواقم الطيارين والتقنيين تتدرب في مطارات فرنسا . وبالرغم من تأكيد رئيس الوزارة الفرنسية ، فقد بقيت اسرائيل قلقة وتنظر الى الصفقة بكثير من الحذر . ولقد ثارت شكوكها بشكل حاد في شباط ١٩٧١ عندما اعلن العقيد معمر

* تذكر نشرة مؤسسة الدراسات الاستراتيجية البريطانية The Military Balance 1970-1971 ان الطائرات التي اشترتها ليبيا هي ٥٠ ميراج٥ (قاذفة مقاتلة) و٦٠ ميراج ٣ (مطاردة معترضة) والمعتقد انها ميراج ٣ موسوعة Jane's ١٩٧٠ — ١٩٧١ .

القذافي « اننا احرار بأن نستخدم كما نشاء الاسلحة التي نشتريها بأموالنا » وزاد من قلقها ان رد الفعل الفرنسي جاء هادئا متزنا عندما صدر بيان فرنسي يقول « ليس لدى الحكومة الفرنسية ما تضيفه الى التصريحات التي اعلنتها من قبل » (الاكسبرس ٤/٣٠ — ٧٣/٥/٦) . وبالرغم من تأكيدات ليو هامون في ٤ تشرين الثاني ١٩٧٠ ، ودو ليبكوفسكي في ٩ حزيران ١٩٧٢ ، ورسالة وزير الخارجية موريس شومان الى ابا ايبان في ٣ تشرين الاول ١٩٧٢ وتطميناتهم بعدم امكانية نقل طائرات الميراج الى طرف ثالث مشتبك مباشرة في نزاع الشرق الاوسط فقد بقيت اسرائيل تعتبر الصفقة الفرنسية — الليبية سببا من اسباب الخلاف مع باريس .

وكان من الممكن ان يبقى الخلاف ساكنا فترة طويلة من الزمن . ولكن فجأة ، وبعد ان وقفت فرنسا وبريطانيا موقفا متشددا ضد اسرائيل في مجلس الامن ، وشاركتا في التصويت على ادانة اسرائيل لعدوانها على بيروت في ليلة ٩ — ١٠ نيسان ١٩٧٣ ، بدأت اسرائيل حملة مكشوفة ضد باريس مستغلة بعض ما نشر في الصحافة الامريكية . فلقد تحدثت الديلي اكسبرس وواشنطن بوست في مطلع نيسان عن سرب طائرات ميراج انتقل من ليبيا الى مصر . وعللت الديلي اكسبرس ذلك على لسان مراسلها في واشنطن مارك روس بأنه محاولة لاخفاء الطائرات الليبية تحت مظلة صواريخ سام السوفييتية في مصر بعد اكتشاف خطة تعدها اسرائيل بمساعدة الولايات المتحدة لتدمير السلاح الجوي الليبي على الارض بضربة مفاجئة تقوم بها طائرات اسرائيلية تمون من الجو . ولكن وزارة الدفاع الفرنسية نفت نبأ انتقال الطائرات نفيا قاطعا ، واعتبرت ان واشنطن بوست استقت معلوماتها من مصادر اسرائيلية وصفتها بأنها مصادر « غير موضوعية » . ولقد قال ناطق بلسان وزارة الدفاع الفرنسية « ان النبأ لا اساس له من الصحة » . وقال احد كبار الموظفين الفرنسيين للمراسلين « ان النبأ هو بمثابة خرافة » (ر.ا.ا. ملحق عدد ٢١٥) .

وفي يوم ٤/١٦ نقلت وكالة (ا. ب) ان وزير الخارجية الاسرائيلية ابا ايبان ذكر في مقابلة مع صحيفة يديعوت احرونوت « ان النزاع الرئيسي بين اسرائيل وفرنسا يتركز حول تزويد ليبيا بطائرات حربية فرنسية » ... « وان اسرائيل تعتقد ان طائرات الميراج ستصل في النهاية الى مصر » (الحياة ٧٣/٤/١٧) . ثم انتقلت اسرائيل من التلميح الى التصريح في يوم ٤/١٩ عندما اكد اللواء دافيد العازار رئيس الاركان الاسرائيلي امام المراسلين المحليين والاجانب انه قد وصل الى مصر سرب طائرات ميراج ليبية وسرب طائرات هنتر عراقية ويشمل السربان ٣٥ طائرة مقاتلة . وان في هذا مخالفة للاتفاقية الفرنسية — الليبية . ثم اشار الى « ان نقل طائرات الميراج اليوم من ليبيا الى مصر يؤكد قلقنا من ان هذه الطائرات أتت لدعم قوة السلاح الجوي المصري قبيل حرب محتملة ، وهذه الخطوة من شأنها ان تعلمنا مرة اخرى ان الحظر الفرنسي كان ولا يزال منحازا في الشرق الاوسط . فطائرات الميراج تدعم بصورة ممتازة قوة السلاح الجوي المصري ويتوجب علينا اخذ ذلك بالحسبان » (ر. ا. ا. ملحق عدد ٢١٥) .

وتجاهلت باريس من جديد هذا التصريح . ولم يعلق وزير الدفاع الفرنسي بشيء سواء بشكل مباشر او غير مباشر . ويذكر نكديمون روجيل مراسل الاذاعة الاسرائيلية في باريس انه حصل من وزارة الخارجية الفرنسية على التعليق التالي : « لا تنتظر رد فعل، لقد نشرنا تكذيبا قبل ثمانية ايام ، وليس بامكاننا الا ان نوجهك الى ما نشرناه » (ر. ا. ا. ملحق عدد ٢١٦) .

وفي ٢٢ نيسان دعا وزير الخارجية الاسرائيلية ابا ايبان سفير فرنسا فرانسيس هوري ليعبر له عن قلق اسرائيل بعد المعلومات التي تلقاها حول نقل الميراج الليبية الى مصر . (لموند ٧٣/٤/٢٤) . ولقد لفت ابا ايبان نظر السفير الفرنسي الى تعهدات الحكومة الفرنسية التي أكدت ان مثل هذا النقل سيؤدي في حالة وقوعه الى ايقاف تسليم الطائرات وقطع التبديل الى ليبيا . واشاع الاسرائيليون ان وزير الخارجية سلم السفير الفرنسي وثائق تؤكد شكوكه . ولكن وزارة الخارجية الفرنسية نفت في ٤/٢٢ ان يكون أبا ايبان قد سلم فرانسيس هوري اية وثائق . عندها نقلت الاوساط المقربة من وزير الخارجية الاسرائيلي الى الصحف في ٤/٢٣ ان ابا ايبان قدم للسفير الفرنسي « معلومات صحيحة ، ودقيقة ، ومفصلة ، ومؤكدة تماما » (لموند ٧٣/٤/٢٥) .

وأشارت مختلف وكالات الانباء الى ان « الوثائق »

التي قدمتها اسرائيل الى فرنسا تشمل : عدد الطائرات المنتقلة من ليبيا الى مصر ، وتاريخ الانتقال ، واسماء المطارات التي استخدمتها عند الاقلاع من ليبيا (عقبه بن نافع في طرابلس ، والنصر في طبرق) والامكنة التي توجد فيها في مصر (بني سويف والفيوم) . ولقد تحدث ابا ايبان الى الصحفيين في يوم ٤/٢٧ وطالب فرنسا « بأن تتحقق من الامر » بنفسها في « الاماكن المحددة » ثم اضاف « ان لدى فرنسا امكانية اخرى للتحقق هي : تفتيش المطارات الليبية ، ومعرفة كم طائرة من الطائرات الستين التي استلمتها ليبيا من فرنسا لا تزال في هذه المطارات » (لموند ٧٣/٤/٢٨) . وكان سفير اسرائيل في باريس آشر بن نائان قد صرح عند وصوله الى مطار اورلي ان السلطات الاسرائيلية تملك « التأكيد المطلق » بأن ١٨ طائرة من طائرات الميراج الـ ٦٠ المسلمة الى ليبيا « موجودة في مطار عسكري مصري » . وأن لدى اسرائيل الدليل «على ان المعدات الارضية والمعدات التقنية اللازمة لقيادة وتوجيه الميراج خلال الطيران غدت موجودة على الارض المصرية » (لموند ٢٧/ ٧٣/٤) .

ولقد حشرت الصحافة اسم الولايات المتحدة الامريكية في القضية عندما اشارت الى ان من بين الوثائق التي قدمها ابا ايبان صورة التقطتها طائرات التجسس الامريكية C-130 هيركوليس التي تحلق باستمرار فوق البحر الابيض المتوسط . او التقطها قمر من اقمار التجسس الامريكية . ولكن ناطقا بلسان وزارة الخارجية الامريكية نفى « بأن تكون الولايات المتحدة قد سلمت اسرائيل صورا التقطت من الجو تثبت ان طائرات الميراج الليبية قد نقلت الى مصر » (ر. ا. ا. عدد ٢١٩) .

ومن الواضح ان اسرائيل لم تشأ تصعيد الموقف مع فرنسا الى الذروة ، اذ كانت تأمل ان يؤدي احتجاجها الى دفع الفرنسيين — دون احراجهم ووضعهم في زاوية — نحو اتخاذ تدابير تكفل منع نقل الميراج الى مصر او سحبها في حالة انتقالها . ويبدو عدم التطرف هذا في حديث ابا ايبان التلفزيوني في ٤/٢٦ والذي قال فيه : « اننا لم نقدم لفرنسا المعطيات التي نملكها [حول قضية الميراج] في حركة غضب او لنحرج موقف فرنسا ، بل حتى تكون الحكومة الفرنسية على علم بما نعرف . اننا نعتقد ان من الضروري ان يطلع الرأي العام الاسرائيلي كل الاطلاع على جميع المعضلات المتعلقة بأمنه » (لموند ٧٣/٤/٢٨) . ولقد كان في اسرائيل اتجاه ينادي بضرورة التعامل بحزم وشدة مع فرنسا بالنسبة لقضية الطائرات، واتجاه آخر يؤيد الاعتدال. ويبدو ان الاتجاه المعتدل تغلب على الاتجاه الاخر . وقد يكون هذا الاعتدال ناجما عن عدم الرغبة في قطع « شعرة معاوية » مع فرنسا ودفعها بعنف الى موقف يشبه الموقف السوفييتي ، وقد يكون ناجما عن ضغوط فرنسية على اسرائيل اجبرتها على الاعتدال . « وتذكر صحيفة هآرتس (٧٣/٤/٢٧) بأن باريس اعلمت اسرائيل بأنه اذا « نبشت » اسرائيل قضية الميراج اكثر من ذلك فان فرنسا سترد على ذلك بنشر معلومات لم تنشر بعد عن تساهلات تمت مع اسرائيل من قبل » (لموند ٧٣/٤/٢٨) .

وفي يوم ٤/٢٧ اعلنت وزارة الخارجية الاسرائيلية انها تنتظر ردا رسميا من فرنسا عن المعلومات التي قدمها ابا ايبان الى السفير الفرنسي . ولقد جاء الرد في اليوم نفسه اذ اعلن الناطق الرسمي باسم الحكومة الفرنسية السيد كوميتي بأنه « لم تحصل الحكومة حتى اليوم على تأكيد للانباء المتناقلة حول هذا الموضوع . كما انها لم تحصل على ما يبرر المخاوف التي يتم التعبير عنها » ... « اننا لا نستطيع ربط شخص بكل طائرة ميراج ، واذا ما ذهبت ١٨ طائرة الى مصر فاننا سنحصل على الدليل . لقد طلبت فرنسا من ليبيا ومصر تأكيدا للتأكيدات الاسرائيلية ، ولكنها تلقت تكذيبا لهذه التأكيدات » (لموند ١٩٧٣/٤/٢٨) . وردت اسرائيل في اليوم نفسه على لسان الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الذي قال : « ان تصريحات الناطق الرسمي باسم الحكومة الفرنسية السيد كوميتي في مؤتمره الصحفي لا تعتبر بالنسبة لنا الاجابة التي ننتظرها » ... « ولا تزال الكرة بين ايدي الفرنسيين » (لموند ٧٣/٤/٢٨) . وبقيت تل أبيب تنتظر الرد عن طريق السفير الفرنسي في اسرائيل او عن طريق السفير الاسرائيلي في باريس. ولكن الحكومة الفرنسية وقفت عند تصريحاتها السابقة . وعندما نشرت الفيغارو في عدد ٤/٢٨ تفصيلات عديدة حول نقل الميراج اعلنت الاوساط الفرنسية المسؤولة انه « ليس لديها ما تضيفه لما قيل من قبل حول هذا الموضوع » (لموند ٢٩ — ٧٣/٤/٣٠) . وتجمد الموقف عند هذه النقطة . ولا تزال اسرائيل تنتظر ضمانات جديدة ، وهي تعتمد في انتظارها على نتائج الاتصالات الامريكية

ـ الفرنسية التي اشارت اليها وكالات الانباء خلال النصف الثاني من شهر شباط الماضي . كما تعتمد على الضغوط الداخلية المنتظرة في فرنسا . فلقد طلب النائب غبريل بيرونيه تشكيل لجنة تحقيق برلمانية للتأكد من الاتهامات الاسرائيلية التي « تهدد سياسة الحياد الفرنسية بالنسبة للنزاع في الشرق الاوسط » كما طالب غاستون ديفير واعضاء المجموعة الاشتراكية بتشكيل مثل هذه اللجنة (اكسبرس ٤/٣٠ ـ ٧٢/٥/٦) .

ولكن لماذا اثارت اسرائيل هذه المسألة بحدة ؟ ولم اثارت مسألة الميراج الليبية بالذات دون التشديد على مسألة طائرات الهنتر العراقية رغم ان المسألتين في الظاهر من طبيعة واحدة .

ان طائرة الميراج ٥ التي يعتقد انها وصلت الى ليبيا مقاتلة قاذفة تبلغ سرعتها القصوى ٢٢٣٠ كيلو متر/ساعة (٢،٢ ماك) وتبلغ حمولتها القصوى الخارجية ٩٢٦٠ رطلا من خزانات الوقود والقنابل والصواريخ . وهي مسلحة بمدفعين عيار ٣٠ مم ، ويمكن تسليحها بصواريخ جو ـ جو . والمهم في هذه المقاتلة القاذفة مداها القتالي الكبير مع خزانات وقود اضافية (١٣٠٠ كم على ارتفاع عال ، و ٦٥٠ كم على ارتفاع منخفض) وهذا يعني ان بوسعها الانطلاق من المطارات المصرية لضرب اي هدف داخل اسرائيل . ويمكننا تقدير مزايا الميراج بمقارنتها مع الطائرات السوفييتية المشابهة لها مثل السوخوي س يو ٧ والميغ ١٧ . فالسوخوي س يو ٧ مقاتلة قاذفة تبلغ حمولتها القصوى ٤٢٠٠ رطل . وهي مسلحة بمدفعين عيار ٣٠ مم . ويمكن تسليحها بصواريخ جو ـ جو بيد ان سرعتها القصوى اضعف من سرعة الميراج ٥ (١٧٥٠ كيلو متر/ساعة) كما ان مدى عملها القتالي الاقصى مع خزانات وقود اضافية اصغر من مدى عمل الميراج (٣٢٠ ـ ٤٨٠ كيلو مترا) . أما الميغ ١٧ فهي مقاتلة قاذفة ايضا وحمولتها القصوى من القنابل والصواريخ ١٠٠٠ رطل ، ولكن مدى عملها القتالي الاقصى مع خزانات وقود اضافية اقل من مدى عمل الميراج ٥ (٧٥٠ كيلو مترا) وهذا يعني ان الطائرتين السوفيتيتين المقاتلتين القاذفتين سوخوي س يو ٧ و ميغ ١٧ لا تماثلان الميراج ٥ في السرعة ومدى العمل الاقصى . وهما عاملان مهمان عند التخطيط لضرب الاهداف في عمق اراضي العدو . ولقد استغلت اسرائيل هاتين الميزتين في حرب ١٩٦٧ عندما استخدمت طائرات الميراج ٣ سي كما استخدمت الطائرات الفرنسية المتعددة التي كانت تملكها لضرب الاهداف العربية البعيدة عن المطارات الاسرائيلية . ولم يكن العرب بحاجة لمثل هاتين الميزتين آنذاك نظرا لصغر العمق الاستراتيجي عند العدو ، وامكانية التحليق من مطار بلد عربي والهبوط في مطار بلد عربي اخر (مصر ـ سورية ـ الاردن) . اما اليوم وقد تبدلت المواقف وانعكست الادوار باتساع العمق الاستراتيجي المعادي بعد احتلال سيناء والجولان والضفة الغربية ، فان البلدان العربية وخاصة مصر بحاجة لمقاتلات قاذفة بعيدة المدى مثل الفانتوم ف ـ ٤ أ ، والميراج ٥ ، والسكاي هوك . وبما ان الحصول على الطائرات الامريكية متعذر فان السلاح الوحيد الممكن هو الميراج . وهذا ما يعطي الطائرات الليبية اهمية خاصة .

أما طائرات الهنتر فهي مقاتلات قاذفة تبلغ سرعتها القصوى ١١٥٠ كيلو متر/ساعة وتستطيع حمل قنبلتين زنة الواحدة ١٠٠٠ رطل ، مع ٤٨ صاروخا عيار ٧٦ ملم ويصل مدى عملها القتالي الى ٣٩٥ كيلو مترا . وهذا يعني ان سرعتها ومدى عملها تجعلانها من طائرات الصف الثاني التي لا تستطيع اليوم ضرب اهداف حيوية في عمق اراضي العدو وخاصة اذا ما انطلقت من مصر ، ويقتصر عملها على دعم القوات البرية فقط عند القيام بعبور قناة السويس . وهذا ما يفسر عدم اهتمام اسرائيل بها او اثارة ضجة حولها مشابهة للضجة التي اثارتها حول موضوع الميراج .

وبالرغم من ميزات الميراج ٥ وقدرتها على ضرب الاهداف بالعمق ، وامكانية استخدامها من قبل العرب بضربة تشابه الضربة الاسرائيلية في ٥ حزيران ١٩٦٧ فان من المؤكد ان الاسباب العسكرية ليست اهم الاسباب التي دفعت اسرائيل الى اثارة المسألة . فمن المعروف ان انتقال ١٨ طائرة من ليبيا الى مصر او انتقال جميع الطائرات الليبية الى مصر [استلمت ليبيا حتى الان ٦٠ طائرة من أصل ١١٤ يمكن ان تضع منها في القتال ٣٥ ـ ٤٠ فقط] لا يبدل موازين القوى في المنطقة باعتراف المعلقين العسكريين الامريكيين والاسرائيليين . والميراج ٥ اضعف في كثير من النواحي (الحمولة ـ المدى ـ السرعة ـ الاجهزة) من الفانتوم ـ ٤ أ ، كما أن مصر التي تملك ٥٨٦ طائرة مقاتلة تحس بنقص في الطيارين اكثر من النقص بالطائرات . ونقص الطيارين والتقنيين في ليبيا اكبر بكثير . ولقد

اكد مراسل يديعوت احرونوت في باريس في ٤/٢٩ ان وصول طائرات الميراج القادرة على ضرب الاهداف في عمق اسرائيل مهم ولكن الجهاز الدفاعي الاسرائيلي قادر على اسقاط طائرتين من كل ٣ طائرات ميراج تتوغل لتنفيذ مثل هذه المهمات .

وما دام تأثير انتقال الميراج الليبية على موازين القوى — في حالة انتقالها — محدودا الى هذا الحد فان من الارجح ان يكون وراء اثارة المسألة اسبابا سياسية اهمها تشويش العلاقات الحسنة بين ليبيا ومصر من جهة وفرنسا من جهة اخرى ، بالاضافة الى تسديد « الضغط » على فرنسا بعد موقفها السياسي — الدبلوماسي المؤيد للعرب ، وافهامها بان من الممكن اثارة ضجة داخلية وعالمية تحرمها من بيع الاسلحة للبلدان العربية الغنية البعيدة عن منطقة النزاع العربي — الاسرائيلي ، علما بأن هذه البلدان قادرة على انعاش صناعة الطائرات المدنية والعسكرية في فرنسا اذا ما تمت الصفقات بهدوء نسبي . بيد ان خضوع فرنسا وتراجعها امام هذه الضغوط امر غير مؤكد . فبالرغم من الصعوبات والمقاومات الداخلية والخارجية التي يمكن ان تلاقيها اية حكومة تود ادخال تعديل جوهري على سياستها ، وتخفيف قيود الحظر المفروضة منذ حرب ١٩٦٧ فان حجم المصالح الفرنسية في البلدان العربية ، واحتمالات زيادة هذه المصالح مع تزايد اهمية البترول ، واحتمالات تقلص النفوذ الامريكي في البلدان المنتجة للبترول من جراء موقف واشنطن الحالي المتحيز مع اسرائيل وموقفها المقبل المتحيز مع ايران ، ورغبة صانعي الطائرات الفرنسية بأخذ مكان صانعي الطائرات الامريكية في البلدان العربية التي لا تستورد السلاح من الاتحاد السوفييتي ، عبارة عن عوامل هامة قادرة على استقطاب قوى قد تتغلب على الصعوبات والمقاومات المنتظرة . ان السياسة الفرنسية ازاء العرب والمتميزة عن سياسة الدول الرأسمالية الاخرى ، ان هي الا مظهر من مظاهر التناقض الجزئي داخل المعسكر الرأسمالي .

ولقد وصف الرئيس هواري بومدين العلاقات العربية الفرنسية في مقابلة اجراها مع التلفزيون الايطالي بقوله : « اذا تميز الموقف الرسمي الفرنسي ، الى حد ما ، بجهد لتفهم القضية العربية فهناك داخل المجتمع الفرنسي قوى تعمل لمصلحة اسرائيل » واشار الى ان موقف فرنسا من العرب لا يختلف كثيرا عن موقف الدول الاوروبية الاخرى « ولا نعتقد ان هذا الموقف يعبر عن سياسة حسنة ، لانه يتعارض مع منطق احتمالات المستقبل ويتعارض ايضا مع التطور التاريخي » (النهار ٧٣/٤/١٥) . ضمن هذا الاطار ينبغي ان نفهم الموقف الفرنسي ، وضمن حدود هذه المعطيات الاقتصادية — السياسية ينبغي ان ننظم علاقاتنا الاقتصادية — السياسية مع فرنسا لاستغلال هذا التناقض الجزئي الى ابعد حد ممكن .

ولننظر الان الى مسألة انتقال الطائرات الليبية الى مصر من الناحية التقنية — العملياتية . ان طائرة الميراج معقدة يتطلب استخدامها قدرات بشرية رفيعة المستوى ، فبالاضافة الى الطيار فان الطائرة بحاجة الى ١٠ — ١٢ شخصا من التقنيين المؤهلين من مختلف الاختصاصات : محرك ، تسليح ، الكترونات ، لاسلكي ، هيدروليك ، اجهزة حيطة ... الخ . ولا يمكن اعتبار انتقال الميراج الليبية الى مصر حقيقيا ويستحق الاهتمام الا اذا تأكد بشكل لا يدع مجالا للشك بان الطائرات لم تنتقل لوحدها بل انتقلت معها مجموعات التقنيين بالاضافة الى المعدات والتجهيزات اللازمة لاستخدامها الحربي ، مثل المجموعات الكهربائية للانطلاق ، ومعدات الاوكسجين السائل والهواء المضغوط ، وتجهيزات الهبوط ، والعدة ، ووسائط اختبار اللاسلكي ، ومعدات الاصلاح ، والمعدات اللازمة لحمل الذخائر والاسلحة ، وهي معدات ضرورية لجعل الطائرة سلاحا حربيا قادرا على الاشتراك في المعركة . ولا يمكن في اي حال من الاحوال اعتبار انتقال الميراج من ليبيا الى مصر انتقالا عملياتيا ذا طابع عسكري الا اذا انتقلت المعدات والتجهيزات اللازمة ، خاصة وان المعدات والتجهيزات المشابهة المستخدمة في سلاح الطيران المصري هي سوفييتية الصنع ولا تصلح لاعداد الطائرات الفرنسية . وكل انتقال يتم دون تحقيق هذه الشروط يدخل في نطاق « الزيارات الودية » او « المظاهرات العسكرية » المألوفة بين الدول .

ولقد ركزت الدعاية الاسرائيلية على هذه النقطة الهامة فأشارت الى ان المعدات والاجهزة التقنية الارضية انتقلت الى مصر بطائرات النقل في النصف الثاني من شهر اذار الماضي ، ثم تبعها سرب الطائرات في الاسبوع الاول من شباط . وردا على حديث المعلقين عن احتمال ان يكون الانتقال عبارة عن « زيارة ودية » اعلنت اسرائيل رفضها لفكرة وجود الميراج في مصر حتى لو لم يكن لهذا الوجود

قيمة عملياتية ، اي حتى لو كانت الطائرات موجودة دون المعدات اللازمة لجعلها ادوات قتالية . ولقد رد ابا ايبان على سؤال صحفي بهذا الصدد بقوله: بان مثل هذه الاعتبارات لا اهمية لها . والمهم ان هناك انتقالا : « ان الجدل يدور حول مسألة وقوع انتقال ، وهذا يشكل — حسب التأكيدات التي قدمتها فرنسا لنا عدة مرات خرقا للاتفاقات يترتب عليه ايقاف تزويد ليبيا بالميراج وقطع الغيار » (لوند ٧٣/٤/٢٨) . وهذا يعني ان اسرائيل ترفض وجود الميراج الليبية على حدودها حتى ولو كانت الشروط التقنية المحيطة بهذا الوجود تجعله وجودا مشلولا بدون اية قيمة قتالية. والنقطة الاخيرة في هذه المسألة نقطة قانونية . ان الاتفاقية الليبية — الفرنسية غير منشورة — حسب علمنا — ولكن هناك مبدأ متعارفا عليه يقول ان من يبيع الاسلحة يمنع الشاري بصورة عامة من ان ينقل ملكية هذه الاسلحة (عن طريق البيع او الهبة) الى طرف ثالث بدون اذنه . وتطبق فرنسا هذا المبدأ في كل صفقاتها . اي ان بوسع فرنسا ان تمنع ليبيا من ارسال طائراتها لا الى مصر او سوريا او الاردن (وهي دول مشتركة مباشرة في النزاع العربي — الاسرائيلي وينطبق عليها مبدأ الحظر) بل الى العراق واليمن ... الخ ايضا . ولكن كيف يمكن تفسير مثل هذا المبدأ ومبدأ الحظر ايضا عندما سيأتي ايلول ١٩٧٣ وتدخل مصر وليبيا في وحدة اندماجية وتصبح القوات المسلحة الليبية والمصرية واحدة ؟ لقد تعهدت ليبيا باستخدام الميراج **للدفاع عن اراضيها** ، ولكن اراضيها ستمتد بعد الوحدة مع مصر من تونس الى النقب ،وسيكون جزء من اراضيها (سيناء) محتلا من قبل العدو من جراء عدوان اداته العالم — بما في ذلك فرنسا — وطالب القائمين به بالانسحاب من الاراضي المحتلة . ومن المعروف ان الهجوم المضاد لتحرير اراضي الوطن المحتلة جزء من الدفاع عن الوطن ، وهذا يعني ان اشتراك الميراج الليبية بعد ١ ايلول ١٩٧٣ في اية عملية هجومية لتحرير سيناء سيكون عملا دفاعيا ضد عدو مغتصب يرفض التخلي عما استولى عليه بالقوة ، اي ان هذا الاشتراك رغم **هجوميته** سيكون منسجما مع طبيعة التعهد **الدفاعي** الليبي .

لقد هدأت مسألة انتقال سرب الطائرات الليبية الى مصر الان . وسواء كان هذا الهدوء ناجما عن تأكد فرنسا من عدم صحة الادعاءات الاسرائيلية ، او من حصولها على ضمانات باعادة الطائرات الى ليبيا ، او من ضغطها المعاكس على اسرائيل وتهديدها بكشف مخالفات سابقة لمبدأ الحظر او نقل السلاح الى طرف ثالث ، او من تأكدها بأن الطائرات انتقلت بدون معداتها وتجهيزاتهاالارضية، او من جراء اي سبب اخر ، فان المسألة ستتفجر من جديد في ايلول ١٩٧٣ عند اعلان الوحدة المصرية — الليبية ، وانضمام طائرات الميراج الليبية الى القوة المصرية الضاربة التي تضم ١٨ قاذفة متوسطة ت بو — ١٦ ، و ١٠ قاذفات خفيفة ال — ٢٨، و ١٢٠ مقاتلة قاذفة سوخوي س يو — ٧ ، و ٢٠٠ مقاتلة قاذفة ميغ ١٧ ، وعندها سيكون امام فرنسا طريقان : فاما ان تخطو خطوة جديدة على سبيل التناقض الجزئي مع السياسة الامريكية ، فتحتل مكانة اقتصادية ممتازة في العالم العربي ، وتكسب سوق السلاح في البلدان العربية البترولية او تتراجع خطوة واسعة تؤكد مرة اخرى **التناقضات الثلاثة** القائمة بين رغبة العرب في شراء السلاح من الغرب وطبيعة الصراع مع الامبريالية واسرائيل . تلك التناقضات التي طرحناها في مقال التسليح السوفييتي والصراع العربي الاسرائيلي (مجلة شؤون فلسطينية ، عدد ٢٠ ، ص ٣٥) واكدنا من خلالها حتمية تسليح العرب من الدول الاشتراكية لتغدو معادلة التسليح متوازية مع طبيعة الصراع وحقيقة القوى المشتركة فيه .

هـ . أ .

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٤/١٤/ — ١٩٧٣/٥/١٣

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١	٤/١٤	٢٣٤٠٠	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير قسم من مبنى مكتب العمل	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧١٨	٤/١٥
٢	٤/١٩	٢٠٤٠٠	القـدس	هجوم	قنابل حارقة	غيرمحدد	اشعال النيران في بنك باركليس	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧١٩	٤/٢٠
٣	٤/١٩	١٨٤٠٠	طولكرم	كمين	قذائف صاروخية وأسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٢٠	٤/٢٠
٤	٤/٢١	١٤٣٠	صفد	اشتباك	اسلحةرشاشة وقنابليدوية	عدة اصابات	غير محدد	—	٢	٣	تصريح عسكري رقم٧٢١	٤/٢١
٥	٤/٢٢	٢٢٤٠٠	الدبوسية/الجولان	كمين	قذائف صاروخية واسلحةمختلفة	غيرمحدد	تدمير آلية نصف مجنزرة	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٢٢	٤/٢٣
٦	٤/٢٦	١٣٤٣٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة مقهى للضباط بأضرار	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٢٣	٤/٢٦
٧	٤/٢٦	١٣٤٠٠	الخشينة/الجولان	اشتباك	اسلحة مختلفة	غيرمحدد	غير محدد	—	—	٥	تصريح عسكري رقم٧٢٤	٤/٢٧
٨	٤/٢٧	١٠٤٣٠	جات هاشمرون/العفولة	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة محطة ايجد للباصات بأضرار	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٢٥	٤/٢٧
٩	٤/٢٥	٢١/١٥	القنيطرة/الجولان*	قصف	مدفعية الهاون	غيرمحدد	غير محدد	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٢٦	٤/٢٧
١٠	٤/٢٨	—	تل‌ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير المستودعات الرئيسية للادوات الزراعية واشعال النار فيها	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٢٧	٤/٢٨
١١	٤/٢٨	٢٣٤٣٠	الرشيدية/لبنـــان	محاولة هجوم	اسلحة مختلفة	غيرمحدد	اصابة احد الزوارق البحرية اصابة مباشرة	—	—	—	تصريح عسكري رقم ٧٢٨	٤/٢٩
١٢	٥/ ٧	—	القدس	قصف	قذائف صاروخية	غير محدد	اسقاط طائرة هوليكوبتر	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٢٩	٥/ ٩

١٣ — ٢ /٥	٢٤٤٠٠	بين نابلس وجنين	كمين	اسلحة رشاشة وقنابليدوية	غيرمحدد	اصابة باص عسكري واعطابه	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٣٠ ٩ /٥
١٤ — ٤/٢٨	٢١٤٣٠	بين نابلس — البادان	كمين	اسلحة رشاشة	افراد دورية	—	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٣١ ٩ /٥
١٥ — ٩ /٥	—	بتاح تكفا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اشعال النيران في مصنع للمواد الكيماوية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٣٢ ٥/١٠
١٦ — ٥/١١	—	بين نابلس — جنين	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مجمع الاتصالات الهاتفية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٣٣ ٥/١٣

* اعترف العدو بهاتين العمليتين . راجع نشرة « رصد اذاعة اسرائيل » العدد ٢١٥ و ٢١٩ .

تعريف بالمصطلحات الوارد ذكرها

— تصدر التصاريح العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

غازي خورشيد

ملحق شهريات

الغارة الاسرائيلية على بيروت وردود الفعل في الضفة الغربية وقطاع غزه

تنبع اهمية متابعة ردود الفعل العربية في المناطق المحتلة اثر العملية الاسرائيلية التي استهدفت ثلاثة من قادة المقاومة الفلسطينية في بيروت وهم الشهداء : ابو يوسف وكمال عدوان وكمال ناصر ، من خلال تأكيد ردود الفعل هذه على جملة من الحقائق الهامة التي تشكل مساهمة ايجابية في عملية اعادة بناء وترتيب معطيات الصورة النضالية لجماهير شعبنا الرازحة تحت الاحتلال منذ ست سنوات .

ان ردود الفعل العربية في المناطق المحتلة ، والتي يمكن اعتبار ما ورد عنها في الصحف العربية في الضفة الغربية على مختلف صوره ، مقالا كان او نعيا ، صورة كان او خبرا ، وعلى اختلاف مصادره سواء من قبل الافراد او المؤسسات والهيئات المختلفة ، تأخذ اهميتها الحقيقية في ضوء ردة الفعل الاخرى من جانب سلطات الاحتلال الاسرائيلية التي جاءت في اعقاب ردود الفعل العربية هذه . فلقد كانت مظاهر « الدهشة ! » والغضب بادية بوضوح في احاديث وتصريحات الزعماء الاسرائيليين التي ادلوا بها تعليقا على مظاهر الحداد والاستنكار الشعبي في المناطق المحتلة لعملية الغدر الاسرائيلية . وليس ادل على مشاعر الدهشة والغضب الاسرائيلية هذه مما صرح به دافيد البعازر رئيس اركان جيش العدو الاسرائيلي حين قال : « ان نشر صور كمال ناصر وهو الذي يدعو الى تدمير اسس دولة اسرائيل في صحف الضفة الغربية والقطاع الشرقي من القدس ، وما رافقها من بيانات التعزية ، ان هذا امر له مغزاه بالنسبة الينا ، انه يعني ان الموقف العربي التقليدي الذي يدعو الى العمل من اجل تصفية اسرائيل لا يزال مقبولا من عدد كبير من العرب » (النهار ١٩٧٣/٤/٢٠) .

لقد تمثلت ردود الفعل العربية في المناطق المحتلة عبر اتجاهين متوازيين متماسين : الاول جاء من خلال الاضرابات والمظاهرات الجماهيرية التي عمت مختلف المناطق ، والثاني تمثل فيما عبرت عنه الصحف العربية في الضفة الغربية من خلال نشرها المقالات وبيانات النعي والتعزية وصور الشهداء .

الاضرابات والمظاهرات : جاء في تقرير خاص تلقته « شؤون فلسطينية » من الضفة الغربية حول هذا الحادث ، انه عندما تلقت جماهير شعبنا نبأ الغارة الاسرائيلية على بيروت واستشهاد ثلاثة من قادة الثورة حتى اقفلت معظم المدن محلاتها التجارية وخلت شوارعها من المواطنين الذين لازموا بيوتهم يتابعون من خلال اجهزة الراديو انبساء العملية الاسرائيلية . وكانت اوضح مظاهر الاضراب والوجوم ما شهدته مدينة نابلس صباح يوم ١٩٧٣/٤/١١ اي ثاني يوم العملية الاسرائيلية . ولم يتوقف عند حد اقفال المحلات التجارية في مدن الضفة الغربية حيث عمد طلاب المدارس في كافة مدن الضفة الى الامتناع عن دخول مدارسهم يوم ١٩٧٣/٤/١٢ . فقد تجمهر الطلاب في ساحات المدارس رافضين دخول صفوفهم بينما امتنع قسم منهم عن الحضور للمدارس في ذلك اليوم . ولدى تجمع الطلاب في ساحات المدارس جرت مظاهرات وهتافات ضد اسرائيل وضد العدوان كما هتفوا بحياة فلسطين والثورة الفلسطينية مما دفع بسلطات الاحتلال الاسرائيلية الى مهاجمة المدارس الثانوية في كل من نابلس ورام الله وبيت لحم وجنين وطولكرم بالقنابل المسيلة للدموع واعتقلت عددا من الطلبة .

اما في مدينة بير زيت وهي المدينة التي عاش فيها الشهيد كمال ناصر فقد تدفقت على المدينة في اليوم الذي جرى فيه تشييع الشهداء في بيروت ، مئات السيارات من مختلف مدن الضفة الغربية وقطاع غزة لتسير في جنازة رمزية للشهداء . وعند ملاحظة سلطات الاحتلال للتجمع الكبير داخل المدينة ، عمدت الى اقفال الطرق المؤدية اليها بحواجز شائكة تحرسها قوى مدرعة ومحمولة من الجيش الاسرائيلي حيث اوقفت السيارات ومنعت ركابها من دخول المدينة . وعند الظهر كان عدد السيارات التي وصلت الى بير زيت تزيد عن ثلاثمئة سيارة . وكان الذين اوقفوا عند حواجز التفتيش قد بلغوا اعدادا كبيرة اخذت تهتف ضد الاحتلال بينما تابع قسم منهم سيره الى المدينة مشيا على الاقدام الامر الذي دعا سلطات الاحتلال الى زيادة عدد قوات الجيش في هذه النقاط مما حال معه دون وصول

قسم كبير منهم الى المدينة للمشاركة في الجنازة الرمزية .

وفي الوقت الذي انطلق فيه ما يزيد على ربع مليون مواطن في بيروت وراء جنازة الشهداء قام حوالي ثلاثة الاف مواطن فلسطيني بمسيرة داخل مدينة بير زيت . وقد بدأت المسيرة التي كان يتقدمها العلم الفلسطيني بهتافات وطنية ، وعند تقدم قوة من جيش الاحتلال لانزال العلم الفلسطيني تعاركت معها الجماهير بالايدي ومنعتها من تحقيق ذلك وظل علم فلسطين مرفوعا والجماهير مستمرة في مظاهرتها تهتف بالاناشيد والشعارات الوطنية ، وضد الاحتلال والقتلة ، وتحيي الشهداء باسمائهم. وفي نهاية المسيرة عقد تجمع تأبين ندد فيه الخطباء بالعدوان والاحتلال والقيت فيه القصائد .

اما في مدن وقرى الضفة والقطاع الاخرى فقد كانت مظاهر الوجوم بادية على وجوه الناس الذين اخذوا يبادلون التعازي بعضهم بعضا . وقد تحولت بعض الافراح الى مظاهرات حيث حورت اهازيج الافراح للتعبير من خلالها عن الالام التي حلت بجماهيرنا اثر استشهاد ثلاثة من قادتها . وقد امتنع كثير من العمال الذين يعملون داخل القطاع المحتل من فلسطين منذ عام ١٩٤٨ عن الذهاب الى اعمالهم ، بينما تعارك قسم من الذين ذهبوا الى اعمالهم مع العمال والاداريين الاسرائيليين داخل المصانع لدى مناقشتهم للاحداث التي وقعت في بيروت فجر يوم ١٩٧٣/٤/١٠ .

صحف الضفة الغربية : ان الصدمة التي تلقتها جماهيرنا داخل الوطن المحتل وخارجه باستشهاد ثلاثة من قادتها ، اثارت مناقشات واسعة لدى الاوساط الفلسطينية والعربية . وكان طبيعيا ان تساهم جماهيرنا في الارض المحتلة في هذا النقاش عبر صحافتها الخاضعة هي الاخرى لظروف الاحتلال وقيوده وممنوعاته . فتناولت هذه الصحف عبر مقالاتها وافتتاحياتها موضوع الغارة الاسرائيلية بهدف استخلاص النتائج والعبر المختلفة . ولم تتوقف مناقشات هذه الصحف عند حد اهداف الغارة ومسبباتها ونتائجها المباشرة وغير المباشرة، بل تعدت ذلك الى مناقشة كافة المواضيع والمسائل التي تفرعت عن هذه الغارة كالشكوى اللبنانية الى مجلس الامن وضرب المصالح الاميركية بعد نسف خزانات مصفاة الزهراني قرب صيدا والعلاقات اللبنانية ــ الفلسطينية وغير ذلك من المواضيع .

وقبل الانتقال الى متابعة مناقشات صحف الضفة الغربية لهذه المواضيع فانه لا بد من الاشارة الى ان هذه العملية طرحت على صعيد المناطق المحتلة عدة حقائق ضمن ما طرحته على الواقع الفلسطيني برمته يمكن التقاطها من خلال مناقشات صحف الضفة الغربية في ضوء ردود الفعل الاسرائيلية . ومن اهم هذه الحقائق :

١ ــ ان ما قيل ويقال عن الحياة المشتركة بين العرب واليهود في فلسطين المحتلة وما قيل عن التقارب التدريجي بين عرب المناطق المحتلة وبين محتليهم خلال ست سنوات مضت ، قد تبدد امام الواقع الذي فتح الاسرائيليون اعينهم عليه اثر عملية الغدر في بيروت . فالاضرابات التي شهدتها معظم مدن الضفة الغربية ، والمظاهرة التي قامت في بير زيت واشترك فيها المواطنون من معظم مناطق الضفة والقطاع ، والمسيرات والهتافات الطلابية داخل ساحات المدارس ، اثبتت جميعها ان العرب لا يمكن ان ينظروا الى اسرائيل سوى نظرتهم الى سلطة احتلال . ان الشيء المقدس الذي ما زالت تنطوي عليه جوانح شعبنا في الارض المحتلة هو تمسكهم بالحرية وعدم استعدادهم للتنازل عنها في وجه الالم والاضطهاد والتقتيل . وقد عبرت احدى افتتاحيات صحيفة القدس عن ذلك بقولها « ... ان ما يسمى بالحياة المشتركة بين اليهود والعرب لا يمكنها تقليص عداء العرب لاسرائيل ... ان ما يقال عن التقارب التدريجي بين الطرفين خلال الست سنين الماضية يتبدد الان امام الواقع القاسي ... » (القدس ١٩٧٣/٤/١٧) .

٢ ــ بعد ان قامت اسرائيل باحتلال كافة الاراضي الفلسطينية عام ١٩٦٧ ، جرت عملية توحيد للشعب الفلسطيني لاول مرة منذ ثماني عشرة سنة في مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة والاراضي المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ، حيث جرت عملية اتصال واسعة ومباشرة بين جماهيرنا في هذه المناطق رغم كافة الحواجز والعراقيل التي وضعت على الطريق . وعمدت اسرائيل بعد ذلك الى العمل على خلق فكرة فلسطينيي الداخل وفلسطينيي الخارج بهدف شق الشعب الفلسطيني تمهيدا لتمرير مؤامراتها التصفوية . وقد اثبت شعبنا الفلسطيني في اكثر من مناسبة طوال السنوات الست الماضية زيف

هذا الادعاء وهشاشة هذه الفكرة . وقد جاءت العملية الاسرائيلية في بيروت لتبرز من جديد وبقوة راسخة ان محاولات اسرائيل في هذا الصدد لا يمكن لها ان تثبت على محك التجربة . فقد جاء في تعليق لجريدة القدس على العملية الاسرائيلية تاكيدا واضحا على اهمية الارادة الفلسطينية الواحدة في وجه المؤامرات الاسرائيلية المستمرة بقولها : « المأساة كل المأساة ليست في ان تسيل الدماء وتتناثر الاشلاء هدرا فحسب ، بل في ان لا يكون لدينا دم جديد نابض **وارادة واحدة فعالة** » (القدس ١٩٧٣/٤/١٦) . وجاء في تعليق اخر لنفس الجريدة « هؤلاء الذين يتساقطون ثمرات من اغصان الشجرة المقدسة التي تمتد جذورها في اعماق الارض **هنا** ، فان بكاهم الناس فمن خلال العواطف التي تفرضها وشائج النسب الواحد . سيكون وهما زائدا في ذهن الذين يظنون انهم قطعوا اوصال الناس ، يوم القوا بها جزءا هنا وجزءا هناك واجزاء في مكان ثالث ورابع وخامس ، ان هؤلاء لا يتعاطفون بالدم ، بالقربى ، بالتزاوج ، بالصداقات ، بالمواطنة ، بالانتماء للارض التي درجوا فوقها » (القدس ١٩٧٣/٤/١٧) .

٣ — لقد حاولت اسرائيل طوال سنوات الاحتلال الماضية ان تظهر حكمها التعسفي لجماهيرنا في الارض المحتلة بمظهر الحكم الديمقراطي الذي يتيح للمواطنين حرية التعبير وابداء الرأي . فجاءت عملية بيروت وما رافقها من ردود فعل اسرائيلية على مظاهر الحداد والاستنكار العربي في الاراضي المحتلة لتظهر زيف هذا الادعاء . **فكان اقدامها على** اعتقال اثنين من الصحفيين العاملين في جريدة الفجر وهما الصحفي يوسف نصر المحرر المسؤول وصاحب جريدة الفجر ، وجميل حمد احد محرري الصحيفة اثر نشرها انباء على ضلوع المخابرات الاردنية في التخطيط للعملية ، لتشكل ردا عمليا ملموسا على زيف ادعاءات الديمقراطية الاسرائيلية في المناطق المحتلة . وقد فضحت جريدة القدس في احد افتتاحياتها هذه الدعاوى الزائفة بقولها « ... لقد كان بارزا منذ الاحتلال الاسرائيلي للمناطق العربية ، التركيز على « الديمقراطية » التي اتاحت للمواطنين وحملة الاقلام والصحفيين بوجه خاص فرصة التعبير عن افكارهم بحرية ، حتى غدا هذا اللون من « المنة » هو المائدة اليومية لكل الذين يحاولون النيل من اوضاع معينة بصورة تعتمد على التمييز والمقارنة والاستهواء مباشرا كان او غير مباشر . ونستطيع القول بان التجربة التي تصلح ان تكون محكا حقيقيا لهذه الممارسة الديمقراطية اثبتت ملامح الضيق والتبرم والضجر بل والقلق الواضح ... لقد كان على الذين يتوقعون ان تتجاوب الافكار العربية والاسرائيلية ان يقدروا دائما ان الظروف التي يحياها الطرفان غير متكافئة ، وان احدهما يعيش في حالة من المعاناة لا يملك التنفيس عنها غير الكلمة التي تحمل طوايا النفوس في اطار من الصراحة والصدق » (القدس ١٩٧٣/٤/١٨) . وجاء في افتتاحية لجريدة الشعب تحت عنوان : قدسية الكلمة والرأي ترفض المصادرة والاحتواء . ان من يقبل ان يصدر صحيفة في ظل الاحتلال « هو واحد من اثنين : اما ان يقف مع شعبه المحتل في كل شيء مدافعا ، ورافضا ، وموجها ، ويجب ان يقبل بالاذى كجزء من درب طويل وشائك ... او ان يصبح رقما اخر في سلسلة ارقام صحف البلاط المطبلة والمهللة والماسحة للجوخ ، لا يعنيها شيء مما يدور حولها ... ان موجة الضيق والتبرم والاحراج فيما يبدو قد دفعت كل هستيريا العقلانية المغطاة ، الى ان تطفو رغم انفها ... ان ما جاء أمس الاول وقبل ذلك الامس بامسيات وما نشر في (البوست) التي تصدر بالانجليزية وفي (هآرتس ويديعوت) التي تصدر بالعبرية، وفي (انفرماسيون) وتصدر بالفرنسية ... حذت حذو هذه الصحف في التحامل على اقلام عربية معنية وضد صحف محددة بالذات . ان هذا التحريض — ايها السادة الصحفيون الليبراليون — بقدر ما هو فضيحة لدعاوى الليبرالية والديمقراطية التي طالما تبجحتم بان الناس يتفيأون ظلالها في تجسيم وتضخيم ... فهو وبقدر اخر موضوعي وملموس تحريض سافر واستعداء مباشر لا ضد نخبة من الاقلام خبرت من الحكام والاحكام الكثير من التجارب والمعاناة فحسب ، وانما هي في الواقع ضد السلطة نفسها، حيث وضعوها ومن حيث لا يدركون بين مفهومين متناقضين : تحديد هنا وفوضى هناك ... وتحريم لهذا وتحليل لذلك ... » (الشعب ١٩٧٣/٤/١٨). اما اذا انتقلنا الى متابعة مناقشات صحف الضفة الغربية لموضوع الغارة الاسرائيلية وكافة المسائل التي اتصلت بها فانه يمكننا التحدث عنها ضمن العناوين التالية :

هدف الغارة الاسرائيلية : لم يكن خافيا على احد ان الغارة الاسرائيلية استهدفت ثلاثة من ابرز قادة

المقاومة الفلسطينية كجزء من الحملة التي تستهدف رأس المقاومة وجسدها المادي فوق الارض المحتلة. غير ان اهداف هذه الغارة تخطت هذا النطاق لتصيب « بحجر » واحد اكثر من هدف محدد لها : ومن هذه الاهداف اظهار التفوق الاسرائيلي على العرب وابراز المقدرة الاسرائيلية على العمل في كل الظروف وفي اي مكان وزمان . وقد جاء في تعليق لجريدة القدس « ان تدخل قوات اسرائيلية قلب بيروت ، تقتل وتدمر وتزرع الالغام ، فذلك خصوصا في بيروت ، ليس بالمعجزة ولا بالقوة الخارقة . اذ ان اسرائيل بعد حرب حزيران ١٩٦٧ تعتمد غالبا والشواهد كثيرة على ضرب اضعف نقطة ضربة مذهلة لتظهر من ورائها امام المواطن العربي بمظهر السوبرمان ، ولتظهر القيادة العسكرية في اسرائيل بمظهر العقل الجبار الذي لا يقف امام تحديه تحد ... » (القدس ١٦/٤/ ١٩٧٣) . ومن الاهداف الاخرى التي سعت الى تحقيقها الغارة الاسرائيلية ، وهذا ما وعته جماهيرنا داخل الوطن المحتل وخارجه جيدا ، هو تيئيس هذه الجماهير من موضوع المجابهة مع اسرائيل والانتصار عليها . فقد قالت صحيفة الشعب في احدى افتتاحياتها وهي تتساءل « ماذا تعني الغارة الاسرائيلية » انه اضافة الى استهدافها عددا من قادة المقاومة وزرع بذور الشك بين اللبنانيين والفلسطينيين فانه « يراد بها حملة التيئيس النفسي فلسطينيا وعربيا » (الشعب ١٦/٤/١٩٧٣) .

محاولة الايقاع بين اللبنانيين والفلسطينيين : لقد درجت اسرائيل منذ عملية ميونيخ في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٢ على تحميل السلطات اللبنانية ليس فقط مسؤولية العمليات الفدائية التي تتم عبر الحدود الفلسطينية ــ اللبنانية ، وانما تحميل هذه السلطات مسؤولية كافة العمليات التي تتم في الخارج اي في اوروبا واسيا وافريقيا . وكان الهدف الاسرائيلي من تحميل لبنان مسؤوليات عمليات الحدود دفع السلطات اللبنانية لايقاف هذه العمليات . وعندما نجحت اسرائيل في ذلك صعدت من مطاليبها تجاه لبنان بتحميله مسؤولية العمليات الخارجية للايقاع بين السلطة اللبنانية من جهة وبين منظمات المقاومة على غرار ما حدث في الاردن في عامي ١٩٧٠/١٩٧١ . وكانت عملية ضرب خزانات النفط في الزهراني قرب صيدا ابرز دليل على محاولة الايقاع بين السلطة اللبنانية من جهة والمقاومة الفلسطينية من جهة ثانية . فقالت صحيفة الشعب تحت عنوان « نقطة التحول ومؤشرات المستقبل: واضح في الماضي ان اسرائيل كانت تطالب بالحد من العمل الفلسطيني من الاراضي العربية ، اي بابقاء الحدود هادئة باردة . لكن تلك المرحلة تطورت الان الى المطلب من هذه الدول ، ولبنان اضعفها ، ان تبعد التواجد الفلسطيني عن ارضها بشكل كلي لا جزئي » (الشعب ١٦/٤/١٩٧٣) . وقالت صحيفة القدس تحت عنوان « معاني ودلالات : التفسير الاني العاجل يقول ان لبنان مستهدف في ذاته من خلال الصراع الاسرائيلي الفلسطيني الذي يبلغ اشده في هذه المرحلة ، فاسرائيل لا تكف عن تحميله مسؤولية احتضان العمل الفلسطيني او ايوائه وبالتالي تأخذ بيدها مهمة ضربه او الضرب فوق ارضه ... » (القدس ١٥/٤/١٩٧٣) .

الشكوى اللبنانية الى مجلس الامن : لجأت السلطات اللبنانية الى رفع شكاوى رسمية الى مجلس الامن وطلبت انعقاده للنظر في موضوع الاعتداء الاسرائيلي على قلب مدينة بيروت وصيدا. وقد تناولت صحف الضفة الغربية هذا الموضوع بنقاش مستفيض لتبين ان الطريق الى درء الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على اراضي وشعوب الامة العربية لن يمر عبر اروقة مجلس الامن الدولي. فقالت صحيفة القدس تحت عنوان « عملية بيروت : لقد اصبح العدو قبل الصديق يتوقع منا في مثل هذه النكبات ، وكأنها تمثيلية تتكرر بعد كل مأساة : يبدأ الزعماء العرب باستنكار الحادث ثم يتبع ذلك الخطابات الحماسية وعقد الاجتماعات ثم ترسل الشكاوى الى الامم المتحدة ومجلس الامن ، ويرتاح الحكام العرب حين يخرج الشعب العربي « طيب القلب » في كل مكان في تظاهرات يشترك فيها حتى الحكام المنافقين او من ينوب عنهم . وهكذا تتنفس الشعوب ثم تنسى ... وتنتهي المسرحية ويسدل الستار ويغدو بعدها المسؤولون وكأن شيئا لم يكن » (القدس ١٦/٤/١٩٧٣) . وقالت جريدة الشعب في افتتاحية لها « ان تلجأ اية دولة عربية في ظروف الاحتلال الاسرائيلي للارض العربية ومنطق اللاسلم واللاحرب ، لرفع اية شكوى ضد اسرائيل بالنفس ، والى مجلس الامن العتيد بالذات ، وفي ظل التحييز والامتياز الصارخين باستعمال (الفيتو) عند القرار او محاولة ممارسة تنفيذه ، فامر لن يؤدي في النتيجة الا الى مسرحية الادانة ان تحققت،

او الاستنكار واضافة القرار الى مئات من امثاله ونفهم (اللجوء) هذا لو كان مجلس الامن حرا من قيد الفيتو الاميركي او كانت لدى هذا المجلس الاداة التنفيذية الكاملة والمخولة لحفظ هيبة القرارات ، وكرامة المجلس الذي يعتبر اعلى مرجع دولي مسئول مباشرة عن النزاعات الدولية، كما هو الحال في القضية او الازمة شبه المستمرة فيما سموه بازمة الشرق الاوسط ، خداعا ، وتحايلا ، وتهربا ، بدلا من الاسم الصحيح : قضية الشعب والارض العربية في فلسطين . لكن مجلس الامن في تواجده اولا في نيويورك العاصمة غير الرسمية لاسرائيل والفيتو الاميركاني الذي يعلن عن التهديد باستعماله قبل البدء في مناقشة الشكوى العربية — اية شكوى — ضد اسرائيل ... ان مجلسا هذه صفاته وتلك امكاناته ، لم يعد مؤهلا في عقل اي عربي عاقل لان يكون مرجعا للبحث او النقاش او الحكم . وعليه فاللجوء العربي الرسمي لهذا المجلس رغم معرفتهم به وتجاربهم معه ، امر لا يعدو ان يكون واحدا من ثلاث : امتصاص الانفعال العربي العارم وافراغه في مناقشات بيزنطية وقرارات ورقية ... او « رفع العتب » الشعبي العربي بان الدولة العربية المعنية فعلت ما عليها لدى الاسم الضخم الكبير المسمى ظلما وتجاوزا بمجلس الامن الدولي . او وهذه ثالثة الاثافي ، يخرج المجلس بتأثير من اميركا (ولفلفة) من بعض الدول الحريصة على ما يسمى باغلاق ابواب السلام في المنطقة ، وبصيغة من الصيغ البريطانية المشهورة في الفتاوى الكاوتشوكية الدولية : ادانة (العنف) بشكل عام والاهابة بالتمسك بضبط الاعصاب ، والمساواة في النهاية بين القاتل والمقتول ، وسد المنافذ امام اي قال او قيل » (الشعب ١٩٧٣/٤/١٥) .

نسف خزانات النفط في الزهراني والحديث عن ضرب المصالح الامبريالية : رغم تبني صحف الضفة الغربية ، من خلال عناوينها الرئيسية ، لوجهة نظر المقاومة الرسمية والمعلنة من ان عملية نسف خزانات النفط في الزهراني هو من تدبير عملاء المخابرات الاسرائيلية ، فقد أشارت هذه الصحف من خلال افتتاحياتها وتعليقاتها الى عملية النسف هذه كمؤشر ومقدمة لاحتمال ضرب كافة المصالح الامبريالية فوق الارض العربية . فقد قالت صحيفة القدس في احد افتتاحياتها انه اذا ما تعذر نسب عملية نسف خزانات النفط الى قوات اسرائيلية « وترجحت النسبة الى اخرين ، امكن قبول التفسير الذي يقول بتقصير لبنان عن حماية نفسه وحماية المقيمين فيه ، وربما كان اختيار البترول اشارة لاحتمال بدء الضرب على العصب الاميركي في المنطقة ، ومن قبيل اصابة العصفورين بحجر واحد ... » (القدس ١٩٧٣/٤/١٥) . وقالت صحيفة الشعب في احدى افتتاحياتها « انه وبشكل اجمالي تظل المرحلة القائمة الان نقطة تحول خطيرة ، ينقاد اليها تخطيطا او انفعالا اطراف كثيرة في المنطقة وخارجها ، ولا ندري ما اذا كانت نقطة التحول هذه ستظل ضمن دائرة (مرحلية معينة ومحدودة) ، ام انها ستندلع تصاعديا في جميع أرض الازمة . وما لهيب خزانات الزهراني الا بدء الفتيل المدمر الذي اشار اليه مسؤول اميركي كبير قبل ايام في ان اميركا بين اختيارين : اما تحديد الطاقة ، او ارسال القوات لحماية مصادر الطاقة » (الشعب ١٩٧٣/٤/١٦) .

تبقى هناك نقطة هامة لا بد من الاشارة اليها وهي العبارات التي تضمنتها بيانات النعي والتعزية التي نشرت في صحف الضفة الغربية . ان هذه العبارات تفيض بمشاعر الوطنية الصادقة وبالحزن الشديد لاستشهاد ثلاثة من قادة المقاومة . فلقد اجمعت معظم بيانات التعزية على ان الشهداء الثلاثة هم شهداء للامة العربية ولشعب فلسطين . وعلى انهم ذهبوا ضحية الواجب المقدس في سبيل الوطن وفلسطين . واغتنمت بعض بيانات التعزية هذه المناسبة لتدعو من خلال اسطرها القليلة الى وحدة اليد والارادة والى الحذر من الخونة والعملاء والى تحية المناضلين جميعا والى من ساروا على نفس الدرب درب الشهادة من اجل فلسطين . وحفلت صحف الضفة الغربية ببيانات التعزية من كافة القطاعات الفلسطينية ، اذ لم تكن وقفا على التجار ورؤساء البلديات وحدهم بل تعدت ذلك الى المهنيين والطلاب والنوادي الرياضية والثقافية والجمعيات الخيرية والطبية والكشفية كما ذيلت كثير من هذه البيانات باسم عائلات فلسطينية واسر واسماء متفرقة وكأنها كانت مظاهرة لاظهار التقدير والاعجاب للشهداء المناضلين الذين سقطوا على درب تحرير فلسطين . (بيانات التعزية في جميع صحف الضفة الغربية من يوم ١٩٧٣/٤/١١ — ١٩٧٣/٤/٢٠) .

عيسى الشعيبي

أحداث ايار في لبنان

١ ــ صورة اولية

استفاقت بيروت صبيحة الاربعاء ، الثاني من ايار، على قوات الجيش اللبناني تحاصر مخيمات الفلسطينيين في العاصمة وضواحيها ، وتتمركز بحواجز كثيفة في الطرقات والشوارع القريبة من اماكن تجمعات الفلسطينيين ومكاتب المقاومة الفلسطينية . ولم يمض على هذا الحصار سوى ساعات قلائل حتى شهدت العاصمة اللبنانية تفجر القتال بين قوات الجيش ورجال المقاومة ، الذي امتد في اوقات اخرى متفاوتة الى غير بيروت من المناطق اللبنانية . وهذا التقرير يرصد احداث ذلك اليوم والايام التي لحقته ، بالاضافة الى المواقف المختلفة التي رافقت الاحداث وانبثقت عنها ، **رصدا تسجيليا** كما ورد ذلك في مختلف المصادر . وقد شهدت هذه الازمة مراحل وفقا لاشتداد الصدام المسلح او هدوئه النسبي وبذلك سيتابع التقرير هذه المراحل كلا على انفراد .

المرحلة الاولى : تفجر الاحداث ٥/٢ ــ فجر ٥/٤ . كتبت « النهار » في اليوم التالي لبدء الاشتباكات ان الاوساط السياسية والقريبة من الدولة قد أفردت لهذه الاشتباكات « خانة كبرى في حساب التحليل بعد الانعكاسات الخطيرة التي اثارها الاعتداء الاسرائيلي ليل ١٠ نيسان الفائت . ومنذ يوم السبت وهذه الاوساط تتحدث عن « الاصطدام الذي لا مفر منه»، وتخوض في الذيول التي سيجرها على الوضع الداخلي والعلاقات اللبنانية ــ العربية ... ولدى هذه الاوساط معلومات تشير الى أن المسؤولين اللبنانيين والفلسطينيين بدأوا يستعدون لـ «الاصطدام الذي لا مفر منه» ، منذ ان تم الانتقال من مرحلة رسم علامات الاستفهام فوق الملابسات التي احاطت باعتداء ١٠ نيسان الى مرحلة توجيه الاتهامات المباشرة . وعندما هتف المتظاهرون ضد الدولة بعد الاعتداء وفي اثناء تشييع ثلاثة من اركان المقاومة ، ردد مسؤول كبير امام زائريه عبارات مليئة بالاستياء من هذه التصرفات». لم تكن محاصرة المخيمات ، اذن ، صبيحة الثاني من أيار غير امتداد عملي لما كان يدور في وقت سابق عن هذا « الاصطدام الذي لا مفر منه » ، وكان حادث احتجاز العسكريين الذي فجر الازمة « في رأي الاوساط السياسية والقريبة من الدولة عبارة عن اشارة اعطيت للبدء **بمعركة مقررة** » كما ذكرت الصحيفة نفسها . وقد جاء **تفجير الازمة** عندما وجه الجيش انذارا بوجوب الافراج عن العسكريين المخطوفين واتخذ تدابير مشددة حول مخيمي شاتيلا وبئر حسن اللذين احاطت بهما آليات الجيش . وفي الحادية عشرة قبل الظهر انتهت مدة الانذار وبدأت آلياته تقترب من المفارق المؤدية الى المخيمين وفي هذه الاثناء بدأت اشتباكات صغيرة بين الجيش والفدائيين كان اولها عند مدخل شارع صبرا (كما ذكرت النهار) غير ان بيان وزارة الدفاع الذي صدر مساء ٥/٢ قال أن « الفدائيين اطلقوا نيرانهم الساعة ١١،٢٠ » على حاجز للجيش قرب دائرة الكوكا كولا « فرد افراد الحاجز على النار بالمثل » وكان هذا البيان مناقضا لبيان اذيع ظهر اليوم نفسه (الساعة ١٤،٣٠) الذي قال ان « عناصر مسلحة قصفت عددا من المواقع العسكرية منها ثكنة هنري شهاب وثكنة الامير بشير وثكنة اميل الحلو كما قصفت مركز سرية الاطفاء في الملعب البلدي فاضطر الجيش الى الرد دفاعا » ولم يذكر هذا البيان حادث مستديرة الكولا . ويبدو من خلال ما ذكرته « النهار » ومن بلاغي وزارة الدفاع المذكورين بالاضافة الى ما اوردته

الصحف الاخرى (« الحياة » ذكرت ان الاشتباكات بدأت قرب مخيم شاتيلا كذلك اوردت « المحرر » ان البداية كانت انطلاق الرصاص غزيرا حول مخيم شاتيلا) يبدو من خلال ذلك كله ان الجيش فتح النار مرة واحدة في اكثر من موقع في بيروت : منطقة شاتيلا ، مستديرة الكولا ، مدخل شارع صبرا ، وامتدت بعدئذ الاشتباكات الى مواقع اخرى . وهذا يؤكد صحة ما جاء في بيان الناطق باسم القيادة العامة لقوات المقاومة الذي جاء فيه ما يلي: « في السادسة صباح اليوم (٥/٢) حاصرت قوات الجيش اللبناني مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في بيروت وضواحيها . وقد عزز الجيش اللبناني قواته بالدبابات والمدفعية الثقيلة . ومن الساعة العاشرة صباحا بدأ الجيش اللبناني اطلاق النار على مخيمات الفلسطينيين من مناطق تمركزه في المدينة الرياضية وجوار الكوكا كولا وجامعة بيروت العربية ومنطقة الاوزاعي . وفي الساعة ١١،٢٠ صعدت قوات الجيش الموقف في شكل خطير فبدأ قصف المخيمات بالمدفعية وعززت قوات الجيش بآليات جديدة ... » .

وكان **تطور الاحداث** سريعا، وكان اعنف المصادمات ما وقع عند مستديرة شاتيلا وامتد الاشتباك حتى محلة بئر حسن والمدينة الرياضية من الغرب واستعملت مختلف الاسلحة الحربية كما تمركزت القوات اللبنانية قرب شركة الكوكا كولا حيث بدأ اشتباك بينها وبين عناصر فدائية تمركزت قرب جامعة بيروت العربية وسجن الرمل واستعملت في هذا الاشتباك الاسلحة الثقيلة كذلك شملت الاشتباكات المناطق المحيطة بمخيمي شاتيلا وصبرا ومخيم برج البراجنة في ضواحي بيروت والمناطق المحيطة بالمطار مما ادى الى انقطاع حركة المرور بين العاصمة وجنوب لبنان (المحرر ٥/٣) . وقالت « النهار » (٥/٣) عن الاشتباكات التي حدثت قرب المدينة الرياضية ان الفدائيين اصابوا بصواريخهم ثلاث سيارات جيب عسكرية وبرج دبابة كما أن الاشتباكات امتدت الى الشوارع قرب ثكنتي الامير بشير واميل الحلو حيث مقر الفرقة ١٦ . وكان الجيش يطلق النار على الابنية التي لجأ اليها الفدائيون ويمنع أي شخص من الاقتراب من ثكنة الامير بشير . أما ثكنة اميل الحلو فقد وقع في داخلها صاروخ وقام الجيش بتمشيط كورنيش المزرعة بواسطة دوريات تواكبها المصفحات واطلقت احدى هذه الدوريات النار على منظمة التحرير الفلسطينية . وحوالي الظهر امتدت الاشتباكات الى برج البراجنة ومخيم جسر الباشا وتل الزعتر (« الحياة » ٥/٣) وقد القيت عدة قنابل في منطقة المصيطبة ، والقيت قنبلة في ساحة المعرض وقنبلة اخرى في شارع المعرض كما شمل القصف الدكوانة ومار الياس (« النداء » ٥/٣) كما حصلت اشتباكات في ضبية واحتل الجيش التلال المشرفة على المخيم كما اطلقت ثلاثة صواريخ باتجاه الاشرفية (« العمل » ٥/٣) . وقد اطلق الفدائيون صواريخ في اتجاه البرزة فسقط احدها قرب حائط منزل السفير الاميركي وقد سمع دويه في القصر الجمهوري (« النهار » ٥/٣) . وذكرت « النهار » (٥/٣) ان أصوات الانفجارات كانت تسمع قوية بالقرب من البناية التي يقيم فيها الاخ ابو عمار فاتصل النقيب ابو طعان بقائد موقع بيروت واخبره ان دبابة مرابطة قرب المدينة الرياضية تطلق النار على موقع ابو عمار . وذكر بيان للناطق باسم القيادة العامة لقوات المقاومة اذاعه صوت فلسطين ان قوات الجيش بدأت في نحو الساعة الثانية عشرة الهجوم على مخيمات تل الزعتر وجسر الباشا وبرج البراجنة واستمرت كثافة النيران الى السادسة مساء وشملت كل بيروت . وخارج بيروت ذكرت « المحرر » ان التوتر خيم في الجنوب والشمال وبعلبك والبقاع الغربي. ففي صيدا احتل الفدائيون قلعة صيدا البرية . وجرى استنفار للعناصر المسلحة في مخيمي عين الحلوة والرشيدية قرب صور ، كما جرى استنفار في مخيمي البارد والبداوي في الشمال وكذلك استنفرت عناصر الفدائيين في منطقة البقاع الغربي. ويبدو أن هذا الاستنفار كان نتيجة لتحركات الجيش اللبناني في تلك المناطق ، فقد ذكرت « النهار » (٥/٣) ان ابو عمار تحدث مساء الاربعاء مع الرئيس الحافظ تلفونيا فسأله لماذا توجه الجيش الى قرية معربون وهي بعيدة ٥٠ كيلومترا عن ثكنة الجيش في البقاع ولم يكن فيها في يوم من الايام اي جندي . وقد ذكرت « الحياة » (٥/٣) ان الفدائيين تمكنوا من احتلال مخفر قرية معربون على الحدود السورية ـ اللبنانية . وقد اسفرت هذه الاشتباكات التي دارت في اليوم الاول عن ١٢ قتيلا و٤٠ جريحا بينهم ٣ ضباط احدهم في حالة الخطر كما ذكر بلاغ لوزارة الدفاع اذيع ليلا ، بينما ذكر ناطق فلسطيني ان ١٩ قتيلا و٨٩ جريحا من الفدائيين والمدنيين سقطوا في الاشتباكات (النداء

٥/٣) ، وذكرت « المحرر » (٥/٣) ان خسائر المقاومة هي ٢٤ قتيلا و٩٩ جريحا وان عدد القتلى المدنيين بلغ ١٠ — ١٣ قتيلا ، وأوردت « النهار » (٥/٣) ان عدد القتلى الفدائيين في مخيم تل الزعتر وحده بلغ ٧ فدائيين .

رافق العمليات العسكرية هذه والتي ادت الى فرض نظام منع التجول اعتبارا من الساعة ٧،٣٠ من مساء ٥/٢ ، **نشاط سياسي** واسع كانت ابرز معالمه كما يلي : قام السيد كمال جنبلاط ، رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي والامين العام للجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية ، بدور كبير في الاتصالات التي جرت لايقاف اطلاق النار ، وقد بادر جنبلاط الى الاتصال بالاخ ابو عمار واطلع منه على حقيقة الموقف من خلال وجهة النظر الفلسطينية كما اجرى اتصالا هاتفيا بالرئيس فرنجية اذ اشار الى ضرورة اعتماد الحكمة في معالجة الموقف لمنع الوصول الى نقطة الانفجار الكامل وتمنى لو كان على رأس وزارة الداخلية وزير يستطيع كسب ثقة الفلسطينيين ويعمل على اعادة الثقة التي فقدت بينهم وبين السلطات اللبنانية (« المحرر » ٥/٣) كما اجرى جنبلاط اتصالات مع رشيد كرامي ، رئيس الوزراء الاسبق ، وتشاور معه في الموقف المشترك الواجب اتخاذه وهو التصدي لاية محاولة يشتم منها وجود مؤامرة ضد العمل الفدائي (المحرر)، كذلك اتصل بقائد الجيش وطلب منه العمل على وقف القصف (النهار ٥/٣) . اما رشيد كرامي فقد اجرى اتصالات مع الدكتور امين الحافظ ، رئيس الحكومة ، ونصحه بأن يبادر الى تقديم استقالته اذا تعذر عليه او على الدولة تطويق مضاعفات وذيول الاشتباكات ووضع حد سريع لها ، كما شارك الاستاذ جنبلاط السيد كرامي في توجيه النصيحة الى رئيس الحكومة بأن يقدم استقالته اذا ما شعر بوجود مؤامرة تستهدف تصفية المقاومة او اذا تعذر عليه تدارك محاولات ضربها (المحرر) . ومن جهة اخرى تم لقاء بين السيد صائب سلام والعميد ريمون اده والنائبين نزيه البزري ومحمد يوسف بيضون جرى فيه حوار صريح حول الازمة الناشبة وتمت اتصالات هاتفية بين سلام واده وبين القصر الجمهوري وابو عمار (الحياة ٥/٣) . وذكرت « العمل » (٥/٣) ان ابو عمار اتصل حوالي الظهر برئيس الكتائب الشيخ بيار الجميل وطلب منه التدخل لوقف تدهور الوضع لان كل شيء يدل على ان العملية خطيرة

وقد قصد الجميل القصر الجمهوري واجتمع الى الرئيس فرنجية وكبار المسؤولين وعاد ليتصل بالسيد عرفات . هذه الاتصالات على صعيد رسمي كان يرافقها سلسلة مساعي قامت بها الاحزاب الوطنية والتقدمية لتطويق الازمة وتمويتها وقد عقدت هذه الاحزاب في منزل كمال جنبلاط اجتماعات متواصلة لبحث الاوضاع التي نشأت (النداء ٥/٣). في اثناء هذه الاتصالات عقد في القصر الجمهوري اجتماع لمجلس الدفاع الاعلى برئاسة رئيس الجمهورية وبحضور الدكتور امين الحافظ ، رئيس الحكومة ، كامل الاسعد ، رئيس مجلس النواب ، ووزراء الدفاع والداخلية والتربية وقائد الجيش ومعاونه والمدير العام لقوى الامن الداخلي وقائد الدرك والمدير العام للامن العام وقائد شرطة بيروت (النداء) . وقد صرح وزير الداخلية اثناء هذا الاجتماع بأنه كوزير للداخلية دعا الجيش لاستلام زمام الامن وان هذه الدعوة من صلاحية وزير الداخلية (الحياة) . وكانت اقتراحات قائد الجيش (كما ورد في اتصال هاتفي بين جنبلاط والحافظ) في سبيل تهدئة الاحوال ان يتراجع الجيش مسافة ٢٠٠ متر عن مواقعه الحالية على ان تتراجع عناصر المقاومة ٢٠٠ متر . كما اشترطت قيادة الجيش لوقف اطلاق النار اطلاق الرقيب والعريف المحتجزين وعودة جميع المسلحين الى المخيمات كما ذكرت « النهار » التي اضافت ان عرفات اتصل تلفونيا بالقصر فتحدث معه الرئيس الاسعد وطلب منه العمل على تسليم المخطوفين قبل البحث في اي شيء . وفي الرابعة والنصف مساء وصل الى منزل كمال جنبلاط حيث كان مجتمعا بعدد من ممثلي الاحزاب والقوى الوطنية توفيق الصفدي ، من اللجنة السياسية العليا للفلسطينيين في لبنان ، وتوفيق سلطان ، من قادة الحزب التقدمي الاشتراكي ، ومعهم الجنود الثلاثة وهم الرقيب سعدالدين والعريف يوسف نادر والرقيب البعيني . وفي المنزل عقد اجتماع بين جنبلاط والعقيد فؤاد لحود ، رئيس لجنة الدفاع في مجلس النواب ، وغسان تويني وتوفيق سلطان وكريم بقرادوني ، من حزب الكتائب ، جرى خلاله اتصال مع قيادة موقع بيروت وتم الاتفاق على ان يذهب لحود والصفدي وسلطان وبقرادوني مع العسكريين الثلاثة ويسلموهم الى قائد الموقع العقيد الركن عزيز الاحدب . وكان قد سبق وصول تويني ولحود اتصال مع قائد الجيش رتبت خلاله عملية

التسليم ومباشرة الحوار . ثم اتصل جنبلاط بأبو عمار وأخبره بما تم من اتفاق على تسليم الجنود الثلاثة وفي الخامسة توجه وفد قوامه العقيد لحود والصفدي وسلطان وبقرادوني وهنري حاماتي ونديم عبد الصمد وبرفقتهم الجنود الثلاثة الى قيادة موقع بيروت وتم التسليم (النهار) . وقد جرى في اثناء التسليم حوار بين المجتمعين وتم الاتفاق على تسيير دوريات مشتركة من الجيش والكفاح المسلح مهمتها وقف اطلاق النار والاشتباكات (المحرر) . وبدأت منذ الساعة التاسعة مساء الدوريات المشتركة ، وفي صبرا كان مكبر الصوت التابع للكفاح المسلح الفلسطيني يدعو كافة العناصر للالتزام بالاتفاق مع القوات المسلحة واعلام العناصر كافة بأن دوريات مشتركة من القوات المسلحة والفدائيين تسير في المنطقة لتهدئة الاحوال (النداء) . وقد اختتمت هذه الاتصالات بالاجتماع الذي عقد ما بين الساعة ١١،٢٥ و١،٤٥ في مستشفى المقاصد في بيروت بين امين الحافظ يرافقه وزراء الدفاع والداخلية والتربية ونائب رئيس الاركان العقيد موسى كنعان وبين الاخ ابو عمار يرافقه عدد من قادة المقاومة . وفي نهاية الاجتماع ادلى وزير التربية ، ادمون رزق ، بالنيابة عن رئيس الحكومة ، ببيان قال فيه ان الرئيس الحافظ اكد « حرص لبنان حكومة وشعبا على توطيد الثقة المتبادلة بين الاخوان اللبنانيين والفلسطينيين وازالة جميع مسببات التوتر ومنع حصول أية مضاعفات لا يفيد منها بالنتيجة سوى العدو المشترك . وتقرر اتخاذ تدابير فورية لاعادة الامور الى مجراها الطبيعي والحؤول دون اي استغلال وذلك بعودة جميع العناصر المعنية الى الاماكن التي كانت فيها قبل بدء هذه الحوادث » . وقالت « النهار » ان الجانبين اللبناني والفلسطيني اتفقا على ان يرفع نظام منع التجول تدريجيا وان تنسحب قوات الجيش والمقاومة من اماكن معينة ، وان لجنة شكلت من ثلاثة اعضاء من كل جانب للاشراف على تنفيذ الاتفاق .

بيد ان هذا الاتفاق على وقف اطلاق النار لم تكتب له الحياة طويلا فقد قام الجيش اللبناني في الساعة الخامسة من صباح اليوم التالي (كما ذكر الناطق العسكري الفلسطيني) بتصعيد عملياته العسكرية بقصف مخيم ضبية الواقع شمالي بيروت . كذلك أطلق الجيش نيرانا كثيفة على مناطق الفاكهاني وبئر حسن والبريد . وفي الساعة ٩،١٥ وسع الجيش نطاق قصفه على مخيم ضبية مستخدما المدفعية الثقيلة ومدفعية الدبابات والرشاشات الثقيلة . وذكرت « النهار » (٥/٤) ان القصف طوال الليل والنهار كان على أشده في مخيم ضبية. وكان الجيش يرد بقصف مدفعي ورشقات رشاشة على مصادر اطلاق النار من المخيم والاحراج الصخرية المحيطة به . وقالت « النداء » (٥/٤) ان القناصة الذين احتلوا الاسطحة عمدوا الى اصطياد أهالي المخيم الذين كانوا يبحثون عن مخابىء وان دمارا ليس صغيرا قد لحق بالمخيم وساكنيه . وذكرت « المحرر » (٥/٤) انه بعد قصف مدفعي استمر ليلتين متتاليتين على ضبية تمكن الجيش من احتلال المخيم وتدمير قسم منه . كما ذكرت « الحياة » ان المخيم استسلم اثر معركة عنيفة بدات في الواحدة ظهرا واستمرت حتى السابعة . وذكرت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) (٥/٤) ان مجموع الخسائر التي وقعت نتيجة القصف بلغ ٢٣ قتيلا و٦٧ جريحا من المدنيين والميليشيا . وعلى صعيد آخر ذكرت « النهار » ان مخيم بئر حسن كان من الاماكن التي لحق بها ضرر كبير من جراء القصف . فقد دمر نحو ٥٠ بيتا تدميرا كاملا ونزح سكان هذه البيوت الى أماكن اخرى وقتل او جرح عدد كبير منهم ، وبين النازحين الجدد عائلات لبنانية نزحت أصلا الى مخيم بئر حسن من قرى الحدود الجنوبية . وقالت « النداء » ان مخيم تل الزعتر تعرض لقصف عنيف من مدفعية الدبابات التي كانت مرابطة على التلال فوق المخيم . وذكرت « الحياة » ان المعارك بدأت في تل الزعتر في الساعة الخامسة والنصف صباحا وتطور الاشتباك الذي استعملت فيه المدفعية والرشاشات والصواريخ واستمر نحو ساعة ثم توقف ليعود ثانية بصورة أعنف حوالي الحادية عشرة والنصف وقد استمر هذه المرة نحو ساعة ونصف الساعة . وقالت « المحرر » ان دائرة الاشتباكات اتسعت فشملت مناطق قريبة من المخيم في سن الفيل وجسر الباشا والدكوانة والمكلس ، كما ذكرت ان الاشتباكات امتدت الى كافة انحاء العاصمة . ووصفت « الحياة » الاشتباكات التي دارت في مخيم جسر الباشا بأنها من اعنف المعارك وقد حدثت عندما اقدمت قوات المقاومة على احتلال البرج العالي في محلة جسر الباشا وهو مركز استراتيجي يطل على جميع المناطق المحيطة بالمخيم . وقد حاول الجيش

استرداد الموقع ولكنه لم ينلح وتوقف القتال حوالي الساعة الحادية عشرة ولكنه عاد فتجدد حوالي الساعة الواحدة واستمر نحو أربعين دقيقة . وذكر بلاغ أصدرته القيادة العامة لقوات الثورة في المساء انه في الساعة الخامسة مساء ومع موعد رفع منع التجول بدأ الجيش بقصف مدفعي مركز على منطقة صبرا وشاتيلا وحاولت بعض دباباته وآلياته التقدم في ثلاثة اتجاهات وهي دوار الكولا والجامعة العربية ، ناحية بئر حسن ، ناحية المدينة الرياضية . وقد صاحب هذا الهجوم غطاء قصف مدفعي كثيف دون اي تمييز على منطقتي صبرا وشاتيلا . وذكر البلاغ ان الثوار تمكنوا من ايقاف الهجوم . وذكرت « النداء » انه استخدم في هذا القتال الاسلحة الثقيلة بما فيها المدفعية . وأوردت «المحرر» انه في الاشتباك الذي وقع قرب مستديرة الكولا تمكن الفدائيون من اصابة مجنزرتين كما اصيبت مجنزرة قرب نادي الرماية من ناحية المدينة الرياضية . وقالت « النداء » انه في الثامنة والنصف صباحا اطلق الرصاص بغزارة على كورنيش المزرعة وقد اطلق من ثكنة الحلو (مقر الفرقة ١٦) وقد اتسعت دائرة اطلاق النار بظهور عناصر مسلحة مدنية في حارة حريك وقرن الشباك والنهر وسواها من المناطق . وقالت « المحرر » انه جرى تبادل اطلاق النار في الروشة . وصعدت السلطة من عملياتها العسكرية عندما اغارت طائرات من سلاح الجو اللبناني من نوع ميراج حوالي الساعة الخامسة والربع مساء على مخيم برج البراجنة وقصفته بالصواريخ . وقالت «المحرر» ان الطائرات جوبهت بمقاومة ارضية قوية واطلاق نيران كثيفة عليها لابعادها عن اجواء المخيم والحيلولة دون اصابتها لاي هدف . واضافت ان كل تشكيلة كانت مؤلفة من طائرتين كانت تقلع من مطار بيروت الدولي القريب جدا من منطقة برج البراجنة حيث ترتفع عاليا ثم تنقض على انخفاض متوسط فوق المخيم وتطلق صواريخها وقد قامت الطائرات بست طلعات ثم غادرت المنطقة لتحاول بعدها طائرتا هليكوبتر قصف بعض الاهداف بالمدافع الرشاشة الا ان نيران المقاومة ابعدتهما بسرعة فعادتا الى المطار . وقالت « النداء » ان الغارات الجوية هذه ادت الى اصابة عدة منازل يسكنها مواطنون لبنانيون .

وكان التطور الخطير الثاني في احداث اليوم ، بالاضافة الى القصف بالطائرات ، اغتيال بعض قادة المقاومة العسكريين في الجنوب . فقد جاء في بلاغ اصدرته القيادة العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية انه « في الساعة الثانية عشرة ظهر ٥/٣ وبينما كانت سيارة لاندروفر تابعة لقيادة قواتنا في العرقوب تمر بالقرب من حاجز للجيش قرب مدينة حاصبيا ، فتح عليها رجال الحاجز النيران بغزارة ورموها بقذائف الانيرجا مما ادى الى قلب السيارة واشتعال النيران فيها . كما ادى هذا الحادث المفتعل الى استشهاد البطل النقيب رياض عواد قائد قطاع العرقوب ، والبطل الملازم اول قاسم طارق قائد قوة الصاعقة واستشهاد كل من البطلين حسام خالد وذيب احمد سعيد عمر واعتبار المناضل صادق عيطان محمد كنعان مفقودا حتى اصدار هذا البلاغ » .

هذا وذكرت « النهار » ان مصدرا رسميا أعلن ان قوات تقدر بلواء (٤٠٠٠ — ٥٠٠٠ رجل) دخلت الاراضي اللبنانية من سوريا عبر محور ينطا — دير العشائر — حلول ، وهذه القوات المجهزة بآليات ومصفحات وبمدافع ١٠٦ غير مرتدة ومدافع هاون ١٢٠ وميدان ١٢٢ اشتبكت مع الجيش اللبناني في عيتا الفخار كما سددت نيرانها الى ثكنة قلعة راشيا من جهات عدة . وقال المصدر ان عناصر مسلحة دخلت بلدة حاصبيا وحاولت مهاجمة الثكنة التي فيها . وفي راشيا الفخار هاجم المسلحون مراكز الجيش وتردد ان مخافر ينطا وكفرقوق وعيتا الفخار اصبحت في أيدي المسلحين . وقد ذكرت « المحرر » ان قوات الجيش قامت في الساعة ٧،٤٥ مساء بقصف مدفعي مركز على قواعد الفدائيين في راشيا الفخار والخريبة ومنطقة شويا وظلت اصوات المدفعية تسمع حتى الساعة ١٠،٣٠ مساء . نتيجة للاشتباكات التي أعقبت الاتفاق على وقف اطلاق النار الذي تم في الليلة الفائتة فقد انتهت مهمة اللجنة المشتركة بعد اقل من ١٥ ساعة من الاتفاق الذي تم بين الدكتور الحافظ وابو عمار فقد تمت بعد ظهر هذا اليوم اعادة الضباط ممثلي المقاومة في اللجنة المركزية الى مواقعهم وقالت « المحرر » ان سحب هؤلاء تم بعد ان تعرض مخيم برج البراجنة للقصف .

اما بالنسبة للخسائر فقد ذكر بلاغ للناطق العسكري الفلسطيني ان عدد الشهداء من المدنيين والفدائيين ارتفع الى ٢٢ شهيدا و٩٣ جريحا ، كما ذكرت قيادة الجيش اللبناني ان خسائره كانت من صباح ٥/٢ حتى الساعة ١٣ من يوم ٥/٣ كما يلي : ١٤

قتيلا بينهم ضابط ، مفقود واحد ، عاملة مدنيـة في المستشفى العسكري و١٥ جريحا بينهم اربعة ضباط ، ومن الامن الداخلي ٣ قتلى و٦ جرحى كما جرح اثنان من الشرطة القضائية احدهما بحالة خطرة . وذكرت « المحرر » ان عدد القتلى مـن المدنيين بلغ ١٥ والجرحى ١٠٠ . وذكرت « فلسطين الثورة » ان قصف مخيم برج البراجنة بالصواريخ ادى الى استشهاد نحو ١٨ مواطنا بينهـم ١٢ مواطنا من اهالي بعلبك الذين يقطنون في شارع السكة في منطقة برج البراجنة كما جرح عدد كبير منهم معظمهم من الاطفال .

بجانب الاشتباكات العسكرية كانت ابرز **التطورات السياسية** ما شرحه الرئيس فرنجية في جلسـة مجلس الوزراء عـن « موقف لبنـان والسياسة اللبنانية » ، والملابسات التي احاطت باتجـاه الدكتور الحافظ نحو الاستقالة من رئاسة الحكومة. فاثر جلسة مجلس الوزراء التي عقدت برئاسة الرئيس فرنجية اذيعت معلومات رسمية ذكرت ان الرئيس فرنجية شرح تفاصيل الموقف « ثم شرح الرئيس موقف لبنان والسياسـة اللبنانية فقال بهمني أن أوضح السياسة اللبنانية وأنا أتكلم كرئيس دولة وكلبناني وأخاطب مسؤولين لبنانيين مشهود لهم بوطنيتهم . عندنا في لبنان ما يزيد على ثلاثمائة الف فلسطيني . ولا اعتقد ان دولة من الدول العربية الشقيقة أعطت اخواننا الفلسطينيين اكثر مما اعطينا . ولا بد لنا من التساؤل: اخواننا الفلسطينيون المقيمون بيننا ماذا يطلبون من لبنان ، هل الاقامة والضيافة الكريمة ؟ اذا كان ذلك فأهلا وسهلا بهم ، وانا اذ اقول ذلك أؤكد باننا نرى في الامر واجبا لا منة . هل يطلبون التنسيق في خدمة القضية المشتركة ؟ فنحن نرحب ايضا بهذه الفكرة. اما ان يكون في لبنان جيش احتلال فهذا ما لا يرضى به لبناني » . ومن الجدير بالملاحظة ان أطرافا في السلطة بدأت في هذه المرحلة بتسريب انباء عن نية السلطة في لبنـان اعادة النظر في اتفاقيـة القاهرة فقد ذكرت « الحياة » (٥/٣) انها « علمت من مصادر مطلعة في القصر ان رئيس الجمهورية بات في وارد البحث في صيغـة اتفاق جديد مـع المقاومة الفلسطينية تجعل الفدائيين في لبنان في وضع متساو لوضعهم في الدول العربية الاخرى وتعيد الى الدولة اللبنانية سلطتها على الاراضي اللبنانية كلهـا بما في ذلك مخيمـات اللاجئـين الفلسطينيين . وقالت المصادر المذكورة ان رئيس الجمهورية بات ينظر الى اتفاق القاهرة الشهير على انه اصبح غير ذي جدوى ولم يعد قائما بصورة عملية وان اتفاقات التفهم والتفاهم ، قد خرقها الفدائيون ايضا مما يستدعي عقد اتفاق جديد ينظم العلاقات بين الجانبين اللبناني والفلسطيني على أسس جديدة وأكثر واقعية » كما قالت الصحيفة نفسها في (٥/٤) انه « علم ان وجهة نظر لبنان في مباحثات الحافظ ـ عرفات يمكن تلخيصها على الوجه التالي : تكون السلطة العسكرية مسؤولة عن مخيمات الفلسطينيين ، فيكون للجيش اشراف فعلي داخل المخيمات ويحصر وجود السلاح في أيدي الفدائيين ، الا داخل المخيمات ، حتى اذا جرى نقل الاسلحة خارج المخيم يتم ذلك بمعرفة الجيش. وفي حال وقوع عدوان اسرائيلي على مخيم مـا تشترك عناصر الجيش بصده » .

وعلى صعيد استقالة الدكتور الحافظ كتبت «المحرر» ان جميع القوى الوطنية والتقدمية تحركت لاتخاذ موقف حازم وحاسم لاجل حماية المقاومة الفلسطينية ووجدت هذه القوى انه من غير الجائز ان يستمر الدكتور الحافظ في الحكم بينما لا يشارك في القرارات والمواقف الرسمية التي تتخذ ازاء الوضع الراهن. ولذلك طلبت مـن الدكتور الحافظ ان يتحمـل مسؤولياته كاملة كرئيس للحكومة او ان يستقيل فورا حتى لا يكون كشاهد زور على ما يجري . وكان الرئيس كرامي من ابرز الذين يحملون وجهة النظر هذه اذ قال في تصريح « للمحرر » انه نصح الدكتور الحافظ وعليه ان يتصرف بسرعة . وذكرت الصحيفة ان الحافظ اجتمع في الساعة الثامنة ليلا بممثلي القوى الوطنية والتقدمية في منزل كمـال جنبلاط وابلغ الحاضرين انه يعتبر نفسه بتصرف الحركة الوطنية في لبنان ووضع استقالته تحت تصرفهم ولكنه أشار الى ضرورة القيام بمحاولة اخيرة لانقاذ ما يمكن انقاذه وغادر الاجتماع الى منزل الرئيس رشيد كرامي ابلغ بعدها كمال جنبلاط انه قرر تقديم استقالته وانه سيتوجه فورا الى القصر لذلك . وذكرت « النهار » ان الحافظ كان قد فاتح الرئيس فرنجية قبل ذلك في الموضوع وابلغه انه أصبح في وضع لم يعد يمكنه من الاستمرار في تحمل تبعات الحكم ، لكن الرئيس فرنجيه دعاه الى التروي ولفته الى النتائج الخطيرة التي يمكـن ان تترتب على الاستقالة . وقـد ذكرت « النداء » (٥/٤) انه فهم ان مـن اسباب الاستقالة ان قرارات وأوامر رئيس الحكومة لا تنفذ وهناك من

يتجاهلها خاصة لعدم تطبيق الجانب اللبناني الاتفاق الذي تم الوصول اليه بين الحافظ وعرفات (في اجتماع المقاصد) . كما ذكرت « الحياة » (٥/٤) ان الحافظ قال في اثناء اجتماعه بجنبلاط انه يعمل على حل المشاكل التي تعرض عليه وان المشكلة هي في أن كثيرا من هذه المشاكل لا يعرض عليه . ويؤكد هذا الامر التصريح الذي ادلى به رشيد كرامي (٥/٣) والذي جاء فيه « من يحكم ومجلس الوزراء لم يدع بعد للانعقاد ؟ ومن اعطى الاوامر ؟ وهل هذه الاوامر من رئيس الحكومة ام من غير رئيس الحكومة . ان غير المسؤول لا يمكن ان يكون مسؤولا . وعلى كل حال فان رأينا واضح وهو ان على الحكومة ان تتحمل مسؤولياتها او تذهب » (المحرر ٥/٤) غير ان الرئيس الحافظ لم يقدم استقالته في تلك الليلة وانما ادلى في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل بتصريح قال فيه « بعد الجهود المضنية التي بذلتها طوال هذا اليوم وحتى ساعة متأخرة من الليل اعتزمت تقديم استقالتي الى الرئيس فرنجية ، ولما قصدته لتقديمها وجدته دخل مخدعه للنوم فأرجأت استقالتي الى غد . وفي هذه الاثناء طرأت تطورات ايجابية اتمنى ان تؤدي الى تغيير موقفي في الصباح ونحن في انتظار هذا الصباح لكي أقدم على احدى الخطوتين » . وكانت هذه التطورات التي اشار اليها الحافظ هي ما اسفرت عنه الاتصالات بين السلطة اللبنانية وقيادة حركة المقاومة التي قال عنها جنبلاط « ان اتصالات اليوم كانت لمتابعة المساعي لتنفيذ البروتوكولات التي كنت اعمل على اساسها عندما كنت وزيرا للداخلية ... والمهم ان تطوف اللجنة المشتركة من قوى الامن والفدائيين لمنع كل التباس على الحواجز وتعود المياه الى مجاريها بكل حكمة وروية » . وصبيحة الجمعة (٥/٤) اذيع ما يلي : على اثر الاتصالات المستمرة التي بدأها رئيس الحكومة الدكتور امين الحافظ مع زعماء المقاومة الفلسطينية عقد اجتماع بين ممثل عن الجيش وممثل عن المقاومة صدرت على اثره المقررات المشتركة الاتية : اولا ــ وقف اطلاق النار وقفا تاما في جميع المناطق ، ثانيا ــ عودة قوى الجيش والمقاومة الى مراكزها السابقة قبل التوتر ، ثالثا ــ ازالة كل الاسباب التي أدت وقد تؤدي في المستقبل الى أي اشكال بين الاخوة . وقالت « النهار » (٥/٥) انه تولى تمثيل الجيش معاون رئيس الاركان العقيد موسى كنعان بينما مثل المقاومة ابو الزعيم وهما وقعا الاتفاق الساعة الثالثة والنصف فجرا . واعلن انه تم تشكيل مكتب ارتباط مشترك بين الجيش والفدائيين ولجان مشتركة من ضباط من الطرفين غايتها الاشراف على وقف اطلاق النار وعلى تنفيذ الاتفاق واعادة المياه الى مجاريها .

كانت هذه أبرز أحداث اليومين التي انتهت بالاتفاق على وقف اطلاق النار . غير ان علينا ان نبرز هنا **دور القوى والاحزاب ومواقفها** في هذه الفترة ثم ننتقل الى رصد الاصداء العربية .

استقطب **السيد كمال جنبلاط** نشاطات الاحزاب والقوى التقدمية في لبنان وكان منزله طوال الازمة كلها ملتقى لممثلي هذه القوى والاحزاب ، التي نشطت في الاتصالات والضغط لوقف القتال . وكان تأكيد جنبلاط منذ بداية الازمة على ضرورة التمسك بالاتفاقات المعقودة بين المقاومة والسلطات اللبنانية . ففي تصريح له ادلى به بعد نشوب القتال قال « كان في الامكان تفادي هذه المعركة لو ان السلطة الادارية لجأت الى تنفيذ الاتفاقات والبروتوكولات التي وقعت سابقا بين وزارة الداخلية والجيش من جهة والمقاومة الفلسطينية من جهة اخرى . وهذه الاتفاقات تنظم طريقة حل كل المشاكل التي قد تنجم والتي لا ينجو منها احد ولا يستطيع تجنبها احد . ويحدث مثلها بين اللبنانيين والسلطة كما يحدث مثلها بين أي شعب وأي قوى نظامية ... وهناك لجان مشتركة وهيئات نصت عليها هذه الاتفاقات يجب ان تقوم بواجبها كي تجنبنا في ما بعد ما حدث اليوم من مجزرة حقيقية ومن مأساة . ونحن نعلم حساسية الشعور التي بلغت شأوها عند كل فلسطيني في هذا البلد نظرا الى اوضاع حكومات العالم العربي وواقع اللاسلم واللاحرب والى الهجمات التي يشنها عليهم الاسرائيليون جوا وبحرا وانزالا بريا كما حصل اخيرا في بيروت حيث لم تحشد الدولة حشودها لقطع الطريق عن ٣٠ نفرا دخلوا شوارع بيروت ففعلوا ما فعلوا طوال ساعتين ونصف ساعة وانسحبوا ولم يقف في وجههم جندي واحد . فيجب ان ندرك جميعا الشعور الذي يتملك اخواننا الفلسطينيين وجميع الوطنيين المخلصين في لبنان وتخوفهم من هذه الحرب الابادية التي تشنها سلطات تل ابيب عليهم تحت نظر السلطة اللبنانية والحكم اللبناني الذي لا يحرك ساكنا على الاطلاق

لاجل الدفاع عن أجواء لبنان وشواطئه وارضه واهله وسكانه » . أما رأي جنبلاط في القتال الذي نشب فقد أوضحه في الاجتماع الذي تم في منزله في اليوم التالي للازمة حيث عرض « الوضع التصفوي الذي بدأته السلطة ضد المقاومة » وقال « ان القوى الوطنية لن تقف متفرجة ونحن لا نتعرف الى وجود طابور خامس او سادس او غيره ، كل ما يهمنا هو ان يقف القصف وترجع قوات الامن الى حيث كانت قبل الاشتباكات » (النهار ٥/٤). وكان رد جنبلاط على وصف الرئيس فرنجية الفلسطينيين بأنهم جيش احتلال ردا سريعا ، فعندما سئل عن رأيه بذلك قال « نحن نتأسف من اي رجل عربي مسؤول ان يتحدث عن جيش احتلال لمن احتلت أراضيهم وسلبت ممتلكاتهم جميعها وأوشكوا ان يطردوا من الحياة » وتحدث الى عشرات الحضور في منزله بقوله «ان تصرف السلطة ليس هو التصرف الحكيم وليس هو التصرف العاقل لان اخواننا الفلسطينيين هم عندنا شئنا ام ابينا ، وليس هناك من يستطيع ان يقضي على هذا الشعب ان كان هناك تفكير بالقضاء عليه ... ان ابو عمار يمثل بالواقع دولة فلسطينية وشعب فلسطين ويجب ان لا نخجل من معاملته على هذا الاساس ، فالشعب الفلسطيني قدم عبر نضالاته اكثر من ١٥ الف شهيد وهو مستعد لتقديم المزيد ويجب ان لا نأخذ المسألة بكل بساطة » (المحرر ٥/٤) .

اما **السيد رشيد كرامي** فكان رده الاول على فرض الصدام تصريحه الذي قال فيه « هذا العمل لا نرضى به فموقفنا واضح من المقاومة باعتبارها الطليعة العربية المقاتلة وفي الماضي كنا معها ولا نزال ، وقد اتصلت بالرئيس الدكتور امين الحافظ وابلغته وجوب الوقوف في وجه كل ما من شأنه الخروج على سياستنا ومبادئنا وان لا يقبل بأي مخطط يرمي الى المس بالمقاومة وان يتحمل مسؤولياته فورا ويتصرف في ضوء ذلك بما يمليه عليه الواجب ونحن في انتظار موقفه لان موقفنا هو عدم القبول بكل ما يجري واننا نعارض سلفا كل هذه الاجراءات وهذه التدابير التي لا تعبر عن مصلحة هذا البلد » . وعندما استمر اطلاق النار في اليوم التالي تساءل كرامي « لمصلحة من كل ما يجري ؟ انا استغرب اساسا كيف أعطيت الاوامر للجيش كي يطوق المخيمات لاننا كما اعتقد ما وصلنا الى الطريق المسدود . وكل ما جرى كان في الامكان معالجته وهناك أساليب وطرق عدة للمعالجة . فالاجتماع الذي عقد في الليل بين السلطة والمقاومة كان يجب عقده في الصباح قبل أن يتفاقم الوضع . وفي الواقع فاننا نرى ان السلطة بينما تجتمع مع المقاومة لتهدئة الوضع نراها تصدر اوامر للجيش بالقصف ... لا شك في ان هناك جهات تعمل لخراب هذا البلد وعلى السلطة ان تعرف من هي تلك الجهات ... لقد تم الاتفاق على ان ينسحب الفريقان ولكن شيئا من هذا لم يحدث. لقد وضعوا البارود امام النار . فهل من المعقول ان لا يشتعل ؟ لقد طلبوا من الفدائيين ان ينسحبوا مئتي متر وهذا يعني ان يخرجوا من بيوتهم واذا خرجوا فهذا يعني ايضا انهم كشفوا انفسهم ... انا شخصيا احمل الحكم السياسي المسؤولية . فعليه ان يعطي الاوامر بسحب الجيش من الساحة بعد التفاهم مع المقاومة والعودة بالبلاد الى الحياة الطبيعية » .

اما **الاحزاب التقدمية والقوى الوطنية** فقد وقفت من الازمة موقفا موحدا منذ بدايتها ، فاثر الاجتماع الذي عقده ممثلوها في منزل جنبلاط في ٥/٣ اصدرت بيانا قالت فيه « مرة اخرى تراق الدماء اللبنانية والفلسطينية، ويسقط الشهداء والضحايا بالعشرات في شوارع بيروت ، مرة اخرى يحدث ذلك نتيجة تجاوز كافة الاتفاقيات والمواثيق التي وضعت أساسا لتنظيم العلاقة بين السلطة والمقاومة ... فبدلا من ان تعود السلطة الى تطبيق الاتفاقيات والمواثيق المذكورة ، لجأت صباح هذا اليوم الاربعاء ٢ أيار الى استخدام قواتها بشكل كثيف ضد المقاومة الفلسطينية ... وقد استخدمت السلطة في تنفيذ عملياتها مختلف الاسلحة ... وقد فشلت كل محاولات قيادة المقاومة ومعها الاحزاب والشخصيات الوطنية لتفادي المجزرة ووقف اطلاق النار نتيجة اصرار بعض أوساط السلطة على تصعيد الصدام وتوسيعه ، مما يوحي بوجود نوايا تستهدف ضرب المقاومة الفلسطينية وتصفية مواقعها ، والتنكيل بالشعب الفلسطيني وافتعال اقتتال داخلي يدفع كل اللبنانيين ثمنه من حياتهم ومستقبلهم . ان الاحزاب الوطنية والقوى التقدمية ... تدعو الجماهير الشعبية وجميع الحريصين على كرامة البلاد وصمودها الوطني ، الى التحرك الحازم من اجل احباط كل مخطط تصفوي وردع الجهات المتعنتة التي تقف وراءه... وتدعو الجماهير الشعبية في بيروت ومختلف المدن

والمناطق اللبنانية الى تنفيذ اضراب شامل نهار الخميس ٣ ايار استنكارا للمجزرة وانذارا للسلطة المسؤولة عنها من النتائج الخطيرة التي سوف تترتب على الامعان في سياسة استخدام القوة ضد المقاومة وجماهير الفلسطينيين » .

واصدرت **منظمة الحزب الشيوعي في بيروت** بيانا قالت فيه « ان السلطة اللبنانية تؤكد مجددا ... اشتراكها الفعلي في التآمر على المقاومة الفلسطينية وجماهيرنا الشعبية فتجند كل قوى القمع لارتكاب المجازر الدموية ضد الفدائيين وسكان المخيمات الفلسطينية والجماهير اللبنانية الآمنة ، ضاربة عرض الحائط بكل الاتفاقات والمواثيق التي كانت قد التزمت بها مع المقاومة الفلسطينية وخاصة ما نصت عليه اتفاقية القاهرة ... ان ما يجري على أرضنا اللبنانية ليس معزولا عما يخطط له الاستعمار والصهيونية والرجعية في العالم العربي اليوم ، والذي يستهدف اول ما يستهدف ضرب المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية والتقدمية كمقدمة طبيعية لفرض الحلول الاستسلامية على امتنا العربية ... ان منظمة الحزب الشيوعي اللبناني في بيروت ، اذ تشجب موقف السلطة هذا ، تحذر من مغبة الاستمرار في تنفيذ مخططها الاجرامي ، وتدعو جميع الوطنيين والتقدميين في بيروت عامة ، وفي المنطقة الغربية خاصة ، التي عرفت بتقاليدها الوطنية ، لتأكيد التحامها الفعلي مجددا مع المقاومة الفلسطينية ، والنضال بكافة الاشكال والوسائل دفاعا عن وجودها وحريتها ، ووقف المجازر الدموية فورا والالتزام الفعلي بما نصت عليه اتفاقية القاهرة » .

واصدرت **جمعية متخرجي المقاصد** ، بيانا بتوقيع رئيسها المحامي عزت حرب قالت فيه « لقد جاءت احداث الاربعاء الدامي في ٢ ايار لتتجاوز كل اصحاب النوايا الحسنة وترسم صورة سوداء لطريقة الدولة في معالجة قضايا البلاد على كل صعيد ولتؤكد ضلوعها في عملية ضرب المقاومة الفلسطينية والتضييق عليها لعدة اهداف اهمها في نظرنا تغطية التآمر الاميركي ودور السفارة الاميركية في بيروت وتعاونها مع الغزو الصهيوني لبيروت وصيدا ليل العاشر من نيسان ، هذا الدور الذي تعجب لدور الدولة في محاولة طمسه وتحويل اعين الجماهير عن حقيقته . ان الاحداث الدامية التي جرت يوم الاربعاء لا يمكن ان تكون عفوية بل انها استفزازية بكل معنى الكلمة وترتب على القوى الوطنية استخلاص المعاني الحقيقية لما تبيته الدولة من ضرب المقاومة الفلسطينية والسير على طريق خنق الحريات ، حريات جميع اللبنانيين واشاعة الرعب في صفوف الجماهير وتفتيت وحدتها الوطنية ... وعلى جميع المواطنين ان يجدوا الاسلوب الرادع لتمادي الدولة في تنفيذ خطتها الشريرة في قهر الجماهير وضرب الحركة الوطنية ومحاصرة المقاومة الفلسطينية والضلوع في مؤامرة تصفيتها» .

كذلك اصدر **المؤتمر الوطني لدعم الجنوب** في ٥/٣ بيانا جاء فيه « في الوقت الذي يقوم فيه العدو الاسرائيلي باعتداءاته المتكررة على لبنان والدول العربية الاخرى ... رأينا البارحة ان الدماء العربية اللبنانية والفلسطينية تراق على ارض عربية فيسقط الشهداء بالعشرات في شوارع بيروت نتيجة لتجاوز بعض اجهزة السلطة كافة الاتفاقات والمواثيق التي وضعت اساسا لتنظيم العلاقة بين السلطة والمقاومة ... ان المؤتمر الوطني لدعم الجنوب ... يقف مع الاحزاب الوطنية والتقدمية وكافة الفئات الشعبية الى جانب حركة المقاومة الفلسطينية داعما حقها في الدفاع عن نفسها ، وحرية وجودها وحركتها من اجل تحرير فلسطين ، كما انه يدين ويستنكر كل المؤامرات التي تحاك ضدها » .

واصدر **حزب النجادة** بيانا اثر اجتماع المكتب السياسي للحزب (٥/٢) حذر فيه من الانزلاق في حبائل المؤامرة الخطرة . ودعا رئيس الوزارة الى « رفض اي اجراء يتعارض مع الخط الوطني وسلامة العمل الفدائي » ونبه الى « ان ما يحسب البعض انه قادر على تمريره لن يمر الان ولا في المستقبل بحكم تضافر الجهود والتعاطف مع المقاومة » . وحذر البيان « من ان يكون ما حدث مقدمة لما حدث في الاردن ضد المقاومة الفلسطينية» .

وعقدت **حركة التوعية الوطنية** اجتماعا (٥/٢) في منزل رئيسها الدكتور عبد الله اليافي اصدرت اثره بيانا قالت فيه « ان هؤلاء المقاومين من ابناء الشعب الفلسطيني البطل يحظون باحترام ومحبة جميع اللبنانيين على اختلاف طوائفهم واحزابهم ... ولذلك فاننا نحذر السلطات الحاكمة من التعرض بأي سوء لسلامة العمل الفدائي ونذكرها بالمواثيق والعهود التي تجسدت كلها في اتفاق القاهرة ... واننا ازاء هذه الفاجعة الاليمة ... نطالب

بمحاكمة جميع المسؤولين عن هذه الاعمال الطائشة والاقتصاص منهم ايا كانت مراكزهم او اشخاصهم انقاذا للوحدة الوطنية ومحافظة على كرامة لبنان».

وادلى النائب **الدكتور عبد المجيد الرافعي** (٥/٣) بتصريح قال فيه « ان تتالي الاخبار عن القصف المركز بالمدفعية والطيران من قبل الجيش اللبناني لمساكن تمركز الفدائيين وللمخيمات والاحياء الشعبية الآهلة بالسكان وبالرغم من اتفاق وقف اطلاق النار الذي تم التوصل اليه امس يدل على ان السلطة ماضية في تنفيذ مخطط رهيب في محاولة منها للقضاء على المقاومة الفلسطينية خدمة للمخطط الامبريالي الصهيوني . وطرابلس التي تعيش الان حالة غليان نتيجة تحدي السلطة السافر للشعور الوطني وتنكرها للالتزام القومي بالقضية الفلسطينية والتي واجهت في الماضي كل المؤامرات التي استهدفت الوجود الفدائي لا سيما في نيسان وتشرين عام ١٩٦٩ واتفاق القاهرة ، والتي ترفض بحزم كل مخططات التصفية ، تعلن انها لن تقف مكتوفة الايدي وهي ترى المتآمرين ينفذون مجزرتهم الرهيبة في الجماهير الفلسطينية والجماهير الوطنية اللبنانية » .

وادلى **النائب نجاح واكيم** ، من التنظيم الناصري ، ببيان (٥/٣) قال فيه « ان ما حصل في الامس لن يحول دون ان تستمر حركة المقاومة الفلسطينية في اداء رسالتها الفدائية ضد الصهيونية والمستعمرين وشعبنا يطالب السلطة التي تستهتر بالحريات وبكرامة المواطن اللبناني ان تحترم المواثيق والاتفاقات التي توقعها مع الجهات العربية . فاحترام اتفاق القاهرة الذي ينظم العلاقة بين السلطة والفدائيين هو القاعدة للهدوء والاستقرار في البلد » .

وفي صيدا (٥/٣) عقد اجتماع في منزل **النائب السابق معروف سعد** حضره ممثلون عن قيادة الجيش وقيادة المقاومة وعدد من ممثلي الاحزاب والقوى التقدمية في المدينة ، ادلى اثره سعد بتصريح قال فيه « ان كافة الفئات الوطنية والديموقراطية في البلاد تقف بحزم الى جانب المقاومة لانها تعتبر فصيلا اساسيا من فصائل حركة التحرير العربية ، وان اية محاولة لتصفيتها لن تقابل الا بمزيد من الصمود على الصعيدين الشعبي والوطني » .

كما اذاع **النائب رشيد الصلح والمحامي زكريا عيتاني** باسم حركة التوعية البيروتية بيانا (٥/٢) دعا جميع المواطنين الى اضراب عام يوم الخميس ٥/٣ « استنكارا للمجزرة الدامية بحق اخواننا في المقاومة الفلسطينية » .

بجانب هذه المواقف الملتزمة بالدفاع عن المقاومة الفلسطينية كانت هناك هيئات اخرى لم تعلن موقفها الصريح الواضح تجاه الازمة . فقد اصدر **حزب الهيئة الوطنية** بيانا ٥/٣ دعا فيه الى « مؤتمر وطني لبناني فلسطيني عام يتفق فيه على انهاء كل الاشكالات . ذلك بان لبنان لا يمكن ان يحيد في الدفاع عن القضية الفلسطينية وحقوق اصحابها » . كما اذاع **الحزب الديمقراطي** بيانا قال فيه « مهما كانت الاسباب يبقى ان ما يجري امر مرفوض ، مرفوض لبنانيا ، مرفوض فلسطينيا ... فليس بالتقاتل تصان هيبة السلطة اللبنانية او تحمى المقاومة » . كما اصدر **الحزب الديمقراطي الاشتراكي** — كامل الاسعد — بيانا ٥/٣ اهاب فيه « بالمواطنين اللبنانيين وبالاخوة الفلسطينيين ان يتحملوا مسؤولياتهم في هذا الظرف بعيدا عن الانفعال والمصالح والاهواء » . وكان تأثير هذه القوى التي لم تشأ ان تسجل على نفسها موقفا مبكرا منذ بداية الازمة واضحا في البيان الذي اذاعته « **لجنة الاحزاب اللبنانية** » في جلسة عقدتها مساء ٥/٣ في ندوة الدراسات الانمائية في بيروت . فقد تمثلت في هذه الجلسة احزاب من مختلف الاتجاهات السياسية والعقائدية : حزب الاتحاد الدستوري ، الحزب التقدمي الاشتراكي ، الحزب الشيوعي اللبناني ، الحزب الديمقراطي ، الحزب القومي الاجتماعي ، حزب الكتائب اللبنانية ، حزب الكتلة الوطنية ، حزب الوطنيين الاحرار ، وحدة القوى الناصرية ، ندوة الدراسات الانمائية.

من هنا فان البيان الذي صدر عن هذه الجلسة لم يكن ليعبر الا عن « موقف الحد الادنى » فقد جاء في هذا البيان ان اللجنة « تعلن اسفها البالغ للاصطدامات الفاجعة التي وقعت بين قوات الجيش اللبناني وقوات المقاومة الفلسطينية وتدعو الى وقفها على الفور ، وتهيب بالجميع الالتزام بالوعي والحكمة وروح المسؤولية ... وتناشد الجميع العمل لتوفير الجو الذي يتوقف فيه العنف بكل صوره » .

وقد اتخذت بعض القوى مواقف حاسمة ضد المقاومة منذ بداية الازمة **فالشيخ بيار الجميل** ،

رئيس حزب الكتائب ، صور الوضع كما يلي (تصريح ٥/٢ نشرته العمل ٥/٣) : « ان القضية تستغل ولم تعد في ايدي اصحابها . وليس في الافق نهاية واضحة . اليوم اكثر من اي يوم يجب ان يتوحد العمل الفدائي وينضبط فكل المصائب تأتي من فئة غير مسؤولة وغير منضبطة » . كما كتبت « العمل » صحيفة الكتائب مقالا افتتاحيا في اليوم الثاني من بداية الازمة قالت فيه « انها حالة لا تطاق ، شبعنا عواطف وكلاما معسولا . اين هي هذه الاخوة التي بها يتشدقون ؟ بأي حق يتصرف الفلسطينيون بأرواحنا وامننا ودماء جنودنا وارضنا وكرامتنا . او تكون البلاد بلادنا او لا تكون . صرنا نفضل اية كارثة على هذه المأساة الدائمة . المأساة التي تستمر منذ اربع سنوات ... ماذا نقول للناس بعد الان ... وكيف نبرر لهم خطف الجنود وقتل الابرياء واقامة الحواجز والاعتداء على الكرامات وترويع النساء والاطفال وتهديم استقرار البلاد ؟... من المسؤول عن مأساة امس ؟ المقاومة الفلسطينية وحدها المسؤولة . فالدولة تصرفت كما تتصرف كل دولة لا تميز بين السيادة وبين وجودها بالذات . وليس للمقاومة ان تجعل من نفسها دولة داخل دولة . هذه حالة مرفوضة ، الا اذا كان لبنان قد اصبح في حالة احتلال بالمعنى الصحيح » .

اما **الاصداء العربية** فكانت كما يلي :

مصر — اوردت وكالة انباء الشرق الاوسط ٥/٢ تصريحا للدكتور اشرف غربال المستشار الصحافي للرئيس انور السادات ذكر فيه ان الرئيس السادات عبر عن قلقه البالغ للاشتباكات التي جرت اليوم بين الجيش اللبناني والمنظمات الفدائية . وقال ان الرئيس السادات ارسل برقية الى الرئيس فرنجية . وذكر الدكتور غربال ان السادات تابع الموقف عن كثب وانه يشعر بان مثل هذه الاشتباكات لا تخدم سوى العدو المتربص بحقوق العرب واراضيهم . واعاد الدكتور غربال الى الاذهان ما سبق ان نادى به الرئيس السادات من ضرورة قيام كل من لبنان ومنظمات المقاومة باحترام الاتفاقيات المعقودة بين الجانبين حقنا للدماء ودعما للصف العربي . واوردت الوكالة نفسها ٥/٣١ ان الرئيس السادات اجرى في ساعة متأخرة من الليل اتصالا تلفونيا مع الرئيس فرنجية والسيد محمود الايوبي ، رئيس وزراء سوريا . وقالت الوكالة ان موضوع الاتصال كان خاصا بالاحداث الخطيرة والمؤسفة التي تقع بين الجيش اللبناني والمقاومة الفلسطينية وما يخشى ان تؤدي اليه من نتائج خطيرة لا يستفيد منها الا اعداء الامة العربية . وقالت « المحرر » ٥/٤ ان سفير مصر في لبنان السيد لطفي متولي قد اجرى اتصالا تلفونيا بعد ظهر ٥/٣ مع وزير الخارجية المصري بصدد الوضع في لبنان . كما اجرى السفير متولي عدة اتصالات مع وزير الخارجية اللبناني للغاية نفسها . وقالت الصحيفة ان هذه الاتصالات بين بيروت والقاهرة تأتي في نطاق المحاولات التي تقوم بها القاهرة من اجل وقف النزيف الدموي . وذكرت « الحياة » ٥/٣١ ان الرئيس فرنجية تلقى رسالة شفهية بواسطة السفير المصري في بيروت من الرئيس السادات يعرب فيها عن ثقته بحكمة الرئيس فرنجية بمعالجة الموقف الراهن بروح اخوية .

سوريا : اوردت « رويتر » من دمشق ٥/٣ ان الدوائر السورية المختصة اعربت عن قلقها البالغ لتدهور الوضع في لبنان في اعقاب وقوع معارك عنيفة بين الجيش اللبناني والفدائيين الفلسطينيين . ونقلت الوكالة عن مصادر رسمية ان كبار المسؤولين السوريين المدنيين والعسكريين عكفوا اليوم ٥/٣ على متابعة ومراقبة تطورات الموقف باهتمام بالغ . ومن جهة اخرى ذكرت « المحرر » ٥/٤ ان اللواء مصطفى طلاس ، وزير الدفاع السوري ، اتصل بالسيد فؤاد غصن ، وزير الدفاع اللبناني ، متمنيا العمل لانهاء الحوادث المؤسفة ومعلنا استعداد دمشق لبذل اي مجهود حميد في هذا السبيل . كما اتصل اللواء يوسف شكور ، رئيس الاركان السوري ، بالعماد اسكندر غانم ، قائد الجيش اللبناني ، وابلغه الاستعداد السوري لعمل كل ما من شأنه تقريب وجهات النظر واحلال الوفاق .

الجزائر : وكالة الانباء الفرنسية نقلت ٥/٣ تصريحا لمتحدث باسم وزارة الخارجية الجزائرية تعليقا على الاحداث في لبنان قال فيه : « اذا كانت المسؤولية تقع على عاتق الفلسطينيين فينبغي ان نقول ذلك لانهم بهذا يسيئون الى القضية العربية ، اما اذا كانت تقع — كما نعتقد — على عاتق اللبنانيين فان على حكومة هذا البلد الشقيق ان تتحمل مسؤولياتها كاملة » واضاف المتحدث قائلا : « صحيح ان سلطات لبنان هي صاحبة السلطة في اتخاذ الاجراءات الملائمة لضمان الحفاظ على النظام . غير انها لا ينبغي بأي حال ان تنحرف الى دوامة العنف بين الاخوة التي تسيء الى الدول العربية جميعا او تشكل عونا اضافيا للعدو

الصهيوني . وتماما كما ان بيروت ليست هي عمان فاننا نطمح الا تكون الان هناك عشية ايلول اسود اخر . فلا شعب لبنان ولا الشعوب العربية الاخرى ولا الرأي العام العالمي يمكن ان يسمح بذلك او يفهمه » .

العراق : استقبل وزير الخارجية اللبنانية ٥/٣ السيد خالد مكي الهاشمي ، سفير العراق في لبنان . وادلى السفير العراقي بعد المقابلة بتصريح قال فيه « لقد نقلنا رغبة العراق وقراره القيام بدور الوساطة بين الحكومة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية لحل الاشكال بروح من الاخوة العربية وتهدئة الخواطر بما يضمن حماية الدم العربي سواء اكان من القوات اللبنانية او من القوات الفدائية وغدا سيصل مبعوث عراقي ممثلا الرئيس احمد حسن البكر » .

الكويت : صرح السيد عبد العزيز حسين وزير الدولة الكويتي لشؤون مجلس الوزراء ٥/٢ بأن مجلس الوزراء تابع بقلق شديد ما تناقلته وكالات الانباء عن الاصطدامات في لبنان . واضاف ان الحكومة على اتصال مستمر مع السفارة الكويتية في بيروت . وذكرت « المحرر » ٥/٤ نقلا عن مصادر رسمية ان سفير الكويت في لبنان قام باتصالات عاجلة مع اركان المقاومة وعلى رأسهم السيد ياسر عرفات مهدت لوقف الاشتباكات . كما ان **سفراء مصر والجزائر وليبيا** اشتركوا في هذه المساعي وتقدموا ببعض اقتراحات اخذ المسؤولون ببعضها.

السودان : نشرت « العمل » ٥/٣ برقية تلقاها الرئيس فرنجية من اللواء جعفر النميري قال فيها « تتابع بقلق الانباء الواردة عن تبادل اطلاق النار بين بعض فصائل من الجيش اللبناني وبعض فصائل المقاومة . ثقتنا في حكمتكم عظيمة واملنا في تصفية الموقف بين الاشقاء بعد اطلاعنا على حديث وزير الخارجية اللبنانية مع السفراء العرب . ان تفويت الفرصة على العدو وهو يحتفل بذكرى اغتصابه لفلسطين يبدو واجبا قوميا وموقفا من مواقف النضال ضد الصهيونية . تقديركم للموقف يعكس ابعاده الحقيقية وانعكاساته ويزيدنا اطمئنانا للنتيجة التي نحن بانتظارها» . كما نشرت «النهار» ٥/٤ برقية تلقاها الاخ ابو عمار من اللواء النميري قال فيها « ونحن نتابع الان بقلق بالغ تطورات الاحداث الدامية بين الاشقاء نتذكر والالم يعصر قلوبنا ان العدو من الجانب الاخر يحتفل بذكرى اغتصابه لارض فلسطين السليبة . نناشدكم بذل مساعيكم القصوى للوصول الى صيغة تضع حدا لكل ما من شأنه ان يثير علينا شماتة الاعداء او اشفاق الاصدقاء . يقيننا ان الحكمة وضبط النفس سينتصران في الخروج بنا من هذه الازمة » .

المرحلة الثانية ٤ — مساء ٧ ايار : تميزت هذه الفترة بهدوء نسبي في العاصمة وضواحيها ، وبانتقال الصدام الى مواقع جديدة في الجنوب ، وبنشاط المساعي العربية لانهاء الازمة وكذلك بانكشاف اهداف السلطة الحقيقية في فرض الصدام على المقاومة .

في ٥/٤ مع الهدوء المتوتر الذي ساد بيروت انفجر الموقف في الجنوب فقد صرح الناطق العسكري الفلسطيني بأنه « في حوالي الساعة السادسة من مساء اليوم قام الجيش اللبناني بقصف مواقعنا في مناطق عيحا وعيتا الفخار بصواريخ الطائرات . وفي نفس الوقت كانت قد قامت مدفعية الجيش الثقيلة ودباباته بقصف شديد على منطقة راشيا الفخار وابو قمحة في العرقوب ولا يزال القصف مستمرا حتى ساعة اعداد هذا التصريح (الساعة السابعة مساء) » . وقد ذكرت « المحرر » ٥/٥ ان هذه الاشتباكات ابتدأت في منطقة حاصبيا وامتدت الى منطقة مرجعيون . واوردت « النهار » ٥/٥ وصفا لهذه الاشتباكات فقالت انه كانت قد وردت انباء في الليلة السابقة تفيد ان قوات جيش التحرير دخلت باعداد كبيرة تدعمها الآليات الثقيلة عن طريق دير العشائر ومفرق ينطا وكفرقوق وتوزعت على التلال والمرتفعات المشرفة على منطقة المصنع الحدودية والطريق الرئيسية الى راشيا وحاصبيا وقد عزز الجيش اللبناني قواته بحيث يكشف الطريق المؤدي الى قلعة راشيا الوادي حيث تقوم ثكنة كبيرة للجيش وفي الحادية عشرة قبل الظهر احتدمت المعركة بين الطرفين . وفي هذه الاثناء كان الفدائيون يتبادلون والجيش اطلاق النار في بيادر العدس وعيتا الفخار واستمر القصف متقطعا حتى المساء . وكان بلاغ صدر عن السلطة العسكرية قد ذكر انه « في منطقة البقاع اجتازت قوات من سوريا الحدود اللبنانية باعداد كبيرة تقدر بـ ٣٠٠ آلية مزودة باسلحة ثقيلة مختلفة ومصفحات ومدافع ١٠٦ و ١٢٠ و ١٢٢ واسلحة مضادة للطائرات وحاولت طلائعها احتلال مخفر بيادر العدس فصدت وعادت الى شرق عيتا الفخار. كما قامت قوات اخرى باحتلال مخفر ينطا واسر

رجال الدرك . وهاجمت بعض هذه القوات ثكنة قلعة راشيا من اتجاهات عدة بلا نجاح . وصباح ٥/٤ حاولت من جديد القصف المدفعي المركز فحلقت طائرة لاستكشاف مواقع النار في بقعة عمل راشيا فاطلقت عليها النيران من اسلحة مضادة للجويات مما اضطرها الى القصف » وكان هذا البلاغ قد صدر قبل تجدد الاشتباكات مساء . وعن دخول قوات من سوريا نقلت « رويتر » من دمشق (٥/٤) تصريحا للسيد سامي عطاري ، من قيادة منظمة الصاعقة ، نفى فيه ان تكون قد دخلت الى لبنان اية عناصر من قوات الصاعقة ، كما نقلت تصريحا لناطق باسم منظمة التحرير الفلسطينية في دمشق قال فيه انه لم تجتز الحدود السورية الى لبنان أية قوة من جيش التحرير الفلسطيني . وقد ذكرت « العمل » ان لجنة مشتركة من الجيش والفدائيين توجهت الى منطقة الاشتباكات لتطويق المسألة وكانت هذه اللجنة قد ذهبت الى مناطق اخرى جرت فيها اشتباكات مماثلة . وقد أعلن السيد فؤاد غصن ، وزير الدفاع اللبناني ، في السناعة العاشرة ليلا ان حوادث حاصبيا انتهت منذ اكثر من ساعة وتوجهت الى المنطقة لجنة مشتركة لتصفية الاجواء .

على صعيد **المساعي العربية** : ذكرت « المحرر » ان الفريق حافظ الاسد ، الرئيس السوري ، اجرى اتصالا هاتفيا مع الرئيس فرنجية وقد أعرب الفريق الاسد عن امله في ان يعالج الرئيس فرنجية الازمة بحكمة مع محافظته على سيادة لبنان ومصالح المقاومة . وذكرت « النهار » ان الاسد قال للرئيس فرنجية « ان الذين دخلوا لبنان من سوريا سينسحبون في الليل » . واستقبل الرئيس فرنجية السيد محمد يزيد ، السفير الجزائري في بيروت ، الذي ادلى بعد المقابلة بتصريح قال فيه انه سلم الرئيس فرنجية رسالة خطية من الرئيس هواري بومدين واضاف « ان الجزائر تعرض مساعيها لتقوية العلاقات الاخوية بين البلدين ، وهي تؤكد رأيها بضرورة سلامة لبنان واوضاعه والمحافظة على سلامة المقاومة ». وقد توجه السفير الجزائري بعد ذلك للاجتماع مع الاخ ابو عمار . كما استقبل الرئيس فرنجية السيد أحمد بن سوده ، سفير المغرب ، الذي ادلى بعد المقابلة بتصريح قال فيه : « اثر وقوع الاحداث المؤلمة ، اتصل الملك الحسن الثاني يوم امس بالرئيس سليمان فرنجية وبالسيد ياسر عرفات وأعرب لهما عن عميق اسفه وألمه للحوادث التي وقعت كما اعرب عن تمنياته الملحة بوقف اطلاق النار فورا بين الاخوة بما يخدم مصلحة السيادة اللبنانية والثورة الفلسطينية . واستمرارا لمساعي الملك الحسن التوفيقية قمت بزيارة الرئيس فرنجية كما سبق لي ان اتصلت بالرئيس امين الحافظ وبالسيد ياسر عرفات » واعلن السفير المغربي انه ينتظر وصول الداي ولد سيدي بابا ، مدير عام الديوان الملكي المغربي ، مبعوثا من الملك الحسن الى بيروت . وقد وصل المبعوث المغربي ليلا وصرح بان الملك الحسن « يعتقد ان من مصلحة العالم العربي والقضية الفلسطينية ان يبقى لبنان كما كان دائما البلد العربي الذي يمكنه ان يقوم بدوره في كرم الضيافة ومساندة المضطهدين ، وانه على يقين بأن مساندة الاخوة الفلسطينيين ودعم جهادهم لا يتعارضان مع مستلزمات سيادة أي بلد عربي » . كما استقبل الرئيس فرنجية السيد عبد الخالق السامرائي مبعوث الرئيس العراقي احمد حسن البكر . وقد صرح السامرائي بعد مغادرته القصر بان اللقاء مع المسؤولين اللبنانيين كان فرصة نافعة لتبادل وجهات النظر حول الازمة بين القوات اللبنانية والمقاومة الفلسطينية . وسئل اذا كان يحمل اقتراحات معينة فقال : لا أحمل شيئا مسبقا بل جئت للاطلاع على وجهة نظر الطرفين للسعي ما أمكن لتقريب وجهات النظر . وذكرت « المحرر » ان السيد السامرائي اجتمع ليلا مع بعض قادة المقاومة واستعرض معهم مسلسل الاحداث الدامية الذي تعرضت له حركة المقاومة واكد لهم مساندة العراق شعبا وحكومة لحركة المقاومة ودعا الى مزيد من التلاحم بين فصائل الثورة الفلسطينية . وقد وصل بيروت ليلا السيد محمود رياض ، الامين العام لجامعة الدول العربية ، وصرح لدى وصوله « بأن وراء هذه الاحداث أيدي اجنبية لان هذه الايدي لها مصلحة في قيام نزاع بين القوى الفلسطينية والسلطات في لبنان » . وذكرت « النهار » ان المملكة العربية السعودية بذلت مسعى لمعالجة الازمة والتوفيق بين السلطة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية وقد تولى الوساطة السفير السعودي في بيروت الذي اجتمع لهذه الغاية مع بعض قادة المقاومة . كما ذكرت « الحياة » ان سفير الكويت في لبنان قام في هذا الصدد باتصالات مع السلطات اللبنانية وقادة المقاومة كذلك وصل بيروت وفد من مجلس

الامة الاتحادي واجتمع بالرئيس فرنجية والسيد كامل الاسعد ، رئيس مجلس النواب اللبناني . وقد صرح السيد تحسين الصفدي (ليبي) عضو الوفد اثر مقابلته للرئيس فرنجية بقوله « ان الذي سمعناه من رئيس الجمهورية اكثر مما نتصوره ونحلم به ، فهو متشدد بروح القضية العربية ومؤمن بالقضية الفلسطينية . ونحن نحترم سيادة لبنان وهدف المقاومة الحقيقي » . وقد لاحظت «النهار» (٥/٥) بالنسبة للمساعي العربية ان كلمة « تأييد سيادة لبنان » بدأت تظهر للمرة الاولى في البيانات والتصريحات والرسائل الى جانب التعبير أو الشعار الذي كان يستعمل سابقا وهو «مساندة المقاومة الفلسطينية » و« الحفاظ على الثورة الفلسطينية » .

لكن على الرغم من جميع الوساطات العربية التي استهدفت تخفيف حدة التوتر فقد استمرت الاشتباكات في اليوم التالي فقد ذكرت « فلسطين الثورة » انه « بالرغم من كل الجهود المضنية والمبذولة لوقف اطلاق النار وبعد الاتفاق مرتين على ذلك فان الجيش بدأ منذ ساعات الصباح الباكر يوم ٥/٥ يصعد من عملياته العسكرية في القطاع الشرقي . فقد هاجمت قوات الجيش المعززة بالدبابات والمدفعية الثقيلة في الساعة السابعة والنصف من صباح ٥/٥ قواعد ثوارنا في مرتفعات عيحا والظهر الاحمر المتواجدة فيها قواتنا منذ أربع سنوات وبموجب اتفاقية القاهرة . وبعد العديد من الاتصالات مع السلطة والجيش دون جدوى ، اضطرت قواتنا للتصدي للقوات المهاجمة دفاعا عن النفس ، ودامت المعركة حوالي ساعتين اضطرت على أثرها قوات الجيش الى الانسحاب الى مواقعها السابقة . وبعد فشل الهجوم وعجز القوات عن احتلال الموقعين المذكورين فتحت نيران المدفعية الثقيلة من كنارمشكي والقلعة وبر الياس على كافة مواقعنا ، وبعد اتصالات عديدة برئيس الوزراء وقيادة الجيش تم التوصل الى وقف اطلاق النار في الساعة الثانية و٢٥ دقيقة ، وقد استمرت الاشتباكات المتقطعة حتى المساء حين ساد الهدوء النسبي المنطقة». وقد زعم بيان السلطة العسكرية انه « جرت صباحا في منطقة راشيا تحرشات ببعض مراكز الجيش في قرية عيحا ما لبث ان تبعها قصف لهذه المراكز بقنابل الهاون ١٢٠ وعند الساعة ١٣،٣٠ ودون أي سبب ، تعرضت مراكز الجيش في كل من المصنع والسلطان يعقوب ومفرق مجدل عنجر وكفرمشكي لقصف الهاون ١٢٠ وقد ردت مدفعيتنا على مصادر النيران بالمثل . وحوالي الساعة ١٤ اجريت عدة اتصالات وعلى مستويات مختلفة وتم خلالها الاتفاق على وقف اطلاق النار. وقد تم ذلك فعلا عند الساعة ١٤،٤٥ وباشرت اللجان المشتركة عملها لتفادي تجدد مثل هذه الاشتباكات » . واوردت « المحرر » (٥/٦) وصفا لهذه العمليات فقالت انها بدأت في الساعة الثامنة صباحا في منطقة راشيا الوادي . واشتد القصف المدفعي بين القلعة التي تتمركز فيها قوات من الجيش وثكنة الجيش ، ومرتفعات راشيا الوادي ، وضهر الاحمر وكفرشوق وبكيفا التي تتواجد فيها قوات من الفدائيين . وشمل القصف ايضا حاجزا للجيش عند مفرق ضهر الاحمر . وكانت قوات الجيش تطلق نارا كثيفة على مواقع الفدائيين الذين كانوا يردون على القصف المدفعي للجيش بقصف مدفعي وصاروخي مركز . أما في المصنع فقد جرى قصف مدفعي بين الطرفين عند الظهر وكان الفدائيون المتمركزون فوق مرتفعات بلدة الصويرة يردون على قصف الجيش لهم بواسطة المدافع من مجدل عنجر ، كما جرى تبادل اطلاق النار بصورة متقطعة بين قوات الجيش المتمركزة في خراج بلدتي غزة وعيتا الفخار ، وبين الفدائيين الذين كانوا متمركزين في مرتفعات عيتا الفخار وبنطا وبير العشائر .

وقد خفت حدة التوترات في اليوم التالي (٥/٦) في العرقوب ، بينما ذكرت السلطة العسكرية ان « مسلحين » يقدر عددهم بنحو ١٥٠ « مسلحا » هاجموا مخفر الحدود الشمالية في الساعة الاولى صباحا واطلقوا عليه النيران والصواريخ واسروا احد عشر عنصرا من الجمرك والامن العام والدرك وقد اعيد المخطوفون بعد ظهر اليوم نفسه وسلموا الى قيادة منطقة الشمال . وقد ذكرت « النهار » ان هؤلاء « المسلحين » قدموا من سوريا ، وقد سبق الحادث رسالة وجهها النقيب الفدائي صلاح ابو زرد بواسطة كاهن شدرا الى قائد منطقة الشمال العسكري « يهدد فيها اذا استمر القصف في العرقوب بفتح النار في لبنان الشمالي كله » . كما ذكرت « النهار » انه في الساعة السادسة والدقيقة العاشرة من مساء هذا اليوم فيما كانت دورية من الجيش اللبناني تعبر الطريق العام غرب قرية حاريص في قضاء صور متجهة الى ياطر،

التقت بـ « مسلحين » يزيد عددهم على سبعة ، فانذرتهم بالوقوف فتمركزوا الى جانب الطريق وفتحوا النار عليها من أسلحة رشاشة اتوماتيكية فردت عليهم الدورية بالمثل فانسحبوا الى داخل الاحراج جنوب البلدة وقد استمر الاشتباك ربع ساعة . وجرت اتصالات لتطويق الحادث . كما ذكرت ان « مسلحين » اطلقوا في الحادية عشرة ليلا نيران رشاشات غزيرة على مراكز للجيش عند مستديرة الحايك في بن الفيل واستمر ذلك حتى منتصف الليل ثم خفت وطأة النار ، وجرت في هذه الاثناء اتصالات بين المسؤولين اللبنانيين وقيادة المقاومة . وذكر مصدر فلسطيني ان نيرانا اطلقت على مخيم تل الزعتر من مبنى مجاور وان فدائيا اصيب بجروح . وقد ارسل ضابط ارتباط الى مكان الحادث . وذكرت « فلسطين الثورة » انه كان هناك تناصون من الجيش في المدينة الرياضية وفي مناطق اخرى قرب السفارة الكويتية يقومون باعمال القنص كلما هدأت الاوضاع لتعود وتشتعل من جديد .

غير أن تلك الحوادث كانت محصورة وكانت جميع الدلائل توحي بأن انفراج الازمة بات وشيكا خاصة وان يوم ٥/٧ حتى الساعة العاشرة مساء قد امتاز بهدوء فاق ما سبقه من أيام منذ أن ابتدأت الازمة .

هذا ، وقد كانت **المساعي العربية** التي بذلت خلال هذه الايام الثلاثة (٥ ، ٦ ، ٧ أيار) كما يلي : بدأت المشاورات في الصباح الباكر يوم ٥/٥ عندما استقبل الرئيس فرنجية بحضور الدكتور الحافظ ووزير الخارجية خليل ابو حمد ، الامين العام للجامعة العربية السيد محمود رياض . وقد صرح رياض بعد المقابلة « بأن الجميع حريصون على سيادة لبنان ولا شك في أن لبنان حريص على المقاومة الفلسطينية والقضية الفلسطينية » وعندما سئل ان كان الاتفاق الذي تم التوصل اليه بين السلطات اللبنانية والمقاومة اقتصر على وقف اطلاق النار اجاب « الاتفاق كما فهمت ادى الى وقف الاشتباكات ولكن المطلوب هو التوصل الى صيغة تحول دون حدوث ذلك في المستقبل » . وقد استقبل الرئيس فرنجية بعد ذلك المبعوث الشخصي للملك المغرب الذي توجه بعد المقابلة الى مقر الاخ ابو عمار واجتمع به وبعدد من قادة المقاومة . وعند الظهر استقبل الرئيس فرنجية مبعوث الرئيس المصري الدكتور حسن صبري الخولي والسيد عبد الجليم خدام ، وزير خارجية سوريا ، اللذين وصلا معا من دمشق . واثر المقابلة انتقل الخولي وخدام الى مقر الاخ ابو عمار وعرضا معه الوضع في حضور عدد من قادة المقاومة ، ثم انضم الى المجتمعين السيد صائب سلام والامين العام للجامعة العربية . وفي الساعة التاسعة مساء عاد الخولي يرافقه السفير المصري وخدام الى القصر واجتمعوا بالرئيس فرنجية بحضور الوزير ابو حمد ثم انضم اليهم الدكتور الحافظ . وكان الدكتور الحافظ قد اجتمع قبل ذلك بالسيد محمد يزيد ، سفير الجزائر في لبنان ، كما اجتمع بممثلي مجلس الامة الاتحادي . وعلى صعيد اخر تم اجتماع في فندق الكارلتون بعد ظهر هذا اليوم بين الدكتور الخولي والسيد السامرائي ، الممثل الشخصي للرئيس البكر ، وبين عبدالله اليافي ورشيد كرامي وكمال جنبلاط وقد حضر الاجتماع أيضا النائب عثمان الدنا وتوفيق سلطان وعزت حرب . وقد ادلى السامرائي عقب الاجتماع بتصريح قال فيه « نحن حلفاء استراتيجيون للمقاومة ومواقفنا معروفة ولسنا مستعدين للتفريط بها وبالقضية الفلسطينية ». وذكرت «المحرر» (٥/٦) ان الدكتور الخولي ابلغ المجتمعين ان مصر وسوريا تقفان موقفا واحدا من ضرب المقاومة . وقد اعقب هذا الاجتماع اجتماع اخر في منزل رشيد كرامي حضره المجتمعون أنفسهم باستثناء السامرائي كما انضم الى الاجتماع الدكتور الحافظ . وذكرت « المحرر » ان الخولي اعلن في الاجتماع انه وزميله وزير الخارجية السورية لا يعتبران أنفسهما في بيروت الان وسطاء محايدين بل هم فرقاء مع المقاومة الفلسطينية .

وقد حفل اليوم التالي بنشاط سياسي متواصل ، فقد عقد صباحا اجتماع موسع في السفارة المصرية حضره السادة الدكتور الخولي والوزير خدام وكمال جنبلاط والسفير المصري لطفي متولي ، وعن المقاومة ابو عمار وزهير محسن وابو اياد وابو ماهر . وانتقل الجميع بعد ذلك الى منزل الدكتور الحافظ حيث كان سبقهم اليه وزير الخارجية خليل ابو حمد والسيد محمود رياض . وذكرت « المحرر » ان الجو خلال الاجتماع كان غير طبيعي الى حد ما اذ لاحظ الجميع بشيء من الاستغراب عدم حضور قائد الجيش العماد اسكندر غانم ولم يخف وزير الخارجية السورية استياءه

كما أن الدكتور الخولي التزم الصمت طول الوقت تعبيرا من انزعاجه . وعقد اجتماع اخر في المساء في القصر الجمهوري بحضور الرئيس فرنجية والدكتور الحافظ والوزيرين ابوحمد وخدام والدكتور الخولي والسفير المصري . وعند الساعة الثامنة مساء غادر الاجتماع السيدان الخولي وخدام والسفير المصري وتوجهوا الى منزل السيد زهير محسن حيث كان ينتظرهم ابو عمار وقادة المقاومة هناك . وقد أعلن ناطق فلسطيني أن هذا الاجتماع ضم السادة زهير محسن وعبد الحليم خدام وكمال جنبلاط وعبدالله اليافي ورشيد الصلح . وقد ذكر فيما بعد ان السيد رشيد كرامي زار في منتصف الليل الاخ زهير محسن في بيته .

وقد استمرت هذه الاتصالات في اليوم التالي (٥/٧) وكان ابرزها اللقاء الذي تم ظهرا في السفارة المصرية وضم السيد صائب سلام والدكتور الخولي والوزير خدام والسفير المصري والاخوة ابو عمار وابو ماهر وزهير محسن وابو أياد . وكان هذا لقاء تمهيدا لاجتماع عقد في سرايا الحكومة استمر من الساعة الثانية بعد الظهر الى الرابعة والنصف . وقد حضره عن الجانب اللبناني الرئيس امين الحافظ والعماد غانم ، قائد الجيش ، ومعاون رئيس الاركان . وعن الجانب الفلسطيني السادة ياسر عرفات وزهير محسن وابو أياد وابو ماهر وابو الزعيم ، كما حضره الدكتور الخولي والوزير خدام . وفي هذا الاجتماع تم التوصل الى اتفاق اوردته نشرة « الثورة مستمرة » الصادرة عن الجبهة الشعبية (٥/٨) كما يلي : ١ ــ تشكيل لجنة مشتركة على مستوى وزاري تعقد اجتماعات دورية مع الوزراء المعنيين . ٢ ــ المخالفات التي تقوم بها المقاومة تحل عن طريق القضاء المسلح الفلسطيني . ٣ ــ المخالفات مع الجيش تحل مع ضابط الارتباط . ٤ ــ عودة الفدائيين والجيش الى مراكزهم قبل بدء الاشتباكات . ٥ ــ تشكيل لجنة مؤقتة من جول بستاني وموسى كنعان من الجيش وزهير محسن وابو الزعيم عن المقاومة لانهاء كافة المشاكل المعلقة (الحواجز ، مخيم ضبية ، القطاع العسكري) . ٦ ــ القضايا التي يختلف على نصوصها وتفسيرها تحال الى رئيس الوزراء ورئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير . وقد أوردت « النهار » تصريحا للوزير خدام ادلى به اثر مغادرته بيروت الى دمشق بعد التوصل الى الاتفاق قال فيه « ان الاتفاق تم بين الجانبين على نقطتين اساسيتين هما : ١ ــ تشكيل لجنة من الجانبين مهمتها القيام بالعمل على ازالة آثار التأزم على ان تنهي مهمتها خلال ٣ ايام . ٢ ــ تشكيل لجنة على مستوى عال من الجانبين كلفت الاشراف على تنفيذ بنود اتفاق القاهرة والبروتوكولات الملحقة به وتنمية علاقات الاخوة والثقة وتطويرها » . ومرة اخرى لم يمض ساعات على هذا الاتفاق حتى كانت بيروت تنفجر من جديد في صدامات أشد واعنف مما سبقها .

ما الذي كان يدور في اثناء تلك المساعي وما هي الاهداف التي كانت السلطة تسعى الى تحقيقها ؟ من خلال التقارير الصحافية والاخبار التي كانت السلطة تحرص على تسريبها ومن تصريحات المقربين من السلطة نستطيع ان نستخلص ان اتفاق القاهرة (للعام ١٩٦٩) والذي ينظم العلاقة بين السلطة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية كان مستهدفا بالالغاء من جانب السلطة . وقبل الحديث عن هذا الموضوع نجد من المناسب ابراز ردود الفعل المختلفة على ما ادلى به الرئيس فرنجية في جلسة مجلس الوزراء (٥/٣) عندما وصف الفلسطينيين في لبنان بأنهم «جيش احتلال» وذلك لارتباط هذا القول بموضوع هذه الفقرة . كان من أبرز ردود الفعل ما جاء في بيان أصدره المحامي عزت حرب ، رئيس جمعية متخرجي المقاصد ، (٥/٤) وقد جاء فيه « استمعنا بكثير من العجب والاستغراب الى مقاطع من الكلمة التي ادلى بها فخامة رئيس الجمهورية في مجلس الوزراء عن (الاقامة والضيافة الكريمة بالنسبة لاخواننا الفلسطينيين) وعن (التنسيق في خدمة القضية المشتركة وترحيبه بهذه الفكرة) ثم قوله (أما ان يكون في لبنان جيش احتلال فهذا ما لا يرضى به لبناني) . ان مثل هذا الكلام لا يمكن ان يمر بسهولة ودون رد حاسم ... اننا نسجل على رئيس الجمهورية ما قصده بتعبير (جيش الاحتلال) ونقول بصراحة انه يوجد جيش احتلال واحد في لبنان هو الجيش الاسرائيلي الذي يحتل مناطق وقرى كاملة في الجنوب كما يوجد جيش اخر ومن نوع اخر هو جيش العملاء والجواسيس التابعين للاستخبارات الاميركية والغربية والاسرائيلية والاردنية والذين كان وما يزال لهم دور في كل اعتداء على لبنان ، واجهزة الامن اللبنانية غافلة عنهم بصورة غير مقبولة اطلاقا » . وقد جاء في بيان أصدرته اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير

الفلسطينية (٥/٥) حول هذا الموضوع ما يلي « ... نعجب من وصف الوجود الفلسطيني على ارض لبنان بانه جيش احتلال ، ففي الوقت الذي نحرص فيه كل الحرص على سيادة لبنان فاننا نصر على أن يبقى الوجود الفلسطيني في لبنان بكل طاقاته متوجها لمهمته الاساسية والاعداد الكامل والعمل الدائب لتحرير الارض واستعادة الوطن السليب . اين يمارس الشعب الفلسطيني ذلك الاحتلال الموهوم ؟ هل تقيده باحكام اتفاقية القاهرة وتمسكه بحقه في الدفاع عن وجوده وكرامته داخل مخيماته يجعله جيش احتلال ؟ هل ذلك هو المساس بالسيادة اللبنانية ؟ وماذا يعني السماح للسفارة الاميركية ان تستقدم جنودا اميركيين تحت حجة حراستها وهي في ارض لبنانية ؟ كيف يكون التواجد الفلسطيني المسلح في المخيمات الفلسطينية دفاعا عن هذه المخيمات مساسا بالسيادة ولا يكون التواجد الاميركي المسلح بكل ما يحمله من تحرك متآمر على الجماهير اللبنانية وعلى الامة العربية ماسا بهذه السيادة ؟ » اما كمال جنبلاط الذي كان ادلى برأيه فيما ذكره الرئيس فرنجيه عن « جيش الاحتلال » في اليوم نفسه الذي ظهر فيه هذا التصريح ، فقد عاد في (٥/٥) يؤكد وجهة نظره في هذا الموضوع . فقد ادلى بتصريح قال فيه « استغرب الرأي العام الوطني اللبناني العربي ما نسب الى بعض الشخصيات السياسية الكبيرة في الدولة من تصريحات كأنه يقصد منها التحريض العلني على الفلسطينيين وعلى الثورة الفلسطينية ... نرجو ان تكون هذه التصريحات المنسوبة الى شخص كبير في الدولة غير صحيحة وان يعمد الى تكذيبها ... يؤسفنا ويحز في نفوسنا ما ورد من تسمية وجود جزء من شعب فلسطين على ارض لبنان بجيش الاحتلال . ان في هذا التعبير مهانة للعرب جميعا في كل اقطارهم واحراجا للبنانيين امام العرب وتجريحا لا فائدة منه ولا يجوز ان يصدر في حق اخوة لنا وقع الاحتلال الصهيوني في فلسطين على ارضهم وطردوا من ديارهم وشردوا في الافاق العربية » . كذلك أصدرت الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في لبنان بيانا (٥/٤) جاء فيه في هذا الصدد « لقد بدأنا نسمع حديثا غريبا عن « جيش احتلال » لا يقبل المسؤولون بوجوده . اننا نرفض رفضا قاطعا هذا المنطق الذي يعتبر الاخوة الفلسطينيين وطليعتهم حركة المقاومة « جيش احتلال » ، فالجماهير اللبنانية والفلسطينية تدرك جيدا انها تقف في خندق واحد وتقاتل ضد عدو واحد ، عدوها وعدو الشعوب العربية كلها . وكان الاجدر بالذين وقفوا يعلنون رفضهم لوجود « جيش احتلال » في لبنان ان يعلنوا هذا الرفض في وجه جيش الاحتلال الحقيقي الذي يستولي منذ سنوات على اراض لبنانية في الجنوب باتت تخضع لسيطرته كليا ، والذي غزا بيروت قبل اقل من شهر دون ان يلقى مقاومة او حتى محاولة ردع » .

في هذا الجو سعت السلطة جادة الى تحقيق أهدافها عن طريق السياسة بعد أن مهدت لذلك عن طريق فرض الصدام على حركة المقاومة . ونستطيع ان نتلمس محاور السلطة في هذا المسعى كما يلي : منذ توقف الاشتباكات الاولى بدأت السلطة تشيع انها في صدد البحث عن عقد اتفاق جديد مع المقاومة يلغي اتفاق القاهرة . وقد ذكرت « المحرر » (٥/٥) ان اشاعات واسعة انتشرت يوم امس (٥/٤) حول الوصول الى اتفاق جديد بين المقاومة الفلسطينية والسلطات اللبنانية يحدد اسس العمل الجديدة بين الطرفين على اساس الغاء اتفاق القاهرة وفهم ان السلطة هي مصدر هذه الشائعات، وذلك لانها تخدم الاتجاه الذي تسير فيه . وقد وجد العميد ريمون اده فرصته في ذلك ليجدد مطالبته بالغاء اتفاق القاهرة . ففي تصريح ادلى به يوم ٥/٥ (نشرته « النهار » ٥/٦) قال « اكرر الان انه حان الوقت لالغاء اتفاق القاهرة وابداله باتفاق سري يعقد بين السلطات اللبنانية والمقاومة الفلسطينية ولا يعلن عنه اي شيء بل يبقى سريا بكل معنى الكلمة ، شرط ألا يمس سيادة لبنان » . وقد اخذت « النهار » زمام الدعوة الاعلامية لهذا الاتجاه ففي عددها الصادر يوم (٥/٧) كان العنوان الرئيسي فيها « بدأ الحوار الايجابي حول اتفاق القاهرة » . وكتبت عن هذا الاتفاق مقالا رئيسيا قالت فيه « من حيث هو نص اعتبر الوسطاء العرب الذين درسوا اتفاق القاهرة ان الظروف قد تخطته لانه كان جزءا من خطة عربية شاملة في حرب الاستنزاف ... اما اليوم فلم يعد على الحدود شيء ، والخلاف ليس حول العمليات الفلسطينية على الحدود انما حول الامتيازات الممنوحة للفلسطينيين داخل المدن وفي المخيمات » . واشارت « النهار » الى رغبة الرئيس فرنجيه في تعديل اتفاق القاهرة وبأنها «لا يجوز ان تؤخذ على محمل التحدي

بل انها وليدة حرصه على استئصال اسباب كل أزمة مماثلة في المستقبل » .

هذا المحور ، المتجه نحو الغاء اتفاق القاهرة ، كان يصب فيه رواقد فرعية تسعى الى تعزيزه وتصعيده : منها الحديث عن **السيادة اللبنانية** ، فقد أوردت « النهار » (٥/٥) ان الرئيس فرنجية في احاديثه مع الوسطاء العرب شدد على « انه أقسم اليمين الدستورية على المحافظة على سيادة لبنان وهو ملتزم بقسمه التزاما تاما وكليا ولا يقبل ان تكون هناك دولة ضمن الدولة وان يكون هناك مسلحون في المدن او ضواحيها يسرحون ويمرحون ويروعون الناس ويخطفون ويحجزون الحريات ويتصرفون كأنهم سلطة فوق السلطة الرسمية » . وفي تصريح ادلى به بيار الجميل ، رئيس حزب الكتائب ، (نشرته « العمل » ٥/٦) اكد هذا المعنى « أنا أتساءل اي بلد في العالم يقبل ان يتواجد على ارضه جيش احتلال رغم ارادته ، واي بلد يقبل ان يتنازل عن سيادته وعن مسؤولياته لاشخاص وفئات مبهمة » . اما ريمون اده (في تصريح نشرته « النهار » ٥/٧) فقد قال « ان نصوص اتفاق القاهرة ضد سيادة لبنان » . وقد اظهرت « النهار » (٥/٧) ان ثمة تناقضا بين سيادة لبنان وحرية العمل الفدائي « حتى ان الوسطاء العرب ليسوا متفقين في الرأي حول هذه الصيغة فالبعض يرى ان تعطى المقاومة مزيدا من الحرية ولا تفرض عليها القيود باسم المطالبة باحترام السيادة ، بينما البعض الاخر يرى ان لا تخرج المقاومة بنشاطها على سيادة لبنان وان تعمل من ضمن هذه السيادة. ولا يقتصر تباين الاراء على الوسطاء العرب بل ان هذا التباين موجود بين اعضاء الحكومة انفسهم . فالرئيس امين الحافظ ومعه الوزير علي الخليل تساندهما الاحزاب اليسارية التي تضغط وتصعد موقفها الان من اجل الوصول الى الصيغة التي تؤمن مصلحة المقاومة وتضمن لها حرية التحرك والنشاط ، بينما يريد وزراء آخرون ان يتم وضع الصيغة الجديدة في نطاق احترام سيادة لبنان واعتبار ان لا سلطة غير سلطة الدولة اللبنانية » . ومن الروافد الاخرى التي صبت في مجرى الاتجاه نحو الغاء اتفاق القاهرة ، مقارنة معاملة الفلسطينيين في لبنان بمعاملتهم في الدول العربية الاخرى و« الامتيازات » التي يتمتع بها الفلسطينيون في لبنان . فالرئيس فرنجية (كما ذكرت « النهار » ٥/٥) ذكر امام الوسطاء العرب « اننا سنعامل اخواننا الفلسطينيين كما تعاملهم الدول العربية ، ولتقل لنا الدول العربية كيف تعاملهم ونحن مستعدون لتطبيق ذلك بكل دقة . ان الانظمة المرعية والقوانين التي تنفذ وتطبق على المواطن اللبناني ستنفذ كذلك وتطبق على الاخوان الفلسطينيين ... ولا يجوز أن يكون المواطن اللبناني خاضعا للقوانين بينما الفلسطيني فوق القانون او ان يكون مواطنا ممتازا واللبناني مواطنا من الدرجة الثانية » . و« الامتيازات » التي اشار اليها الرئيس فرنجية لا تتعلق بحق المواطنة في الدولة وانما بوجود السلاح بأيدي الفلسطينيين،فهو يتساءل «ما الفائدة من وجود مسلحين في العاصمة والمدن ؟ » . وينتقل الرئيس فرنجية الى محور آخر يدعم وجهة نظره بالغاء اتفاق القاهرة هو رأيه في المخيمات الفلسطينية فهو يقول « ان الدولة لم يعد لها اي سلطة او رقابة على المخيمات » . ويزعم ان المخيمات « اصبحت مأوى للمجرمين ومخالفي القانون والفارين من وجه العدالة من غير الفلسطينيين » .

على الجانب الاخر كانت وجهة النظر الفلسطينية واضحة وحاسمة في جميع هذه القضايا التي طرحت . فعن اتفاق القاهرة كتب المحرر السياسي لوكالة الانباء الفلسطينية « وفا » (٥/٦) : «بعض الصحف ووكالات الانباء تتساءل عن اتفاق القاهرة، بعضها يتذاكى اكثر ، يحاول ان يقول سمعنا عن اتفاقية جديدة ، فلان اتفق مع فلان على اتفاق جديد . نقول كل هذا الكلام لا اساس له من الصحة . اتفاقية القاهرة هي ملك للفلسطينيين واللبنانيين ، واتفاقية القاهرة هي الاساس والحكم . ولا نقاش في اتفاقية القاهرة مهما كانت الظروف ، لا كلا ولا جزءا ولا من قريب او بعيد . ثم هل نتكلم بصراحة اكثر . اننا نطالب بتنفيذ اتفاقية القاهرة . وقد لا يكون الوقت مناسبا للدخول في التفاصيل » . وقد اوضح بيان للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية (٥/٥) كثيرا من الامور التي كانت تقال فقد جاء فيه « لم تكن حركة المقاومة الفلسطينية تتوقع ان تحل الامور في لبنان الى ما وصلت اليه في الايام الثلاثة الماضية حيث تعرض المواطنون الفلسطينيون واللبنانيون في المخيمات والاماكن التي تحيط بها الى القصف بمختلف انواع الاسلحة الخفيفة والثقيلة . كما لم نكن نتوقع ان تقصف الطائرات الاماكن السكنية الامنة وان تشن على اللبنانيين والفلسطينيين وعلى

حركة المقاومة بشكل خاص حملة ظالمة تتهمهم بالتعرض للجيش مرة ، ومرة اخرى بخرق الاتفاقيات المعقودة ، ومرة ثالثة بعدم احترام سيادة لبنان . وان حوالي نصف مليون فلسطيني يقيمون في هذا البلد منذ ربع قرن ويقدرون أوضاعه وظروفه ويشكلون عاملا اساسيا من عوامل بنائه الاقتصادي وازدهاره ويحترمون سيادته الوطنية يعتبرون ان امن واستقرار لبنان يساعدانهم على التوجه لمهمتهم الاساسية وهي العمل من أجل تحرير وطنهم المحتل ... لكننا لاحظنا وبكل اسف منذ فترة من الزمن ان هنالك محاولات مستمرة للحد من قدرة حركة المقاومة على التحرك وشل فاعليتها وتعطيل الاتفاقيات المنظمة للعلاقة بين السلطة اللبنانية والمقاومة » وعدد البيان بعض هذه الامور وانتقد وصف الفلسطينيين بأنهم جيش احتلال واضاف « واكبر دليل على حرصنا على السيادة اللبنانية والتزامنا بالاتفاقات المعقودة اننا لم نقم باخراج معتقلينا الذين يعدون بالمئات من سجن الرمل الواقع في نفس المنطقة وكان باستطاعتنا لو أردنا ذلك . ولو كانت لدينا اي نوايا للمساس ببنود الاتفاقات لنقلنا ساحة الصدام الى كافة الاماكن ... وعلى العموم فان انضباطية حركة المقاومة وحسن تقديرها لوضع لبنان وسيادته واستقلاله جعلها تتصرف بكل حكمة واتزان ومسؤولية خلال الايام الثلاثة الماضية رغم كل المآسي التي تعرضت لها » . وخلص البيان الى تبيان المطاليب التالية : « ١ ــ التزام الطرفين بتنفيذ الاتفاقات المعقودة بينهما . ٢ ــ اعادة تشكيل اللجان المشتركة التي تضمن سير العمل وتحرص على تطبيق الاتفاقات . ٣ ــ اطلاق سراح المقاتلين المعتقلين في السجون لمواصلة تأديتهم لواجبهم الوطني واعادة السلاح المصادر . ٤ ــ معالجة كافة القضايا بروح الاخوة وسعة الصدر وبالوسائل الودية المشروعة » .

اما موقف **القوى التقدمية والهيئات الوطنية** في هذه الفترة التي سادت فيها المفاوضات فقد تبلورت اكثر . فعلى صعيد **الاحزاب التقدمية** ، قام الاستاذ كمال جنبلاط بعد ظهر (٥/٤) بزيارة الاخ ابو عمار في مقره على رأس وفد يمثل الاحزاب والقوى التقدمية ضم السادة فريد جبران ، محسن ابراهيم ، جورج حاوي ، عباس خلف ، نديم عبد الصمد ، توفيق سلطان ، بشارة مرهج وداوود حامد . وابلغ الوفد ابو عمار ان الاحزاب والقوى التقدمية قد اجتمعت وأصدرت بيانا عن موقفها وانها تؤيد المقاومة تأييدا تاما وتدعمها بكل ما يطلب منها. ومما جاء في هذا البيان ما يلي : « كان الصمود الرائع الذي اظهرته جماهير الشعب الفلسطيني واللبناني على السواء ضد المجزرة البربرية ، الصخرة التي تحطم عليها مخطط تصفية المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية . كما لعبت دورها في ردع الحكم اللبناني عن المضي في سياسته المتعنتة ، مواقف المساندة العربية التي اثبتت ان المقاومة والحركة الوطنية اللبنانية ليستا وحدهما في الميدان » « لقد كان واضحا منذ البداية ان لا سبيل لوقف اراقة الدماء الا بانسحاب قوات السلطة الى ثكناتها ، ولكن بعض اطراف السلطة ظلت لاكثر من ٤٨ ساعة تتعنت وتكابر وتصعد الموقف ... حتى اسقط في يدها اخيرا ، وجاء فشلها السياسي وخاصة فشل محاولات اثارة الفتنة الطائفية ، بالاضافة الى فشلها العسكري ليفرض عليها التراجع عن سياسة القتل والمجازر والموافقة على ايقاف اطلاق النار وعودة قواتها الى حيث كانت قبل الهجوم الاخير ». وحدد البيان ستة مطالب دعا الجماهير الشعبية الى تحقيقها « ١ ــ التطبيق الكامل لاتفاق وقف اطلاق النار الاخير والما نص عليه من عودة جميع القوات الى مواقعها السابقة . ٢ ــ الافراج السريع عن المعتقلين وعن السلاح المحتجز . ٣ ــ تنفيذ الاتفاقات المعقودة بين السلطة والمقاومة وكافة الملاحق الناتجة عنها والمرتبطة بها . ٤ ــ محاسبة ومحاكمة المسؤولين عن تنفيذ المجزرة . ٥ ــ التعويض عن ذوي الشهداء وعن الاضرار المادية . ٦ ــ تحديد الطرف اللبناني المسؤول عن العلاقة مع المقاومة الفلسطينية في اطار المسؤولية الكاملة لرئيس الحكومة والوزراء المختصين » . كما عقدت هذه الاحزاب اجتماعا آخر يوم (٥/٥) اكدت فيه المطالب الستة التي ذكرتها في بيانها السابق واتخذت سلسلة مقررات من بينها : « ١ ــ عقد مؤتمر صحافي الساعة الثانية عشرة ظهر الاثنين ٧ أيار يعرض فيه الاستاذ كمال جنبلاط مواقف الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية من المجازر التي ارتكبتها السلطة وما تزال ، والمطالب التي سوف تناضل بكل ما في حوزتها من وسائل وامكانيات من اجل تحقيقها . ٢ ــ دعم المؤتمر الوطني الشعبي الذي سوف ينعقد في جمعية متخرجي المقاصد في بيروت نهار الثلاثاء ٨ أيار والمشاركة فيه بكل الامكانيات . ٣ ــ تنظيم مهرجان

شعبي واسع في الملعب البلدي في بيروت الساعة الخامسة بعد ظهر يوم الاربعاء ٩ ايار . ٤ — اطلاق سلسلة من التحركات الشعبية في مختلف المناطق اللبنانية تعبيرا عن ارادة الشعب اللبناني في حماية المقاومة الفلسطينية وتكريس حقوقها وحرياتها الوطنية وتعبيرا عن الصمود الوطني الشعبي في وجه العدو الاسرائيلي وسلطة التخاذل والقمع . ٥ — تنظيم سلسلة وفود وطنية لبنانية تزور عددا من البلدان العربية لوضع القوى والهيئات الشعبية فيها امام حقائق الوضع السياسي اللبناني الخطير الناتج عن مضي السلطة في مخططها التصفوي » .

وأصدرت **جمعية متخرجي المقاصد الاسلامية** (٥/٤) بيانا ردت فيه على الرئيس فرنجية بالنسبة لوصفه الفلسطينيين بانهم جيش احتلال . وقد اوردنا سابقا فقرة بيان الجمعية المتعلقة بهذا الموضوع ، وبالاضافة اليها فقد ذكر البيان ما يلي : « اننا نسجل على رئيس الجمهورية استئثاره بالسلطة... اننا نسجل على رئيس الجمهورية انه لاول مرة تضرب الاحياء الغربية الآهلة بالسكان المسلمين في مدينة بيروت بالمدافع وقنابل الدبابات . اننا نسجل على رئيس الجمهورية انه أمر الجيش لاول مرة بضرب المخيمات بالمدافع واحتلال بعضها وسمح للطيران اللبناني بالظهور في اجواء لبنان لضرب سكان المخيمات . اننا نسجل على رئيس الجمهورية ان الجيش واصل الصدام بصورة غير طبيعية وتصرف بعنف غير مفهوم اطلاقا رغم التوصل ليل الاربعاء الى صيغة تنهي التصادم . انه لا بد من وقفة حكيمة امام معضلة الحكم في لبنان وامام الواجب المقدس ودورنا التاريخي مع المقاومة الفلسطينية من اجل القضية المشتركة » .

وفي ٥/٤ دعا **المجلس الاسلامي** في لبنان الى اجتماع عقد في مستشفى الدكتور محمد خالد حضره السادة رشيد كرامي وصائب سلام وعثمان الدنا وجميل كبي وزكي مزبودي ومحمد يوسف بيضون ورئيس حزب النجادة ورئيس حزب الهيئة الوطنية ورئيس اتحاد الشبيبة الاسلامية ورئيس جمعية متخرجي جامعة بيروت العربية ورئيس جمعية متخرجي المقاصد ، وأصدر المجلس بيانا أعلن فيه « ١ — استنكار ما حدث وتحميل الحكومة المسؤولية . ٢ — الاستمرار في مراقبة الاحداث والمساهمة في اعادة الامور الى نطاقها الطبيعي ضمن اطار الديموقراطية الصحيحة بما يحفظ للمقاومة الفلسطينية فعاليتها ويضمن استقرار الوضع في البلاد » . وقد عقد المجلس اجتماعا آخر في (٥/٦) اعلن في نهايته انه « يحذر من الانزلاق في ضرب المقاومة الفلسطينية معتبرا المجزرة التي وقعت خسارة وطنية لبنانية وعربية وهي من اهداف العدو » .

وقد عقد ممثلو الاحزاب والقوى الوطنية التقدمية والهيئات النقابية والطالبية في صيدا مؤتمرا شعبيا (٥/٤) تأييدا للمقاومة . وتقرر في هذا المؤتمر « دعم الثورة الفلسطينية لحمايتها من محاولات التصفية الجارية في بعض المناطق اللبنانية حتى ولو اضطررنا الى حمل السلاح بجانب الثورة » . ثم انطلقت تظاهرة طافت شوارع صيدا القديمة عاتنة بشعارات التأييد للمقاومة واستنكار محاولات التصفية التي تقوم بها السلطة .

كما أصدرت **الاحزاب والقوى التقدمية في الشمال** بيانا (٥/٤) شجبت فيه المجازر التي نفذتها السلطة ضد المقاومة ، وطالب البيان بتنفيذ المطالب الستة التي جاءت في بيان القوى التقدمية في بيروت واختتم بالقول « الاحزاب والقوى التقدمية على تمام الاهبة ، متضامنة متلاحمة مع المقاومة ، لمنع المتآمرين من اللعب بالنار مجددا واستئناف مجازر الابادة ضد المقاومة والجماهير الفلسطينية » .

وعقدت **الاتحادات الطلابية** في لبنان اجتماعا (٥/٦) في مقر اتحاد طلاب جامعة بيروت العربية وقررت « الاعراب عن التضامن المطلق مع حركة المقاومة الفلسطينية ، وقد قام وفد من الاتحادات بزيارة مقر قيادة المقاومة لهذا الغرض . والدعوة لمؤتمر صحافي صباح اليوم التالي تعرض فيها الاتحادات والروابط موقفها من الاحداث وبرنامجها لهذا الاسبوع مشاركة منها في كل الخطوات الوطنية » . وقد حضر الاجتماع ممثلون عن اتحاد طلاب جامعة بيروت العربية ، مجلس الطلبة في الجامعة الاميركية ، اللجنة التحضيرية لاتحاد الثانويين ، الاتحاد العام لطلبة الاردن — فرع لبنان ، الاتحاد العام لطلبة فلسطين — فرع لبنان .

في هذه الفترة بدأ الحديث عن ما سمي بـ « فريق ثالث » او « طابور خامس » يقوم بتأزيم الوضع بين الجانبين . وقد ذكرت « المحرر » (٥/٥) انها علمت من مصادر موثوقة ان هذا الحديث لم يكن كلاما مجردا بل حقيقة تأكدت في اكثر من موقع ومكان

وفي مناطق مختلفة من بيروت واضافت ان هـذا « الفريق الثالث » هو عبارة عن مزيج من رجال المخابـرات الاميركيـة والاردنيـة والاسرائيليـة المتواجدين في بيروت منذ مدة طويلة ، وقد تبين ان هؤلاء لعبوا خلال الاشتباكات دورا خطيرا عن طريق استخدام بعض البنايات المتواجدين فيها والشقق التي يستأجرونها في بيروت لاطلاق بعض العيارات النارية باتجاه الفدائيين وقوات الجيش خاصـة خلال اتفاقات وقف اطلاق النار ، كما قام بعضهم باطلاق الرصاص من سيارات كانوا يستقلونها . وقالت ان قوات المقاومة اعتقلت خلال الايام الثلاثة الماضية عدة اشخاص تبين بعد التحقيق معهم انهم ينتمون للمخابرات الاردنية وانهم قاموا باطلاق النار خلال الاشتباكات الاخيرة . كما اعلنت مصـادر التنظيم الناصري (النهار ٥/٥) ان التنظيم قبض على عنصرين ينتسبان الى المخابرات الاردنية في احدى بنايات منطقة الحرج وانه اتضح بنتيجـة التحقيق اشتراكهما في محاولة الاغتيال التي تعرض لها السيد كمال شاتيلا ، امين التنظيم الناصري ، والنائب نجاح واكيم في اليوم الاول من الاشتباكات. وذكرت « المحرر » (٥/٧) ان دورية من رجال المقاومة الفلسطينية تعرضت في الليلة السابقة الى نيران مسلحين كانوا في احدى الابنية في محلـة الدكوانة وقد اصابت نيرانهم احد العناصر الفدائية بجراح . وقد بادر المسؤولون في المقاومة الاتصال فورا بقيادة الجيش فأجابتهم القيادة ان نـيران هؤلاء المسلحين تطلق على الفدائيين وعلى عناصر الجيش في وقت واحد . هذا وقد علقت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) (٥/٤) على وجود هذا « الفريق الثالث » فقالت « انه من السذاجة ان نقتصر على القول بأن هناك طرفا ثالثا كان يسعى الى تصعيد الامور وتأزيمها . صحيح ان هذا الطرف موجود ، وصحيح انه عمل على استغلال كل ما جرى . ولكن السؤال قبل ذلك يتعلق بالقرار الذي اتخذ لقصف الشعب الفلسطيني وبعد ذلك بما رافـق تنفيذه من هجوم وقصف رهيب وصل الى حـد القصف بصواريخ الطائرات » .

المرحلة الثالثة ــ تجدد الاشتباكات : مساء ٥/٧ وبعد ساعات قليلة على اعلان اتفاق وقف اطلاق النار وتشكيل اللجان المشتركة اشتعلت بيروت مرة اخرى حيث شمل القصف المدفعي الذي ابتدأ في نحو الساعة العاشرة ليلا مخيمات تل الزعتـر وشاتيلا وبرج البراجنـة وبير حسن ومنطقتـي الغاكهاني وابو شاكر . وقد اعلن مجلس الوزراء في الساعة الحاديـة عشرة ليلا حالة الطوارىء وجددت السلطة العسكريـة العمل بنظام منـع التجول . وكان من الواضح ان ساحة الاشتباكات والقصف قد امتدت لتشمل معظم بيروت فقد ذكرت « النهار » انه القيت قنبلة يدوية امـام فندق فينيسيا فأحدثت اضرارا مادية واطلقت طلقات نارية من اسلحة مختلفة ومدافع وصواريخ في الاحيـاء الغربية واصيبت منازل الضباط في بئر حسن بقذائف صاروخية كما ذكرت انه حدث قصف شديد ومركز بالهاون والصواريخ على المراكز العسكرية في بئر حسن وعلى مطار بيروت الدولي ونادي مدرسـة القتال كذلك اشتبك رجال الدرك في المطـار مع القناصة . وكان واضحا ان السلطة ، او جانبا من السلطة ، قد ابتدأت القصف لانه استهدف في البداية مخيمات الفلسطينيين ففي الساعة العاشرة مساء اي في الموعد نفسـه الذي ذكرت السلطة العسكرية في بلاغ لاحق ان النار فتحت على مراكز الجيش تعرض مخيم برج البراجنة لقصف كثيف من النار استهدف وسط المخيم نفسه ، ولم تمض ساعة على بدء القصف حتى كانت حالة الطوارىء قـد اعلنت في البلاد . وقد ذكرت « النهار » (٥/٨) انه لدى بدء الاشتباكات « روى اكثر من وزير ان الصواريخ كانت تنطلق في كل الاتجاهات وخاصة جهات المطار ، وثمة من اكد ان اطلاقها جاء بينما كان في الاجواء قنابل مضيئة ، وثمة من قال انه شاهد تحركات بحرية . وقد تلقى احد الوزراء مخابرات هاتفية من اشخاص شاهدوا قطعا بحرية تعطي اشارات » . وقد اذاع راديو دمشق في اليوم التالي (٥/٨) تصريحا لمصدر رسمي ذكر فيه انه لم تكن قد مضت غير ساعات على التوصل الى اتفاق بين الجانبين حتى شاهد السفير التركي في بيروت اشارات من البحر قابلتها اشارات من البر تلاها اطلاق النار بمختلف صنوف الاسلحة . وقد ابلغ السفير التركي هذه المعلومات الى وزير الخارجية اللبناني . هذا وذكرت السلطة العسكرية ان خسائر الجيش في تلك الليلة بلغت ثلاثة جرحى وتعطيل ملالة ومصفحة .

وطوال الليل لم يتوقف اطلاق النار الذي اشتد في ساعات الصباح الباكر ليوم ٥/٨ . وكان واضحا ان المقاومة تخوض معركة الدفاع عن وجودها الذي بات يتهدده الخطر . فقد كثفت المقاومة رمايتها لاسكات اطلاق النار عليها وقد ذكرت « النهار »

(٥/٩) انه منذ الرابعة والنصف من صباح ٥/٨ تزايد اطلاق الرصاص والصواريخ من مخيمات شاتيلا وصبرا وبئر حسن وبرج البراجنة وتل الزعتر وجسر الباشا في اتجاه قوات الجيش المتمركزة على المستديرات الرئيسية والاماكن العامة . وقد استعملت في المعركة المدفعية والهاون والرشاشات الخفيفة والثقيلة . وقد تدخل الطيران اللبناني في هذه المعارك . كذلك دارت معركة عنيفة منذ الساعة السادسة مساء قرب المدينة الرياضية استمرت ثلاث ساعات بلا انقطاع ، كذلك تجدد تبادل اطلاق النار بشدة في الساعة السادسة في مخيم تل الزعتر وقد استمر القصف المدفعي وتبادل اطلاق النار حتى الثامنة مساء . وقد ذكرت نشرة « الثورة مستمرة » انه وقعت تفجيرات في كافة انحاء بيروت كان معظمها في بعض مؤسسات السلطة . اما في منطقة برج البراجنة فقد ركزت قوات الجيش قصفها على المخيم منذ الساعة السادسة مساء وقد تخلل ذلك طلعات للطيران اللبناني ضرب خلالها المخيم . كذلك قامت الطائرات بقصف مخيم شاتيلا منذ الساعة السادسة والنصف. وقد اعترفت السلطة العسكرية بهذا القصف الجوي في بلاغ اصدرته في الساعة الثامنة مساء .

وفي الساعة السابعة والنصف مساء اذاع راديو بيروت ما يلي « استقبل رئيس الجمهورية سليمان فرنجية ، في حضور وزير الخارجية والمغتربين السيد خليل ابو حمد ، سفراء الدول العربية الشقيقة المعتمدين في لبنان واستعرض معهم الوضع الراهن . وبعد التداول طلب الرئيس من قيادة الجيش ان توقف فورا القصف الجوي على ان يتوقف كل تبادل في اطلاق النار في تمام الساعة الثامنة من مساء هذا اليوم الثلاثاء الثامن من شهر ايار ، وذلك للافساح في المجال للجان المشتركة لتباشر اعمالها بين الثامنة والتاسعة والنصف لتأمين وقف تبادل اطلاق النار بصورة نهائية . وقد قام السفراء العرب بتبليغ هذا القرار الى رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية » . واذيع في التاسعة والدقيقة ٤٠ ما يلي « بناء على ما تقدم تم الاتفاق بين ممثلي قيادة الجيش وممثلي منظمة التحرير الفلسطينية على استمرار وقف اطلاق النار في جميع المناطق اللبنانية » . وصدر عن السلطة العسكرية انه « تنفيذا لقرار وقف تبادل اطلاق النار الذي تم الاتفاق عليه ابتداء من الساعة الثامنة من مساء هذا اليوم ، اجتمعت اللجنة العسكرية المشتركة اللبنانية — الفلسطينية في الساعة التاسعة والدقيقة ٢٠ من مساء هذا اليوم في بيروت لمباشرة مهمتها في تقرير ايقاف تبادل اطلاق النار » . وقد انتهى اجتماع اللجنة المشتركة في الساعة الاولى والنصف من صباح اليوم التالي (٥/٩) وقد انعقد الاجتماع في السفارة المصرية. وقد ذكرت « النهار » عن الاجتماع الذي عقده السفراء العرب في القصر الجمهوري مع الرئيس فرنجية ان « ما جعل الجانب اللبناني يستعجل الاجتماع ويعطيه هذا المقدار من الاهمية ، الانباء التي وردت من كل الجهات عن تحركات عسكرية سورية وما بثته اذاعة دمشق ، وما كان يرد من اخبار بعض العواصم العربية ومواقفها المتحفظة تجاه السلطة في لبنان » .

وعلى الرغم من التوصل الى وقف اطلاق النار في الثامنة مساء فقد حدثت اشتباكات في مناطق مختلفة في لبنان . فقد صرح الناطق الفلسطيني عن عدد من العمليات قامت بها السلطة بعد اعلان وقف اطلاق النار كما يلي : « اولا في الساعة ٨،٤٠ من مساء ٥/٨ قصفت قوات السلطة منطقة القاسمية والرشيدية والبرج الشمالي بالمدفعية الثقيلة بشكل كثيف وقد تركز القصف المدفعي على مخيم الرشيدية. ثانيا — في الساعة ٩،١٠ مساء قامت قوات السلطة بقصف منطقة البص بالمدفعية الثقيلة . ثالثا — في الساعة ١٠ مساء وجهت قوات السلطة نيران رشاشاتها الثقيلة باتجاه مخيم تل الزعتر . رابعا — في الساعة ١٠،٢٠ مساء بدأت قوات السلطة بقصف قواعدنا في راشيا الوادي وعيتا الفخار مستخدمة مختلف انواع الاسلحة الثقيلة ثم حاول رتل من الدبابات التقدم باتجاه مواقعنا الا ان قواتنا تمكنت من صد الهجوم . خامسا — في الساعة الثالثة من فجر اليوم (٥/٩) قامت السلطة بهجماتها ضد قواعدنا في الجنوب فاستخدمت مدفعية الهاوتزر في قصف معظم انحاء الجنوب . سادسا — في الساعة الرابعة من صباح اليوم (٥/٩) قام الجيش بقصف قواعدنا في عيتا وكفرقوق بالمدفعية الثقيلة وشمل القصف مشارف بكا . سابعا — في الساعة السابعة صباحا (٥/٩) فتح الجيش نيران رشاشاته ومدفعيته باتجاه مخيم تل الزعتر واستمرت الرماية المتقطعة على تل الزعتر حتى بعد ظهر اليوم ورغم وجود اللجنة المشتركة في المنطقة. ثامنا — اشترك سلاح الجو اللبناني في مهاجمة قواعدنا في جنوب لبنان فشن في الصباح عدة غارات

على هذه القواعد . تاسعا ـ انتشر عدد من القناصة في مناطق متعددة من بيروت وراحوا يطلقون النار على المخيمات ومناطق تواجدنا وادى ذلك الى وقوع عدد من الاصابات » . هذا وذكرت الصحافة اللبنانية ان خسائر يوم (٥/٨) كانت ٨ قتلى من العسكريين و٥ من المدنيين وجرح ٢٦ من الفريقين .

كانت ابرز الاحداث السياسية التي حدثت يوم ٥/٨ ان سوريا اعلنت اغلاق حدودها مع لبنان ، وان الدكتور امين الحافظ قدم استقالة حكومته الى الرئيس فرنجية ، كذلك ذكرت وكالة « انباء الشرق الاوسط » ان الرئيس انور السادات أصدر تعليمات الى الدكتور حسن صبري الخولي بمغادرة بيروت الى دمشق فورا . كذلك ذكرت الوكالة ان وزير الحربية المصري الفريق اول احمد اسماعيل سافر الى دمشق صباحا وعاد الى القاهرة بعد الظهر وان زيارته الخاطفة هذه « تتعلق بالاحداث الجارية حاليا في المنطقة » . وعلى صعيد الحركة الوطنية اللبنانية ذكرت نشرة « الثورة الفلسطينية » التي تصدر عن الاعلام الفلسطيني الموحد (٥/٩) ان المؤتمر الوطني الذي عقد بعد ظهر ٥/٨ في نادي خريجي المقاصد في بيروت اتخذ قرارا تاريخيا بنزول الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية والهيئات الى الشارع وحمل السلاح لاحباط المؤامرة التصفوية جنبا الى جنب مع قوات المقاومة الفلسطينية . وقد صدر عن المؤتمر بيان جاء فيه « ان المجتمعين يؤكدون ان المعركة ليست معركة المقاومة الفلسطينية وحدها وانما هي بالدرجة الاولى معركة الشعب اللبناني بأسره ضد الطغيان والمخططات الاجنبية الرامية الى تصفية الحركة الوطنية بالاضافة الى حركة المقاومة وهم يدعون الجماهير الوطنية اللبنانية لتحمل مسؤوليتها في هذا الظرف الخطير والتصدي بكل الوسائل جنبا الى جنب مع المقاومة الفلسطينية لاحباط مخطط السلطة والعودة الى احترام اتفاق ٥/٧ بسحب الجيش الى ثكناته فورا وانهاء حالة الطوارىء ومعاقبة المسؤولين عن المجزرة الرهيبة وتحقيق سائر مطالب الحركة الشعبية اللبنانية وحركة المقاومة الفلسطينية . ان المجتمعين يحذرون رجال السياسة اللبنانيين من قبول تولي الحكم في هذا الظرف وبعد استقالة الحكومة الا على اساس تحقيق هذه المطالب » .

في يوم ٥/٩ وقعت عدة اشتباكات متفرقة في بيروت وعدد من المناطق اللبنانية . فبالاضافة الى بيان الناطق العسكري الفلسطيني الذي ورد سابقا عن احداث يومي ٨ و٥/٩ ، ذكرت « المحرر » انه وقعت في ٥/٩ اشتباكات عنيفة في منطقة بئر حسن وبرج البراجنة استمرت اكثر من ساعتين . وفي البقاع شملت الاشتباكات حام ، معربون ، وادي سباط (قضاء بعلبك) وخلال ذلك اطلقت عدة صواريخ على مطار رياق العسكري . كما حدثت اشتباكات في منطقة المصنع ومنطقة راشيا وشملت مرتفعات بلدة الصويرة (البقاع الغربي) والمنارة ومرتفعات عيتا الفخار ومدوخا وعين عرب وخربة روحا والضهر الاحمر وينطا ودير العشائر وراشيا وكانت طائرتا ميراج قد تصفتا المرتفعات التي كان الفدائيون يحتلونها وذلك ما بين الساعة الثانية وحتى الخامسة من بعد الظهر . وفي الجنوب سمعت أصوات طلقات مدافع رشاشة في منطقة العرقوب في الساعة الثانية والنصف صباحا . وفي الساعة السابعة والنصف صباحا حلقت طائرتا هليكوبتر لبنانيتان فوق مخيم النبطية ، فأطلق عليهما الفدائيون النار لمدة نصف ساعة . وكان من اخطر التطورات التي حدثت في هذا اليوم والليلة التي سبقته نقل جو المعارك الى بعض المؤسسات الاقتصادية والى مناطق جديدة في بيروت لم تتعرض سابقا لهذا الجو . فقد ذكرت « النهار » انه وضعت متفجرات في منطقة الشياح على مداخل فروع ثلاثة لمصارف هي بنك طراد (كريدي ليونيه) وبنك كونتيننتال الانماء والبنك اللبناني للتجارة . كما وضعت متفجرة على مداخل وزارة الاشغال العامة واخرى على مدخل وزارة الشؤون الاجتماعية وأحدثت هذه المتفجرات اضرارا مادية في الاماكن التي استهدفتها . كما وضعت متفجرة قرب سينما الدورادو في شارع الحمراء فانفجرت وسببت اضرارا مادية ، وفي ميناء الحصن ألقيت متفجرة من سيارة فاحدثت دويا كبيرا وادت الى تحطيم الزجاج في عدد من المتاجر والمكاتب . كما القيت رزمة ديناميت امام مبنى غرفة التجارة والصناعة في حي الصنائع فهز الانفجار المنطقة . وكان واضحا ان القصد من هذه العمليات ان ثمة امكانية وقدرة على نقل المعركة الى أمكنة حرصت السلطة على ابعادها عنها . وقد ذكر بلاغ للسلطة العسكرية انه « منذ الساعة ٢٠،٢٠ من مساء ٥/٨ وحتى صباح ٥/٩ بالرغم من اتفاق وقف النار ما تزال مراكزنا في مناطق البقاع والجنوب وجبل

لبنان وبيروت تتعرض لقصف مركز من قبل المسلحين. في مدينة بيروت وضواحيها نسف المسلحون البنوك الآتية : بنك الانماء ، طراد ، اللبناني للتجارة في محلة الشياح بواسطة متفجرات ... كما ألقيت متفجرات بين السان جورج وفندق فينيسيا . هذا بالاضافة الى مراكزنا في الرادار ومطار بيروت الدولي ومدرسة القتال ومنازل الضباط ، فسقط ١٨ جريحا بينهم ضابط كما سقط في جبل لبنان شهيد واحد . اما في منطقة الجنوب وعلى اثر قصف ثكنة صور بالصواريخ والهاوين الثقيلة وتعرض قافلة متنقلة على الطريق العام لكمين مسلح سقط ثمانية شهداء وثمانية عشر جريحا بينهم ضابطان قائدان . اما في منطقة البقاع فما تزال مراكزنا في بقعة عمل راشيا تتعرض لقصف مدفعي مركز . سقط اربعة شهداء و١٦ جريحا بينهم ضابط اصابته خطرة ، الى جانب فقد ستة عسكريين بينهم ضابط ايضا . بلغت خسائرنا حتى الصباح : شهيد ١٣ ، جريح ٦٥ ، مفقود ٦ » ، وقد ذكرت « العمل » (٥/١٠) ان مجموع خسائر الجيش منذ بدء الاشتباكات بلغ ٣٧ قتيلا على الاقل . ومن جهة اخرى ذكرت نشرة « الثورة مستمرة » (٥/٩) ان انباء وردت من الجنوب تفيد ان قوات المقاومة تحاصر فصيلتين للجيش محاصرة تامة . وقد لاحظت « المحرر » (٥/١٠) بالنسبة لاحداث يوم ٥/٩ « ان ضرب بعض المنشآت اللبنانية وظهور تحركات مخطلة لدى قوى لبنانية متعددة زاد في قناعة المسؤولين بان الاستمرار في السياسة التي اتبعت خلال الايام الماضية سيدفع لبنان الى كارثة مؤكدة » .

لذلك فان الاجتماع الثاني للجنة المشتركة الذي عقد في الساعة الخامسة من يوم ٥/٩ أسفر عن اتفاق تفصيلي يكرس وقف القتال . وقد ورد نص هذا الاتفاق في تعميم وزعته القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية كما يلي : « ١ — يتوقف القصف والرماية كليا من الجانبين في القطاع الشرقي في تمام الساعة السادسة والنصف . ٢ — يتوقف الاعلام اللبناني الرسمي عن التحريض والاثارة ويلتزم خط التهدئة . وكذلك بالنسبة للاعلام الفلسطيني . ٣ — تنشأ ثلاثة مراكز ارتباط مشتركة في نقاط ثابتة منظورة من الجانبين عند المواقع التالية : أ — المركز الاول قرب دوار الكوكاكولا . ب — المركز الثاني قرب سفارة الكويت . ج — المركز الثالث قرب دوار المطار (عند بيت سفير الجزائر) ويزود كل مركز بخيمة عليها يافطة وبقوة متحركة وترتبط مراكز الارتباط بالمناظير المقربة ومكبرات الصوت ويباشر ضباط الارتباط بأخذ مواقعهم منذ صباح الغد الخميس ٥/١٠ . د — يلتزم الجانبان بالمحافظة على وقف اطلاق النار في جميع المناطق وباعطاء تعليمات مشددة لاحترام هذا القرار . هـ — يلتزم الجيش باخلاء مسبح المدينة الرياضية من جنوده ويقوم بسحبهم الى نادي الفروسية ويلتزم الجانب الفلسطيني بالامتناع عن دفع عناصر فدائية للحلول محلهم في المسبح . و — عند وقوع أي مخالفة او اي حادث عابر يلتزم الجانبان بعدم الانفعال والرد حتى تتم معالجة الامر بهدوء وبدون حدوث مضاعفات. ز — ان القيادة العامة لقوات الثورة اذ تطلب من جميع عناصرها الالتزام بنقاط هذا الاتفاق بغية تهيئة الاجواء الملائمة لتحقيق الانفراج والتغلب على الازمة ، تأمل ان يكون الجميع على مستوى المسؤولية وحسن التقدير » .

وبهذا الاتفاق انتهت مرحلة في الازمة لتبدأ مرحلة جديدة من المفاوضات .

المرحلة الرابعة : وقف اطلاق النار :

كان اتفاق ٥/٩ بداية مرحلة جديدة في الازمة كان عنوانها البارز استمرار الاتصالات والمفاوضات التي ادت الى تشكيل اللجنة المشتركة التي اسفرت اجتماعاتها الثلاثة التي عقدتها بين ١٥—١٧ ايار عن الوصول الى ما اصطلح على تسميته « اتفاقا » بين المقاومة الفلسطينية والسلطة اللبنانية . وسنرصد في هذه الفقرة الاجواء التي احاطت بهذه الجهود .

بعد اتفاق ٥/٩ مباشرة بدأت السلطة تسرب للصحافة « وجهة نظرها » وما وصفته بأنه مطالبها من أجل تخفيف الازمة . فقد ذكرت « النهار » (٥/١١) ان السلطة تطالب بما يلي : « اولا تشكيل لجنة مشتركة للقيام بجردة للاسلحة خصوصا الثقيلة في المخيمات بحيث تخرج منها لان مكانها على الحدود وليس في العاصمة وضواحيها . ثانيا : اخراج العناصر غير المنضبطة والغريبة او المشبوهة من المخيمات والتي تعمل على افساد العلاقات بين السلطة والمقاومة وتفتعل الحوادث . ثالثا : اخضاع الفلسطينيين للقوانين اللبنانية ومعاملتهم كاللبنانيين فيما يتعلق بالشؤون المدنية » . وكانت قضية الاسلحة في المخيمات هي اكثر القضايا

لفتا للنظر في ما تطرحه السلطة واوساطها واجهزة اعلامها . نفي تصريح ادلى به كميل شمعون (٥/١١) اثر مقابلته لرئيس الجمهورية قال ان الرئيس فرنجيه « لا يرى ان مقتضيات المقاومة الفلسطينية والعمل الفدائي تحتم وجود كمية من الاسلحة الكبيرة والصغيرة الثقيلة والخفيفة، والعدد الوافر من المسلحين ضمن العاصمة وحولها وكذلك ضمن المدن الكبيرة اللبنانية وحول هذه المدن». ولم يكن تجريد الفلسطينيين من الاسلحة هو مطلب السلطة الوحيد فقد ذكرت « العمل » (٥/١٢) ان « منطلقات الموقف اللبناني يمكن حصرها في النقاط التالية : ١ ــ الغاء مخيمات ضبية وتل الزعتر وبرج البراجنة ، باعتبار انها تقع في مناطق مأهولة وحساسة والاستعاضة عنها بتجمعات اخرى يتفق عليها . ٢ ــ الاحتفاظ بمحور مخيم شاتيلا ــ صبرا على ان تحدد نوعية الاسلحة الموجودة فيه باعتبار ان الصواريخ والمدافع المخزونة في قلب العاصمة ليست معدة لعمليات من الحدود . ٣ ــ تحديد عدد الفدائيين الموجودين في لبنان من حملة السلاح ، بما كان عليه هذا العدد قبل توقيع اتفاقية القاهرة . ٤ ــ انهاء التدريب ومستودعات الاسلحة من المخيمات القريبة من المناطق الاهلة والاستعاضة عنها بمناطق بعيدة اخرى » . كما بدأت السلطة تسرب انباء عن استيائها من تزايد عدد الفلسطينيين في لبنان فقد نقلت « العمل » (٥/١٣)على لسان وفد اقتصادي زار الرئيس فرنجية ان فرنجية « كان واضحا في عرض ملابسات الانفجار الاخير والظروف التي احاطت به . ومما قاله ان عدد الفلسطينيين في لبنان كان قبل ١٩٦٨ حوالي ١٤٧ الف فلسطيني وهو اليوم يتجاوز الثلاثمئة الف بعد التطورات العربية الاخيرة » . وقد كان موقف قيادة الثورة واضحا وحاسما من هذه القضايا التي تعمدت السلطة تسريبها فقد صرح ناطق باسم الجانب الفلسطيني في اللجنة المشتركة اللبنانية ــ الفلسطينية بما يلي : « ذكرت احدى الصحف اللبنانية انه علم ان الجانب اللبناني طرح امس (٥/١٢) في اجتماع اللجنة المشتركة نقل مخيم تل الزعتر والضبية وبرج البراجنة . ان اللجنة الفلسطينية تنفي نفيا قاطعا ان يكون الجانب اللبناني قد طرح مثل هذا الموضوع وان كل ما طرح في كافة الاجتماعات لم يتجاوز وقف اطلاق النار وترتيبات ضمان استمراره » كما صرح مصدر فلسطيني بما يلي : « علمت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ان هناك معلومات خاطئة وصلت الى بعض الصحف ووكالات الانباء تزعم ان اتفاقا قد جرى لسحب قوات الجيش من مواقعها مقابل سحب بعض انواع الاسلحة من المخيمات . ان اللجنة التنفيذية وهي تتابع بحرص سير العمل من اجل تنفيذ الاتفاقات بشأن وقف اطلاق النار واعادة الوئام الى حالته الطبيعية تنفي هذه الاخبار المغلوطة نفيا قاطعا » (« فلسطين الثورة » ٥/١٣) . وقد ذكرت نشرة « المقاومة » (٥/١٤) ان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية كانت قد اتخذت في ٥/١٠ قرارات بهذا الشأن منها « التمسك بسلطة المقاومة والجماهير الفلسطينية الكاملة على المخيمات ورفض كل افكار الغاء هذه المخيمات او بعضها ورفض فكرة سحب السلاح الثقيل من المخيمات باعتبار انه لا يوجد سلاح ثقيل فيها بالاساس ، فالسلاح الثقيل هو الطيارات والدبابات ومدافع الميدان وكلها أسلحة غير موجودة في المخيمات، اما الاسلحة الاخرى فأسلحة متوسطة وخفيفة تشكل حماية ضرورية للمخيمات من الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة ومن كل مغامرة طائشة لتصفية الثورة ، كمغامرة ايار الاخيرة » . وقد كانت « مطالب » السلطة هذه التي لمحت اليها عن طريق غير مباشر مجالا « لاسئلة » مباشرة حملها الرئيس الحافظ الى قيادة المقاومة لدى اجتماعه بالاخ ابو عمار وعدد من اعضاء اللجنة التنفيذية يوم ٥/١٤ ، فقد اشارت مصادر المقاومة (« المقاومة » ٥/١٦ و« فلسطين الثورة » ٥/١٧) الى بعض هذه الاسئلة التي نقلها الحافظ بتكليف من رئيس الجمهورية . ودارت هذه الاسئلة حول الامور التالية : العمليات العسكرية عبر الحدود اللبنانية ، عمليات المقاومة في الخارج ، حمل السلاح خارج المخيمات والتواجد الفدائي داخل المدن ، الاسلحة الثقيلة في المخيمات ، الاسباب التي تحول دون عودة السلطة الى المخيمات ، علاقة المقاومة بالسياسة الداخلية للبنان والصلة التي تقيمها مع الاحزاب والقوى التقدمية ، الوجود السياسي والاعلامي للمقاومة في لبنان ، قضية اصدار بلاغات عسكرية بعمليات خارجية من بيروت، الضمانات التي تراها المقاومة ضرورية لبداية حوار مثمر منتج . وقد ذكرت « فلسطين الثورة » (٥/١٧) « ان هذا الحوار يؤكد مسألتين هامتين : اولا ان كل ما تريده المقاومة ليس سوى تطبيق الاتفاقات

المعقودة مع السلطة . وليس فيها ما هو غير واضح وغامض . ثانيا : ان المقاومة متمسكة بكافة المكتسبات التي حصل عليها الشعب الفلسطيني في نضاله من اجل تحرير وطنه » . وقد تصدت الحركة الوطنية اللبنانية لموضوع نزع السلاح من ايدي الفلسطينيين . فقد اذاع المحامي عزت حرب ، رئيس جمعية متخرجي المقاصد ، بيانا (نشرته « فلسطين الثورة » ٥/١٤) جاء فيه استعراض لما نسب الى الرئيس فرنجية في هذا الصدد ثم توصل الى ما يلي « ان هذا الكلام يقصد منه في نظرنا : اولا — البدء في عملية نزع سلاح المقاومة الفلسطينية وتجريد المخيمات منها تمهيدا لتصفيتها لان هذه الخطوة تماما قد لجأ اليها الحكم الاردني قبل مجازر ايلول . ثانيا — اخضاع مخيمات الفلسطينيين للضغط وضبط الحركة من خارجها يتنافى مع أمن الثورة ويعطل المقاومة ويعيدها الى الوضع السابق المعروف للاجئين قبل ١٩٦٧ . ثالثا — ان مثل هذا الكلام المنسوب الى فخامة الرئيس يعني ان السلطة تريد فتح ملف القضية الفلسطينية واعادة النظر في الوجود الفلسطيني وهو أمر لا تملكه من الا من خلال جامعة الدول العربية ومؤتمر الذروة الذي حدد الوجود العربي والدولي لمنظمة التحرير الفلسطينية ومؤسساتها كلها ... »

بجانب هذه « المطاليب » التي حاولت السلطة ان تجعلها مرتكزات لسياستها قامت السلطة بأجهزتها الاعلامية ومن خلال الصحف اللصيقة بها بحملة تعبئة تسند مرتكزاتها تلك . وقد لخصت « فلسطين الثورة » (٥/١٣) المحاور التي اعتمدتها هذه الحملة بما يلي : ١ — التركيز على ما يسمى بامتيازات الفدائيين وتجاوزاتهم للقوانين . ٢ — تصوير التلاحم بين الثورة والحركة الوطنية والتقدمية في لبنان على انها تدخل في الشؤون الداخلية . ٣ — استخدام لفظ « الغرباء » في سياق التعليقات للتلميح الى ان الوجود الفلسطيني في هذا البلد العربي وجود دخيل . ٤ — استعارة لفظ فدائي شريف وغير شريف ، ومعتدل ومتطرف من حملة التعبئة الملكية الاردنية التي سبقت ايلول ١٩٧٠ . ٥ — نشر الاخبار المختلقة عن خلاف بين المنظمات . بالاضافة الى ذلك كان واضحا ان هناك تركيزا على ان الوجود الفلسطيني المقاوم في لبنان يشكل انتقاصا من السيادة اللبنانية ، كما جرى تمجيد كبير لدور الجيش اللبناني خلال الازمة وتأكيد على ان ما قام به كان واجبا « يؤديه في سبيل الوطن » . وقد تمكنت السلطة من ممارسة حملتها التعبوية الاعلامية على هذه المحاور في ظل حالة الطوارىء التي اعلنتها والتي فرضت بموجبها رقابة مشددة على الصحف ووسائط الاعلام .

ضمن هذه الاجواء وفي ظل الفراغ الدستوري الذي سببته استقالة الحافظ من رئاسة الحكومة بدأت اجتماعات اللجنة المشتركة العليا عصر يوم ٥/١٥ . وفي هذا اليوم ذكرت نشرة « المقاومة » انه « في الوقت الذي كانت تتصاعد فيه الحملة السياسية من السلطة وبعض كبار الساسة الانعزاليين في لبنان على حركة المقاومة مطالبة اياها بالتخلي عن مصادر قوتها الرئيسية ، كان القصر يتحرك سياسيا باتجاه آخر موفدا السيد صائب سلام الى قيادة المقاومة ومكلفا اياه بتبليغها بأنه ، اي رئيس الجمهورية ، مستعد للالتزام باتفاق القاهرة نصا وروحا شرط تشكيل لجنة موسعة (خمسة من كل طرف) تبحث في تطبيق هذا الاتفاق بشكل عملي . وأعلن رئيس الجمهورية من طرفه تشكيل اللجنة برئاسة العقيد احمد الحاج وعضوية ديب كمال وسليم مغبغب [مقدمان] واثنين من القضاة » . وقد أعلنت المقاومة (كما جاء في النشرة) ان نجاح المفاوضات بين السلطة والمقاومة لتطبيق بنود اتفاق القاهرة وملحقاته مرهون بالدرجة الاولى في توفير الاجواء السياسية والعسكرية الايجابية في لبنان والتي يمكن تلخيصها : ١ — تشكيل حكومة وطنية قوية تكون مسؤولة سياسيا ودستوريا عن نتائج هذه المفاوضات . ٢ — الغاء حالة الطوارىء . ٣ — الغاء كافة مظاهر التوتر من حصار مسلح حول المخيمات الى عودة الجيش الى مواقعه السابقة قبل ٢ ايار وازالة كافة الحواجز العسكرية . غير ان المقاومة سمت ممثليها الى هذه اللجنة (ابو الزعيم وابو عدنان وصلاح صلاح) التي ابتدأت اعمالها عصر يوم ٥/١٥ . وقد بدأ الاعلام اللصيق بالسلطة يستبق الاحداث ويسرع في اظهار مطاليب السلطة من المقاومة في هذه الاجتماعات فقد أشارت « النهار » (٥/١٦) الى انه سيكون ثمة اتفاق جديد وصفته بأنه « اتفاق قاهرة مجدد » وان البحث دار في الاجتماع الاول حول النقاط التي حملها الرئيس الحافظ الى قيادة المقاومة يوم ٥/١٤ وان الجانب اللبناني نال اجوبة ايجابية على معظم النقاط المطروحة وان البحث يدور حول تصنيف الاسلحة الثقيلة . غير ان

نشرة « المقاومة » اوضحت انه لم يبحث في الاجتماع الذي استغرق اربع ساعات كاملة اي موضوع بشكل محدد وانما جرى خلاله تعارف بين اعضاء اللجنتين واستفكار للاقتتال بين الاشقاء . وقد عقدت اللجنة اجتماعين آخرين في يومي ١٦ و١٧/٥ صدر اثرهما بيان جاء فيه « استكملت اللجنة المشتركة العليا محادثاتها هذا اليوم (١٧/٥) بعد اجتماعها الثالث والذي استمر ست ساعات . وكانت وجهات النظر متفقة بين الجانبين حول مختلف القضايا » وقد اضافت الاذاعة اللبنانية بعد نشرها هذا البيان العبارة التالية « وقد علم مندوبنا ان لجنة التنسيق العليا ستتولى الاشراف على خطوات التنفيذ » . ما الذي جرى خلال هذين الاجتماعين الاخيرين وما هو اطار « الاتفاق » الذي تم التوصل اليه بين المقاومة والسلطة ؟ ذكرت نشرة «المقاومة» (١٧/٥) انه تم في الاجتماع الثاني (١٦/٥) عرض « نظري » لتصور السلطة لدور العمل الفدائي يحصر العمل الفدائي في اضيق الحدود وفي ابعد الاماكن عن ارض الفداء ، كما تناول العرض اعادة طرح مسألة الوجود الفلسطيني برمته في لبنان كما حاول الوفد اللبناني طرح بعض المشكلات التفصيلية التي طرأت خلال وجود العمل الفدائي في لبنان . وقد رد اعضاء الوفد الفلسطيني مطولا على وجهة نظر السلطة واستغربوا طرح هذه الاراء واعتبروها دليلا على الرغبة في تأزيم الجو وعدم الوصول الى اي نتائج ايجابية وطلب الوفد الفلسطيني من اعضاء وفد السلطة ترجمة عملية لآرائهم « النظرية » فتراجع حينها ممثلو السلطة واكدوا ان كل ما يريدونه هو الالتزام بتطبيق اتفاق القاهرة وكافة الملحقات المتفرعة عنه. وقد انتهى الاجتماع على ان يعقد اجتماع آخر في اليوم التالي . وعن هذا الاجتماع الثالث والاخير (١٧/٥) ذكرت نشرة « المقاومة » (١٩/٥) انه جرى فيه حوار صريح لخصت فيه السلطة عبر ممثليها مجموعة ملاحظاتها حول العلاقة مع حركة المقاومة والتي لا تخرج عن الملاحظات والاسئلة التي حملها الدكتور امين الحافظ الى قيادة المقاومة وتلقى اجوبة محددة عليها . وقد رد ممثلو المقاومة على هذه الملاحظات والاسئلة من خلال توجيهات اللجنة التنفيذية الحريصة على الالتزام الكامل باتفاقية القاهرة وكافة ملحقاتها . وقد تقدم ممثلو المقاومة بمجموعة من المطالب والضمانات التي يرونها ضرورية لتجاوز الازمة واسبابها وآثارها ويمكن تلخيصها بالآتي : ● احترام وتطبيق اتفاقية القاهرة مع كل ملحقاتها . ● انهاء كل المظاهر العسكرية وعودة الجيش الى ثكناته. ● الغاء حالة الطوارىء بعد تشكيل الحكومة الوطنية القادرة على ارساء أسس التفاهم والثقة مع المقاومة . ● ايقاف الحملة الاعلامية المعادية للثورة . ● عدم المس بالسلاح الموجود في المخيمات . ● اقرار حق المقاومة بالتدريبات العسكرية . ● اقرار حق العمل للفلسطينيين في لبنان . ● الافراج عن كافة المعتقلين من مناضلي الثورة وانصارها اللبنانيين . وقالت النشرة انه لم يتوصل الطرفان الى اتفاق جديد بشأن كل هذه النقاط الا ان الجانب اللبناني ابدى تفهما لهذه المطالب وتم الاتفاق على احياء اللجنة المشتركة العليا للبت في كافة الخلافات والمشاكل المعلقة وعلى ضرورة تعزيز مكاتب الارتباط بين السلطة والمقاومة من اجل حل اي مشكلة طارئة بسرعة .

لقد رافق مجرى المفاوضات التي اسفرت عن هذا « الاتفاق » عدة أمور نجملها كما يلي :

اولا — شددت الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية من موقفها الى جانب حركة المقاومة الفلسطينية ، فقد أصدرت هذه القوى بيانا (١٥/٥) قالت فيه « سوف تمضي الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في النضال وسط الجماهير ، بكل ما تملك من امكانيات ووسائل ، من اجل وضع حد لسياسة القمع المسلطة على البلاد وفي سبيل تنفيذ المطالب التي تشكل وحدها سبيل الخروج من الوضع الراهن ، وفي طليعتها :

اولا — الغاء حالة الطوارىء فورا . ثانيا — ازالة كل مظاهر التوتر بسحب القوات المسلحة الى ثكناتها ومواقعها السابقة. ثالثا — التقيد بالاتفاقيات والمواثيق المعقودة مع المقاومة الفلسطينية وتنفيذها مع جميع ملاحقها . رابعا — معاقبة المسؤولين عن ارتكاب المجزرة والتعويض على ذوي الشهداء والاضرار المادية . خامسا — تشكيل حكومة يرضى عنها الرأي العام الوطني وتتحمل مسؤوليتها في المحافظة على أسس العلاقة الطبيعية مع المقاومة الفلسطينية على قاعدة الثقة والحوار الايجابي ».

وكانت الهيئات الوطنية قد اجرت مداولات في ١١/٥ تقدم بعدها السيد رشيد كرامي بمطالب الى رئيس الجمهورية (نشرتها « فلسطين الثورة » ١٤/٥) جاء فيها ما يلي : ١ — الغاء حالة الطوارىء .

٢ ــ تشكيل حكومة وطنية تأخذ على عاتقها اعادة الاجواء الى ما قبل الازمة . ٣ ــ احترام الاتفاقات مع المقاومة وتطبيقها . ٤ ــ احياء اللجان المشتركة على مستوى عال . ٥ ــ عسودة الجيش الى ثكناته . ٦ ــ اصدار بيان من السلطة يتعهد بتثبيت الاخوة بين الشعبين اللبناني والفلسطيني ، احترام حقوق الفلسطينيين . ٧ ــ اعادة التوازن الوطني داخل قيادة الجيش . ٨ ــ محاكمة المسؤولين عن المجزرة .

ثانيا ــ مع دخسول وقف اطلاق النار مرحلة التنفيذ الفعلي بعد (٥/٩) بدأت تظهر على السطح بشكل ملح مسألة الفراغ الدستوري الناتجة عن استقالة رئيس الحكومة من جهة ، وقضية الغاء حالة الطوارىء من جهة اخرى . وحول المسألة الاولى كان من الواضح ان رئيس الجمهورية يرجىء البت بقضية استقالة الحكومة وتكليف رئيس وزراء جديد (او رفض الاستقالة واستمرار الحافظ في الحكم او اعادة تكليفه مرة اخرى) الى ما بعد الانتهاء من الوصول الى اتفاق مع المقاومة . وقد كتبت « النهار » (٥/١١) حول هذا الموضوع ما يلي « ان السلطة لا ترى داعيا للعجلة في تشكيل حكومة جديدة قبل ان يتم الاتفاق على صيغة التعايش الجديدة مع المقاومة ، وهي تفضل ما دام الوصول الى مثل هذا الاتفاق لم يتم ان تظل السلطة العسكرية هي التي تتحمل مسؤولية حفظ الامن في البلاد ومراقبة تطورات الموقف » . غير ان رأي المعارضة والقوى الوطنية كان يصر على تشكيل حكومة تتحمل مسؤولياتها الدستورية . وقد عقد في (٥/١٢) اجتماع في منزل رشيد كرامي حضره بالاضافة الى كرامي السادة كمال جنبلاط ، فريد جبران ، زاهر الخطيب ، ناظم القادري ، حسن الرفاعي ، بهيج تقي الدين ، عبدالله اليافي ، رشيد الصلح ، عثمان الدنا ، نجاح واكيم ، تقي الدين الصلح ، محمد زكريا الغيثاني ، وفيق الطيبي ، كمال شاتيلا ، خضر الحركة . وقد أدلى وفيق الطيبي باسم المجتمعين ببيان جاء فيه ان المجتمعين درسوا استمرار الفراغ الدستوري الناجم عن عدم وجود حكومة ، مما يعني ان ليس ثمة سلطة في البلاد يمكنها ان تتولى حتى تسيير الاعمال العادية « وهذا الوضع من شأنه ان يبقي البلاد في حالة فراغ حكومي كامل تنتج عنه حالة لادستورية تمس نظامنا الديموقراطي » . وقد طالب المجتمعون « بالاسراع في تأليف حكومة تتحمل مسؤولياتها الدستورية كاملة وتكون على مستوى الاحداث وتوحي الثقة للرأي العام » .

اما بالنسبة لالغاء حالة الطوارىء فقد كان من الواضح أيضا ان السلطة تصر على ابقاء هذه الحالة وعدم الغائها بانتظار التوصل الى اتفاق مع المقاومة . ومن ناحية دستورية فان المادة الثانية من قانون الطوارىء توجب دعوة مجلس النواب الى الاجتماع للنظر في هذا التدبير في مهلة ثمانية ايام . وكانت هذه المهلة تنتهي في ٥/١٤ . وقد بدأ اظهار اشكال قانوني ناشىء من الحكومة التي أعلنت حالة الطوارىء استقالت بعد ذلك فتمسكت المعارضة بأن حالة الطوارىء تسقط بانتهاء المهلة المحددة في القانون ما دامت الحكومة المستقيلة لا تتمكن من المثول امام مجلس النواب لتمديد حالة الطوارىء . بينما سعت السلطة بالمقابل من خلال الفتاوى التشريعية التي جندت وسائل الاعلام جميعها لبثها وترسيخها ، الى اظهار ان حالة الطوارىء مستمرة حتى في حال استقالة الحكومة اولا ثم ثانيا حتى ولو لم يجتمع مجلس النواب لبحثها . وهكذا تمكنت السلطة من خلال هذه الفتاوى من ابقاء حالة الطوارىء الى ما بعد « اتفاقها » مع المقاومة .

ثالثا ــ رافق المفاوضات نشوب معارك في المنطقة الشمالية من البلاد ، وحسب بلاغات السلطة تعرض مركز العريضة على الحدود السورية ــ اللبنانية الى قصف بالمدافع يوم ٥/١٠ كما تعرض لقصف آخر يوم ٥/١١ كما تعرض مركز البقيعة في الشمال ايضا الى قصف مشابه في ٥/١٢ وزعمت السلطة في بلاغاتها ان هذا القصف قام به « مسلحون » اخترقوا الحدود الشمالية .

رابعا ــ بدأت قبيل التوصل الى « اتفاق » ٥/١٧ حملة اعتقالات استمرت الى وقت لاحق شملت عددا من الفلسطينيين واللبنانيين . فقد ذكرت « فلسطين الثورة » (٥/١٤) ان الجيش استمر في اقامة الحواجز في اكثر من منطقة وجرى اعتقال عدد من الاشخاص كما دوهمت عدة منازل تعود لانصار الثورة من المواطنين اللبنانيين في بعض مناطق جبل لبنان كما جرت مداهمات لبعض بيوت منطقة الشياح . كما ذكرت في عدد (٥/١٩) ان قوات الجيش اعتقلت صباح اليوم السابق ثمانية من المواطنين الفلسطينيين من سكان مخيم تل الزعتر